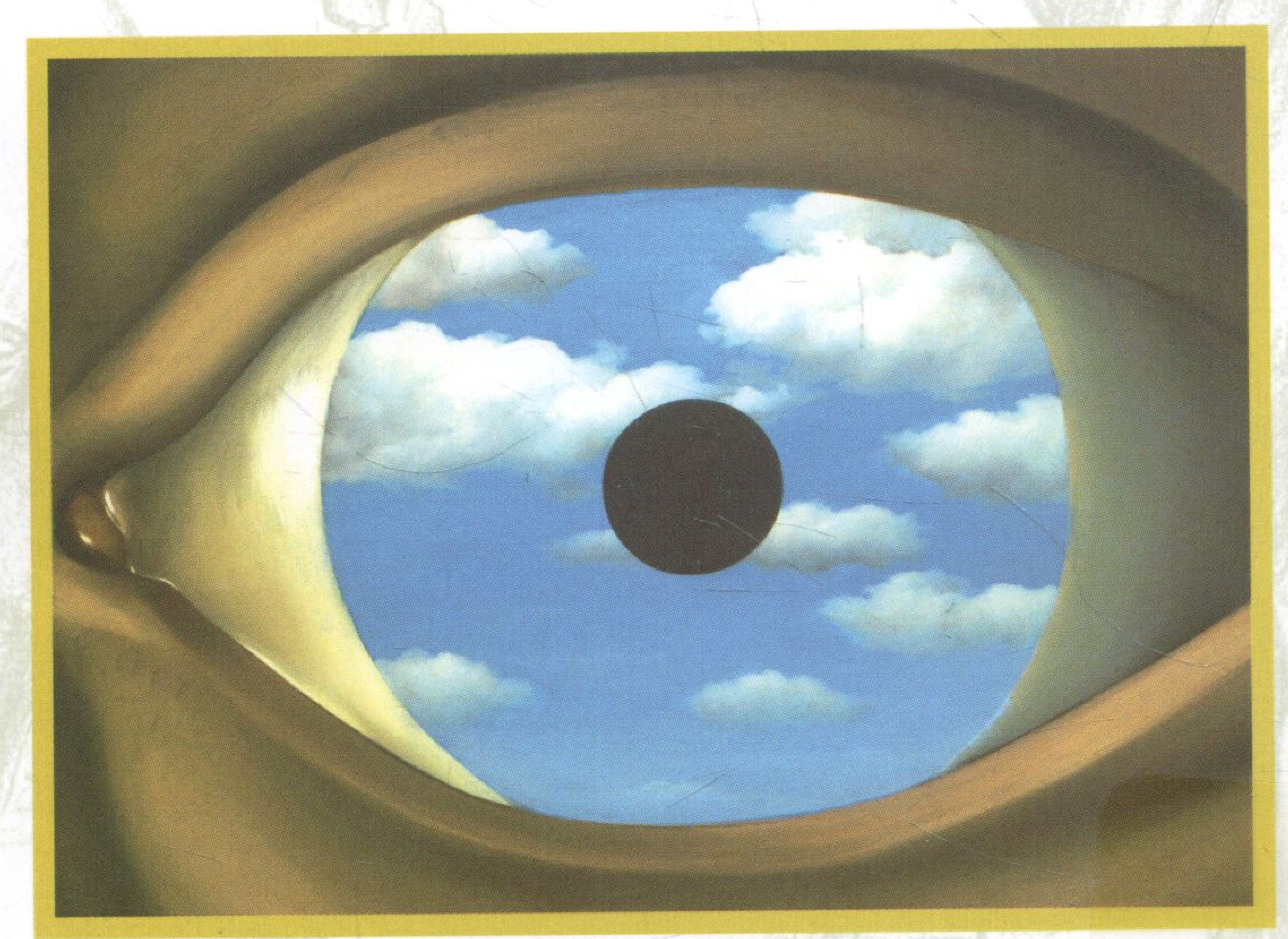
سلسلة
آفاق
عالمية
135

المائة كتاب
100/19

رواية

# ١٩٨٤



جورج أورويل




ترجمة وتقديم: عمرو خيري

# 1984

• 1984
• ترجمة تقديم: عمرو خيرى
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2015 م
• تصميم الغلاف:
أحمد اللباد
• رقم الإيداع: ٢٧٥٥/ ٢٠١٥
• الترقيم الدولى: 978-977-92-0095-8
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

135

سلسلة شهرية تعنى بنشر الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية فى الأدب والنقد والفكر من مختلف اللغات



الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن راى وتوجه المؤلف في المقام الأول.

چورچ أورويـــل

# 1984

ترجمة وتقديم: عمرو خيـرى

وزارة الثقافة



# مقدمــة المترجــم

## حياة جورج أورويل الرحيبة

عاش جورج أورويل (1903 - 1950)* حياة عريضة واسعة صعبة التصنيف. لعلها حالة أدبية تستحق السرد باستفاضة في حد ذاتها، وأحاول في إيجاز شديد، فيما يلي من سطور، أن أعرضها، في محاولة لفهم "تكوينه" الذي أنتج رواية 1984، آخر أعماله وأخلدها في رأي الكثيرين. فأورويل- الذي وُلد في الهند المستعمرة، وقضى سنوات في منصب شرطي في بورما، ثم نزع إلى الكتابة عن الفقراء والمشردين ومعايشتهم، وشهد بعينه ويده على حربين- لم يكن روائيًا فحسب؛ إذ عرفه أهل زمنه بصفة الصحفي والناقد وكاتب المقال والمتطوع في حرب ضروس ضد الفاشية في إسبانيا. عمل أورويل شرطيًا في بورما، وغاسل صحون في

* تعتمد المعلومات الواردة أدناه بالأساس على صفحة "George Orwell" على موقع Wikipedia، والتي وجدتها وافية ودقيقة، ومصدرًا جيدًا لغير المتخصص مثلي، يسرد من خلالها هذه الحياة. ولعلّي- بتقديمها للقارئ- أضعه في نفس "الحالة الذهنية" التي اعتمدتها مدخلاً لترجمة هذا العمل شديد الأهمية.

فندق باريسي، وصحفيًا، وجنديًا، وعاملًا في مكتبة لبيع الكتب المستعملة، وأعمال أخرى. وأرجو أن تسهم السطور التالية في تعريف القارئ بتكوينه العجيب، وحياته الصاخبة، وهدفي- في نهاية المطاف- تقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات، في صفحات قليلة، عن القلم الذي خطّ رواية 1984. أما الرواية نفسها، فلن أتحدث عنها، وأرجو أن تكون هذه الترجمة الجديدة خير رسول لتعريف قارئ العربية بها.

اسم جورج أورويل الحقيقي هو إريك أرثر بلير، وقد وصف عائلته بأنها تنتمي إلى "الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة"، وتعود أصوله إلى جدود ينتمون إلى الأرستقراطية البريطانية منذ القرن الثامن عشر، وكانت لأحد هؤلاء الأسلاف مزارع وأراضٍ في جامايكا. أما جدُّه، فكان رجل دين، ثم شغل والده منصبًا في إدارة الأفيون التابعة للجهاز الإداري البريطاني في الهند المُستعمرة. وأمه هي إيدا مابل بلير التي نشأت في بورما، والدها رجل فرنسي كان يعمل بالتجارة والمضاربات. وُلد أورويل في 25 يونيو 1903 في موتيهاري، بولاية بيهار الهندية. وعندما بلغ من العُمر عامًا أخذته والدته- بصحبة شقيقته الكبرى مارجوري- إلى إنجلترا، وقد وُلدت شقيقته الصغرى أفريل بعد انتقالهم إلى انجلترا بأربع سنوات.

لم ير بلير والده بعد الانتقال إلى انجلترا إلا في عام 1907، ثم عاد الأب- بعد تقاعده من الهند- إلى انجلترا في عام 1912. وقتها فقط بدأ يتعرف على أبيه، الذي لم تربطه به يومًا رابطة قوية، وقد وصفه بأنه "مُحافظ" و"ممل". وكان بلير- على امتداد فترة نشأته الأولى- منشغلًا مع الأم والشقيقتين بأنشطة فنية وأدبية في حياة أغلبها ريفية.

ومنذ طفولته المبكرة أحب بلير الكتابة، فكتب الشعر، وكان يحلم بأن يكتب رواية على شاكلة "يوتوبيا حديثة" لـ هـ ج. ويلز. التحق بمدرسة داخلية كاثوليكية

في سن الخامسة. وكانت أمه تريد إلحاقه بالتعليم العام، لا الديني، لكن الأسرة لم تكن لديها موارد مالية كافية لذلك. كان أداؤه المدرسي متواضعًا، وقال عنه بعض معلميه- فيما بعد- أنه لم يكن يُكِن احترامًا لسلطة المعلم والمدرسة، لكنه انشغل بالكتابة في مجلات مدرسية عديدة. وقد فرضت مشكلة تدبير المال اللازم حدودًا على تعليمه، فظل يتنقل بين المدارس حتى ناهز الثامنة عشرة، وحينها أدرك الأبوان- من واقع أدائه التعليمي المتواضع- أنه لن يتمكن من ارتياد الجامعة بمنحة دراسية، ولم يكن ممكنًا دونها أن يستمر في التعليم العالي، فتقرر إلحاقه بمدرسة للشرطة، أهلته لشغل منصب "ضابط شرطة إمبراطوري" في بورما. وقد بدأ تدريبه وعمله هناك كشرطي في عام 1922.

في عام 1924، أصبح بلير مسؤولًا عن أمن نحو مائتي ألف نسمة في إحدى بقاع بورما، وفي أبريل من عام 1926 انتقل إلى مولمين، حيث كانت تعيش جدته لأمه، ثم انتقل- في نهاية العام نفسه- إلى "كاتا" في بورما العليا، وهناك أصيب بحمى نزفية في عام 1927، فتقررت عودته إلى إنجلترا في إجازة، إلى أن يتماثل للشفاء. لكنه قرر- إبان عودته لانجلترا- أن يستقيل من عمله كشرطي في المستعمرات البريطانية، وأن ينشغل بالكتابة. كان في بورما يقضي فترات طويلة وحيدًا، وتعلم اللغة البورمية حتى أجادها إجادة تامة، واعتمد على تجربته في بورما في روايته "أيام بورما" التي صدرت أواسط الثلاثينيات. وكتب فيما بعد أنه "نادم" على دوره من أجل "الإمبراطورية"، ولقد "بدأت أنظر إلى بلدي فرأيت أن في إنجلترا بدورها الكثير من المضطهدين".

في خريف 1927، انتقل من بيت عائلته في الريف الإنجليزي إلى لندن. ومن حجرة متواضعة في لندن، قرر بلير (أو أورويل) أن يكتب عن "بعض مظاهر الحاضر التي قرر أن يتعرف عليها بنفسه أولًا"، فقرر استكشاف الأحياء الأفقر في

لندن. ومع الوقت قرر ارتداء ثياب المشردين، وتبني معيشتهم، لينأى بنفسه عن تقاليد وتوقعات الطبقة المتوسطة. وسجل تجربته تلك في النصف الثاني من كتابه "**متشردًا ما بين لندن وباريس**" الصادر عام 1933. وقد بدأت تجربته في نصف الكتاب الأول عن باريس في ربيع عام 1928، عندما انتقل للعيش في منطقة فقيرة في العاصمة الفرنسية، وكانت إحدى عماته تعيش هناك، وتدعمه ماليًا وقت الحاجة. بدأ يكتب الروايات في باريس، لكن لم تنتج من تلك الفترة المبكرة إلا نسخة أولية من "أيام بورما".

وقد حالفه النجاح كصحفي في تلك الأيام، فكتب في صحيفة تُدعى "موند" بالفرنسية، وصحيفة أخرى تُدعى "التقدم المدني"، وكان يصدرها تحالف يساري فرنسي. كتب عن البطالة وحياة المشردين والمتسولين والفقر والعوز، بالإضافة إلى العمل في غسيل الصحون بأحد فنادق باريس، وفي أعمال يدوية أخرى.

بعد أن مرض ونُقل إلى مستشفى عام- يديره طلبة الطب في باريس- عاد إلى بلده في ديسمبر من عام 1929، وإلى بيت أبويه في ريف انجلترا، والذي أصبح- طيلة خمس سنوات- مكانًا يعود إليه دائمًا كلما اقتضت الحاجة. وقد تعرف هناك على بريندا سالكيلد، "**ابنة الكاهن**"- وله رواية بهذا الإسم صدرت عام 1935- وكانت تعمل مدرسة تربية رياضية، وعرض عليها الزواج فرفضت، وإن ظلت صديقة له لسنوات.

استمر بلير في استكشاف حياة الفقر والتشرد، حتى إنه- قبل وأثناء عمله كمُدرس في مدرسة إعدادية صغيرة غربي لندن، بدءًا من عام 1932- كان يذهب إلى منزل صديقين ليغير هناك ثيابه، فيرتدي ثياب المتسولين ويخرج إلى رحلاته التي تستغرق أيامًا. وقبل عمله كمُدرس بمدرسة ثانوية، عمل لفترة كخادم في

فندق متواضع في انجلترا، وحاول أن يدخل السجن ليكتب عن "قضاء الكريسماس في الزنزانة"، لكن الشرطة قررت- بعد القبض عليه- أن سبب توقيفه (السُّكر في مكان عام) لا يستأهل الحبس لأكثر من يومين.

كتب بلير عن تجاربه هذه لصحف منها "أدلفي"، التي أسهم فيها بمقالات عديدة. وأتم نسخة مبكرة من كتابه "**متشردًا ما بين لندن وباريس**"، وكانت بعنوان "مذكرات خادم مطبخ"، في أكتوبر 1930، واقتصرت على تجربته في باريس. وقد عرض المخطوطة على الناشر اللندني جوناثان كاب الذي رفضها. وفي العام نفسه، عرض نسخة أكبر، اشتملت على الفصول الخاصة بلندن، على الناشر فابر آند فابر، لكن ت. س. إليوت- مدير التحرير بالدار وقتها- رفض الكتاب بدوره، وقال عنه "وجدنا هذا العمل مهمًا للغاية، لكن يؤسفني أن أقول إنني لا أرى فيه مشروعًا صالحًا للنشر".

ثم وافق الناشر اليساري فيكتور جولانس (صاحب دار نشر بالاسم نفسه، كانت تنشر الكتابات العمالية الاشتراكية الراديكالية) على نشر الكتاب، شريطة حذف "الألفاظ النابية"، وبعض الأسماء التي يمكن التوصل إلى أصحابها. وبعد نقاش مع الناشر، تقرر صدوره باسمه "**متشردًا ما بين لندن وباريس**" تحت الاسم المستعار لبلير، وهو جورج أورويل، الذي كان قد وقّع به على العديد من المقالات، حتى "لا يسبب الحرج لعائلته". وصدرت الطبعة الأولى في يناير 1933. ثم نُشر الكتاب في نيويورك بالولايات المتحدة، ولم يشهد إقبالًا كبيرًا إلا في أواخر عام 1940، بعد أن أصدرت دار "بنجوين بوكس" في انجلترا طبعة شعبية في 55 ألف نسخة.

عاوده المرض مرةً أخرى، إذ أصيب بالتهاب رئوي أثناء عمله كمدرس، ففُصل

من عمله في مطلع 1934، ليعود إلى بيت أبويه اللذين أنفقا عليه لفترة، ولم يعد بعد ذلك إلى التدريس. واستمر في كتابة رواية "أيام بورما"، التي رفضها جولانس، ناشر كتابه الأول، بحجة أنها قد تعود على دار النشر بقضايا سب وقذف، فنشرتها دار "هاربر" الأمريكية عام 1934. واستفاد من تجربته كمدرس في رواية "ابنة الكاهن" التي انتهى منها في صيف 1934، ونشرها جولانس في ربيع 1935، بعد أن أجرى عليها تعديلات قليلة.

وقبل صدور "ابنة الكاهن"، كان أورويل قد بدأ العمل في مكتبة "رُكن عشاق الكتب" للكتب المستعملة في هامبستيد، وكان يملكها رجل وزوجته من أعضاء "حزب العمال المستقل". وخلال فترة عمله بالمكتبة، كان يقضي نهاره في الكتابة لصحيفة "أدلفي"، ويحضر للنشر روايتيه: "أيام بورما" و"ابنة الكاهن".

وفي ربيع 1935، قابل أورويل إيلين أوشونيسي، ليتزوجها في صيف 1936. ثم اندلعت الحرب الأهلية في إسبانيا بعد زواجه بقليل، فقرر أن ينضم إلى صفوف المقاتلين ضد الفاشية قبل نهاية العام. وفي طريقه إلى إسبانيا اجتمع بهنري ميللر في باريس على العشاء، وقال له الكاتب الأمريكي إن الذهاب للحرب الأهلية بدافع من الإحساس بالذنب والالتزام هو "محض غباء"، وإن أفكار الإنجليز عن "محاربة الفاشية والدفاع عن الديمقراطية، إلخ إلخ، كله كلام فارغ". ثم نقل جون مكنير عن أورويل، وهو من قادة حزب العمال المستقل، قوله له في برشلونة، بعد أيام: "جئت لأحارب الفاشية".

وبعد مدة قضاها في "ثكنات لينين" في برشلونة، مضى إلى جبهة أراجون تحت قيادة جورج كوب. وبحلول يناير 1937، وجد نفسه على جبهة بمنطقة جبلية مرتفعة في قلب الشتاء. وكانت التحركات العسكرية قليلة والمعدات الحربية

والإمدادات نادرة.

ثم إن زوجته إيلين قررت- في تلك الأثناء- أن تذهب إلى إسبانيا. تطوعت في نفس فرقة المتطوعين، وتمكنت من زيارة زوجها عدة مرات على الجبهة، وكانت تجلب إليه الشاي الإنجليزي والشيكولاتة والسيجار. وقد أصيب أورويل بتسمم في يده فنُقل إلى المستشفى، وهناك سرق العاملون أغلب ممتلكاته. وعاد إلى الجبهة ليشهد بعض التحركات الحربية في هجوم ليلي على خنادق للعدو، وفي تلك الليلة طارد جنديًا من قوات العدو بسونكي البندقية، وقام بقصف موقع للعدو به أسلحة خفيفة.

وفي أبريل، عاد أورويل إلى برشلونة، عاقدًا العزم على الذهاب إلى جبهة مدريد، مما كان يعني اضطراره للانضمام إلى "الطابور الدولي". لجأ إلى صديق شيوعي يعمل بهيئة المساعدات الطبية الإسبانية، وعرض عليه طلبه. وفي برشلونة قضي أغلب وقته في قراءة الروايات، دون كثير من العمل الحربي. وشهدت تلك الفترة اتهامات متبادلة بين الفصائل الشيوعية واليسارية، فقرر أورويل ألا ينضم إلى الكتائب الدولية، وعاد إلى جبهة أراجون. وقال عن حالة التناحر التي شهدها في برشلونة: "لن ينسى أحد ممن كانوا في برشلونة في تلك الفترة، أو بعدها بشهور، تلك الأجواء؛ أجواء الخوف والاشتباه والكراهية ومراقبة الصحافة والسجون الممتلئة بالمعتقلين وطوابير الطعام الطويلة والعصابات المسلحة المتناحرة".

بعد عودته للقتال في جبهة أراجون، أصيب في حلقه برصاصة قناص. كان أورويل أطول بكثير من المقاتلين الإسبان، وحذروه مرارًا وتكرارًا من الوقوف عند طرف الخندق. ومع عدم قدرته على الكلام، والدم ينزف من فمه، نُقل على محفة إلى عربة إسعاف مضت به إلى مستشفى في ليدا. وقد تماثل للشفاء في أواخر مايو

1937، فتقرر نقله إلى بيت آمن لحزب العمال الماركسي الوحدوي في ضواحي برشلونة. كانت الرصاصة قد استقرت في عنقه على مسافة قصيرة للغاية من شريانه، وكان يعاني من الكلام. تلقى العلاج بالصدمات الكهربائية، وصدر تقرير بأنه لم يعد قادرًا على الخدمة العسكرية.

وبحلول أواسط يونيو من نفس العام، كان الوضع السياسي في برشلونة قد تدهور كثيرًا، واتهمت الفصائل الشيوعية الموالية للاتحاد السوفيتي حزب العمال الماركسي الوحدوي بأنه تنظيم تروتسكاوي، فجرموا الانضمام إلى الحزب، ونالت منه حملات تشويه السمعة. وكان رأي الفصائل الشيوعية الرسمي أنه حزب "فاشي" ويعيق قضية الجمهورية. وظهر في أرجاء المدينة بوستر لرأس مغطاة بقناع عليه شعار الحزب الماركسي الوحدوي وقد تمزق، ويظهر من تحته صليب النازية المعقوف. وقد تم القبض على بعض أعضاء الحزب واختبأ آخرون، فاضطر أورويل وزوجته بدورهما إلى الاختباء.

تمكنا أخيرًا من الهروب من إسبانيا بالقطار. وبعد وصولهما إلى إنجلترا بأسبوع، تم اتهام أورويل وزوجته بأنهما "تروتسكاويين" في محكمة التجسس والخيانة العظمى في فالنسيا بإسبانيا، وبأنهما عميلان لحزب العمال الماركسي الوحدوي، وتمت المحاكمة غيابيًا في خريف 1938، وقال عنها أورويل- أثناء انعقادها- إنها "من مشتقات محاكمات التروتسكاوية الروسية، وهي كلها من البداية كذب في كذب، وليست إلا ظلمًا بينًا، وتروج لها الصحافة الشيوعية".

بعد عودته وزوجته إلى إنجلترا، أقاما في بيت أهل زوجته في جرينتش. وهناك تبين له أن آراءه عن الحرب الأهلية الإسبانية مرفوضة من الأصدقاء. وقد تم رفض نشر عملين من أعماله، وبدأ صديقه الناشر جولانس يعامله بحذر. وشنت صحيفة

"العامل اليومي" الشيوعية هجومًا على كتابه "الطريق إلى ويجان باير" الذي وثّق فيه- قبل سفره للحرب الأهلية- حالة شقاء العمال شمالي انجلترا، واشتملت حملتها ضده على اتهامه بأنه قال في الكتاب إن "الطبقة العاملة كريهة الرائحة"، وهو ما لم يذكره الكتاب. وقتها، راودته فكرة السفر إلى الهند للعمل في صحيفة "بايونير"، لكن حالته الصحية تدهورت بحلول ربيع 1938 فدخل مستشفى بمساعدة من شقيق زوجته.

وفي تلك الفترة، نُشر كتابه "الحنين إلى كتالونيا" الذي سجل فيه تجربته عن الحرب الأهلية الإسبانية، ليلقى فشلًا ذريعًا. ثم قام الروائي "إل إتش مايرز" سرًّا بتمويل رحلة لأورويل وزوجته إلى المغرب، لمدة ستة أشهر، حتى يستعيد هناك صحته. ذهب أورويل وزوجته إلى هناك في سبتمبر 1938، مرورًا بجبل طارق وطنجة، لتفادي المرور على الجزء الذي كانت تحتله إسبانيا من المغرب، ووصلا إلى مراكش، التي كانت تخضع للاحتلال الفرنسي. وعادا إلى إنجلترا في أواخر مارس 1939، ونُشر كتابه "الصعود إلى الهواء" الذي كتبه في المغرب في يونيو من العام نفسه. ثم مات والده، ريتشارد بلير في يوليو 1939.

ولدى اندلاع الحرب العالمية الثانية، تطوعت إيلين زوجته للمجهود الحربي في لندن، وتقدم أورويل بأوراقه إلى السجل المركزي للمجهود الحربي، لكنه لم يُقبل بسبب حالة رئتيه المتدهورة؛ فقرر الانشغال بكتابة مجموعة من المقالات والمسرحيات والأفلام والكتب لصحف "ذا ليسنر"، و"تايم آند تايد" و"نيو أدلفي". وفي مايو من عام 1940 استأجر شقة في لندن، خلال الفترة التي شهدت مقتل شقيق إيلين في فرنسا؛ ما أصابها بحالة مطولة من الاكتئاب. وطوال تلك الفترة، راح أورويل يدون مذكراته عن الحرب.

وقد أعلن المجلس الطبي البريطاني- في يونيو 1940- أن أورويل "غير لائق طبيًا لأي نوع من أنواع الخدمة العسكرية"، لكنه سرعان ما وجد فرصة للانضمام إلى العمل الحربي، إذ تطوع في قوات الحرس الوطني. وكان يرى أن تلك القوات هي ميليشيا شعبية ثورية. وكتب للزملاء في الحرّس الوطني محاضرات وتعليمات عن حرب الشوارع، والتحصينات الميدانية، واستخدامات قذائف الهاون بمختلف أنواعها، من واقع خبرته في الحرب الأهلية الإسبانية.

وظل- على مدار عامي 1940 و1941- يكتب لمختلف الصحف والدوريات، إلى أن تمكن أخيرًا من الانضمام إلى "العمل الحربي" في "خدمة البث الشرقي"، التابعة لإذاعة البي بي سي. وأشرف- في الـ بي بي سي- على البرامج الثقافية التي يتم بثها للهند، لمناوأة البروباجاندا النازية التي كانت تحاول تقويض صلات انجلترا بمستعمراتها وراء البحار. وتعاون- خلال تلك الفترة، في إطار البرنامج الثقافي- مع كُتاب كبار مثل ت. س. إليوت، وديلان توماس، وإي. م. فورستر وآخرين.

وقد شهدت تلك الفترة حياة اجتماعية غنية لأورويل، مع مجموعة من الأصدقاء من اليسار. لكن أمه ماتت في مارس 1943، وفي الوقت نفسه تقريبًا بدأ العمل على روايته الشهيرة **"مزرعة الحيوانات"**.

وفي سبتمبر 1943، استقال أورويل من وظيفة الـ بي بي سي، التي شغلها لمدة عامين. وقد جاءت استقالته بعد أن تلقى تقريرًا أكد له مخاوفه، بأن عددًا قليلًا للغاية من الهنود يستمعون إلى برامجه، ولكنه- في الوقت نفسه- كان حريصًا على كتابة "مزرعة الحيوانات"، فأراد أن يتفرغ لها. وفي الفترة نفسها تقريبًا، استقال من "الحرس الوطني" لأسباب طبية.

وفي الفترة من نوفمبر 1943 إلى مطلع 1945، تولى أورويل منصب المحرر

الأدبي لصحيفة "تريبيون"، وخلال تلك المدة كتب 80 عرضًا لكتب، وبدأ يكتب عموده المنتظم "على كيفي As I please" في ديسمبر 1943، وكان كل عمود له يتناول من ثلاثة إلى أربعة موضوعات. واستمر في كتابة العروض النقدية والمقالات لصحف أخرى، منها "بارتيسان ريفيو" و"هورايزون" و"نيشن" الأمريكية، وأصبح ذا مكانة مرموقة في أوساط مثقفي اليسار، وصديقًا مقربًا، في الوقت نفسه، إلى مثقفين يمينيين، مثل أنطوني بويل ومالكولم موجريدج.

أصبحت رواية "مزرعة الحيوانات" جاهزة للنشر في ربيع 1944. وقد رفض جولانس نشرها، إذ اعتبرها هجومًا على النظام السوفيتي، وهو الحليف المهم في الحرب الدائرة وقتها. وصادفه المصير نفسه من ناشرين آخرين (منهم ت. س. إليوت في دار فابر آند فابر) إلى أن قبل جوناثان كاب بنشرها.

وفي مايو 1944، تبنى أورويل وزوجته طفلًا. ثم سقطت قنبلة على بيتهم في يونيو، فاضطرا للبحث عن منطقة أخرى للسكن. وبعد الحادث، راح أورويل يعبث في حطام وأنقاض البيت بحثًا عن كتبه، التي تمكن أخيرًا من نقلها على عربة قام بجرها بيديه.

وسقطت قنبلة أخرى أضرت بالناشر جوناثان كاب، فبرر بها قراره بالعدول عن نشر "مزرعة الحيوانات"، ثم تبين- فيما بعد- أن قراره جاء بعد زيارة منه إلى مسؤول بوزارة الإعلام البريطانية، وظهر- فيما بعد- أن هذا المسؤول كان عميلًا سوفيتيًا.

ثم قرر الناشر "ساكر آند واربرج" نشر الرواية، فصدرت أخيرًا في أغسطس 1945. وقبلها، في فبراير 1945 قامت صحيفة "أوبزرفر"، بدعوة أورويل إلى الانضمام إليها كمراسل حربي. وكان أورويل يبحث عن هذه الفرصة على امتداد

سنوات الحرب، لكن حالته الطبية المتدهورة منعته من الاقتراب من أي قتال. وقد ذهب إلى باريس بعد تحرير فرنسا، وإلى كولون بعد أن احتلتها قوات الحلفاء.

وفيما كان خارج البلاد، دخلت زوجته إيلين المستشفى، بعد أن ساءت حالة الاكتئاب التي كانت تعاني منها، وماتت في 29 مارس 1945. وبعد فترة من الترحال، عاد إلى لندن في مطلع يوليو، ليغطي الانتخابات البريطانية لعام 1945، وصدرت "مزرعة الحيوانات" بعنوان "**مزرعة الحيوانات: حكاية خيالية**" في 17 أغسطس 1945، ثم صدرت منها طبعة أخرى في الولايات المتحدة بعد عام تقريبًا.

نجحت "مزرعة الحيوانات" نجاحًا مدويًا، إذ نُشرت في فترة ما بعد الحرب، وأدى نجاحها الساحق- على مستوى العالم- إلى شهرة أورويل، ودخوله في مصاف كبار الروائيين.

وعلى مدار السنوات الأربع التالية، انشغل أورويل بالكتابة الصحفية لعدد من الصحف الكبرى، بالإضافة إلى مساهماته الغزيرة في صحف ومجلات سياسية وأدبية صغيرة، وانشغل في الفترة نفسها أيضًا بكتابة روايته **1984**، عمله الأهم والأبقى.

وعلى مدار السنوات التالية لوفاة زوجته إيلين، نشر جورج أورويل نحو 130 مقالًا، وطبع كتابًا من "المختارات النقدية" التي سبق أن نشرها متفرقة في الصحف، وظل على انشغاله بعدد من القضايا السياسية. استعان بمدبرة منزلية، هي سوزان واطسون، لترعى ابنه بالتبني.

وفي الفترة من شتاء 1945 حتى 1946، تقدم بطلب الزواج إلى عدد من السيدات، ولم توافق أي منهن. أصيب أورويل بنزيف رئوي في فبراير 1946، لكنه أخفى مرضه عن الناس. ماتت أخته مارجوري في مايو 1946، فانتقل في الشهر

نفسه للعيش في جزيرة جورا، وهي جزيرة نائية في اسكتلندا، وفرت له حالة من العزلة. انتقلت معه إلى الجزيرة شقيقته الأخرى أفريل، وفي يوليو من العام نفسه وفدت على الجزيرة المربية سوزان واطسون مع ابنه بالتبني ريتشارد. ثم بدأ أورويل في التخطيط لرواية 1984.

عاد أورويل إلى لندن في أواخر عام 1946، ليستعيد عمله بالصحافة الأدبية مرة أخرى. وبعد أن أصبح كاتبًا ذائع الصيت، بات يومه لا يخلو من العمل. مكث في لندن طوال شتاء 1947، وكان من أبرد فصول الشتاء التي مرت على المدينة، فاضطر بسبب نقص الوقود على مستوى البلاد إلى حرق أثاث البيت وألعاب طفله الخشبية في المدفأة.

وفي 10 أبريل 1947، عاد إلى جزيرة جورا، ودأب هناك على العمل في روايته الأخيرة، وعلى امتداد فصلي الصيف والخريف أحرز تقدمًا كبيرًا. وفي تلك الفترة زارته أسرة شقيقته، وخرج أورويل بالقارب في نزهة كادت تنتهي بغرقه هو ومن معه، وتدهورت صحته أكثر بسبب الحادث. وفي ديسمبر، أعلن طبيب أن أورويل يعاني من مرض رئوي في مراحله الأخيرة، ومع الاضطرار لإجراء عملية جراحية توسط أصدقاء لأورويل لتمول وزارة الصحة أتعاب العملية. ثم تمكن أورويل- في نهاية يوليو 1948- من العودة إلى جزيرة جورا، لينتهي من رواية 1984 في ديسمبر 1948، فصدرت عن دار "ساكر آند واربرج"- ناشر "مزرعة الحيوانات"- في 8 يونيو 1949.

وفي صيف 1949، حدث تقارب بينه وبين سونيا براونيل، وأعلنا زواجهما في سبتمبر، قبل خروجه من المستشفى الجامعي في لندن بقليل. انعقد حفل زفاف أورويل على براونيل في حجرته بالمستشفى في 13 أكتوبر 1949. وتولت سونيا

شؤونه ورعته في المستشفى. وفي سبتمبر 1949 دعا أورويل محاسبه الشخصي، هاريسون، ليزوره في المستشفى، ثم ادعى هاريسون أن أورويل طلب منه أن يتولى منصب مدير الشركة التي أسسها ليحصّل من خلالها نصيبه من أرباح توزيع كتبه ورواياته، لكن لم يكن معهما في حجرة المستشفى شاهد على هذه الوصية. ثم انعقدت اجتماعات أخرى مع محاسبه هاريسون، وحضرتها زوجته، وتقرر بعدها أن يكون الثلاثة مدراء للشركة المذكورة.

وقد تدهورت صحة أورويل مرة أخرى في 20 يناير 1950، وفي ذلك اليوم زاره المحاسب جاك هاريسون في المستشفى، وخرج من عنده ليزعم أن أورويل منحه حصة 25٪ من الشركة. وفي صباح 21 يناير انفجر شريان في رئة أورويل ليفارق الحياة عن عمر 46 عامًا.

في عام 1979، رفعت سونيا براونيل قضية في المحكمة العليا ضد هاريسون، الذي قام على مدار السنوات بنقل 75٪ من أسهم الشركة إلى نفسه. كانت دفوعها في القضية قوية، لكن زاد عليها المرض فرضيت أخيرًا بتسوية الأمر بعيدًا عن المحكمة، لتفارق الحياة بدورها في عام 1980.

## عن هذه الترجمة:

حاولت- في هذه الترجمة الجديدة لرواية **1984**- أن أتحرى ما أراه رسالة مترجم الأدب الأهم، وهي الصدق في نقل "روح العمل" إلى القارئ في لغته؛ فسعيت لأن أتحرى تحقق هذه الفكرة بقدر أكبر من تحققها في الترجمة العربية التي وجدتها متوفرة للرواية، والتي أنجزها الأستاذ "أنور الشامي"، وصدرت عن "المركز الثقافي العربي" في عام 2006.

لقد وجدت مثلًا في الترجمة السابقة المذكورة محاولات من المترجم لتبسيط بعض الفقرات للقارئ العربي، وقدرًا من الالتفاف حول بعض الصور الأدبية، وكأن المترجم قاده حدسه إلى أن القارئ بحاجة إلى شيء من التفسير والتوضيح؛ وهو الأمر الذي أراه- من واقع اجتهادي المتواضع في ترجمة الأدب- يخلّ بحق القارئ في النفاذ إلى الكاتب، وما يستحدث بقلمه من صور وتعابير يُفترض فيها أنها لصيقة الصلة بكاتبها دون غيره من الكُتاب، ويجب ألا يتجرأ المترجم على تفكيكها أو إعادة ترتيبها، إنما عليه السعي لنقلها في أقرب صورة ممكنة إلى قارئه، والمعيار هنا ليس الأمانة على إطلاقها، بقدر ما هو- مرةً أخرى- السعي لحفظ "روح العمل".

هو اجتهاد منّي ربما أصبت فيه وربما أخطأت، وربما نجحت في أن أهتدي- في مسعاي هذا- بما قاله أورويل نفسه عن الكتابة. ففي مقال له بعنوان "السياسة واللغة الإنجليزية"، نشره عام 1946، تحدث أورويل عن أهمية اللغة التي تتحرى الدقة والوضوح، وفي المقال نفسه، قدّم للقارئ ست قواعد للكتابة هي:

لا تستخدم أبدًا مجازًا أو تشبيهًا اعتدت على رؤيته بأقلام الآخرين.

لا تستعن بكلمات طويلة ممتدة، طالما هناك كلمات قصيرة بديلة.

كلما أمكن حذف كلمة، فاحذفها.

لا تستخدم المبني للمجهول كلما كان استخدام المبني للمعلوم ممكنًا.

لا تستخدم عبارة أو كلمة أجنبية أو علمية أو صعبة الفهم، طالما لها بديل بسيط في اللغة اليومية الدارجة.

اكسر أيًّا من هذه القواعد أعلاه كما شئت، إذا كان التزامك بها سيدفعك لكتابة ما هو- وبكل وضوح- كلمات تخرج عن المعقول.

ولقد أضيف إلى هذه الترجمة الجديدة، ترجمة ملحق الرواية- الذي لعله يُترجم إلى العربية للمرة الأولى- وهو أشبه بمقال يستعرض فيه الكاتب مبادئ لغة "كلام-جديد"، التي اعتمدت عليها الرواية كثيرًا.

وأخيرًا، أرجو من القارئ أن يمضي في قراءة هذه الرواية بعيدًا عن التصورات السائدة عنها، من قبيل أنها تطعن في اليسار، أو تنزع إلى سب وتشويه تجربة الاتحاد السوفيتي، وهو التصور الذي قد يراه الكثيرون بعيدًا كل البُعد عن الصواب. فالأصل- في رأيي- أن دخول عالمها دون تحيزات هو أفضل سبيل لاستيعابها بشكل موضوعي، وآمل أن يكون استعراضي لحياة الكاتب وتكوينه أعلاه مما يُعين على هذا المسار.

چورچ أورويـــل

---

# 1984

# الجزء الأول

# الفصـل الأوَّل

كان يومًا صافيًا باردًا في أبريل، والساعات تدق الواحدة بعد الظهيرة. كان وينستون سميث، وذقنه مستكينة على صدره في محاولة للإفلات من الرياح الخبيثة، يدلف مسرعًا عبر الأبواب الزجاجية لـ"مساكن النصر"، لكن ليس بالسرعة الكافية لمنع دوامة من الرياح المحملة بالغبار من الدخول معه.

كان المدخل يفوح برائحة كرنب مسلوق وحصير مهلهل قديم. وعند أحد أطرافه مُلصَق مُلون، معلق على الحائط، أكبر من أن يُعرَض في هذا المكان الداخلي. كان يصور ببساطة وجهًا ضخمًا، عرضه يزيد على المتر: وجه لرجل يبلغ من العمر نحو خمس وأربعين عامًا، له شارب ثقيل أسود، وملامح وسيمة متجهمة. تقدم وينستون إلى الدَّرج. لا فائدة من محاولة استخدام المصعد. حتى في أفضل الأوقات كان نادرًا ما يعمل، والآن كانت الكهرباء مقطوعة أثناء ساعات النهار. كان جزءًا من مخطط التقشف الاقتصادي

تحضيرًا لأسبوع الكراهية. كانت الشقة تقع في الطابق السابع، ووينستون- البالغ من العمر التاسعة والثلاثين، والمصاب بالدوالي فوق كاحله الأيمن- راح يصعد في بطء، وهو يستريح عدة مرات في طريقه. لدى كل منبسط، قبالة بئر المصعد، كان يحدق فيه الملصق ذو الوجه ألعملاق من الجدار. إنها إحدى تلك الصور البارعة لدرجة أن العينين تتابعانك أينما تحركت. **الأخ الكبير يراقبك**، هو تعليق الصورة المكتوب تحتها.

داخل الشقة كان صوت جذاب يقرأ قائمة من الأرقام لأمر على صلة بإنتاج الحديد الخام. كان الصوت يأتي من لوحة معدنية مستطيلة كمرآة غائمة، تشكل جزءًا من سطح الجدار إلى اليمين. أدار وينستون مفتاحًا فغطس الصوت في مكانٍ ما، وإن كان ما يزال تمييز الكلمات ممكنًا. كان من الممكن خفض صوت تلك الأداة (كانت تُسمَّى تيليسكرين*)، لكن لا سبيل لإغلاقها تمامًا. انتقل إلى النافذة: جسد صغير، هش، ضآلة جسده لا يزيدها تأكيدًا إلا الأوفرول الأزرق، وهو الزي الرسمي للحزب. شعره ناحل للغاية، وجهه مُحمَر بطبيعته، وجلده خشن بفعل الصابون الرديء وشفرات الحلاقة البليدة وبرد الشتاء الذي انتهى للتو.

في الخارج، حتى من وراء زجاج النافذة الموصد، بدا العالم باردًا. أسفل في الشارع كانت تيارات الرياح القليلة تحمل التراب والورق الممزق في دوامات، ورغم أن الشمس كانت مشرقة والسماء زرقاء قاسية، بدا أن لا لون هنالك في أي شيء، باستثناء الإعلانات الملصقة في كل مكان. كان الوجه

---

* شاشة تُدار عن بُعد.

أسود الشارب يحدق من كل ناصية. وكان هناك ملصق على البيت المواجه له مباشرة. **الأخ الكبير يراقبك**، هو تعليق الصورة المكتوب تحتها، والعينان السوداوان تنظران إلى عُمق عينَي وينستون. وفي الأسفل- لدى مستوى الشارع- ثمة ملصق آخر، تمزق من أحد أركانه، تحركه الرياح كلما هبت، ومع حركته تنكشف وتختبئ كلمة واحدة هي "**اشت-إنج**". كانت هناك مروحية في البُعد القصي تهبط مقتربة من الأرض بين أسطح المباني، تحوم للحظة كالذبابة الزرقاء، ثم تصعد مبتعدة في حركة كالقوس. كانت دورية الشرطة، وهي تتلصص على نوافذ الناس. لكن- على أية حال- فليست الدوريات مهمة. إنما **شرطة الأفكار** هي المهمة.

وراء ظهر وينستون كان الصوت المنبعث من التيليسكرين ما زال يثرثر عن الحديد الخام، وعن الإفراط في تحقيق خطة السنوات الثلاث التاسعة. وكانت التيليسكرين تستقبل وتبث في آن. فأي صوت يبدر عن وينستون فوق صوت الهمس، محض الهمس، تلتقطه التيليسكرين، كما أنه طالما بقي في مجال رؤية اللوحة المعدنية، كان من الممكن أن يُرى ويُسمع. لا سبيل- بطبيعة الحال- لمعرفة إن كنتَ مراقبًا في أي وقت من الأوقات. فكم مرة، وحسب أي نظام، تدخل شرطة الأفكار على أي سلك من الأسلاك؟ هذا محض تخمين. بل كان من المحتمل أن شرطة الأفكار تراقب الجميع طوال الوقت. لكن- على أية حال- فهم قادرون على الدخول على سلكِك وقتما يشاؤون. كان عليك أن تعيش- وتعيش من واقع تحولت إلى غريزة- على افتراض أن كل صوت ينبعث منك يُسمع، وكل حركة- عدا الحركة في

الظلام- تُتابع ويُدقق فيها.

أبقى وينستون ظهره للتيليسكرين. كان هذا أكثر أمانًا له؛ لكن- كما كان يعرف- فحتى الظَّهر قد يكون كاشفًا. فعلى مسافة كيلومتر منه، تنتصب وزارة الحقيقة، حيث يعمل، شاهقة شاسعة وبيضاء أعلى من المشهد الطبيعي المتجهم. هذه- كما خطر له في نفور مبهم- هي لندن، كبرى مدن "المهبط واحد"، ثالث أكثر مقاطعات أوشينيا عمرانًا بالسكان. حاول أن يعتصر من ذهنه إحدى ذكريات الطفولة ليعرف منها ما إذا كانت لندن على تلك الحال دائمًا. أكانت هناك دائمًا تلك المتتاليات من بيوت القرن التاسع عشر المهترئة، دروبها الجانبية التي تزخر بألواح الخشب ونوافذها المطعمة بألواح الأبلكاش، وأسقفها المغطاة بالحديد المشغول، وجدران حدائقها المجنونة التي تتمايل في كل الاتجاهات؟ ومواقع الانفجارات حيث يدور غبار الجص في دوامات من الهواء ونباتات الورد تتمدد فوق أكوام الأطلال؛ والأماكن التي أفرغت القنابل رقعًا كبيرة منها، ثم عُمرت بمستعمرات قذرة من المساكن كأعشاش الدجاج؟ لكن لا فائدة، فلم يكن بإمكانه أن يتذكر؛ فلم يبق له شيء من طفولته سوى سلسلة من اللوحات مشرقة الإضاءة، كان يراها دون خلفية، وفي الأغلب غير مفهومة.

كانت وزارة الحقيقة—"وزرحق" بكلاجديد*– مختلفة بدرجة مدهشة عن أي شيء منظور على مد البصر. كانت عبارة عن مبنى هرمي عملاق من الخرسانة البيضاء اللامعة، يمتد شاهقًا، طابقًا فوق طابق، بارتفاع 300 متر

* "كلاجديد": هي اللغة الرسمية لأوشينيا. لوصف بنيتها وأصلها وتاريخها، انظر الملحق.

في الهواء. ومن حيث يقف وينستون كان يمكن أن يقرأ- فالتقط من على واجهته البيضاء بخط أنيق، شعارات الحزب الثلاثة:

**الحرب سـلام**

**الحرية عبوديَّــة**

**الجهـل قــوَّة**

قيل إن وزارة الحقيقة تحتوي على ثلاثة آلاف حجرة فوق سطح الأرض، وعدد مماثل من الحجرات تحت الأرض. وكان في أنحاء لندن ثلاث بنايات أخرى مماثلة، في المظهر والحجم. هذه المباني كانت تقزّم تمامًا ما حولها من معمار إلى حد أنك- من فوق سطح "مساكن النصر"- كان بمقدورك رؤية المباني الأربعة جميعًا بنظرة واحدة. كانت مقار الوزارات الأربع التي يتوزع عليها الجهاز الحكومي كله. وزارة الحقيقة، المعنية بالأخبار، والترفيه، والتعليم، والفنون الجميلة. وزارة السلام، المعنية بالحرب. وزارة الحب التي كانت تحافظ على القانون والنظام. ثم وزارة الوفرة، المسؤولة عن الشؤون الاقتصادية. وكانت أسماؤها تُدعى في لغة كلاجديد: وزرحق، وزرسلم، وزرحب، وزروفر.

كانت وزارة الحب هي الوزارة المخيفة حقًا. لا نوافذ فيها بالمرة. ولم تطأ قدما وينستون مقر وزارة الحب يومًا، ولا اقترب حتى بُعد نصف الكيلومتر منها. كانت مكانًا يستحيل دخوله إلا لمن له عمل رسمي فيه، وذلك فقط بعد اختراق متاهة من شِراك الأسلاك الشائكة، والأبواب المعدنية، ودشم البنادق الآلية المخفية. حتى الشوارع المؤدية إلى حواجزها الخارجية كان

يجول فيها حراس بوجوه الغوريلات، في ثياب رسمية سوداء، مسلحين بالهراوات.

التفت وينستون إلى اليمين فجأة. تقمصت ملامحه مظهر التفاؤل الهادئ الذي كان يُنصح به في مواجهة التيليسكرين. عَبَر الحجرة في اتجاه المطبخ الصغير. بخروجه من الوزارة في هذه الساعة من النهار ضحى بغدائه في المقصف، وكان مدركًا أن لا طعام في المطبخ سوى كتلة من الخبز الداكن عليه ادخارها لإفطار الغد. أنزل من الرف زجاجة من سائل حائل اللون عليها ماركة بيضاء بسيطة "**چين النصر**". كانت تنبعث منها رائحة زيتية مثيرة للغثيان، كرائحة كحول الأرز الصيني. صب وينستون ما لا يزيد عن مقدار الفنجان، وحمل نفسه على تجرعها دفعة واحدة، وابتلعها كأنها جرعة دواء.

على الفور احتقن وجهه، وفاض الماء من عينيه. كان المشروب كأنه حمض النيتريك، و- فضلًا عن ذلك- فمع تجرعه دفعةً واحدة أحس كأنه تلقى لطمة على قفاه بمضرب مطاطي. لكن- في اللحظة التالية- انطفأ الاحتراق في معدته، وبدأ العالم يتخذ مظهرًا أكثر بهجة. أخرج سيجارة من علبة سجائر متغضنة مكتوب عليها "**سجائر النصر**"، ورفعها لأعلى في استهانة، فتساقط التبغ منها على الأرض. مع السيجارة التالية، أحس بقدر أكبر من النجاح. عاد إلى حجرة المعيشة، وجلس إلى مائدة صغيرة تنتصب إلى يسار التيليسكرين. ومن درج المائدة، أخرج قلمًا وزجاجة حبر ودفترًا سميكًا بلا كتابة من قطع الكوارتو، أحمر الظهر مرمري الغلاف.

لسببٍ ما، كانت التيليسكرين في حجرة المعيشة في وضع غير مألوف. بدلًا من أن توضع- كما المعتاد- على الجدار البعيد، بحيث تهيمن على الحجرة كلها، كانت على الجدار الأطول، قبالة النافذة. عند أحد طرفيها كان ثمة فتحة ضحلة في الجدار يجلس فيها وينستون الآن، وربما كانت- وقت بناء الشقق- مخططًا لها تركيب أرفف للكتب فيها. بجلوسه في فتحة الجدار، وإرجاع ظهره إلى الوراء، كان وينستون قادرًا على البقاء خارج نطاق التيليسكرين، بعيدًا عن مرمى بصرها. كان يمكن أن يُسمع بالطبع، لكنه طالما مكث في موضعه فلم تكن رؤيته ممكنة. إنها جغرافيا الحجرة غير المألوفة هي التي أوحت له- جزئيًا- بالشيء الذي كان يهمّ الآن بفعله.

لكن الدفتر الذي أخرجه من الدُّرج هو الذي أوحى إليه بذلك أيضًا. كان الدفتر جميلًا جمالًا عجيبًا. فورقه الناعم بلون القشدة، الذي اصفرَّ قليلًا بفعل الزمن، كان من نوع لم يعد يُصنع منذ أربعين عامًا على الأقل. لكنه خمَّن- على أية حال- أن الدفتر أقدم من ذلك بكثير. كان قد رآه ملقًى في نافذة دكان أنتيكات صغير رث الحال في أحد الأحياء الفقيرة بالمدينة (أي حي كان؟ لا يتذكر بالضبط)، وتملكته- في الحال- رغبة عارمة في أن يتملكه. لم يكن من المفترض بأعضاء الحزب أن يذهبوا إلى الدكاكين العادية ("التي تتعامل في السوق الحرة"، كما كانت تُسمى)، لكن لم يتم الحفاظ على القاعدة دومًا، لأن هناك أغراضًا عدة، مثل أربطة الأحذية وشفرات الحلاقة، كان يستحيل الحصول عليها بأية طريقة أخرى. ألقى نظرة هادئة على الشارع، في هذا الاتجاه وذاك، ثم انسل إلى الداخل واشترى الدفتر

بدولارين ونصف. في ذلك الوقت لم يكن واعيًا برغبته فيه لأي سبب محدد. حمله شاعرًا بالذنب إلى بيته داخل حقيبته الجلدية. حتى وهو خالٍ من أية كتابة؛ فهو حِرزٌ خطير.

الشيء الذي كان على وشك أن يهم بفعله هو البدء في تدوين يومياته. لم يكن ذلك غير قانوني (لا شيء غير قانوني، بما أنه لم تعد هناك أية قوانين)، لكن إذا ما تم اكتشافه المذكرات فقد كان من المؤكد منطقيًا أن يُعاقب بالإعدام، أو- على الأقل- بالسجن خمسة وعشرين عامًا في معسكر أشغال شاقة. وضع سن القلم في الحبر ثم قام بمصه لتخليصه من أية زيادة. كان القلم شيئًا قديمًا، نادرًا ما يستخدم حتى في التوقيع، وقد اشترى لنفسه واحدًا، خلسةً وبقدر من الصعوبة، ببساطة لمجرد إحساسه بأن ملمس الورق القشدي الجميل يستحق أن يُكتب عليه بقلم حقيقي، بدلًا من الخربشة عليه بريشة. والحق أنه لم يكن يألف الكتابة اليدوية. فباستثناء الملحوظات القصيرة للغاية، كان من المعتاد إملاء كل شيء في آلة كلام-كتابة التي تُعد بالطبع مستحيلة لتحقيق غرضه الآن. غمس القلم في الحبر ثم توقف للحظة. مرت ببطنه ارتعادة. فأن يسطر على الورق كان الفعل الحاسم. في كلمات صغيرة خرقاء كتب:

***4 أبريل 1984.***

تراجع بظهره إلى الخلف. تملكه إحساس بقلة الحيلة التامة. بادئ ذي بدء، كان لا يعرف بأي قدر من اليقين أن هذا حقًا هو عام 1984. لابد أن يكون التاريخ قريبًا من هذا العام أو نحوه، بما أنه واثق تمامًا أن عمره تسعة

وثلاثون عامًا، وكان يعتقد أنه وُلد عام 1944 أو 1945؛ لكن ليس من الممكن إطلاقًا، في هذه الأيام، أن يحدد المرء أي تاريخ خلال عام أو اثنين.

خطر له فجأةً أن يتساءل، إلى مَن يسطر هذه المذكرات؟ للمستقبل، لمن لم يولدوا بعد. حام عقله للحظة حول التاريخ المشكوك في أمره على الصفحة، ثم استقر بقوة على إحدى كلمات كلامجديد: **تفكيرمزدوج**. وللمرة الأولى، داهمته حقيقة وخطورة ما يفعله. كيف يمكنك أن تتواصل مع المستقبل؟ إنه بطبيعته أمر مستحيل. فإما أن المستقبل سيماثل الحاضر، وفي هذه الحالة فلن يسمعك؛ أو سيكون مختلفًا عنه، وبالتالي ستكون محنته الحالية بلا معنى.

راح يحدق لوهلة بغباء في الورق. تغير صوت التيليسكرين إلى مارش عسكري عالي النغمة. المدهش أنه كان يبدو له أن الأمر لم يقف عند فقدانه القدرة على التعبير عن نفسه، بل إنه حتى نسي ما كان ينوي قوله في الأصل. كان يُعد نفسه طيلة الأسابيع الماضية لهذه اللحظة، ولم يخطر له مطلقًا أن لا شيء مطلوب لها سوى الشجاعة. ستكون الكتابة في حد ذاتها سهلة. وكل ما كان عليه فعله هو نقل المونولوج المتواصل غير المنقطع الذي يدور بلا كلل داخل رأسه، منذ سنوات دون أدنى مبالغة، إلى الورق. لكن في هذه اللحظة، يبدو أن المونولوج ذاته قد جف. فضلًا عن أن كاحله المبتلى بالدوالي أصبح تهيجه لا يُطاق. لا يجرؤ على حكه، لأنه إذا فعل، كان دائمًا ما يلتهب. كانت الثواني تمر. ولم يكن يعي سوى نصاعة الورقة أمامه، وتهيج الجلد فوق كاحله، وصخب الموسيقى، والثمالة الخفيفة التي أصابه بها الجين.

فجأةً بدأ يكتب في ذعر تام، ولا يعي بشكل غير مكتمل إلا ماهية ما يكتبه. كان خطه الصغير الطفولي يشرد أعلى وأسفل الصفحة، وكل جملة تبدأ بالحرف الأول وتنتهي بالنقطة.

4 أبريل 1984. ليلة الأمس ذهبت إلى السينما. كلها أفلام حربية. أحدها فيلم جيد عن سفينة ممتلئة باللاجئين يتم قصفها في مكانٍ ما في المتوسط. أعجب الجمهور كثيرًا بلقطات الرجل البدين الضخم الذي راح يحاول السباحة مبتعدًا والمروحية تطارده، في البداية تراه يطفو ويغطس في الماء كالدلفين، ثم تراه من خلال عدسة تصويب المروحية، ثم تراه وهو ممتلئ بالثقوب والبحر من حوله يتحول للون الوردي ويغطس فجأةً كأن الثقوب سرَّبت الماء داخله، والجمهور يتصايح ضاحكًا عندما غرق، ثم ترى قارب نجاة ممتلئًا بالأطفال والمروحية تحوم فوقه. وهناك سيدة في أواسط العمر ربما كانت يهودية تجلس منتصبةً لدى طرف القارب مع صبي صغير في نحو الثالثة من عمره بين ذراعيها. صبي صغير يصرخ في خوف ويخبئ رأسه بين ثدييها كأنه يحاول الدخول فيها والمرأة تحيطه بذراعيها وتهدهده رغم أنها كانت مزرقَّة من الخوف هي ذاتها، وطيلة الوقت تغطيه وتخفيه قدر الإمكان كأنها تظن أن ذراعيها قادرتان على درء الرصاص عنه. ثم رمت المروحية قنبلة زنة 20 كيلوجرَامًا وسطهم في بريق مروع ثم يتحول القارب إلى عيدان ثقاب. ثم هناك لقطـةٌ رائعة لذراع طفل تصاعد إلى أعلى أعلى أعلى، تصاعد في الهواء ومروحية مزودة بكاميرا في أنفها لابد أنها تابعت حركة الذراع وكان هناك تهليل وترحيب كثير من مقاعد الحزب لكن امرأة من

قسم البرولز* بالسينما بدأت ترغي وتزبد فجأةً في غضب بأنه كان الأفضل ألا يعرضوا الفيلم أمام الأطفال ليس أمام الأطفال ليس حتى ليس حتى إلى أن استدارت الشرطة إليها أدارتها إلى الخارج لا أظن أن أي شيء قد حدث لها لا أحد يهتم بما يقوله البرولز هذا رد فعل نموذجي من البرولز إنهم أبدًا لا...

توقف وينستون عن الكتابة، جزئيًا بسبب معاناته من شد عضلي. لا يعرف ما الذي جعله يصب هذا التيار من الهراء. لكن الشيء العجيب أنه فيما راح يكتب واتته ذكرى مختلفة تمامًا، صافية، إلى درجة أنه كاد يشعر بدرجة مماثلة من الإلحاح في كتابتها. كانت- هكذا أدرك الآن- هي الواقعة الأخرى التي جعلته يقرر فجأةً أن يعود إلى البيت ويبدأ بها يومياته اليوم.

لقد حدثت هذا الصباح في الوزارة، إن كان بالإمكان قول إن شيئًا غائمًا هكذا يمكن أن يحدث.

كانت الساعة نحو الألف ومائة في **إدارة السجلات**، حيث يعمل وينستون، وكانوا يجرجرون المقاعد من أركان عمل الموظفين ويجمعونها في وسط القاعة قبالة التيليسكرين الكبيرة، تحضيرًا لـ **دقيقتي الكراهية**. كان وينستون يهمّ باتخاذ مكانه في أحد الصفوف الوسطى، عندما قام فجأة شخصان- يعرفهما بالشكل لكن لم يحدثهما قط- بدخول الحجرة على غير

---

* هي كلمة منحوتة، خاصة بالمؤلف وبهذه الرواية؛ ربما كانت مشتقة من كلمة "البروليتاريا"، وهو التفسير الأرجح المتاح على شبكة الإنترنيت.

توقع. أحدهما فتاة مرَّ بها كثيرًا في الردهات. لم يكن يعرف اسمها، لكنه يعرف أنها تعمل في قسم الكتابة الإبداعية. والمفترض- بما أنه أحيانًا ما كان يرى على يديها الزيت وهي تحمل مفتاح ربط- أنها كانت تعمل في وظيفة ميكانيكية على إحدى آلات كتابة الروايات. كانت فتاة جريئة المظهر، في نحو السابعة والعشرين من العمر ، شعرها ثقيل، ووجهها منمَّش، وحركاتها سريعة رياضية. كان ثمة وشاح قرمزي رفيع، يحمل شعار "رابطة شبان معاداة الجنس"، يلتف حول خصرها عدة مرات، فوق الأوفرول، المحبوك بما يكفي ليجسد ردفيها الجميلين. كان وينستون يكرهها منذ رآها للمرة الأولى. كان يعرف السبب. كان السبب هو أجواء ملاعب الهوكي والحمامات الباردة والتريض الجماعي ونظافة الذهن ونصاعته العامة التي نجحت في أن تظهر عليها. كان يكره النساء كلهن تقريبًا، والشابات منهن والجميلات على الأخص. كانت النساء دائمًا- والشابات تحديدًا- هن الأكثر حماسةً للحزب، المبتلعات للشعارات، الجاسوسات الهاويات المكتشفات لغير الملتزمين. لكن هذه الفتاة تحديدًا كانت تعطيه الانطباع بأنها أخطر من أغلب الأخريات. ذات مرة عندما مر بها في الردهة طالعته بنظرة سريعة جانبية بدت كأنها تخترقه مباشرةً، وللحظة ملأه الرعب الأسود. بل إنه قد خطرت له فكرة أنها ربما كانت أحد مخبري شرطة الأفكار. وهذا- والحق يقال- أمرٌ غير مرجح على الإطلاق. ومع ذلك، فقد تواصل إحساسه بنوع عجيب من الانزعاج، يختلط فيه الخوف بالعدوانية، وذلك كلما رآها في أي مكان بالقرب منه.

كان الشخص الآخر رجل يُدعى أوبريان، وهو عضو في "الحزب الداخلي"، ويحتل منصبًا ما مهمًّا وبعيدًا، لدرجة أن وينستون لم تكن لديه سوى فكرة غائمة عن طبيعة المنصب. رانت على جمع الناس حول المقاعد لحظة صمت، حين رأوا الأوفرول الأسود الخاص بعضو الحزب الداخلي يقترب. كان أوبريان رجلًا ضخمًا جسيمًا غليظ الرقبة، ووجهه جلف، بهيج، وفظ. وعلى الرغم من مظهره الهائل فقد كان به سحرٌ ما في السلوك. وكانت لديه حركة متكررة هي تعديل وضع نظارته على أنفه، حركة ساحرة عجيبة- وبشكل غير محدد تبدو متحضرة بصورة عجيبة. كانت إيماءةً ما، إن كان ثمة من لا يزال يفكر بمثل هذه المصطلحات، فربما تذكّرهم بأحد نبلاء القرن الثامن عشر وهو يقدم لضيوفه علبة النشوق. رأى وينستون أوبريان ربما عشر مرات تقريبًا على مدار سنوات. كان يحس بانجذاب عميق إليه، ليس فقط لحيرته إزاء التناقض بين سلوك أوبريان المتحضر وهيئته البدنية التي تليق بمصارع صاحب بطولات. الأرجح أنه كان ثمة اعتقاد سري- أو لعله حتى ليس اعتقادًا، بل محض أمل- بأن قناعات أوبريان التقليدية لم تكن مثالية. كان في وجهه ما يوحي بهذا بصورة لا تُقاوَم. ومن جديد، لعل الأمر لم يكن حتى عدم التقليدية المرتسم على وجهه، بل ببساطة الذكاء. لكنه- على أية حال- كان يتمتع بمظهر شخص يمكنك أن تحادثه إذا ما تمكنت بطريقةٍ ما من خداع التيليسكرين، وانفردتَ به. ولم يبذل وينستون يومًا أدنى مجهود لاختبار هذا الافتراض: الحق أنه لا سبيل هنالك لفعل ذلك. ففي تلك اللحظة، نظر أوبريان إلى ساعة يده، ورأى أنها تقارب الألف والمائة، فقرر على ما يظهر أن يبقى في إدارة السجلات حتى تنتهي دقيقتا الكراهية. اتخذ

مقعده في نفس صف وينستون، على مسافة مقعدين منه. كانت تفصل بينهما سيدة ضئيلة رملية الشعر، تعمل في الزاوية المجاورة لوينستون. وكانت الفتاة ذات الشعر الداكن تجلس إلى الخلف مباشرة.

في اللحظة التالية انفجرت مدويةً خطبة شنيعة غليظة، كأنها من آلة وحشيةٍ ما تدور دون زيت، من شاشة التيليسكرين في طرف الحجرة. كانت ضوضاء يصِرّ معها المرء على أسنانه، ويقشعر شعر قفاه. لقد حانت الكراهية.

كالعادة، ومض على الشاشة وجه إيمانويل جولدشتاين، عدو الشعب. كان ثمة هسيس هنا وهناك في صفوف الجمهور. انبعث من السيدة رملية الشَّعر صرير مزيج من الخوف والاشمئزاز. كان جولدشتاين هو الخائن والعميل الذي كان- ذات مرة- منذ زمن بعيد (متى منذ زمن بعيد، لا أحد يذكر تمامًا) إحدى الشخصيات القيادية بـالحزب، يكاد يكون على مستوى الأخ الكبير نفسه، وآنئذٍ انخرط في أنشطة الثورة المضادة، وحُكم عليه بالإعدام، وهرب بشكل غامض واختفى. كانت فقرات دقيقتي الكراهية تتباين من يوم إلى يوم، لكن لم يكن من بينها فقرة ليس جولدشتاين هو الشخصية الرئيسية فيها. كان الخائن الأساسي، المنشق الأبكر عن نقاء الحزب. وكل الجرائم التالية ضد الحزب، كل الخيانات، وأعمال التخريب، والهرطقات، والانحرافات، كان مبعثها جميعًا ومباشرةً تعاليمه. وفي مكانٍ ما أو آخر، ما يزال حيًّا، يحيك مؤامراته: لعله في مكانٍ ما وراء البحار، تحت حماية مموليه الأجانب، بل لعله حتى- كما تناقلت الشائعات في بعض الأحيان- في مخبأ ما داخل أوشينيا نفسها.

كان صدر وينستون يضيق. لم يكن بمقدوره مطلقًا أن يرى وجه جولدشتاين دون أن يداهمه مزيج مؤلم من المشاعر. كان وجه يهودي نحيل، تحيطه هالة كبيرة من الشعر الأبيض ولحية صغيرة كصوف الغنم- وجه ذكي، وبشكلٍ ما خسيس بالفطرة، مع نوع من سخافة خرَف الشيخوخة تلوح في الأنف الطويل الرفيع، الذي كانت تجثم قُرب طرفه اثنتان من العوينات. كان يشبه وجه خروف، والصوت بدوره كان أيضًا صوت خروف. كان جولدشتاين على الشاشة يشن هجومه السام المعتاد على مبادئ الحزب- هجوم مبالغ فيه وحقير لدرجة أن أي طفل قادر على أن يدرك زيفه، لكنه- مع ذلك- قابل للتصديق بما يكفي لأن يملأ المرء بإحساس مزعج من أن الناس الآخرين- الأقل في مستوى الوعي- قد ينبهروا به. كان يسيء إلى الأخ الكبير، ويندد بديكتاتورية الحزب، ويطالب بالإنهاء الفوري للسلام مع أوراسيا، ويناصر حرية التعبير، وحرية الصحافة، وحرية التجمع، وحرية الفكر، كان يبكي في هستيرية خيانة الثورة- وكل هذا في خطبة سريعة متعددة المقاطع، كانت محاكاة ساخرة للأسلوب المعتاد لخطباء الحزب، بل يحتوي خطابه حتى على بعض كلمات الكلامجديد، كلمات من الكلامجديد بأكثر مما يستخدم أي من أعضاء الحزب في الحياة العادية. وطيلة الوقت، كي لا يساور المرء أدنى شك في الحقيقة التي أخفاها هراء جولدشتاين المخادع، كانت- وراء ظهره على التيليسكرين- تتقدم مسيرةٌ من طوابير لا نهائية من الجيش الأوراسي، طابور وراء طابور من الرجال ذوي المظهر الصلب، بوجوه أوراسية خالية من أي تعبير، تصل إلى سطح الشاشة ثم تتلاشى، لتحل محلها وجوه أخرى مماثلة تمامًا. وشكّل وقع أحذية الجنود الثقيلة، الكئيب، خلفية

صوت جولدشتاين الأحمق.

قبل أن تمر ثلاثون ثانية على الكراهية، انبعثت آهات غضب عارم لا يمكن السيطرة عليها، من نصف الموجودين بالقاعة. كان وجه شبيه الخروف بادي الرضا عن نفسه على الشاشة، وقوة الجيش الأوراسي المروعة من خلفه، لا يمكن تحملها: كما أن مظهر أو حتى فكر جولدشتاين كان يولِّد الخوف والغضب تلقائيًّا. هو مرمى للكراهية أقدم حتى من أوراسيا أو إيستاسيا، بما أن أوشينيا كلما كانت في حرب مع إحدى هاتين القوتين تصبح عمومًا في سلم مع الأخرى. لكن الغريب، رغم أن جولدشتاين كان مكروهًا ومحتقرًا من الجميع، ورغم أن كل يوم وآلاف المرات في اليوم، على المنابر وعلى شاشات التيليسكرين وفي الصحف والكتب، يتم دحض وتحطيم وتسخيف نظرياته، وتُرفع إلى عين الرأي العام كقاذورات مزرية مثلما كانت- على الرغم من كل هذا، فلم يبد أن تأثيره قد قلَّ يومًا ما. دائمًا ما كان هناك حمقى جدد ينتظرون غوايته. ولم يكن يمر يوم قط إلا وتتم إماطة اللثام عن عملاء ومخربين يعملون تحت إمرته على يد شرطة الأفكار.

كان قائد جيش خفي مترامي الأطراف، شبكة تحت الأرض من المتآمرين المخلصين للإطاحة بـالدولة. الأخوية، هذا هو اسمها المفترض. كما أن هناك قصصًا يتهامس بها الناس عن كتاب رهيب، هو الجامع لكل الهرطقات، جولدشتاين هو مؤلفه، تتناقله الأيدي هنا وهناك في السِّر. هو كتاب بدون عنوان. يشير إليه الناس- إذا أشاروا إليه في الأصل- باسم "**الكتاب**"، لا أكثر. لكن لا يعرف المرء بمثل هذه الأمور إلا من خلال الشائعات

الضبابية. فلا الأخوية ولا "الكتاب" من الموضوعات التي يتناولها عضو الحزب العادي بالحديث؛ إذا كان ثمة سبيل لتفادي الكلام عنها.

في دقيقتها الثانية بلغت الكراهية حدَّ السعار. راح الناس يتقافزون في مقاعدهم ويصرخون بأعلى صوت في محاولة لإغراق الصوت الأحمق الباعث على الجنون الذي كان يصدر عن الشاشة. المرأة رملية الشعر الضئيلة أصبح لونها ورديًا براقًا، وفمها ينفتح وينغلق كأنها سمكة حطت على الأرض. حتى وجه أوبريان الثقيل احتقن. كان يجلس معتدلًا للغاية في مقعده، وصدره القوي ينتفخ ويرتعش كأنه على وشك التصدي لهجوم موجةٍ ما. وبدأت الفتاة داكنة الشعر- من وراء وينستون- في النحيب: "خنزير! خنزير! خنزير!" وفجأةً التقطت قاموسًا ثقيلًا لكلامجديد وطوحت به باتجاه الشاشة. أصاب أنف جولدشتاين وارتد عنه؛ وتواصل الصوت في عناد. وفي لحظة صافية معينة وجد وينستون نفسه يهتف مع الآخرين ويركل بعقبيه دعامة مقعده في عنف. والمروع في دقيقتي الكراهية ليس اضطرار المرء لعدم التصرف بمفرده ، بل على النقيض، أنه من المستحيل تفادي المشاركة. فخلال ثلاثين ثانية يكون أي تظاهر بلا ضرورة. فقد كان ثمة نشوة بشعة من الخوف والحقد، رغبة في القتل، في التعذيب، في تحطيم الوجوه بالمطارق، تبدو متدفقة خلال جمع الناس بأسره، كأنها تيار كهربائي، تقلب المرء- حتى ضد إرادته- إلى مجنون عابس صارخ. ومع ذلك، فالغضب الذي كان يحسه المرء كان غضبًا مجردًا، عاطفة غير موجهة يمكن أن تتحول من هدف إلى آخر، كلهب المشعل. وهكذا، فعند لحظة معينة لم تتحول كراهية وينستون

إلى جولدشتاين بالمرة، بل- على النقيض- تحولت ضد **الأخ الكبير**، ضد الحزب، **وشرطة الأفكار**؛ وفي تلك اللحظات كان قلبه يميل إلى المنشق الوحيد المكروه على الشاشة، الحارس الوحيد للحقيقة والعقلانية في عالم من الأكاذيب. ومع ذلك، ففي اللحظة التالية مباشرةً كان يتوحد بمن حوله من الناس، ويبدو له كل ما قيل عن جولدشتاين حقيقةً. في تلك اللحظات، كانت كراهيته السرية لـ **الأخ الكبير** تتحول إلى وَلَهٍ، ويبدو كأن **الأخ الكبير** يتشامخ، باعتباره الحامي الشجاع الذي لا يُقهر، منتصبًا كالصخرة ضد قطعان آسيا، ويبدو جولدشتاين- رغم عزلته، رغم قلة حيلته، والشكوك المحيطة بوجوده ذاته- كأنه تعويذة منحوسة، قادرة بفعل قوة صوته وحدها على أن تقوض بنيان الحضارة.

بل كان من الممكن- في بعض اللحظات- تحويل كراهية المرء إلى هذا المسار أو ذاك من خلال فعل إرادي. فجأةً، بمثل ذلك الجهد العنيف الذي يبذله المرء لإبعاد رأسه عن الوسادة أثناء كابوس، نجح وينستون في تحويل كراهيته من الوجه المعروض على الشاشة إلى الفتاة داكنة الشعر خلفه. ومضت بعقله هلوسات جميلة مشرقة. فسيقوم بجلدها حتى الموت بعصًا مطاطية. سيربطها عارية إلى سارية، ويطلق عليها السهام كلها كسانت سباستيان. سينتهكها ويقطع رقبتها في لحظة بلوغه النشوة. وبصورة أفضل مما سبق، فضلًا عن ذلك، أدرك لماذا كان يكرهها. كان يكرهها لأنها شابة وجميلة وعديمة الجنس، لأنه كان يريد أن ينام معها ولن يفعل هذا أبدًا، لأن على خصرها الملفوف المشوق، الذي يبدو كأنه يطالبه بأن يحيطه بذراعه، لم

يكن سوى هذا الوشاح القرمزي البغيض، الرمز العدواني للطهر والعفة.

تصاعدت الكراهية إلى ذروتها. وصوت جولدشتاين أصبح بالفعل ثغاء خروف، وللحظة تغير الوجه إلى وجه خروف. ثم ذاب وجه الخروف متحولًا إلى هيئة جندي أوراسي يبدو كأنه يتقدم، عملاقًا ومرعبًا، وبندقيته الآلية تزأر، كأنه سيقفز من الشاشة، حتى إن بعض مَن في الصف الأمامي قد أجفلوا بالفعل وتراجعوا في مقاعدهم. لكن في اللحظة ذاتها، وفيما كان تجتذب تنهيدة ارتياح عميقة، ذابت تلك الهيئة العدوانية متحولة إلى وجه الأخ الكبير، بشعره الأسود، وشاربه الأسود، مفعمًا بالقوة والهدوء الغامض، كبيرًا لدرجة أنه يملأ الشاشة كلها. لم يسمع أحد ما كان يقوله الأخ الكبير. كانت بضع كلمات تشجيع، من نوع الكلمات المنطوقة في قلب المعركة، لا يمكن تمييزها مفردةً، بل تستعيد الثقة لمجرد أنها تُنطق. ثم تلاشى من جديد وجه الأخ الكبير، لتظهر بدلًا منه شعارات الحزب الثلاثة منتصبةً في بنط أسود عريض:

**الحرب سلام**

**الحرية استعباد**

**الجهل قوة**

لكن وجه الأخ الكبير بدا كأنه مستمر على الشاشة لبضع ثوانٍ، كأن الانطباع الذي تركه في حدقات الجميع كان أقوى من أن يزول هكذا في الحال. رمت السيدة الضئيلة، رملية الشعر، بنفسها إلى الأمام على ظَهر

المقعد الذي أمامها. وبغمغمة مرتجفة كأنها تقول "مُخلِّصِي!" مدت يديها نحو الشاشة. ثم دفنت وجهها بين يديها. كان من الواضح أنها تنطق بصلاةٍ ما.

في تلك اللحظة، انفجر الجمع في أغنية عميقة، بطيئة، مُنغَّمة عن "أخ- أخ!... أخ- أخ!"- مرارًا وتكرارًا من جديد، في بطء شديد، مع وقفة طويلة بين أخ الأولى والثانية- وثمة صوت ثقيل مغمغم، وحشي على نحوٍ ما عجيب، في خلفية يبدو للمرء أنه يسمع فيها وقع أقدام حافية ودق الطبول. ربما لثلاثين ثانية استمروا هكذا. كانت لازمةً تُسمع كثيرًا في لحظات العاطفة الغلابة. كانت- في جانب منها- ترنيمة لحكمة وعظمة الأخ الكبير، لكن الأرجح أنها كان فعلًا للتنويم المغناطيسي الذاتي، غرق متعمد للوعي من خلال الصخب المنغَّم. أحس وينستون بالبرد في بطنه. خلال **دقيقتي الكراهية** لا يسعه إلا أن يشارك في الاهتياج العام، لكن هذا الإنشاد دون الإنساني لـ "أخ- أخ!... أخ- أخ!" كان دائمًا ما يفعمه بالرعب. لقد أنشد بالطبع مع البقية: كان من المستحيل ألا يفعل. فأن تخفي مشاعرك، وتسيطر على وجهك، وتفعل ما يفعله الآخرون، كان رد فعل غريزيًا. لكن كان ثمة مساحة تستغرق ثانيتين يمكن أن يخونه خلالها تعبير عينيه. وخلال تلك اللحظة تحديدًا حدث الشيء المهم- إن كان قد حدث، حقًّا.

للحظة لمح عين أوبريان. كان أوبريان قد نهض. خلع عويناته وكان بصدد إعادتها إلى أنفه بإيماءته المميزة. لكن لجزء من الثانية تقابلت عيونهما، فعرف وينستون، نعم، **عرف**! أن أوبريان يفكر فيما يفكر هو فيه. مرت رسالة لا لبس فيها. كأن عقليهما قد انفتحا وتدفقت الأفكار من عقل

إلى عقل عبر عيونهما. "أنا معك"، بدا أن أوبريان يقولها له. "أعرف بالضبط شعورك. أعرف كل شيء من ازدرائك، وكراهيتك، واشمئزازك. لكن لا تقلق، فأنا معك!" ثم راحت الومضة، وأصبح وجه أوبريان غير قابل للاختراق كوجوه الجميع.

كان هذا كل شيء، وكان غير واثق بالفعل مما إذا كان ذلك قد حدث. ومثل هذه الأحداث لا توابع لها أبدًا. وكل ما تفعله به أنها تُبقِي داخله حيًّا الاعتقاد، أو الأمل، بأن هناك آخرين بجواره كانوا أعداء للحزب. ربما كانت شائعات المؤامرات السفلية الكبرى حقيقية في نهاية الأمر- ربما كان للأخوية وجود حقًّا! كان من المستحيل، رغم الاعتقالات والاعترافات والإعدامات التي لا نهاية لها، التأكد من أن **الأخوية** ليست ببساطة أسطورة. في بعض الأيام كان يؤمن بها، وفي بعض الأيام لا يؤمن. لم يكن هناك أي دليل، بل مجرد لمحات قد تعني أي شيء أو لا شيء: شذرات من محادثة سمعها مصادفة، خربشات على جدران المغسلة- حتى حين يتقابل غريبان ذات مرة، فتبدر حركة صغيرة من اليد تبدو كأنها إشارة إدراك. كانت المسألة كلها محض تخمين: والأرجح تمامًا أنه قد تخيل كل شيء. عاد إلى ركنه دون النظر إلى أوبريان مرةً أخرى. ولم تمر بعقله قط فكرة متابعة اتصالهما اللحظي. فستكون مسألة خطيرة لدرجة تعز على الإدراك، حتى لو عرف كيف يشرع في القيام بها. ولثانية، لثانيتين، تبادلا نظرة محملة بالمعاني، وكانت تلك نهاية الموضوع. لكن حتى ذلك كان حدثًا لا يُنسى، في العزلة الموصدة التي يتعين على المرء أن يعيشها.

اعتدل وينستون في جلسته أكثر. تجشأ. كان الجين يصاعد من معدته.

عاودت عيناه التركيز على الصفحة. اكتشف أنه فيما كان يجلس هكذا بلا حيلة متأملًا، كان يكتب أيضًا، كأنما بفعل آلي. ولم يكن بعد نفس الخط المرتعش غير المقروء كما كان من قبل. انساب قلمه في شهوانية على الورق الناعم، ليكتب في كلمات كبيرة واضحة:

**يسقط الأخ الكبير**

**يسقط الأخ الكبير**

**يسقط الأخ الكبير**

**يسقط الأخ الكبير**

**يسقط الأخ الكبير**

مرارًا وتكرارًا من جديد، فملأ بها نصف صفحة.

رغمًا عنه أحس بموجة من الذعر. كان ذلك أمرًا غريبًا، بما أن كتابة هذه الكلمات تحديدًا لم تكن أخطر من الفعل الأوَّلي لافتتاح اليوميات، لكنه للحظة أحس بإغواء تمزيق الصفحات التالفة والتخلي عن الفكرة برُمتها.

لم يفعل ذلك، على أية حال، لأنه كان يعرف ألا فائدة منه. فسواء كتب **يسقط الأخ الكبير**، أو امتنع عن كتابتها، فلا فارق. سواء مضى في تدوين اليوميات، أو لم يمضِ فيها، فلا فارق. فسوف تتوصل إليه شرطة الأفكار على

كل حال. لقد ارتكب- وما يزال يرتكب، حتى لو لم يضع سن قلمه على الورق أبدًا- الجريمة الجوهرية التي تحتوي كل الجرائم الأخرى في ذاتها. "جريمةتفكير"- كانوا يسمونها. وليست "جريمةتفكير" شيئًا يمكن إخفاؤه للأبد. فقد يمكنك المراوغة لفترة، حتى لسنوات، لكن- عاجلًا أو أجلًا- فسوف يصلون إليك لا محالة.

دائمًا في الليل- كانت الاعتقالات تحدث في الليل بصورة ثابتة. القفزة المفاجئة من النوم، اليد الخشنة تهز كتفك، النور الباهر في عينيك، حلقة الوجوه القاسية حول السرير. في الأغلبية العظمى من الحالات، لم تكن ثمة محاكمات، ولا تقرير بالاعتقال. كان الناس يختفون ببساطة، دائمًا في الليل. يُمحَى اسمك من السجلات، وكل سجل لكل ما فعلته يومًا يُمحى، وجودك الفريد ذات مرة يُنكَر ثم يُنسى. تُلغى، تُباد: **تتبخَّر** كانت الكلمة المعتادة.

للحظة سيطرت عليه حالة من الهيستريا. بدأ في الكتابة بخربشة متسرعة متعرج: *سيطلقون عليَّ النار لا يهمني سوف يطلقون عليَّ الرصاص في قفاي لا يهمني يسقط الأخ الكبير دائمًا ما يطلقون النار في القفا لا يهمني يسقط الأخ الكبير...*

اعتدل في مقعده، بشيء من الخزي من نفسه، ووضع القلم. في اللحظة التالية، أجفل في عنف. كان هناك طَرقٌ على الباب.

بالفعل! جلس ساكنًا كفأر، على أمل عبثي أن يذهب الطارق أيًّا مَن كان بعد محاولة واحدة. لكن لا، تكرر الطرق. وأسوأ شيء هو التأخير. كان

قلبه يدق كالطبلة، لكن وجهه، بفعل عادة عتيدة، كان على الأرجح بلا تعبيرات. نهض، وتحرك متثاقلًا إلى الباب.

## الفصـل الثّـاني

وهو يضع يده على مقبض الباب، رأى وينستون أنه ترك دفتر اليوميات مفتوحًا على المائدة. يسقط الأخ الكبير مكتوبة في كل أنحاء الصفحة، في كلمات كبيرة بما يكفي ليراها الواقف في جانب الحجرة المقابل. كان قد فعل شيئًا يبلغ من الحماقة ما لا يمكن تصوره. لكن، كما أدرك، حتى في ذعره، فهو لا يريد تلطيخ الصفحة الناعمة بإغلاق الدفتر والحبر ما يزال مبتلًا.

سحب نفسًا وفتح الباب. على الفور سرت فيه موجة دافئة من الاطمئنان. سيدة بلا لون، محطمة الهيئة، ذات شعر ذابل ووجه متغضن، كانت تقف أمام الباب.

قالت في صوت موحش منتحب: "آه، يا رفيق. ظننت أنني سمعتك تدخل. فهل يمكن أن تأتي وتلقي نظرة على حوض المطبخ؟ لقد انسد و..."

كانت السيدة بارسونز، زوجة أحد الجيران المقيمين في الطابق نفسه. ("السيدة" كانت كلمة لا يشجع عليها الحزب إلى حدٍّ ما- فالمفترض أن تنادي كل شخص بلقب "الرفيق" أو "الرفيقة"- لكن مع بعض النساء كان المرء يستخدم لقب "سيدة" بشكل غريزي). كانت امرأة في نحو الثلاثين من عمرها، لكنها تبدو أكبر بكثير. وبحس المرء بانطباع أن الغبار يملأ تجاعيد وجهها. مضى وينستون خلفها عبر الممر. أعمال إصلاح الهواة هذه كانت تقريبًا مصدر إزعاج يومي.

كانت مساكن النصر قديمة، بنيت عام 1930 أو نحو ذلك، وكانت في حالة انهيار. كان الجبس يتساقط بشكل دائم من الأسقف والجدران، والمواسير تنفجر مع كل موجة صقيع قاسية، والسقف يسرب الماء كلما انهمر الثلج، ونظام التدفئة يعمل بنصف قدرته إن لم يكن مغلقًا بالكامل بسبب دوافع اقتصادية. والإصلاحات، باستثناء ما يمكنك أن تقوم به بنفسك، لابد أن توافق عليها لجان بعيدة، كانت عُرضةً للإرجاء- حتى تصليح زجاج نافذة- لمدة عامين.

قالت السيدة بارسونز بصورة غائمة: "ذلك فحسب بالطبع لأن توم ليس في البيت".

كانت شقة آل بارسونز أكبر من شقة وينستون، وقذرة بشكل مختلف. كان لكل شيء مظهر الركام المدهوس، كأن المكان قد زاره للتو حيوان ضخم عنيف. قطع من ألعاب، مضارب هوكي، قفازات ملاكمة، كرة قدم مقطعة، شورت متعفن من العرق مقلوب ظهرًا لبطن- كلها مبعثرة على الأرضية،

وعلى المائدة كان ثمة فضلات أطباق متسخة وكتب تمارين رياضية مجعَّدة الأغلفة. وعلى الجدران لافتات قرمزية لرابطة الشبان والمخبرين، وملصق بالحجم الكامل للأخ الكبير. كانت هناك رائحة الكرنب المسلوق المعتادة، المألوفة في المبنى بأكمله، لكنها كانت مختلطة برائحة عرق نفاذ، التي كانت- وهو ما يدركه المرء مع هبة الرائحة الأولى، رغم صعوبة تحديد الكيفية- رائحة عرق شخص غير موجود الآن. في حجرة أخرى كان هناك شخصٌ ما- معه مشط وبعض مناديل ورقية- يحاول المحافظة على التوافق مع الموسيقى العسكرية التي كانت ما تزال تصدر عن التيليسكرين.

قالت السيدة بارسونز، وهي تلقي نظرة شبه قلقة على الباب: "إنهم الأطفال. لم يخرجوا اليوم. وبالطبع..."

كان من عاداتها قطع جملتها في منتصفها. كان حوض المطبخ ممتلئًا حتى حافته تقريبًا بمياه خضراء عطنة تفوح برائحة أسوأ حتى من الكُرنب. ركع وينستون وتفحص صمام الكوع. كان يكره استخدام يديه، ويكره الانحناء لأسفل، وهو ما كان يدفعه دائمًا إلى نوبة من السعال. نظرت إليه السيدة بارسونز في قلة حيلة.

قالت: "بالطبع، لو كان توم هنا لكان أصلحه في ثانية. إنه يحب مثل هذه الأمور. ويجيد تمامًا استخدام يديه، أقصد توم".

كان بارسونز زميل وينستون في وزارة الحقيقة. كان رجلًا بدينًا لكنه نشط ويتمتع بغباء يصيب بالشلل، كتلة من الحماس الأبله- أحد أولئك

غير المتسائلين بالمرة، المخلصين، الذين يعتمد عليهم استقرار الحزب، بأكثر حتى من اعتماده على **شرطة الأفكار**. في الخامسة والثلاثين من عمره أحيل للتقاعد رغمًا عنه من "رابطة الشبان"، وقبل أن يدخل "رابطة الشبان" كان قد تمكن من البقاء في رابطة "المخبرين" لعام أكثر من العمر الذي يخرج فيه المرء من الرابطة. كان يشغل في الوزارة وظيفة صغيرة لا حاجة فيها للذكاء، لكنه- في المقابل- كان عضوًا بارزًا في "لجنة الرياضة" وجميع اللجان الأخرى المرتبطة بتنظيم الرحلات الجماعية، والمظاهرات العفوية، وحملات الادخار، والأنشطة التطوعية بشكل عام. يقول لك في زهو هادئ، بين الأنفاس التي يسحبها من غليونه، إنه كان يذهب إلى المركز المجتمعي كل مساء طيلة السنوات الأربع الماضية. كانت رائحة عرق نفاذة، كأنها شهادة لا واعية على حياته المتقدة حماسةً، تتبعه أينما يذهب، وتمكث وراءه حتى بعد أن يرحل.

قال وينستون وهو يعبث بصمام الكوع: "هل عندك مفتاح إنجليزي؟"

قالت السيدة بارسونز، وقد خارت قواها فجأة: "مفتاح إنجليزي.. لا أدري. أنا متأكدة. ربما الأطفال..."

كان ثمة وقع أحذية وصوت نافذ آخر من المشط مع اقتحام الطفلين لحجرة المعيشة. أتت السيدة بارسونز بالمفتاح. ترك وينستون الماء يتساقط وأبعد في اشمئزاز كتلة من الشَّعر البشري كانت تسد الماسورة. نظف أصابعه قدر استطاعته في الماء البارد المنساب من الصنبور، ثم عاد إلى الحجرة الأخرى.

قال صوت همجي: "ارفع يديك!"

ظهر صبي وسيم ذو مظهر فظ من وراء المائدة، وراح يهدده بمسدس لعبة آلي، فيما قامت أخته- الأصغر منه بعامين- بنفس الحركة بقطعة خشب. كان كل منهما يرتدي شورتًا أزرق وقميصًا رماديًا ومنديلًا أحمر، وهو الزي الرسمي للمخبرين. رفع وينستون يديه فوق رأسه، لكن بإحساس كريه، كان سلوك الصبي بالغ الضراوة لدرجة أنها لم تكن لعبة بالمرة.

صاح الصبي: "أنت خائن! أنت مجرم تفكيرا أنت جاسوس أوراسي! سوف أطلق عليك النار، سوف أبخِّرك، سوف أرسلك إلى مناجم الملح!".

راحا يتقافزان حوله فجأةً، وهما يصيحان "خائن!" و"مجرم تفكيرا"، والفتاة الصغيرة تحاكي أخيها في كل حركة. كان شيئًا مخيفًا نوعًا ما، مثل مشاهدة لعب صغار النمور التي ستكبر لتتحول إلى آكلة للبشر. كانت هناك شراسة محسوبة في عين الصبي، رغبة واضحة تمامًا في ضرب وينستون وركله ووعي بكونه أصبح بالكاد كبيرًا بما يكفي ليفعل ذلك. مما تُحمد عقباه أن ما يحمله لم يكن مسدسًا حقيقيًا، كما خطر لوينستون.

انتقلت عينا السيدة بارسونز في عصبية من وينستون إلى الأطفال، ثم إليه مرةً أخرى. في ضوء حجرة المعيشة الأفضل لاحظ باهتمام أن هناك غبارًا بالفعل في تجاعيد وجهها.

قالت: "إنهما يصبحان صاخبين للغاية أحيانًا. إنهما محبَطان لأنهما لم يتمكنا من الذهاب للفرجة على الشنق، هذا هو السبب. وأنا مشغولة عن

اصطحابهما، وتوم لن يعود من العمل في الوقت المناسب".

صاح الصبي وهو يزأر بصوته الضخم: "لماذا لا يمكننا الذهاب للفرجة على الشنق؟"

راحت الفتاة الصغيرة تغني، وهي ما تزال تتقافز: "أريد مشاهدة الشنق! أريد مشاهدة الشنق!".

تذكر وينستون أن هناك بعض السجناء الأوراسيين، المذنبين بارتكاب جرائم حرب، كان من المقرر شنقهم في المنتزه ذلك المساء. يحدث هذا نحو مرة شهريًا، وهو عرض يتمتع بشعبية واسعة. ودائمًا ما يلح الأطفال على أخذهم للفرجة. استأذن من السيدة بارسونز، ومضى إلى الباب. لكنه لم يكد يجتاز ست خطوات في الممر حين ضربه شيءٌ ما على قفاه ضربة مؤلمة للغاية. كان كأن سلكًا كاويًا قد اخترقه. التفت على الفور ليرى السيدة بارسونز تجرجر ابنها عائدةً به إلى باب شقتها، فيما الفتى يدس في جيبه نبلة.

صاح الصبي، والباب يوصد عليه: "جولدشتاين!" لكن ما أدهش وينستون أكثر هو الخوف الممزوج بقلة الحيلة الذي ارتسم على وجه السيدة الرمادي.

في شقته، مضى سريعًا متجاوزًا التيليسكرين، وجلس إلى المائدة مرةً أخرى، وهو ما يزال يحك رقبته. كانت الموسيقى المنبعثة من الشاشة قد توقفت. بدلًا منها كان ثمة صوت عسكري منضبط يقرأ، بنوع من التلذذ الوحشي، وصفًا بالأسلحة التي تضمها القلعة العائمة الجديدة، التي رست

للتو بين أيسلندا وجزر فارو.

خطر بباله أن مع هذين الطفلين لابد أن هذه السيدة التعيسة تعيش حياة من الرعب. فبعد عام، أو عامين، سوف يقومان بمراقبتها ليلًا ونهارًا، بحثًا عن بوادر الخروج عن المبادئ. حاليًا، جميع الأطفال تقريبًا بشعون. وما كان أسوأ من أي شيء، أنهم- من خلال التنظيمات، مثل تنظيم المخبرين- كانوا يتحولون بشكل ممنهج إلى همج صغار غير قابلين للسيطرة عليهم، لكن ذلك لم يُنبت فيهم أدنى قدر من الرغبة في التمرد على انضباط الحزب. على النقيض، كانوا يبجلون الحزب وكل شيء مرتبط به. الأغاني، المواكب، الرايات، الرحلات النهارية، تدريبات البنادق اللعبة، إنشاد الشعارات، عبادة الأخ الكبير- كان كل هذا نوعًا من لعبة مجيدة في عيونهم. كانت كل شراستهم تتحول إلى الخارج، ضد أعداء الدولة، ضد الأجانب، الخونة، المخربين، ومجرمي التفكير. وكان من المألوف لمن هم فوق الثلاثين أن يخافوا أطفالهم. ولسبب منطقي؛ إذ لا يكاد أسبوع يمر حتى تظهر على صفحات "التايمز" فقرة تصف كيف أن "طفلًا بطلًا" ماهرًا في التنصت- وهي الجملة المستخدمة دائمًا للوصف- قد سمع تعليقًا خارجًا وأبلغ شرطة الأفكار عن أبويه.

اختفت لسعة ضربة النبلة. رفع قلمه بدون حماس كبير، متسائلًا إن كان سيجد المزيد ليكتبه في اليوميات. فجأةً بدأ يفكر في أوبريان من جديد.

قبل سنوات- منذ متى؟ لابد أن ذلك كان قبل سبع سنوات- حلُم بأنه يسير في حجرة مظلمة ظلامًا دامسًا. وقال شخصٌ جالس إلى جانبه، وهو

يمر به: "سوف نلتقي في المكان الذي لا يعرف الظلام". قيل ذلك في خفوت تام، بنبرة هادئة- كتقرير، وليس أمرًا. ومضى في طريقه دون أن يتوقف. المدهش أن الكلمات- في ذلك الحين، في الحلم- لم تترك انطباعًا ذا بال فيه. فقط فيما بعد، وبالتدريج، بدأت تكتسب أهمية. ولا يمكنه الآن تذكر إن كان قد رأى أوبريان للمرة الأولى قبل الحلم أم بعده، ولا يذكر متى تعرف في الصوت على أوبريان. لكن على أية حال، فإن التحقق من صوت أوبريان كان قائمًا. فقد كان أوبريان هو الذي كلمه في الظلام.

لم يكن وينستون بقادر أبدًا على الشعور بالتأكد- حتى بعد التقاء العينين صباح اليوم- بل من المستحيل أن يتأكد مما إذا كان أوبريان صديقًا، أم عدوًا؟ كما لم يبد ذلك ذا أهمية كبيرة. فهناك صلة من التفاهم بينهما، أهم من الإعجاب أو التحزب. قال: "سوف نلتقي في المكان الذي لا يعرف الظلام". ولم يعرف وينستون ماذا يقصد، لكن ما قاله سوف يتحقق بشكل أو بآخر.

توقف الصوت المنبعث من التيليسكرين. سمع بوقًا ينادي، بصوت رائق وجميل، كان يطفو في الهواء الراكد. تواصل الصوت مثيرًا للأعصاب:

"انتباه! انتباه، من فضلكم! وصلنا الآن نبأ عاجل من جبهة مالابار. قواتنا في جنوب الهند حققت نصرًا مجيدًا. ومسموحٌ لي بالقول إن العملية التي نتحدث عنها الآن قد تقربنا كثيرًا من انتهاء الحرب. وها هو النبأ العاجل..."

خطر لوينستون أن هناك أخبارًا سيئة قادمة. وطبعًا، بعد الوصف الدموي لسحق جيش أوراسي، وإحصاءات هائلة بالقتلى والأسرى، جاء الإعلان بأنه- بدءًا من الأسبوع القادم- سوف يتم تقليص حصة الشوكولاتة من ثلاثين جرامًا إلى عشرين.

تجشأ وينستون مرةً أخرى. كان أثر الجين يتلاشى، ليخلف إحساسًا مسطحًا. أما التيليسكرين– ربما احتفالًا بالنصر، وربما للتشويش على خبر الشيكولاتة المفقودة– فقد انفجرت في ترديد "أوشينيا، المجد لك". والمفترض بالمرء أن يقف "انتباه" وقتها. لكنه- على أية حال- كان مخفيًا في موضعه الحالي.

من بعد "أوشينيا، المجد لك"، بدأت تنبعث موسيقى أكثر رقة. مضى وينستون إلى النافذة، موليًا ظهره للتيليسكرين. ما يزال اليوم باردًا وصافيًا. وفي مكان ما عن بُعد، انفجرت قذيفة صاروخية في زئير مُدوٍّ يرج الأرض. في الوقت الحالي، أصبح ينهمر على لندن أسبوعيًا ما بين عشرين إلى ثلاثين صاروخًا مثله.

وفي الشارع كانت الرياح تتلاعب بالملصق الممزق ذات اليمين وذات اليسار، وكلمة "اشت-إنج" تظهر وتختفي مع حركة الرياح. اشت-إنج. المبادئ المقدسة لـ اشت-إنج. كلاجديد، تفكيرمزدوج، تبدل الماضي الدائم. أحس كأنه يجول في غابات قاع المحيط، تائهًا في عالم وحشي هو نفسه ذلك الوحش. كان وحيدًا. كان الماضي ميتًا، والمستقبل لا يمكن تصوره. فأي يقين في أن هناك إنسانًا واحدًا على ظهر البسيطة حاليًا يقف في صفه؟ وما

سبيله لمعرفة أن هيمنة الحزب لن تدوم **إلى الأبد**؟ على سبيل الإجابة، لاحت له الشعارات الثلاثة على الواجهة البيضاء لوزارة الحقيقة:

**الحرب سـلام**

**الحرية استعباد**

**الجهـل قـوة**

أخرج من جيبه قطعة بخمسة وعشرين سنتًا. عليها، بدورها، في كتابة صغيرة واضحة، نُقشت نفس الشعارات، وعلى وجهها الآخر رأس الأخ الكبير. حتى من قطعة العملة تطاردك العينان. على العملات، وطوابع البريد، وأغلفة الكتب، واللافتات، والملصقات، وأغلفة علب السجائر- في كل مكان. دائمًا ما تتابعك العينان والصوت يلفك. في نومك وصحوك، في عملك وأثناء تناولك الطعام، داخل المنزل وفي الخارج، في الحمام أو في السرير- لا مفر. لا شيء تملكه سوى السنتيمترات المكعبة القليلة داخل جمجمتك.

دارت الشمس دورتها، ونوافذ وزارة الحقيقة التي لا تعد ولا تحصى- والتي لم يعد النور ينعكس عليها- بدت كابية كأنها فتحات القناصة في قلعة. كان قلبه يجبن أمام الشكل الهرمي العملاق. كان قويًا للغاية، لا يمكن اقتحامه. ولا ألف قنبلة صاروخية قادرة على إسقاطه. تساءل من جديد لمن يكتب اليوميات. للمستقبل، للماضي- لعصر قد يكون متخيلًا. وأمامه لم يكن الموت هو ما يجثم، بل الدمار. سوف تتحول اليوميات إلى تراب وهو

نفسه إلى بخار. فشرطة الأفكار وحدها هي التي ستقرأ ما كتبه، قبل أن تمحوه من الوجود ومن الذاكرة. فكيف يمكنك أن ترنو إلى المستقبل بلا أثر منك، ودون أن تبقى ماديًّا ولو كلمة مجهلة المصدر منقوشة على قصاصة ورق؟

دقت التيليسكرين الساعة الرابعة عشرة. لابد أن يغادر خلال عشر دقائق. فعليه أن يكون في عمله في الرابعة عشرة والنصف.

الغريب أن صوت دق الساعة على ما يبدو قد بث فيه شجاعة جديدة. لم يكن سوى طيف وحيد يسطر حقيقة لن يسمع بها أحد يومًا ما. لكنه طالما نطق بها، فإن الاستمرارية لم تنكسر، على نحوٍ غامض. فليس الأمر أن تُسمع، بل أن تبقى عاقلًا، فتواصل قُدمًا الميراث الإنساني. عاد إلى مائدته، وغمس قلمه في الحبر، وكتب:

"إلى المستقبل أو إلى الماضي، إلى زمن يكون فيه الفكر حرًّا، عندما يختلف المرء عن الآخر، ولا يعيش وحيدًا- إلى زمن توجد فيه الحقيقة، وما يحدث لا يمكن محوه: من عصر التماثل، من عصر العزلة، من عصر الأخ الكبير، من عصر تفكيرمزدوج.. تحياتي!"

كان ميتًا بالفعل، كما خطر له. بدا له أنه الآن فقط، عندما بدأ في التمكن من صياغة أفكاره، قد اتخذ الخطوة الفاصلة. وتبعات كل فعل تأتي مشمولة في الفعل نفسه. كتب:

"جريمةتفكير لا تؤدي إلى الموت: جريمةتفكير هي الموت".

والآن بعد أن أقر بكونه رجلًا ميتًا، أصبح من المهم أن يبقى على قيد

الحياة لأطول مدة ممكنة. كان إصبعان من أصابع يده اليمنى ملطخين بالحبر. هذا بالضبط نوع التفاصيل التي قد تخونك. وثمة متحمسٌ ما فضولي في الوزارة (سيدة، على الأرجح: سيدة تشبه السيدة الصغيرة ذات الشعر الرملي، أو الفتاة داكنة الشعر من قسم الكتابة الإبداعية) قد يبدأ في التساؤل لماذا كان يكتب في ساعة الغداء، لماذا استخدم قلمًا قديمًا، **ماذا** كان يكتب- ثم يرمي بتلميحة عن ذلك إلى جهة معنية. مضى إلى الحمام وبعناية دعك الحبر بالصابونة الخشنة الداكنة التي تحك جلده كأنها "الصنفرة"، ولهذا كانت مناسبة تمامًا لهذا الغرض.

وضع اليوميات في الدُّرج. لا فائدة تمامًا من التفكير في إخفائه، لكن يمكنه على الأقل التأكد مما إذا كان قد تم اكتشاف وجوده أم لا. ووضع شعرة على نهايات الصفحة- حيلة سهلة الانكشاف تمامًا. بطرف إصبعه التقط حبة غبار أبيض يمكن تمييزها ووضعها على ركن الغلاف، حيث كان محتمًا أن تسقط إذا تم تحريك الدفتر.

## الفصل الثَّالث

كان وينستون يحلم بأمه.

خطر له أنه لابد كان في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره عندما اختفت أمه. كانت امرأة طويلة بهيئة تمثال، صامتة، وحركاتها بطيئة، وشعرها جميل رائع. كان يذكر أباه بقدر أكبر من الإبهام، يتذكره أسمر نحيفًا، يرتدي دائمًا ثيابًا أنيقة داكنة (تذكر وينستون تحديدًا نعال أحذية أبيه الرقيقة)، ويضع عوينات. ومن الواضح أن أباه وأمه قد التهمتهما ولابد إحدى حملات التطهير الأولى الواسعة في الخمسينيات.

كانت أمه في تلك اللحظة تجلس في مكان ما في الأعماق تحته، مع شقيقته الصغيرة بين ذراعيها. لا يذكر شقيقته بالمرة، اللُّهُمَّ إلا رضيعة ضئيلة هشة، دائمة الصمت، بعينين كبيرتين فضوليتين. كانت كلتاهما تنظران إليه. كانتا بالأسفل في مكانٍ تحت الأرض- في قاع بئر، مثلًا، أو في غياهب قبر

شديد العمق- لكنه مكان كان، وهو تحته بكثير، يهوي هو نفسه لأسفل. كانتا في بهو سفينة تغرق، تنظران إليه في الأعلى من خلال الماء المظلم. كان ما يزال ثمة هواء في البهو، وما تزالان قادرتين على رؤيته وهو ما يزال قادرًا على رؤيتهما، لكن- مع مرور الوقت- كانتا تغرقان، تغرقان إلى مياه خضراء لابد أنها ستخبئهما عن ناظريه للأبد في أية لحظة. وكان هو في النور والهواء فيما كانتا تغوصان إلى الموت، وكانتا تحته هناك لأنه كان هنا بالأعلى. كان يعرف وتعرفان ذلك، ويمكنه أن يرى المعرفة في عيونهما. لم يكن في وجهيهما أو قلبيهما أدنى عتاب؛ بل مجرد المعرفة بأن عليهما أن يموتا لكي يبقى على قيد الحياة، وأن هذا ليس سوى جزء من طبيعة الأمور التي لا مفر منها.

لا يستطيع تذكر ما جرى، لكنه عرف- في حلمه- أن حياة أمه وشقيقته قد تمت التضحية بهما- على نحوٍ ما- مقابل حياته. كان أحد تلك الأحلام التي- مع احتفاظها بطبيعة الأحلام المألوفة- فهي امتداد لحياة المرء الذهنية، حيث يصبح المرء فيها واعيًا بالحقائق والأفكار التي تبقى جديدة ووجيهة بعد أن يصحو من النوم. وما صدم وينستون فجأةً الآن هو أن موت أمه، قبل ثلاثين عامًا تقريبًا، كان مأساويًا ومحزنًا بشكل لم يعد ممكنًا بعد. مأساة، كما يرى، كانت تنتمي إلى الزمن الغابر، إلى زمن كان ما يزال يحتفظ بالخصوصية، والحب، والصداقة، وعندما كان أفراد الأسرة الواحدة يساندون بعضهم البعض دون حاجة إلى معرفة السبب. كانت ذكرى أمه تمزق قلبه لأنها ماتت وهي تحبه، عندما كان أصغر وأكثر أنانيةً من أن يحبها في المقابل،

ولأنه- بشكل ما- لم يتذكر كيف ضحت بنفسها بدافع من مفهوم للولاء كان خاصًا بها ولا يتزعزع. مثل هذه الأمور- كما يرى- لا يمكن أن تحدث اليوم. اليوم هناك الخوف، والكراهية، والألم، لكن لا كرامة للعاطفة، ولا أحزان عميقة أو مركَّبة. كان كأنه يرى كل هذا في عيون أمه وأخته الواسعة، وهما تنظران إليه من خلال الماء الأخضر، على بُعد مئات الأقدام في الأسفل وما تزالان تغوصان.

رأى نفسه فجأةً يقف على عشب ربيعي قصير، ذات مساء صيفي، حين كانت أشعة الشمس المائلة تمسح على الأرض. كان المكان الذي ينظر إليه يتكرر في أحلامه لدرجة أنه لا يمكنه أن يميز بشكل قاطع ما إن كان قد سبقت له رؤيته في دنيا الواقع. كان يسميه في يقظته البلد الذهبي. هو مرعى قديم أكلت منه الأرانب، فيه ممشى للمارة يقطعه وتلال صغيرة هنا وهناك. ولدى السياج القديم على الطرف المقابل للمرج أشجار الدردار تتمايل في هدوء مع النسيم، وأوراقها تتحرك في كتل كثيفة كأنها شعر امرأة. وعلى مقربة، في مكانٍ ما، وإن كان بعيدًا عن العين، هناك جدول رقراق بطيء الحركة تسبح فيه أسماك الشبوط تحت أشجار الصفصاف المتمايلة.

كانت الفتاة ذات الشعر الداكن تقترب منهم، عبر المرعى. وبما بدا كأنه حركة واحدة نزعت عنها ثيابها ورمت بها في احتقار جانبًا. كان جسدها أبيض بضًّا، لكن لم يثر فيه أية رغبة، بل بالكاد نظر إليه. والإحساس الغالب عليه كان الإعجاب بحركة رميها ثيابها جانبًا. فبجمالها وعدم اكتراثها بدت كأنها تبيد ثقافة كاملة، نظامًا كاملًا من الأفكار، كأن

بالإمكان محو الأخ الكبير والحزب وشرطة الأفكار إلى العدم بحركة رشيقة واحدة من الذراع. تلك بدورها كانت حركة تنتمي إلى زمن غابر. أفاق وينستون من نومه وعلى شفتيه كلمة "شكسبير".

كان التيليسكرين يصدر صفيرًا يمزق الأذن، استمر ثابتًا نحو ثلاثين ثانية. كانت الساعة السابعة والربع، وقت استيقاظ عمال المكاتب. انتزع وينستون جسده من السرير عاريًا، حيث لا يحصل عضو الحزب العادي إلا على 3000 كوبون ملابس سنويًا، والبيجامة بستمائة كوبون- ومد يده إلى قميص داخلي قذر وشورت كانا مرميين على الكرسي. سوف تبدأ "التمرينات البدنية" بعد ثلاث دقائق. وفي اللحظة التالية هاجمته نوبة سعال عنيفة كانت تأتيه دومًا فور استيقاظه. أفرغت رئتيه تمامًا من الهواء حتى إنه لم يتمكن من معاودة التنفس إلا بعد أن رقد على ظهره وقام بعدة شهقات عميقة. انتفخت أوردته من مجهود السعال، وبدأت الدوالي تصيبه بإحساس الحكاك.

"من الثلاثين إلى الأربعين.. اجمع!" نبح صوت أنثوي حاد. "من الثلاثين إلى الأربعين.. اجمع! اتخذوا أماكنكم، من فضلكم. من الثلاثين إلى الأربعين!"

هب وينستون ليتخذ وضع الانتباه أمام التيليسكرين، الذي ارتسمت عليه صورة شابة، عجفاء لكن مفتولة العضلات، ترتدي سترة قصيرة محبوكة وحذاءً رياضيًا.

صاحت بقوة: "الذراعان، ثني ومدا على إيقاعي. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة! واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة! هيا يا رفاق، أين النشاط! واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة! واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة!.."

لم يُبعد ألم نوبة السعال تمامًا الانطباع الذي تركه الحلم على ذهن وينستون، والحركات المنتظمة للتمرين أعادته إليه بشكلٍ ما. وفيما كان يحرك ذراعيه بشكل آلي إلى الأمام والوراء، واضعًا على وجهه مظهر الاستمتاع المتجهم الذي يُعد مناسبًا أثناء "التمرينات البدنية"، راح يجاهد ليعود بأفكاره إلى فترة طفولته المبكرة البعيدة. كان الأمر صعبًا للغاية. فكل شيء بعد أواخر الخمسينيات تلاشى. وعندما لا توجد سجلات خارجية يمكنك الرجوع إليها، فإن شكل حياتك الخارجي نفسه يفقد وقتها حدوده. تتذكر أحداثًا كبرى، الأرجح أنها لم تحدث، تتذكر تفاصيل حوادث دون أن تتمكن من استعادة أجوائها، وهناك فترات طويلة خاوية لا يمكنك أن ترتبطها بأي شيء. كل شيء وقتها كان مختلفًا. حتى أسماء الدول، وأشكالها على الخريطة، كانت مختلفة. المهبط رقم واحد، على سبيل المثال، لم يكن اسمه هكذا في تلك الأيام: كان اسمه إنجلترا أو بريطانيا، لكن لندن، وكان على يقين تام من ذلك، كانت دائمًا ما تُدعَى لندن.

لم يتمكن وينستون أن يتذكر بشكل واضح متى لم تكن بلده في حالة حرب، لكن من الواضح أن فترة طويلة من السلم قد مرت خلال طفولته، لأن واحدة من ذكرياته المبكرة كانت لغارة جوية يبدو أنها أدهشت الجميع. ربما كانت في الوقت الذي سقطت فيه قنبلة نووية على كلوشستر. لم يتذكر



م3 - ١٩٨٤ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

الغارة نفسها، بل يتذكر يد والده وهي تقبض على يده وهما يُهرعان، هابطين، إلى الأسفل، والأسفل، إلى مكانٍ عميق في الأرض، محيط بسُلم حلزوني كان يرن تحت وقع قدميه عليه، حتى كلّت قدماه وبدأ في الأنين، وكان عليهما التوقف والتقاط الأنفاس. وأمه، بأسلوبها البطيء، الحالم، كانت وراءهما بمسافة طويلة. كانت تحمل شقيقته الرضيعة- أو ربما كومة من البطانيات: لم يكن على يقين مما إن كانت شقيقته قد وُلدت حينها. أخيرًا دخلوا إلى مكان صاخب مزدحم أدرك أنه محطة مترو.

كان هناك أشخاص يجلسون على أرضية حجرية، وآخرون، متجمعون متلاصقين معًا، كانوا يجلسون على أسرَّة معدنية، واحدًا فوق الآخر. وجد وينستون وأمه وأبوه لأنفسهم مكانًا على الأرض، وعلى مقربة منهم رجل وسيدة طاعنا في السن يجلسان جنبًا إلى جنب على سرير. كان الرجل العجوز يرتدي سترة داكنة أنيقة وقبعة سوداء من القماش يظهر من تحتها شعره شديد البياض: كان وجهه محتقنًا وعيناه زرقاوين مغرورقتين بالدموع. تفوح منه رائحة الجين القوية. كان يبدو أنها تنبعث من جلده بدلًا من العرق، ويكاد للمرء أن يتخيل أن الدموع المنبثقة من عينيه هي جين صاف. لكن رغم كونه مخمورًا إلى حدٍّ ما، فقد كان يعاني من حسرةٍ ما حقيقية ولا تحتمل. وعلى سجيته الطفولية أدرك وينستون أن شيئًا مروعًا قد حدث، شيء يتجاوز الغفران، ولا يمكن إصلاحه أبدًا، قد حدث للتو. كما بدا له أنه يعرف ما هو. شخصٌ ما كان العجوز يحبه قد قُتل- ربما حفيدة صغيرة. وراح العجوز يكرر كل بضع دقائق:

"ما كان لنا أن نثق بهم. قلت ذلك، يا أماه، ألم أفعل؟ تلك هي نتيجة الثقة بهم. لطالما قلت ذلك. ما كان علينا أن نثق بهؤلاء الكلاب".

لكن لا يذكر وينستون أي كلاب أولئك الذين ما كان ينبغي الوثوق بهم.

منذ ذلك الوقت تقريبًا، كانت الحرب مستمرة بلا انقطاع، دون أدنى مبالغة، رغم أنها لم تكن دائمًا هي الحرب نفسها. لشهور خلال طفولته كانت هناك اشتباكات في شوارع في لندن نفسها، كان يتذكر بعضها بجلاء. لكن أن يتتبع تاريخ الفترة بأكملها، أن يقول مَن كان يقاتل مَن في أية لحظة من اللحظات، فهذا مستحيل تمامًا، حيث لا يوجد سجل مكتوب، ولا كلام منطوق، ولا حتى أي ذكر لتحالفات وانحيازات بخلاف التحالف القائم. في هذه اللحظة، على سبيل المثال، عام 1984 (إذا كان حقًا عام 1984)، كانت أوشينيا في حرب مع أوراسيا ومتحالفة مع إيستاسيا. ولم يتم الإقرار يومًا في بيان عام أو خاص بأن القوى الثلاث قد تجمعت- في أي وقت- في تحالف مختلف عن ذلك. والواقع، كما يعرف وينستون، أن أوشينيا كانت في حرب مع إيستاسيا، وفي تحالف مع أوراسيا، قبل أربع سنوات. لكن ذلك لم يكن سوى جانب من المعرفة المختلسة التي تصادف أنها لديه، لأن ذاكرته لم تكن خاضعة للسيطرة بالقدر المنشود. رسميًا، فإن تغير الشركاء والحلفاء لم يحدث إطلاقًا. فأوشينيا كانت في حرب مع أوراسيا: ولهذا فإن أوشينيا كانت دومًا في حرب مع أوراسيا. والعدو في اللحظة الراهنة كان يمثل دائمًا الشر المطلق، وبالتالي فأي اتفاق معه في الماضي أو المستقبل كان مستحيلًا.

المخيف، كما خطر له ألف مرة، وهو يدفع بكتفيه متألمًا إلى الوراء (واليدان على الفخذين، كانوا يديرون أجسادهم من الخاصرة، وهو تمرين كان يُفترض أنه جيد لعضلات الظهر)- المخيف أن المسألة برمتها قد تكون حقيقية. فإذا كان بإمكان الحزب أن يمد يده للماضي، ويقول عن هذا الحدث أو ذاك إنه لم **يحدث مطلقًا**- ذلك، بالتأكيد كان مخيفًا أكثر من مجرد التعذيب أو الموت؟

قال الحزب إن أوشينيا لم تدخل في تحالف مطلقًا مع أوراسيا. وهو، وينستون سميث، كان يعرف أن أوشينيا كانت متحالفةً مع أوراسيا منذ ما لا يزيد عن أربع سنوات. لكن أين تكمن هذه المعرفة؟ في وجدانه وحده، الذي يجب- على أية حال- أن يُباد قريبًا. وإذا ما قبل الآخرون جميعًا الكذبة التي يفرضها الحزب- إذا ما قالت السجلات كلها الحكاية نفسها- إذن فسوف تمرق الكذبة إلى التاريخ وتصبح حقيقة. كان شعار الحزب "مَن يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل: مَن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي". لكن الماضي- برغم طبيعته القابلة للتغيير- لم يتغير قط. فأيًا ما كانت الحقيقة الآن في هذه اللحظة فهي حقيقية من الأبد إلى الأبد. فالمسألة بهذه البساطة. وكل المطلوب هو سلسلة بلا نهاية من الانتصارات على ذاكرتك. "السيطرة على الواقع"، أو كما يسمونها في لغة كلام-جديد: "تفكيرمزدوج".

"استرح!" نبحت المدربة، بلطف أكبر.

ألقى وينستون بذراعيه إلى جانبيه، وراح يعيد ملء رئتيه بالهواء في

بطء. انسحب عقله بعيدًا إلى متاهات عالم التفكيرالمزدوج. أن تعرف وألا تعرف في الوقت نفسه، أن تكون واعيًا بالحقيقة الكاملة فيما تنطق بعناية بأكاذيب مُحكمة، أن يكون لك رأيان في اللحظة نفسها يلغي أحدهما الآخر، مدركًا أنهما متناقضان ومؤمنًا بكل منهما، أن تستخدم المنطق ضد المنطق، أن تنكر الإخلاق فيما تدعو إليها، أن تؤمن بأن الديمقراطية مستحيلة وأن الحزب هو حارس الديمقراطية، أن تنسى ما الذي يلزم نسيانه، ثم تعيده إلى مجرى الذاكرة مرةً أخرى لحظة أن يصبح مطلوبًا، ثم أن تنساه فجأةً من جديد: وفضلًا عن كل شيء، أن تطبق نفس العملية على العملية نفسها. هذه هي البراعة المطلقة: أن تستخدم اللاوعي بوعي، ثم- من جديد- أن تصبح غير واعٍ بعملية التنويم المغناطيسي التي لجأت إليها للتو. حتى فهم كلمة "تفكيرمزدوج" كان يستلزم الاستعانة بالتفكيرالمزدوج.

نادت المدربة عليهم مرة أخرى "انتباه!". "والآن، دعونا لنرى مَن بإمكانه أن يلمس إصبع قدمه بيده"، قالت بحماس . "مِن فوق الفخذين، يا رفاق، من فضلكم. واحد، اثنان! واحد، اثنان!..."

كان وينستون يكره هذا التمرين، الذي يبعث بالألم من كعبيه إلى ردفيه، وينتهي عادةً بنوبة سعال أخرى. انطفأ شبه السرور الذي كان يسم تأملاته. الماضي، كما فكَّر، لم يتبدل فحسب، بل دُمر بالفعل. إذ كيف تُثبِّت حتى أكثر الحقائق وضوحًا مع غياب أي سجل خارج ذاكرتك الشخصية؟ حاول أن يتذكر العام الذي سمع فيه للمرة الأولى أي ذكر للأخ الكبير. خطر له أن ذلك لابد كان في وقتٍ ما في الستينيات، لكن من المستحيل التأكد.

في سجلات الحزب، بطبيعة الحال، كان الأخ الكبير يتجلى قائدًا وحاميًا للثورة منذ أيامها الأولى. وراحت مآثره تندفع إلى الوراء في الزمن إلى أن امتدت بالفعل إلى عوالم الأربعينيات والثلاثينيات الخرافية، عندما كان الرأسماليون بقبعاتهم الأسطوانية الغريبة ما يزالون يقطعون شوارع لندن في سيارات فارهة أنيقة أو عربات تجرها الخيول جوانبها من الزجاج. لم يكن من سبيل لمعرفة كم هي حقيقية هذه الأسطورة وكم هي مصطنعة. بل إن وينستون لم يستطع حتى تذكر متى بُعث الحزب نفسه إلى الوجود. لم يكن يعتقد أنه سمع كلمة "اشت-إنج" قبل عام 1960، لكن من الممكن أنها- بنطقها في الكلام-قديم- كانت "الاشتراكية الإنجليزية"، أي أن الكلمة كانت موجودة من قبل. كان كل شيء يذوب في الضباب. أحيانًا، كان بمقدورك حقًّا أن تضع يدك على كذبة بيّنة. فلم يكن حقيقيًّا- على سبيل المثال- كما تزعم كتب تاريخ الحزب، أن الحزب قد اخترع الطائرات. فقد كان يتذكر وجود الطائرات منذ طفولته المبكرة. لكن لم يكن بإمكانك إثبات أي شيء. فلم يكن هناك أي دليل مطلقًا. فمرة واحدة فقط على امتداد حياته أمسك بين يديه دليلًا موثقًا لا لبس فيه على تزييف حقيقة تاريخية. وفي تلك الواقعة...

"سميث!" صرخ الصوت الحاد من التيليسكرين. "رقم 6079 سميث و.! نعم، أنت! انحن أكثر من فضلك! بإمكانك القيام بما هو أفضل من هذا. أنت لا تحاول. أكثر انحناءً، من فضلك! هذا أفضل، يا رفيق. والآن استرح، الفرقة كلها، وشاهدوني".

تصبب عرق ساخن مفاجئ في كل أنحاء جسد وينستون. وظل وجهه خاويًا تمامًا من التعبير. لا يُظهر الحسرة أبدًا! ولا الاستياء! ورفة عين واحدة يمكن أن تودي بك. وقف يتفرج فيما المدربة ترفع ذراعيها فوق رأسها- ولا يمكنك أن تصف حركتها تلك بالجمال، بل بالبراعة والدقة- ثم تنحني وتضع أول مفاصل أصابعها تحت أصابع قدميها.

"هكذا، يا رفاق! تلك هي الطريقة التي أريد أن أراكم تقومون بها. شاهدوني مرةً أخرى. أنا في التاسعة والثلاثين، وعندي أربعة أطفال. الآن، انظروا" انحنت مرةً أخرى. "ترون ركبتيَّ غير مثنيتين. يمكنكم جميعًا أداء التمرين هكذا إذا أردتم"، أضافت وهي تعتدل. "وأي شخص تحت الخامسة والأربعين قادر تمامًا على ملامسة أصابع قدميه. لا يُتاح لنا جميعًا امتياز القتال على الجبهة، لكن على الأقل يمكننا الاحتفاظ باللياقة البدنية. فلتتذكروا أولادنا على جبهة مالابار! والبحَّارة في القلاع العائمة! فكروا فحسب فيما يتحملون. والآن حاولوا من جديد. هذا أفضل، يا رفيق، هذا أفضل بكثير"، أضافت العبارة الأخيرة في تشجيع حين نجح وينستون- بحركة عنيفة- في ملامسة أصابع قدميه دون ثني ركبتيه، للمرة الأولى منذ عدة أعوام.

# الفصل الرَّابع

بتنهيدة عميقة، لا واعية، لم يكن بمقدور قُرب التيليسكرين حتى أن تمنعه منها مع بدء يوم العمل، جذب وينستون إليه آلة كلام-كتابة، ونفض الغبار عن ميكروفونها، ووضع عويناته. ثم فضّ وشبك معًا أربع لفافات صغيرة من الورق كانت قد خرجت من الأنبوب الهوائي إلى يمين طاولته.

كانت في جدران ركنه بالعمل ثلاث فتحات. إلى يمين آلة كلام-كتابة أنبوب هوائي صغير تخرج منه الرسائل المكتوبة، وإلى اليسار أنبوب أكبر للصحف؛ وفي الجدار الجانبي، في متناول ذراع وينستون، فتحة مائلة كبيرة تحميها شبكة من السلك. والأخيرة للتخلص من الأوراق التالفة. وكانت هناك فتحات مماثلة بالآلاف أو عشرات الآلاف في شتى أنحاء المبنى، لا في كل حجرة فحسب، بل على مسافات متقاربة في كل ردهة أو ممر. لسببٍ ما كان الاسم الدارج لهذه الفتحات "حُفر الذاكرة". وعندما كان يعرف المرء بأن

وثيقة ما من المقرر إتلافها– أو حتى إذا ما رأى قصاصة ورق تالفة مرمية على الأرض– فقد كان من الأفعال التلقائية أن يرفع غطاء أقرب "حفرة ذاكرة" ويرميها فيها، حيث ستأخذها دوامة من الهواء الدافئ إلى أفران عملاقة مخبأة في مكان ما في تلافيف المبنى.

تفحص وينستون لفافات الورق الأربع التي فضها. كانت كل منها تحتوي على رسالة من سطر أو سطرين فحسب، باللغة المختزلة- ليست لغة كلام-جديد، بل تتألف معظمها من كلمات كلاجديد- وتستخدمها الوزارة لأغراضها الداخلية. وكانت على النحو التالي:

عدد 17.3.84 خطبة أ.ك. أُسيء نقلها أفريقيا عدِّل

عدد 19.12.83 تنبؤات 3 عام ربع 4 83 أخطاء مطبعية دققوا الإصدار الراهن

عدد 14.2.84 وزروفر خطأ نقل تصريح شيكولاتة عدِّل

عدد 3.12.83 تغطية خطبة أ.ك. يومية لاجيد++x2 إحالات لـ لاأشخاص أعدكتابة كاملًا قدم رؤساء قبل-حفظ

بشعور واهن من الرضا نحّى وينستون الرسالة الرابعة جانبًا. كانت عملية معقدة ومحملة بالمسؤولية، والأفضل أن يتركها للنهاية. أما الرسائل الثلاث الأخرى فكانت روتينية، وإن كانت الثانية قد تعني الكثير من العمل الممل على قوائم أرقام.

اتصل وينستون بـ"الأرقام الأخيرة" على التيليسكرين، وطلب أعداد "التايمز" المنشودة، التي انزلقت خارجةً إليه من الأنبوب الهوائي فقط بعد بضع دقائق. كانت الرسائل التي تلقاها تشير إلى مقالات أو مواد خبرية كانت- لسبب أو لآخر- تحتاج للتغيير، أو- كما قالت العبارة الرسمية- للتعديل. فعلى سبيل المثال، فقد بدا من عدد "التايمز" الصادر في السابع من مارس أن الأخ الكبير- في خطبته في اليوم السابق- قد تنبأ بأن جبهة جنوب الهند سوف تبقى هادئة، لكن سيتم شن هجوم أوراسي قريبًا في شمال أفريقيا. أما ما حدث، فإن القيادة العليا الأوراسية قد أطلقت هجومها في جنوب الهند وتركت شمال أفريقيا وشأنه. ولذا كان من الضروري إعادة كتابة فقرة من خطبة الأخ الكبير، بطريقة تجعله يتنبأ بالأمر الذي حدث فعلًا. أو- مثلًا- عدد التاسع من ديسمبر من "التايمز" الذي نشر التنبؤات الرسمية بإنتاج مختلف فئات السلع الاستهلاكية في الربع الأخير من عام 1983، الذي كان أيضًا الربع السادس من خطة الثلاث سنوات التاسعة. واحتوى عدد اليوم على تقرير بالإنتاج الفعلي، بدا منه أن التقديرات السابقة كانت خاطئة بشكل بيّن في كل التفاصيل. ومهمة وينستون هي تعديل الأرقام الأصلية بجعلها متسقة مع الأرقام الأخيرة. أما بالنسبة للرسالة الثالثة، فقد كانت تشير إلى خطأ بسيط للغاية يمكن تصحيحه في دقيقتين. فمنذ مدة قصيرة تعود إلى فبراير، أصدرت وزارة الوفرة وعدًا ("تعهدًا قاطعًا" بالتعبير الرسمي) بأنه لن يحدث تخفيض في حصة الشيكولاتة خلال عام 1984. والواقع أنه- على قدر علم وينستون- تم تخفيض حصة الشيكولاتة من ثلاثين جرامًا إلى عشرين بنهاية الأسبوع الحالي. وكل

المطلوب هو تبديل الوعد الرسمي بتحذير مفاده أن من المرجح أن يكون من الضروري تخفيض حصة الشيكولاتة في غضون شهر أبريل.

ما إن تعامل وينستون مع كل من الرسائل، حتى أرفق تصويباته التي أعدها بواسطة آلة كلام-كتابة بنسخ أعداد "التايمز" المناسبة، ثم ألقاها في الأنبوب الهوائي. ثم، بحركة تكاد تكون غير واعية، جعد الرسالة الأصلية وأية ملحوظات كتبها، وألقاها في حفرة الذاكرة لتلتهمها ألسنة اللهب.

أما ما كان يحدث في المتاهة غير المرئية التي تنتهي إليها الأنابيب الهوائية، فلم يكن يعرفه تفصيلًا، لكنه كان يعرفه بشكل عام. فما إن يتم تجميع ومقارنة كل التصويبات التي يتصادف أن تكون ضرورية في أي عدد خاص من "التايمز"، حتى تعاد طباعة هذا العدد، وإتلاف النسخة الأصلية، ويتم وضع النسخة المصححة محلها في السجلات. وعملية التبديل المستمر هذه لا تسري فحسب على الصحف، بل أيضًا على الكتب، والدوريات، والمنشورات، والملصقات، والكتيبات، والأفلام، والتسجيلات الصوتية، وأفلام الكارتون، والصور الفوتوغرافية- على كل شكل من أشكال الأدب أو التوثيق التي قد تحمل أية دلالة سياسية أو أيديولوجية. ويومًا بعد يوم، بل دقيقة بعد دقيقة، يتم تحديث الماضي. وبهذه الطريقة، فإن أي تقدير أو تنبؤ يخرج به الحزب يمكن أن تكون ثمة أدلة موثقة على أنه كان صحيحًا، ولا يُسمح بأن يبقى أي شيء في السجلات من الأخبار، أو أي تعبير عن الرأي، مما قد يتعارض مع احتياجات اللحظة. فالتاريخ كله سبورة تُمسح تمامًا ويُدوَّن عليها ما هو مطلوب في اللحظة بالضبط. ولا يمكن

بأية حال من الأحوال، ما إن تم الانتهاء من الأمر، إثبات وقوع أي تزييف. وأكبر جزء في إدارة السجلات، وهو أكبر بكثير من الجزء الذي يعمل به وينستون، يتألف ببساطة من أشخاص مهمتهم تعقب وتجميع كل نسخ الكتب، والصحف، والوثائق الأخرى الخارجة على السياق مما يستوجب التدمير. فمثلًا، أعداد جريدة "التايمز" التي- بفعل تغيرات في التحالفات السياسية، أو تقديرات خاطئة نطق بها الأخ الكبير- أعيدت كتابتها عشرات المرات، ما تزال موجودة في السجلات هنا حاملةً تاريخها الأصلي، مع غياب أية نسخة تناقضها. والكتب بدورها كان يتم استعادتها وإعادة كتابتها مرارًا وتكرارًا، وتصدر المرة تلو المرة دون أي إقرار بإجراء أي تبديلات فيها. حتى التعليمات المكتوبة التي كان يتلقاها وينستون، والتي كان يتخلص منها ما إن ينفذها، لم تكن لتُذكر أبدًا أو تشير إلى ارتكاب أي عمل تزييف: دائمًا ما كانت الإشارة إلى هفوات، وأخطاء صغيرة، وأخطاء طباعية، أو أخطاء في نقل التصريحات، وكان من الضروري تصويبها تحريًا للدقة.

لكن في الواقع- كما خطر له وهو يعيد ضبط أرقام وزارة الوفرة- لم يكن ذلك حتى بالتزوير. إنه مجرد إحلال لقطعة من الهراء بأخرى. فأغلب المادة التي يتعامل معها لم تكن لها أية علاقة بالمرة بالعالم الحقيقي، ولا حتى علاقة من النوع الذي تجده في الكذب المباشر. فالإحصاءات كانت مجرد خيال، سواء في نسختها الأصلية أو المعدلة. وكان من المتوقع- في أغلب الأحيان- أن تختلقها بنفسك. فعلى سبيل المثال، فقد قدرت توقعات وزارة

الوفرة أن إنتاج الأحذية لربع العام هو 145 مليون حذاء. وكان العدد الفعلي هو 62 مليونًا. لكن وينستون، وهو يعيد كتابة التوقعات، خفَّض الرقم إلى 57 مليونًا، ليسمح بالزعم المألوف بأن الإنتاج الفعلي قد فاق التوقع. وعلى أية حال، فإن 62 مليونًا لم يكن أقرب إلى الحقيقة من الـ 57 مليونًا، ناهيك عن الـ 145 مليونًا. والأرجح أنه لم يتم إنتاج أية أحذية بالمرة. والأرجح أيضًا ألا أحد قد عرف حجم الإنتاج الحقيقي، أو اهتم به. كل ما يعرفه المرء هو أن كل ربع عام كانت أرقام فلكية من الأحذية تُنتَج على الورق، فيما كان نحو نصف شعب أوشينيا حفاة. وهذه هي الحال بالنسبة لكل فئة من الحقائق المسجلة، صغيرة أو كبيرة. فكل شيء كان يذوي بعيدًا إلى عالم من الظل، وفيه تصبح حتى معرفة تاريخ العام غير يقينية.

نظر وينستون عبر القاعة. في الركن المقابل له، على الجانب البعيد، كان ثمة رجل ضئيل، دقيق الهيئة، داكن الذقن، اسمه تيلوتسون، يعمل في دأب، ومعه صحيفة مطوية على ركبته، وفمه قريب للغاية من ميكروفون كلام-كتابة. كان يبدو عليه كأنه يحاول المحافظة على سرية ما يقول فيما بينه وبين التيليسكرين. رفع عينيه، ورشقت عويناته ومضة معادية في اتجاه وينستون.

كان وينستون يعرف بالكاد تيلوتسون، ولا يعرف بالمرة ما هو عمله. فالناس في إدارة السجلات لا يتحدثون طواعية عن عملهم. وفي القاعة الطويلة، بلا نوافذ، بصف الأركان المزدوج وخشخشة الأوراق التي لا تنتهي، والغمغمة الأبدية في جهاز كلام-كتابة، كان هناك نحو عشرة

أشخاص لا يعرفهم وينستون حتى بالاسم، وإن كان يراهم يوميًّا وهم يروحون ويغدون في الردهات أو يصدرون إشارات أثناء "دقيقتي الكراهية". كان يعرف أن في الركن المجاور له توجد السيدة الضئيلة ذات الشعر الرملي، منكبة كل يوم على مهمة واحدة، هي ببساطة أن تتعقب وتمسح من الصحف أسماء الأشخاص الذين تم تبخيرهم، ومن ثم فيُعتبر أنهم لم يوجدوا في الحياة ذات يوم. وهناك نوع من الملاءمة في ذلك، بما أن زوجها نفسه قد تبخر قبل عامين. وعلى مسافة بضعة أركان، كان ثمة كائن مائع، عنين، حالم المظهر، اسمه أمبلفورث، له أذنان مشعرتان للغاية، وموهبة مدهشة في التلاعب بالوزن والقافية، وهو يعمل على إنتاج نسخ مُحرفة– نصوص نهائية، كما كانت تُسمَّى– من قصائد الشعر التي أصبحت معارضةً أيديولوجيًّا، والتي- لسبب أو لآخر- كان لابد أن تظل موجودة في كتب المختارات. وهذه القاعة، بموظفيها الخمسين أو نحو ذلك، لم تكن سوى قسم فرعي واحد، مجرد خلية، في إدارة السجلات شديد التعقيد. وفي الوراء، وفي الأعلى، وفي الأسفل، كان ثمة أعداد هائلة من العاملين المنهمكين في كَم من الوظائف لا يتخيله بشر. كانت هناك المطابع العملاقة بمحرريها المساعدين، وخبراء الطباعة، واستديوهاتهم المعقدة المجهزة لتزييف الصور الفوتوغرافية. وهناك قسم برامج التلفزيون بمهندسيه، ومنتجيه، وفرق الممثلين المختارين خصيصًا لمهارتهم في تقليد الأصوات. وهناك جيوش من محرري المراجع الذين تكمن وظيفتهم ببساطة في إعداد قوائم الكتب والدوريات المقرر مراجعتها. وهناك المستودعات الهائلة التي تُخزن فيها الوثائق المُصححة، والأفران المخبوءة التي تُدمر فيها النسخ الأصلية. وفي مكانٍ ما، هنا أو هناك،

لا يعرفه أحد، كانت العقول المدبرة التي تنسق هذا العمل كاملًا، وترسم خطوط السياسة التي تحدد القطعة التي ينبغي الاحتفاظ بها من الماضي، والقطعة التي يتم تزويرها، والأخرى التي تُمحى من الوجود.

وإدارة السجلات نفسها- على أية حال- ليست سوى فرع واحد من فروع وزارة الحقيقة، ومهمتها الأساسية لم تكن إعادة بناء الماضي، بل إمداد مواطني أوشينيا بالصحف، والأفلام، وكتب النصوص، وبرامج التيليسكرين، والمسرحيات، والروايات- بكل نوع تتخيله من المعلومات، والتعليمات، والترفيه، من التمثال إلى الشعار، من القصيدة الغنائية إلى البحث البيولوجي، من كتب تهجئة الأطفال إلى قاموس الكلام-جديد. ولم يكن على الوزارة أن توفر فحسب احتياجات الحزب المتنوعة، بل أيضًا أن تكرر العملية كلها على مستوى أدنى، لصالح البروليتاريا. فهناك سلسلة كاملة من الإدارات المنفصلة التي تتعامل مع أدب البروليتاريا، وموسيقاهم، ومسرحهم، وترفيههم بشكل عام. وفيها يتم إنتاج صحف تافهة لا تحتوي سوى على الرياضة، والجريمة والتنجيم، وروايات الجيب الجنسية القصيرة، التي تُباع بخمسة سنتات، والأفلام التي ينز منها الجنس، والأغاني العاطفية المؤلفة بالكامل بوسائل ميكانيكية على نوع خاص من الكاليدوسكوب المعروف باسم "ناظم الشعر". بل هناك قسم فرعي كامل- اسمه "بورنوسيك" في لغة كلام-جديد- مخصص لإنتاج أردأ أنواع المواد الجنسية، التي يتم إرسالها في عبوات مغلفة للخارج، ولا يُسمح لأيٍّ من أعضاء الحزب- ولا حتى من صنعوها- بمشاهدتها.

انزلقت ثلاث رسائل خارجةً من الأنبوب الهوائي خلال عمل وينستون، لكنها كانت أمورًا بسيطة، وقد انتهى منها قبل أن تقاطعه "دقيقتا الكراهية". وعندما انتهت الكراهية عاد إلى ركنه، وأمسك بقاموس كلام-جديد من الرف، ونحّى جانبًا أداة كلام-كتابة، ونظف عويناته، وشرع في مهمته الأساسية لهذا الصباح.

أكبر متع وينستون في الحياة هي عمله. أغلبه روتين ممل، لكنه يتضمن أيضًا بعض المهام الصعبة والمعقدة التي يمكن للمرء أن يفقد نفسه فيها، مثلما في أعماق مشكلة حسابية- مثل قطع تزوير مرهفة لا يوجهك فيها سوى معرفتك بمبادئ اشت-إنج، وتقديرك لما يريدك الحزب أن تقوله. وكان وينستون بارعًا في هذا النوع من المهام. وفي بعض الأحيان كان يُعهد إليه حتى بتعديل افتتاحيات "التايمز"، التي تُكتب بكاملها بالكلام-جديد. فض الرسالة التي نحاها جانبًا في وقت سابق. كانت تقول:

عدد 3.12.83 تغطية خطبة أ.ك. رديئةرداءةمضاعفة لاإشارةإلى أشخاص أعدكتابة صحيحة قدم رؤساء قبلَحِفظ

هذه التعليمات بـ كلام-قديم (أو الإنجليزية العادية) قد تُكتب هكذا:

تغطية خطبة الأخ الكبير اليومية في التايمز عدد الثالث من ديسمبر 1983 غير مرضية لأقصى درجة وتشير إلى أشخاص لا وجود لهم. أعد كتابة الخبر بالكامل وقدم مسودتك لسلطة أعلى قبل حفظها.

قرأ وينستون المقال الرديء. يبدو أن خطبة الأخ الكبير اليومية كانت

مكرسة بالأساس لامتداح عمل منظمة معروفة باسم "إف إف سي سي"، كانت توفر السجائر وسبل ترفيه أخرى للبحارة في القلاع العائمة. وهناك رفيق يُدعى ويزرس، وهو عضو بارز في نخبة الحزب، قد تم مدحه بالاسم ونال تكريمًا، هو وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية.

بعد ثلاثة شهور، تم فجأةً حل "إف إف سي سي"، دون إبداء أسباب. قد يفترض المرء أن ويزرس ورفاقه يعانون الآن من الخزي، لكن لم تتم تغطية الأمر في الصحافة أو في التيليسكرين. وهو أمر متوقع، إذ من غير المألوف إحالة الجناة السياسيين للمحاكمة أو حتى التنديد بهم علنًا. فحملات التطهير التي تتعلق بآلاف الأشخاص، مع محاكمات علنية للخونة ومجرمي الأفكار الذين يدلون باعترافات دنيئة عن جرائمهم، ويتم إعدامهم بعدها، كانت فقرات للعرض لا تتكرر أكثر من مرة كل عامين. والأكثر شيوعًا هو ببساطة اختفاء الأشخاص الذين يجلبون على أنفسهم استياء الحزب، ولا يُسمع عنهم بعد ذلك. ولا يملك المرء أدنى سبيل لمعرفة ما حدث لهم. وفي بعض الحالات، ربما لا يموتون حتى. فهناك نحو ثلاثين شخصًا يعرفهم وينستون شخصيًا، دون احتساب أبويه، قد اختفوا بين حين وآخر.

دعك وينستون أنفه برقةٍ بمشبك ورق. في الركن المقابل، كان الرفيق تيلوتسون ما يزال منكفئًا على آلة كلام-كتابة بهيئة مَن يحافظ على سر. رفع رأسه للحظة: ومرة أخرى، ومضة العوينات العدوانية. تساءل وينستون ما إذا كان الرفيق تيلوتسون مشغولًا بنفس المهمة التي يعمل هو عليها. كان هذا ممكنًا للغاية. فلا يُعهد بمهمة صعبة كهذه لشخص واحد: ومن الناحية

الأخرى، فإن إحالتها إلى لجنة سيكون اعترافًا علنيًّا بوقوع فعل التزوير. والأرجح أن هناك الكثيرين بما يصل إلى عشرة أشخاص كانوا يعملون الآن على نسخ متناقضة مما قاله حقًّا الأخ الكبير. وفي الوقت الحالي فهناك عقل مدبر في الحزب الداخلي سيختار هذه النسخة أو تلك، وسوف يعيد تحريرها ويبدأ في تحريك عمليات معقدة من تعديل الإحالات اللازمة، ثم تمر الكذبة المختارة إلى السجلات الدائمة، وتصبح هي الحقيقة.

لم يعرف وينستون لماذا لحق الخزي بويزرس. ربما بسبب الفساد أو عدم الكفاءة. وربما كان الأخ الكبير يتخلص ببساطة من مرؤوس يتمتع بالشعبية الكبيرة. وربما كانت هناك شكوك في أن ويزرس- أو شخصًا مقربًا منه- ذو ميول انشقاقية. أو ربما- وهو أرجح احتمال- أن ذلك قد حدث ببساطة لأن حملات التطهير والتبخير هي جزء لا غنى عنه من آليات العمل الحكومي. فالمفتاح الحقيقي الوحيد يكمن في كلمات " لاإشارةإلى أشخاص"، التي أشارت إلى أن ويزرس قد مات بالفعل. ولا يمكن افتراض أن ذلك هو حال مَن يُعتقل. فأحيانًا ما يُفرَج عن المرء، ويبقى حرًّا لعام أو عامين قبل إعدامه. وفي أحيان كثيرة، فإن هناك أشخاصًا تعتقد أنهم قد ماتوا منذ زمن بعيد، فإذا بهم يظهرون من جديد كالطيف في محاكمة علنية كشهود يورطون بشهاداتهم مئات الأشخاص، قبل أن يختفوا، وهذه المرة للأبد. لكن ويزرس أصبح بالفعل "**لاشخص**". لم يعد له وجود: لم يكن له وجود أبدًا. قرر وينستون أنه لا يكفي تغيير نغمة خطبة الأخ الكبير. فقد كان من الأفضل أن تتناول الخطبة شيئًا لا علاقة له بالمرة بموضوعها الأصلي.

يمكنه أن يقلب الخطبة إلى التنديد المعتاد بالخونة ومجرمي الأفكار، لكن ذلك سيكون واضحًا هكذا. كما أن اختلاق نصر على الجبهة، أو انتصار متعلق بزيادة الإنتاج في خطّة السنوات الثلاث التاسعة، قد يعقد من السجلات كثيرًا. ما كان مطلوبًا هو قطعة من الخيال الخالص. فجأةً انبثقت في عقله، جاهزة التكوين، صورة لرفيق يُدعى أوجيلفي، مات مؤخرًا في المعركة، في ظروف بطولية. وكان الأخ الكبير أحيانًا ما يكرس خطبة اليوم لتكريم عضو متواضع، لا ذِكر له، في الحزب، ممن حياته ومماته مثال ونموذج يُحتذى. واليوم عليه تكريم الرفيق أوجيلفي. الحق أنه لم يكن هناك شخص اسمه الرفيق أوجيلفي، لكن بعض السطور المكتوبة وصورتين مزيفتين تستحضره إلى الوجود.

فكَّر وينستون للحظة، ثم شد جهاز كلام-كتابة نحوه، وبدأ يملي بأسلوب الأخ الكبير المعهود: هو أسلوب عسكري وتعليمي في الوقت نفسه، بسبب حيلة طرح أسئلة ثم تقديم الإجابة عليها على الفور، على شاكلة ("ما الدروس التي نستفيدها من هذه الحقيقة، يا رفاق؟ الدروس- وهي بدورها من المبادئ الأساسية للـ اشت-إنج – هي كذا وكذا...).

في سن الثالثة رفض الرفيق أوجيلفي جميع اللعب إلا طبلة وبندقية آلية ونموذج لطائرة مروحية. وفي السادسة – قبل عام من السن المقررة، وبفعل مرونة خاصة للقواعد– انضم إلى صفوف المخبرين، وفي سن التاسعة أصبح قائدًا لوحدة من القوات. في الحادية عشرة، أبلغ شرطة الأفكار عن خاله بعد تنصته على محادثة استشف منها أن عنده ميولًا إجرامية. في السابعة عشرة،

أصبح مشرفًا إقليميًّا لرابطة شبان معاداة الجنس. في التاسعة عشرة، صمم قنبلة يدوية أقرتها وزارة السلام، وقتلت- في تجربتها الأولى- 31 سجينًا أوراسيًّا في انفجار واحد. في الثالثة والعشرين، قضى نحبه أثناء القتال. فإذ طاردته طائرات العدو النفاثة وهو يحلِّق فوق المحيط الهندي وبحوزته وثائق مهمة، أثقل جسده بالبندقية الآلية، ورمى نفسه من المروحية إلى المياه العميقة، بما معه من وثائق وكل شيء- وهي نهاية، على حد قول الأخ الكبير، يستحيل تأملها بدون الشعور بالغيرة. وأضاف الأخ الكبير عدة تعليقات عن نقاء وإخلاص حياة الرفيق أوجيلفي. كان ممتنعًا تمامًا عن الجنس، ولا يدخن، ولم يكن يقبل على أية سبل ترفيه سوى ساعة الرياضة البدنية اليومية، وقد نذر نفسه للعفة، معتقدًا أن الزواج ورعاية الأسرة أمر يتعارض مع الإخلاص أربعًا وعشرين ساعة في اليوم للواجب. ولم يكن يتكلم في شيء سوى مبادئ الاشت-إنج، ولا هدف له في الحياة سوى هزيمة العدو الأوراسي، واصطياد الجواسيس، والمخربين، ومجرمي الأفكار، والخونة بشكل عام.

راح وينستون يجادل نفسه ، هل يمنح الرفيق أوجيلفي وسام الاستحقاق: في نهاية المطاف، قرر ألا يفعل ذلك، لأن هذا سيفرض ما ليس ضروريًّا من تعديل السجلات.

مرةً أخرى رفع عينيه إلى خصمه في الركن المقابل. كان ثمة ما يخبره عن يقين بأن تيلوتسون مشغول بنفس المهمة التي يعكف عليها. وما من سبيل لمعرفة مَن الذي سيتم تبني عمله في النهاية، لكنه أحس بقناعة عميقة بأنه

سيكون عمله. فالرفيق أوجيلفي، الذي لم يكن له وجود قبل ساعة، أصبح الآن حقيقة واقعة. وأدهشه أن بإمكانه إعادة بعث الحياة في رجال موتى، لا في رجال أحياء. فالرفيق أوجيلفي- الذي لم يكن له وجود على الإطلاق في الزمن الحاضر- أصبح له وجود في الماضي، وما إن يتم نسيان عملية التزوير، حتى يوجد بشكل أصيل، وبنفس معطيات وجود شارلمان أو يوليوس قيصر.

## الفصـل الخَـامس

في المقصف منخفض السقف، عميقًا تحت الأرض، كان طابور الغداء يتقدم ببطء إلى الأمام. كانت الحجرة ممتلئة الآن، وصخبها يصم الآذان. ومن عند قضبان طاولة توزيع الطعام، كان تنبعث أبخرة الطبيخ، ومعها رائحة معدنية خبيثة لم تتغلب بشكل كامل على أبخرة جين النصر. وإلى الجانب البعيد من الحجرة كان ثمة بار صغير، مجرد تجويف في الحائط، حيث يمكن شراء الجين، الكأس الكبيرة بعشرة سنتات.

"هو تمامًا الرجل الذي كنت أبحث عنه"، قال صوت من وراء وينستون.

استدار. كان صديقه سايم، الذي كان يعمل في إدارة البحوث. ربما كلمة "صديق" لم تكن الكلمة الدقيقة تمامًا. فلم يعد للمرء أصدقاء هذه الأيام، بل رفاق: لكن بعض الرفاق صحبتهم أعذب من غيرهم. كان سايم باحث لغة، أخصائيًا في الكلام-جديد. الحق أنه خبير من بين فريق ضخم من

الخبراء العاكفين الآن على إعداد الطبعة الحادية عشرة من قاموس كلام-جديد. كان كائنًا ضئيلًا، أصغر من وينستون، شعره داكن، وعيناه كبيرتان جاحظتان، تحملان الحزن والسخرية معًا، كأنهما تفتشان وجهك عن كثب وهو يحادثك.

قال: "أردت سؤالك، إن كانت لديك أية شفرات حلاقة".

قال وينستون في تسرع مشوب بالإحساس بالذنب: "ولا واحدة! لقد فتشت في في كل الأماكن. لم يعد لها وجود".

كان الجميع يسألون عن شفرات الحلاقة. والحق أن لديه شفرتين غير مستخدمتين، يحتفظ بهما ليوم حاجة. كانت هناك مجاعة شفرات حلاقة منذ شهور. وفي أية لحظة كانت هناك سلعة ما ضرورية تعجز متاجر الحزب عن توفيرها. أحيانًا ما تكون الأزرار، وأحيانًا الشياب الصوفية، وأحيانًا أربطة الأحذية؛ وهي الآن شفرات الحلاقة. ولا يمكنك الحصول عليها، إن وجدتها، إلا بعد البحث عنها- بصورة سرية إلى هذا الحد أو ذاك- في السوق "الحرة".

أضاف كاذبًا: "أنا أستخدم الشفرة نفسها لمدة ستة أسابيع".

تقدم الطابور خطوةً أخرى إلى الأمام. وحين توقفوا استدار وواجه سايم مرةً أخرى. أخذ كل منهما صينية معدنية ملطخة بالدهن من كومة في نهاية الطاولة.

قال سايم: "هل ذهبت للفرجة على السجناء الذين شُنقوا بالأمس؟"

قال وينستون بلامبالاة: "كنت أعمل. ربما أذهب وأتفرج عليهم على الشاشة".

قال سايم: "بديل غير مناسب بالمرة".

هامت عيناه الساخرتان فوق وجه وينستون. كأن العينين تقولان: "أعرفك. أرى ما بداخلك. أعرف تمام المعرفة لماذا لم تذهب للفرجة على شنق السجناء". فكريًا، كان سايم ملتزمًا للغاية بمبادئ الحزب. كان يتحدث برضاء خبيث كريه عن غارات المروحيات على قرى العدو، والمحاكمات والاعترافات الخاصة بمجرمي التفكير، وعمليات الإعدام في أقبية وزارة الحب. أما إن أراد المرء الحديث فيصبح الأمر بالأساس أمر إبعاده عن هذه الموضوعات، وإغراقه- إن أمكن- في تقنيات الكلام-جديد، وهو الموضوع الذي كان خبيرًا ومهتما به. أشاح وينستون بوجهه قليلًا ليتفادى تمحيص العينين الكبيرتين الداكنتين.

قال سايم بنبرة مَن يتلذذ باجترار الذكريات: "كان شنقًا جيدًا. أظن أن الأمر يفسد عندما يربطون أقدامهم معًا. أحب رؤيتهم وهم يركلون الهواء. والأهم، في النهاية، عندما يتدلى اللسان، مزرقًّا- بلون أزرق براق. تلك هي التفصيلة التي تجتذبني".

"التالي، رجاءً!" صاح العامل ذو المريلة البيضاء، حاملًا المغرفة.

دفع كل من وينستون وسايم صينيته من تحت القضبان. امتلأت صينية كل منهما فورًا بالغداء النظامي: قصعة معدنية بها طعام مسلوق قرمزي

رمادي، وقطعة خبز، وكتلة من الجبن، وكوب من قهوة النصر بدون حليب، وعبوة سكر اصطناعي.

قال سايم: "هناك مائدة هناك، تحت التيليسكرين. فلنأخذ كأس چين في طريقنا".

كان الچين يُقدم لهم في قدح صيني بلا أذن. شقا طريقهما عبر الحجرة المزدحمة، وأنزلا حِمل الصينية على المائدة ذات الغطاء المعدني، وفي أحد أركانها ترك أحدهم بقعة من الطبيخ، كتلة سائلة قذرة لها مظهر القيء. رفع وينستون قدح الچين، وتوقف لوهلة ليستجمع رباطة جأشه، ثم ابتلع السائل ذا المذاق الزيتي. وعندما زم عينيه ليطرد الدموع منها اكتشف فجأةً أنه جائع. بدأ في التهام ملاعق متلاحقة من الطبيخ، وكانت فيه، وسط لزوجته العامة، مكعبات من مادة وردية إسفنجية، ربما كانت أحد مستحضرات اللحم. لم يتكلم أي منهما مرةً أخرى إلى أن أفرغا قصعتيهما. ومن المائدة إلى يسار وينستون، خلف ظهره بقليل، كان أحدهم يتحدث بسرعة وبشكل متصل، ثرثرة فظة مثل قوقأة بطة، كانت تخترق هدير الحجرة العام.

قال وينستون، وهو يرفع صوته ليتغلب على هذا الصخب: "كيف حال القاموس؟"

قال سايم: "نتقدم فيه ببطء. أنا مسؤول عن الصفات. موضوع مدهش".

أشرق فورًا عند ذكر الكلام-جديد. دفع صينيته جانبًا، وأخذ منها قطعة

الخبز بيدٍ رقيقة، وقطعة الجبن في يده الأخرى، ومال عبر المائدة ليتمكن من الكلام دون صياح.

قال: "الطبعة الحادية عشرة هي الطبعة النهائية. إننا نضع اللغة في قالبها النهائي- القالب الذي ستكون عليه اللغة عندما يكف الجميع عن الكلام بأية لغة أخرى. عندما ننتهي منها، سيكون على أمثالك أن يتعلموها كلها من جديد. أنت تظن، إن سمحت لي، أن مهمتنا الأساسية هي اختراع كلمات جديدة. لكن هذا ليس صحيحًا على الإطلاق! إننا ندمر الكلمات- الكثير منها، المئات، كل يوم. إننا نختزل اللغة حتى العظم. ولن تتضمن الطبعة الحادية عشرة كلمة واحدة قد يبطل استخدامها قبل عام 2050".

قضم خبزه في جوع، وابتلع لقيمات، ثم استكمل حديثه، بنوع من حماسة المعلِّم. أصبح وجهه الداكن الناحل مفعمًا بالحيوية، وفقدت عيناه تعبيرهما الساخر وأصبحتا حالمتين تقريبًا.

أضاف كما لو بعد تفكير: "إنه شيء رائع، تدمير الكلمات. بالطبع يكمن الإهدار الكبير في الأفعال والصفات، لكن هناك المئات من الأسماء التي يمكن التخلص منها بدورها. ليست المترادفات فقط، بل أيضًا الأضداد. ففي النهاية، فما هو تبرير وجود كلمة مضادة ببساطة لكلمة أخرى؟ فالكلمة تحمل ضدها في ذاتها. فلنأخذ كلمة "جيد"، على سبيل المثال. فإذا ما كانت لدينا كلمة "جيد"، فما فائدة كلمة "سيئ"؟ فكلمة "لاجيِّد" تكفي- بل هي أفضل، لأنها تضاد تام ودقيق، في حين أن الكلمة الأخرى ليست كذلك. أو مثال آخر، فإذا ما كنت تريد صيغة أقوى من "جيد"، فما الفائدة من وجود

سلسلة كاملة من كلمات مشوشة بلا جدوى مثل "ممتاز" و"رائع"، وباقي تلك الكلمات؟ فكلمة "جيدجدًا" تغطي المعنى، أو "جيدجدًّاجدًّا" إذا ما أردت صيغة أقوى. وبالطبع فنحن نستخدم هذه القوالب حاليًا. لكن في النسخة النهائية من الكلام-جديد لن يكون هناك سواها. وفي النهاية، فإن المفهوم الكلي للجودة والرداءة ستغطيه ست كلمات فقط- وفي الواقع، فهي كلمة واحدة. ألا ترى الجمال في ذلك، يا وينستون؟ لقد كانت فكرة أ.ك. في الأصل، بالطبع".

بدت على وجه وينستون لمحة من الحماس المفتعل عند ذكر الأخ الكبير. غير أن سايم سرعان ما لاحظ نقصًا ما في الحماس.

قال بنبرة تقترب من الحزن: "أنت تفتقر إلى التقدير الحقيقي للكلام-جديد، يا وينستون. فحتى عندما تكتبها تفكر- أثناء الكتابة- في كلام-قديم. لقد قرأت بعض الموضوعات التي كتبتها في "التايمز"، بين حين وآخر. إنها جيدة بما يكفي، لكنها ترجمات. ففي أعماقك تفضل الالتزام بالكلام-قديم، بكل ما فيه من غموض وبظلال معانيه العقيمة. فأنت لا تدرك جمال تدمير الكلمات. هل تعرف أن كلام-جديد هي اللغة الوحيدة في العالم التي تتقلص مفرداتها كل عام؟"

لم يكن وينستون يعرف ذلك، بالطبع. ابتسم، في تعاطف كما كان يأمل، دون أن يثق بقدرته على الكلام. قضم سايم قطعة أخرى من الخبز الداكن، وراح يلوكها قليلًا، ثم استرسل:

"ألا ترى أن الغاية من الكلام-جديد هي تضييق نطاق التفكير؟ وفي النهاية، سنجعل جريمةتفكير مستحيلة بالمعنى الحرفي للكلمة، لأنه لن تكون هناك كلمات للتعبير عنها. فكل مفهوم يمكن أن تكون هناك حاجة إليه سيتم التعبير عنه بكلمة واحدة لا أكثر، مع تحديد معناها بصرامة وطمس كل معانيها الثانوية ونسيانها. وبالفعل، ففي الطبعة الحادية عشرة، لسنا ببعيدين عن هذه النقطة. لكن العملية ستستمر طويلًا بعد أن تموت وبعد أن أموت. فكل عام كلمات أقل وأقل، فيضيق نطاق الوعي دائمًا أكثر. حتى الآن، بالطبع، ليس ثمة سبب أو عذر لارتكاب جرائم-تفكير. إنها مسألة انضباط ذاتي لا أكثر، سيطرة على الواقع. لكن- في النهاية- لن تبقى ثمة حاجة حتى إلى ذلك. ستكون الثورة كاملة عندما تصبح اللغة تامة الكمال. فكلام-جديد هي اشت-إنج واشت-إنج هي كلام-جديد". أضاف العبارة الأخيرة في رضاء غامض. "هل خطر لك يومًا، يا وينستون، أنه بحلول العام 2050، على الأكثر، لن يكون هناك على وجه البسيطة إنسان واحد قادر على فهم محادثة مثل التي نخوضها الآن؟"

"باستثناء..." بدأ وينستون في تشكك، ثم توقف.

كان على طرف لسانه "باستثناء البرولز"، لكنه سيطر على نفسه، إذ لم يشعر بيقين تام أن ملحوظته منضبطة مع مبادئ الحزب تمامًا. غير أن سايم خمن بما كان على وشك أن يقوله.

قال في عدم اكتراث: "ليس البرولز بشرًا. فبحلول عام 2050، أو قبلها على الأرجح، سوف تختفي كل معارف الكلام-قديم تمامًا. سيكون أدب

الماضي أجمع قد دُمر. تشوسر، شكسبير، ميلتون، بايرون- لن يصبح لهم وجود سوى في طبعات كلام-جديد، ولن يتغيروا إلى شيء مختلف، بل سيتحولون بالفعل إلى شيء يناقض ما كانوه. حتى أدبيات الحزب ستتغير. حتى الشعارات ستتغير. فكيف يكون عندك شعار مثل "الحرية استعباد" في حين تم القضاء تمامًا على مفهوم الحرية؟ سيكون مناخ الفكر مختلفًا برمته. في الواقع لن يكون هناك فكر، كما نفهمه الآن. فالالتزام بمبادئ الحزب يعني عدم التفكير- فلا حاجة بنا للتفكير. الالتزام بمبادئ الحزب هو اللاوعي".

في أحد تلك الأيام، خطر لوينستون فجأة باقتناع عميق، أن سايم سيتم تبخيره. فهو ذكي للغاية. يرى بوضوح تام ويتكلم بجلاء تام. ولا يحب الحزب أمثاله. فذات يوم سيختفي. هذا مكتوب على وجهه.

انتهى وينستون من خبزه وجبنه. دار في مقعده بعض الشيء ليحتسي قهوته. إلى المائدة على يساره، كان الرجل ذو الصوت المرتفع ما يزال يتكلم بلا هوادة. وهناك شابة ربما كانت سكرتيرته، وتجلس بظهرها لوينستون، تستمع إليه ويبدو أنها توافقه في حماسة على كل ما يقوله. ومن حين لآخر، كان وينستون يلتقط تعليقًا من قبيل: "أعتقد أنك محق تمامًا. أتفق معك تمامًا"، تنطقها الشابة بصوت أنثوي فيه الكثير من السخافة. لكن الصوت الآخر لم يتوقف للحظة، ولا حتى أثناء كلام الفتاة. كان وينستون يعرف الرجل من شكله، وإن كان لا يعرف عنه أكثر من كونه صاحب منصب مهم ما في إدارة الكتابة الإبداعية. كان رجلًا في نحو الثلاثين، بحنجرة رجولية، وفم كبير

متحرك. كانت رأسه مسحوبة إلى الخلف قليلًا، وبسبب زاوية جلوسه، كانت عويناته تلتقطان الضوء وتبدوان لوينستون كقرصين خاويين بدلًا من العينين. والمرعب إلى حدٍّ ما، أن من تيار الصوت المتدفق من فمه كان من المستحيل تقريبًا تمييز كلمة واحدة. ذات مرة فقط التقط وينستون جملة- "القضاء تمامًا ونهائيًا على الجولدشتاينية"- تخرج من فمه سريعًا، ودفعة واحدة. أما الباقي فلم يكن سوى ضوضاء، قوقأة-قوقأة-مقوقئة. ومع ذلك، فبالرغم من عدم قدرة المرء على سماع ما يقوله الرجل، فلم يكن هناك أي شك في طبيعته العامة. فلعله يندد بجولدشتاين، ويطالب بإجراءات أكثر صرامة ضد مجرمي التفكير والمخربين، ولعله يشجب مجازر الجيش الأوراسي، وربما يمتدح الأخ الكبير أو أبطال جبهة مالابار- فلا فارق هنالك. وبغض النظر عما يقوله، فيمكنك أن تتأكد تمامًا من أن كل كلمة ينطقها هي التزام تام بمبادئ الحزب، أفكار اشت-إنج خالصة. وفيما كان يراقب الوجه عديم العينين، وفكه يتحرك سريعًا صعودًا وهبوطًا، تملك وينستون إحساسٌ غريب بأن هذا الرجل ليس إنسانًا حقيقيًا بل دمية ما. فلم يكن عقل الرجل هو ما يتكلم، بل حنجرته. وما كان يخرج منه يتألف من كلمات، لكنه لم يكن حديثًا بالمعنى الحقيقي للكلمة: إنما هي ضوضاء ينطق بها اللاوعي، مثل قوقأة بطة.

ران الصمت على سايم لوهلة، وراح يتعقب بيد ملعقته أشكالًا يراها في بقعة الطبيخ. كان الصوت المنبعث من المائدة الأخرى يقوقئ في سرعة، تسمعه بسهولة رغم الجلبة المحيطة.

قال سايم: "هناك كلمة في كلام-جديد. لا أدري إن كنت تعرفها. "كلام-بط"، أن تقوقئ مثل البط. هي إحدى الكلمات المثيرة للاهتمام المحملة بمعنيين متناقضين. فحين تنطبق على الخصم؛ فهي سُبة، وحين تنطبق على شخص توافقه رأيه؛ فهي مديح".

لا شك أن سايم سيتبخر، خطر ذلك لوينستون من جديد. فكَّر في ذلك بمسحة من الحزن، رغم أنه يعرف جيدًا أن سايم يحتقره ويكرهه إلى حدٍّ ما، وقادر تمام القدرة على الوشاية به كمجرم تفكير إذا ما رأى سببًا لفعل ذلك. كان هناك شيءٌ ما خطأ بصورة رهيفة لدى سايم. كان ثمة ما يفتقر إليه: توخي السرية، الترفُّع، نوع من الغباء المنقذ للحياة. فلا يمكنك القول إنه مخالف للمبادئ. فقد كان يؤمن بمبادئ اشت-إنج تمام الإيمان، ويبجل الأخ الكبير، وكان ينتشي بالانتصارات، ويكره المنشقين، لا بإخلاص فحسب، بل بقدر من الحماسة المتقدة، وتحديث للمعلومات لا يتوصل إليه العضو العادي بالحزب. لكن ثمة شيء من الريبة كان يحيط به دائمًا. كان يقول أشياءً يُفضل ألا تُقال، ويقرأ كتبًا كثيرة كثيرة، ويرتاد "مقهى شجرة الكستناء"، ويسعى وراء الرسامين والموسيقيين. لم يكن ثمة قانون، ولا حتى قانون غير مكتوب، ضد ارتياد "مقهى شجرة الكستناء"، لكنه كان مكانًا منحوسًا بشكلٍ ما. فالقادة القدامى للحزب، المنزوعة مصداقيتهم، كانوا معتادين على التجمع هناك قبل أن يتم استئصالهم في النهاية. بل إن جولدشتاين نفسه، كما قيل، كان يذهب إلى هناك أحيانًا، قبل سنوات وعقود. ولم يكن من الصعب التنبؤ بمصير سايم. لكن تبقى حقيقة أن سايم إذا ما

اشتم، لثلاث ثوانٍ حتى، طبيعة آراء وينستون السرية، فسوف يشي به فورًا لشرطة الأفكار. وكذلك سيفعل أي شخص غيره: لكن سايم أكثر من الآخرين. فالحماسة المتقدة لم تكن لتكفي. فالالتزام بمبادئ الحزب كان هو اللاوعي.

قال سايم، وهو يرفع رأسه: "ها هو بارسونز".

شيء ما في نبرة صوته بدا كأنه يضيف: "ذلك الأحمق الكريه". كان بارسونز، وهو جار وينستون في مساكن النصر، يشق طريقه عبر القاعة- رجل بدين، متوسط الطول، شعره أشقر، ووجهه كالضفدعة. وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وقد راكم بالفعل على جسده أكوامًا من الدهن عند العنق والخصر، لكن حركاته كانت رشيقة وصبيانية. كان مظهره الكامل هو مظهر صبي صغير ضخم، لدرجة أنه رغم ارتدائه الأوفرول النظامي، كان من المستحيل تقريبًا ألا تفكر فيه مرتديًا الشورت الأزرق والقميص الرمادي والمنديل الأحمر، زي المخبرين. ودائمًا عندما يرد إلى ذهن المرء لا تُرى إلا صورة للركبتين الداميتين والأكمام المشمرة عن ذراعين بدينتين بدانة الصغار. كان بارسونز دائمًا ما يلجأ بالفعل إلى ارتداء الشورت في رحلات المشي الجماعية أو أي نشاط بدني آخر يعطيه العذر لارتداء الشورت. حيَّاهما في ابتهاج: "أهلًا، أهلًا" وجلس إلى المائدة، تفوح منه رائحة عرق نفاذة. تجمعت قطرات من الرطوبة على وجهه القرمزي. كانت قدراته على التعرق فائقة للعادة. في المركز المجتمعي يمكنك دائمًا معرفة متى كان يلعب تنس الطاولة من رطوبة يد المضرب. كان سايم قد أخرج قصاصة ورق

عليها قائمة طويلة من الكلمات، وكان يدرسها بريشة حبر بين أصابعه.

قال بارسونز وهو يغمز وينستون: "انظر إليه وهو يعمل في ساعة الغداء. متحمس، صح؟ ما الذي معك، أيها الولد العجوز؟ لابد أنه أمر يستعصي عليّ، فيما أتوقع. سميث، أيها الولد العجوز، سأخبرك لماذا أطاردك. إنه ذلك القسط الذي نسيت أن تعطيني إياه".

قال وينستون، وهو يتحسس تلقائيًّا نقوده: "أي قسط هذا؟" فنحو ربع راتب المرء ينبغي أن يخصص لتبرعات تطوعية، وهي كثيرة إلى حد أنه من الصعب اقتفاء أثرها جميعًا.

"تبرع لـأسبوع الكراهية. قد تعرف بصندوق التمويل المنزلي. أنا أمين الصندوق عن مربعنا السكني. ونحن نبذل جهدًا رائعًا، وسوف نقدم عرضًا هائلًا. دعني أخبرك، لن يكون خطئي إن لم يكن لمساكن النصر المظهر الأضخم بالأعلام في الشارع كله. وقد وعدتني بدولارين".

بحث وينستون وسلمه دولارين قذرين متجعدين، فدونهما بارسونز في دفتر صغير، بخط اليد الأنيق للشخص الأمي.

قال: "بالمناسبة، أيها الصبي العجوز. لقد سمعت أن مسخوطي الصغير قد ضربك بالنبلة بالأمس. وضربته على ذلك. لقد أخبرته في الواقع أنني سآخذ النبلة منه إذا كررها".

قال وينستون: "أظن أنه كان غاضبًا بعض الشيء لعدم ذهابه للإعدام".

"آه، حسنًا- أقصد، إنه يبدي الروح القويمة، أليس كذلك؟ مساخيط صغار أوغاد، كلاهما، لكنها الحماسة! فهما لا يفكران إلا في الجواسيس، والحرب، بالطبع. أتعرف ماذا فعلت صغيرتي السبت الماضي، عندما خرجت فرقتها في رحلة على طريق بركهامستيد؟ لقد حملت فتاتين أخريين على الذهاب معها، وانفصلت عن الرحلة، وأمضت بعد الظهيرة كلها في تعقب رجل غريب. ظلوا يتعقبونه لساعتين، في الغابة، وبعدها- عندما وصلوا إلى أميرشام- أسلموه للدوريات".

قال وينستون، مندهشًا إلى حدٍّ ما: "ولماذا فعلن هذا؟". واسترسل بارسونز في ظفر:

"لقد أدركت صغيرتي أنه عميلٌ ما للعدو- ربما أُسقط بمظلة، مثلًا. لكن المهم، أيها الصبي العجوز: ماذا تظن سبب تعقبها له في البداية؟ لقد لاحظت أنه يرتدي حذاءً غريبًا- قالت إنها لم تر أحدًا من قبل يرتدي مثل هذا الحذاء أبدًا. لذا أدركت أنه ربما كان أجنبيًّا. ذكاء فارق بالنسبة لسنواتها السبع، أليست كذلك؟"

قال وينستون: "وماذا حدث للرجل؟"

"آه، ذلك ما لا يمكنني أن أقوله، بالطبع. لكنني لن أندهش أبدًا إذا ما.." قام بارسونز بتمثيل حركة تصويب بندقية، وطرقع بلسانه دلالة على الانفجار.

قال سايم في لامبالاة، دون أن يرفع عينيه عن قصاصة الورق: "جيد".

وافقه وينستون بدافع الواجب: "بالطبع، لا يمكننا المخاطرة".

قال بارسونز: "قصدي أن هناك حربًا قائمة".

وعلى سبيل التأكيد على ذلك، انطلق نفير من التيليسكرين فوق رؤوسهم تمامًا. لكنه لم يكن إعلان نصر عسكري هذه المرة، بل مجرد إعلان من وزارة الوفرة.

قال صوت شاب متلهف: " انتباه، يا رفاق! فلدينا أخبار عظيمة لكم. لقد ربحنا معركة الإنتاج! اكتملت عائدات جميع أصناف السلع الاستهلاكية، ويظهر منها أن مستوى المعيشة قد ارتفع بما لا يقل عن عشرين في المائة عن العام الماضي. وفي جميع أنحاء أوشينيا- هذا الصباح- خرجت مظاهرات عارمة وعفوية مع خروج العمال من المصانع والمكاتب، وساروا في الشوارع رافعين الرايات، ورافعين أصواتهم بالشكر والامتنان للأخ الكبير على حياتنا الجديدة السعيدة، التي أنعمت علينا بها قيادته الحكيمة. وإليكم بعض الإحصاءات عن الإنتاج المكتمل. بالنسبة للسلع الغذائية.."

تكررت عبارة "حياتنا الجديدة السعيدة" عدة مرات. كانت من العبارات المفضلة في الآونة الأخيرة لوزارة الوفرة. كان بارسونز- الذي لفت النفير انتباهه- يجلس منصتًا في جدية مشدوهة، بشيء من الملل المترفع. لم يكن بمقدوره متابعة الأرقام، لكنه كان يدرك أنها سبب- على نحوٍ ما- للرضاء. أخرج غليونًا ضخمًا قذرًا كان ممتلئًا حتى النصف بالتبغ المتفحم.

مع حصة التبغ بمعدل 100 جرام في الأسبوع، كان نادرًا ما يتمكن من ملء الغليون حتى آخره بالتبغ. كان وينستون يدخن سيجارة من سجائر النصر التي كان يمسك بها بصورة أفقية بحذر. فالحصة الجديدة لم تكن لتبدأ حتى الغد، ولم يعد معه سوى أربع سجائر. في ذلك الحين، كان قد أصم أذنيه عن الجلبة الأبعد وراح ينصت لما كان يصدر عن التيليسكرين. كان يبدو أن مظاهرات قد خرجت لتشكر الأخ الكبير على زيادة حصة الشيكولاتة إلى عشرين جرامًا في الأسبوع. وبالأمس فقط، كما فكَّر، كان قد أُعلن عن **تخفيض** الحصة إلى عشرين جرامًا في الأسبوع. فهل من الممكن لهم ابتلاع ذلك، بعد أربع وعشرين ساعة فقط؟ نعم، لقد ابتلعوها. ابتلعها بارسونز بسهولة، بغباء حيوان. والمخلوق الأعمى على طرف المائدة الأخرى ابتلعها في حماسة متطرفة، بعاطفة مشبوبة، برغبة عارمة في تعقب، ونبذ، وتبخير أي شخص يشير إلى أن حصة الأسبوع الماضي كان ثلاثين جرامًا. سايم، بدوره- بطريقة أكثر تعقيدًا، تنطوي على تفكير-مزدوج- ابتلعها. أكان هو وحده، إذن، الذي يمتلك ذاكرة؟

راحت الإحصاءات المذهلة تتوالى من التيليسكرين. فبالمقارنة بالعام الماضي، كان هناك الآن طعام أكثر، وثياب أكثر، وبيوت أكثر، وأثاث أكثر، وأواني طهي أكثر، ووقود أكثر، وسفن أكثر، ومروحيات أكثر، وكتب أكثر، وأطفال أكثر- المزيد من كل شيء باستثناء المرض والجريمة والجنون. وعامًا بعد عام ودقيقة بعد دقيقة، كان كل الناس وكل شيء يئز بسرعة متصاعدًا. وكما فعل سايم من قبل، أمسك وينستون بملعقته وراح يلعب بها في

الطبيخ الباهت المتسرب على المائدة، وهو يرسم بها خطًّا طويلًا يحوله إلى شكلٍ ما. راح يفكر في استياء في نسيج الحياة المادي. هل كانت هكذا دائمًا؟ هل كان الطعام بهذا المذاق دائمًا؟ جال بعينيه في أرجاء المقصف. سقف منخفض، حجرة مزدحمة، جدرانها متسخة من تلامس أجسام بلا حصر بها؛ موائد ومقاعد معدنية بالية، قريبة من بعضها البعض إلى حد أن تجلس ومرفقاك يلامسان مرفقي غيرك؛ ملاعق ملتوية، صوانٍ منبعجة، أقداح بيضاء قبيحة؛ كل الأسطح مكسوة بالدهن، والوسخ في كل شق؛ ورائحة عطنة حمضية من الجين الرديء والقهوة الرديئة والطبيخ في المعدن والثياب القذرة. وفي معدتك دائمًا وعلى جلدك نوعٌ ما من الاحتجاج، إحساس بأنك قد غُششت في شيء لك حق فيه. والحق أن لا ذكريات لديه عن شيء مختلف كثيرًا. ففي أي وقت يتذكره بدقة، لم يكن هناك أبدًا ما يكفي من طعام، ولم يكن لدى المرء جوارب أو ثياب داخلية غير ممتلئة بالثقوب، وكان الأثاث دائمًا باليًا ومحطمًا، والحجرات تعاني من نقص في التدفئة، وعربات المترو مزدحمة، والبيوت تنهار، والخبز داكن اللون، والشاي سلعة نادرة، والقهوة مقرفة المذاق، والسجائر غير كافية- لا شيء رخيص ومتوفر سوى الجين الاصطناعي. وبالطبع، فرغم أن الأمر يسوء مع تقدم المرء في العمر، أليس هذا دليلًا على أن هذه ليست طبيعة الأشياء، إذا ما ضاق صدر المرء بانعدام الراحة والقذارة والندرة، وفصول الشتاء الأبدية، ولزوجة الجوارب، والمصاعد التي لا تعمل مطلقًا، والمياه الباردة، والصابون الخشن، والسجائر التي تتفتت، والطعام بطعمه الغريب اللعين؟ لماذا يشعر المرء بأن ذلك لا يحتمل، ما لم يكن لديه نوعٌ من ذكرى قديمة كانت فيها الأشياء مختلفة عن

ذلك؟

جال بعينيه في المقصف مرة أخرى. كان الجميع تقريبا يكسو القبح وجوههم، وسيبقون قبيحين حتى لو ارتدوا ثيابًا أخرى غير الأوفرول الأزرق. عند طرف الحجرة البعيد، كان رجل ضئيل يشبه الخنفساء- بصورة غريبة- يجلس إلى مائدة وحده، يرشف من قدح قهوة، وعيناه الصغيرتان تجولان في نظرات مفعمة بالارتياب من جانب إلى جانب. خطر لوينستون كم كان من السهل- إن لم تنظر حولك- أن تعتقد أن النمط المادي الذي أسسه الحزب كمثال- وهو شباب مفتول العضلات، فارع الطول، وشابات ممتلئات الأثداء، شقراوات، يتمتعن بالحيوية، وجوههن مُسمَرة من الشمس، خاليات البال- كان له وجود فعلي، بل سائد. والحق أن أغلب الناس- بقدر ما يمكن أن يرى- في "القطاع الهوائي رقم واحد" كانوا يعانون من الضآلة، والسمرة، والمظهر المعتل. وكان غريبًا كيف تخلل هذا النمط الخنفسائي الذي يراه جميع الوزارات: رجال قصار بدينون، يصبحون بدينين مبكرًا جدًّا في العمر، بسيقان قصيرة، وحركات سريعة، ووجوه سمينة مصمتة ذات عيون صغيرة للغاية. كان نوعًا يبدو أنه يزدهر جيدًا تحت حكم الحزب.

انتهى إعلان وزارة الوفرة بنفير آخر لتبدأ بعده موسيقى خفيفة. أخرج بارسونز غليونه من فمه، وقد اعترته حماسة مبهمة جراء قصف الأرقام الذي تعرض له.

قال، وهو يهز رأسه بطريقة العليم ببواطن الأمور: "لقد أبلت وزارة الوفرة بلاءً حسنًا هذا العام، بلا شك. بالمناسبة، يا سميث، أيها الصبي

العجوز، أعتقد أنك لا تملك شفرات حلاقة يمكنك أن تعطيني إحداها؟"

قال وينستون: "ولا واحدة. أنا نفسي أستخدم نفس الشفرة منذ ستة أسابيع".

"آه. طيب- فكرت أن أسألك فحسب، أيها الصبي العجوز".

قال وينستون: "آسف".

كان صوت القوقأة الصادر من المائدة المجاورة، الذي أسكته إعلان الوزارة مؤقتًا، قد بدأ مرةً أخرى، صاخبًا كعهده. لسببٍ ما، وجد وينستون نفسه يفكر فجأةً في السيدة بارسونز، بشعرها الخفيف، والتراب في تجاعيد وجهها. خلال عامين، سيقوم هذان الطفلان بالوشاية بها لشرطة الأفكار. ستتبخر السيدة بارسونز. سيتبخر سايم. سيتبخر وينستون. سيتبخر أوبريان. أما بارسونز- من الناحية الأخرى- فلن يتبخر أبدًا. فهذا المخلوق بلا عيون، ذو الصوت المقوقئ، لن يتبخر أبدًا. والرجال القصار كالخنافس الذين ينقّلون أقدامهم في خدر داخل متاهات أروقة الوزارات، لن يتبخروا أبدًا بدورهم. والفتاة ذات الشعر الداكن، فتاة قسم الكتابة الإبداعية- لن تتبخر أبدًا بدورها. بدا له أنه كان يعرف- بشكل غريزي- مَن سينجو ومن سيهلك: رغم أنه لم يكن سهلاً تحديد ما يلزم عمله لينجو المرء بنفسه.

في تلك اللحظة خرج من حلم يقظته بدفعة عنيفة. فالفتاة في المائدة المجاورة استدارت بشكل جزئي وراحت تنظر إليه. كانت الفتاة داكنة الشعر. كانت تنظر إليه نظرة مختلسة، لكن بفضول كثيف. لحظة أن تلاقت

عيونهما أبعدت عينيها عنه.

بدأ العرق يتصبب من العمود الفقري لوينستون. سرت بداخله رعدة رعب بشعة. وتلاشت بعد لحظة تقريبًا، لكنها خلفت وراءها نوعًا من الضيق المزعج. لماذا كانت تراقبه؟ لماذا تظل تتبعه هكذا؟ للأسف لا يمكنه أن يتذكر ما إن كانت موجودة إلى تلك المائدة لحظة وصوله، أم أنها جاءت من بعد. لكن بالأمس، على كل حال، أثناء **دقيقتي الكراهية**، كانت جالسةً خلفه تمامًا فيما لم تكن هناك أسباب وجيهة لذلك. والأرجح تمامًا أن غايتها الحقيقية كانت الإنصات إليه، والتأكد مما إذا كان يصيح بصوت مرتفع بالقدر الكافي.

عاودته فكرته الأولى: الأرجح أنها ليست عضوة بالفعل في شرطة الأفكار، إنما هي بالتحديد مخبرة هاوية من النوع الأخطر على الإطلاق. لم يكن يعرف منذ متى كانت ترمقه، لكن ربما لحوالي خمس دقائق، ومن المحتمل أن ملامحه لم تكن منضبطة تمام الانضباط. فمن أخطر الأمور أن تترك أفكارك تجول وأنت في مكان عام أو في نطاق التيليسكرين. فقد تخونك أدنى بادرة. حركة عصبية، نظرة قلق غير واعية، عادة الغمغمة مع نفسك، أي شيء ينطوي على ما يوحي بأنك غير طبيعي، بأن لديك ما تخفيه. وعلى أية حال، فإن وجود تعبير غير ملائم على وجهك (أن تبدو متشككًا لحظة إعلان انتصار، مثلًا) فهو في حد ذاته جريمة يُعاقب عليها. بل إن لها كلمة في كلام-جديد حتى: **جريمةوجه**.

أعطته الفتاة ظهرها مرةً أخرى. لعلها- في النهاية- لم تكن تتعقبه

بالفعل، لعل جلوسها قربه هكذا في يومين متعاقبين محض مصادفة. انطفأت سيجارته، ووضعها بحرص على طرف المائدة. سينتهي من تدخينها بعد انتهاء العمل، إذا ما تمكن من إبقاء التبغ بداخلها. والأرجح أن الشخص الجالس إلى المائدة المجاورة مخبر لشرطة الأفكار، والأرجح أنه سيبيت في أقبية وزارة الحب في ظرف ثلاثة أيام، لكن يجب ألا يبدد عقب السيجارة. طوى سايم قصاصة ورقه، ووضعها في جيبه. وكان بارسونز قد بدأ في الحديث من جديد.

قال وهو يعبث بطرف غليونه: "ألم أخبرك، أيها الولد العجوز، بالمرة التي أشعل فيها صغيراي الشقيان النار في تنورة سيدة السوق العجوز لأنهما رأياها تلف السجق في بوستر لـ أ. ك.؟ لقد تسللا من ورائها، وأشعلا النار في تنورتها بعلبة ثقاب كاملة. أحرقاها حرقًا بشعًا، على ما أظن. شقيان صغيران، صح؟ لكنهما نبيهان كالعفريت! إنه تدريب أولي يقدمونه لهم في إدارة المخبرين هذه الأيام- أفضل حتى مما كان على أيامنا. ماذا تظن أحدث شيء قدموه لهم؟ أبواق أذن للتنصت من خلال ثقب المفتاح! أتت ابنتي بواحد معها تلك الليلة- جربته على باب حجرة المعيشة، وقالت إنها يمكنها أن تسمع به أفضل بمقدار الضعفين عما تسمع بأذنها عندما تلصقها بالباب. بالطبع هي مجرد لعبة. المهم، أن تعطيهم الفكرة الصحيحة، أليس كذلك؟"

في تلك اللحظة انبعث من التيليسكرين صفير حاد. كانت إشارة للعودة إلى العمل. هب الرجال الثلاثة معًا على أقدامهم للانضمام إلى الصراع حول المصاعد، وسقط ما تبقى من تبغ في سيجارة وينستون.

## الفصـل السَّـادس

كان وينستون يكتب في دفتر يومياته:

كان ذلك قبل ثلاثة أعوام. ذات مساء مظلم، في شارع جانبي ضيق قرب إحدى محطات القطار الكبيرة. كانت تقف قرب مدخل في الجدار، تحت عمود نور بالكاد ينبعث منه أي ضوء. وجهها شاب، عليه مكياج ثقيل. الحق أن المكياج هو ما جذبني، بياضه، مثل القناع، والشفتان الحمراوان البراقتان. لا تستخدم سيدات الحزب المكياج إطلاقًا. لم يكن هناك أحد غيرنا في الشارع، ولا تيليسكرين. قالت دولا ران. وأنا...

في تلك اللحظة كان من الصعب للغاية أن يستمر. أغمض عينيه وضغط عليهما بأصابعه، محاولًا إخراج الرؤية التي راحت تتكرر. كان يشعر بإغراء غالب عليه بأن يصرخ مطلقًا سلسلة من الكلمات النابية بأعلى صوته. أو أن يضرب رأسه بالحائط، أن يركل المائدة ويطيح بدواة الحبر من النافذة- أن

يُقدم على أي فعل عنيف أو صاخب أو مؤلم قد يُغيب عنه الذكرى التي تعذبه.

خطر له أن أسوأ أعدائك هو جهازك العصبي. ففي أية لحظة قد يترجم التوتر المعتمل داخلك نفسه إلى مظهر مرئي ما. فكَّر في رجل مرّ به بالشارع قبل أسابيع؛ رجل عادي المظهر تمامًا، عضو في الحزب، يتراوح عمره ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين، يميل إلى الطول والنحافة، فيما يحمل حقيبة صغيرة. كان يفصل بينهما عدة أمتار، عندما طرأ على الجانب الأيسر من وجه الرجل فجأة تشنجٌ ما. حدث هذا مرةً أخرى، فيما كانا يمران أحدهما بالآخر: لا أكثر من اختلاجة، رعشة، كحركة انغلاق مصراع الكاميرا، لكنها من الواضح أنها متكررة. تذكر أنه فكر في ذلك الحين: هذا المسكين اللعين ضائع. والمخيف في الأمر أن اختلاجته تلك كان من الأرجح تمامًا أنها بلا وعي منه. وأخطر شيء على الإطلاق هو الكلام أثناء النوم. فلا سبيل لأن تحمي نفسك منه، على قدر ما يرى.

سحب شهيقًا ومضى يكتب:

ذهبت معها ومررنا بالباب، وعبر فناء خلفي، إلى مطبخ في أحد الأقبية. كان هناك سرير ملاصق للحائط، ومصباح على المائدة، إضاءته خافتة للغاية. أما هي...

كان يجز بأسنانه. وكان يود لو يبصق. بصورة متزامنة مع المرأة في مطبخ القبو فكر في كاثرين، زوجته. كان وينستون متزوجًا- سبق له الزواج، على كل

حال: لعله ما يزال متزوجًا، فعلى قدر علمه فزوجته لم تمت. بدا كأنه يتنفس من جديد رائحة مطبخ القبو العطنة، رائحة قوامها الحشرات والثياب المتسخة والعطر الرخيص المبتذل، لكنه مغرٍ على كل حال، إذ إن سيدات الحزب لا يتعطرن أبدًا، ولا يمكن تخيلهن يتعطرن. فقط "البرولز" هم من يستخدمون العطر. وفي عقله، كانت رائحة العطر ممتزجة بشكل حتمي بالمضاجعة.

عندما ذهب مع تلك المرأة كانت زلته الأولى له منذ عامين، أو نحو ذلك. كان معاشرة البغايا محظورة بالطبع، لكنها كانت إحدى القواعد التي يمكنك أن تتشجع أحيانًا على كسرها. كانت خطيرة، لكن لم تكن مسألة حياة أو موت. فإذا ما تم القبض عليك مع عاهرة فقد تمضي خمسة أعوام في معسكر للأشغال الشاقة: لا أكثر، إذا لم تكن قد أقدمت على أية جريمة أخرى. وكان الأمر سهلًا، إذا ما استطعت تفادي الإمساك بك متلبسًا. كانت أحياء الفقراء تزدحم بالنساء المستعدات لبيع أنفسهن. ويمكن شراء إحداهن حتى بزجاجة جين، الذي لا يفترض بالبرولز معاقرته. بل إن الحزب كان يميل حتى- بشكل ضمني- إلى تشجيع الدعارة، كمتنفس للغرائز التي لا يمكن قمعها بشكل كامل. فمحض الفجور لا يهم كثيرًا، طالما هو مختلس لا متعة فيه، وعندما لا يتعلق إلا بسيدات من طبقة مقموعة ومحتقرة. أما الجريمة التي لا تغتفر فكانت الاتصال الجنسي بين أعضاء الحزب. لكنها- وإن كانت من الجرائم التي يعترف بها المذنبون في حملات التطهير الكبرى- فمن الصعب تخيل وقوع شيء كهذا في الواقع حقًّا.

كان هدف الحزب ليس مجرد منع تشكيل النساء والرجال لولاءات قد لا يتمكن من السيطرة عليها. فهدفه الحقيقي، غير المعلن، هو تجريد الفعل الجنسي من أية متعة. فلم يكن الحب، إنما الشهوانية، هي العدو، سواء ضمن الزواج أو خارجه. وجميع الزيجات بين أعضاء الحزب يجب أن توافق عليها لجنة معينة لهذا الغرض، ورغم أن هذا المبدأ لم يُعلن بوضوح مطلقًا، فإن الإذن كان دائمًا ما لا يُمنح إذا أعطى الرجل والمرأة المقبلان على الزواج الانطباع بأنهما منجذبان جسديًا أحدهما للآخر. فالغرض الوحيد المعلن من الزواج هو الإتيان بالأطفال لخدمة الحزب. وكان يُنظر للاتصال الجنسي باعتباره عملية تافهة ومقززة إلى حدٍّ ما، مثل الحقنة الشرجية. ومن جديد، فلم يُذكر هذا الأمر بوضوح، إنما بشكل غير مباشر، يُلقن لعضو الحزب منذ الطفولة فصاعدًا. بل إن هناك منظمات مثل "رابطة شبان معاداة الجنس"، تطالب بالعذرية الكاملة للجنسين. ويجب إنجاب الأطفال بالتخصيب الصناعي (تخص-صنع، كما يُسمى في كلام-جديد) وتنشئتهم في مؤسسات عامة. كان وينستون واعيًا بأن هذا الأمر لم يكن جادًّا تمام الجدية، إنما هو كلام يوائم- على نحوٍ ما- الأيديولوجية العامة للحزب. فقد كان الحزب يحاول وأد غريزة الجنس، وإن لم يتمكن من وأدها، فلابد إذن من تشويهها وتلطيخها بالأقذار. لم يكن يعرف السبب، لكن يبدو من الطبيعي أن يكون الأمر على هذا النحو. وكانت جهود الحزب ناجحة إلى حدٍّ بعيد فيما يتعلق بالنساء.

فكر في كاثرين مرةً أخرى. لابد أنهما افترقا قبل تسع أو عشر سنوات،

ما يناهز الأحد عشر عامًا. كان غريبًا أنه لم يفكر فيها إلا نادرًا. وفي بعض المرات تمر أيام كان يستطيع خلالها نسيان أنه قد تزوج ذات يوم. فهما لم يجتمعا معًا إلا لخمسة عشر شهرًا. ولا يسمح الحزب بالطلاق، بل يشجع على الانفصال في حالة عدم وجود أطفال.

كانت كاثرين فتاة ممشوقة القوام، جميلة الشعر، مستقيمة القامة تمامًا، حركاتها أنيقة. كانت ذات وجه جريء، وأنف معقوف، وجه يمكن أن يصفه المرء بالنُبل إلى أن يكتشف أن لا شيء تقريبًا وراءه. في لحظة مبكرة للغاية من حياتها الزوجية قرر- بعد أن عرفها بشكل أكثر حميمية مما يعرف أغلب الناس- أنها، بدون أي استثناء، أغبى وأقسى عقل فارغ قابله يومًا ما. لم يكن في عقلها فكرة ليست شعارًا، ولم تكن هناك أية حماقة على الإطلاق لم تكن قادرة على ابتلاعها إذا ما لقنها الحزب إياها. أسماها في عقله "الأسطوانة البشرية المشروخة". ومع ذلك كان قادرًا على تحمل المعيشة معها لولا أمر واحد: الجنس.

كان ما إن يلامسها حتى تتجمد وتجفل. يعانقها كأنه يعانق تمثالًا خشبيًّا ذا مفاصل. والغريب أنها حتى عندما كانت تتشبث به وتشده إليها كان يشعر كأنها في اللحظة نفسها تبعده عنها بكل ما أوتيت من قوة. جمود عضلاتها هو ما أعطاه هذا الانطباع. كانت ترقد مغمضة العينين، لا تقاوم ولا تشارك، بل تستسلم. كانت مسألة محرجة للغاية، وبعد وهلة، كانت مروعة. لكن حتى ذلك الحين، كان بإمكانه تحمل الحياة معها إذا ما تم الاتفاق بينهما على البقاء معًا أعزبين. لكن المدهش أن كاثرين هي التي

رفضت ذلك. قالت إن عليهما إنتاج طفل إذا ما استطاعا. وهكذا استمرت العملية، مرة أسبوعيًا بشكل منتظم تمام الانتظام، كلما كان ذلك ممكنًا. بل إنها اعتادت أن تذكره بذلك في الصباح، كشيء ينبغي فعله في المساء، ولا ينبغي نسيانه. كانت تسمي الجنس اسمين. أحدهما هو "صنع طفل"، والآخر "واجبنا تجاه الحزب" (نعم، استخدمت تلك الجملة حقًا). وسرعان ما بدأ يعتريه إحساس بالرعب البالغ مع اقتراب ذلك اليوم من الأسبوع. لكن لحسن الطالع لم يظهر أطفال، وفي النهاية وافقت على التخلي عن المحاولة، وبعد ذلك بقليل افترقا.

تنهد وينستون بصوت غير مسموع. أمسك بقلمه مرة أخرى وكتب:

رمت بنفسها على السرير، وفجأةً، دون أي نوع من المداعبات التمهيدية، وبطريقة أكثر فظاظة وفظاعة يمكن تخيلها، رفعت تنورتها. وأنا...

رأى نفسه واقفًا هناك في ضوء المصباح الكابي، ورائحة الحشرات والعطر الرخيص في أنفه، وفي قلبه إحساس بالهزيمة والحسرة اختلط- حتى في تلك اللحظة- بفكرة جسد كاثرين الأبيض، المجمد للأبد بفعل القوة التخديرية للحزب. فلماذا كان يجب دائمًا أن يكون الأمر هكذا؟ لماذا لم يتمكن من أن تكون له امرأة تخصه بدلًا من تلك المغامرات القذرة على فترات؟ لكن علاقة الحب الحقيقية حدثٌ يكاد لا يمكن التفكير فيه. فنساء الحزب جميعًا على شاكلة واحدة. الطهر مغروس فيهن عميقًا كالولاء للحزب. بالارتباط الشرطي في مرحلة مبكرة من العمر، بالألعاب واستخدام المياه

الباردة، بالهراء الذي يُلقنّ لهن في المدرسة وفي فرق المخبرين ورابطة الشبان، بالمحاضرات، والمواكب، والأغنيات، والشعارات، والموسيقى العسكرية، يُنتزع منهن الإحساس الطبيعي. ويخبره عقله بأن ثمة استثناءات ولابد، لكن قلبه لم يصدق. جميعهن حصينات، كما خططّ لهن الحزب. وما كان يريده، بأكثر حتى من أن يشعر بحب إحداهن، هو أن يهدم جدار العفة هذا، حتى لو مرة واحدة في حياته. فالفعل الجنسي، مع أدائه بنجاح، هو تمرد. والرغبة جريمةتفكير. فحتى لو كان قد تمكن من إيقاظ رغبة كاثرين، إذا ما نجح في تحقيق ذلك، لكان هذا شبيهًا بالإغواء، رغم أنها كانت زوجته.

لكن يجب كتابة باقي القصة. كتب:

رفعتُ من درجة إضاءة المصباح. وعندما رأيتها في النور...

بعد الظلام بدا ضياء المصباح الزيتي الواهن متوهجًا للغاية. للمرة الأولى تمكن من أن يرى المرأة بشكل كامل. تقدم خطوةً نحوها ثم توقف، مفعمًا بالشبق والرعب. كان واعيًا تمامًا بكل بالمغامرة التي أقدم عليها بمجيئه إلى هنا. ومن الممكن تمامًا أن تقبض عليه الدوريات وهو في طريقه للخروج: فلعلهم كانوا ينتظرون في الخارج في تلك اللحظة من أجل هذا. وإذا ما ابتعد دون حتى أن يقدم على ما جاء هنا لعمله...!

لابد من كتابة ذلك، لابد من الاعتراف بالأمر. ما رآه فجأةً على ضوء المصباح أن السيدة كانت مسنة. كان الطلاء ثقيلًا على وجهها إلى حد أنه بدا كأنه قد يتشقق كقناع من الطباشير. كانت هناك خطوط من البياض في

شعرها، لكن التفصيلة المرعبة حقًّا كانت أن فمها متهدل منفتح قليلًا، ولا يكشف إلا عن سواد كهفي. فلم يكن لديها أسنان.

كتب متعجلًا، في خط كالنبش:

عندما رأيتها في الضوء وجدتها سيدة مسنة تمامًا، خمسون عامًا على الأقل. لكنني أقدمت عليها على كل حال.

ضغط أصابعه على جفنيه مرةً أخرى. كتب ما حدث أخيرًا، دون أن يستشعر بأي فارق. لم يأت العلاج بمفعول. والرغبة في الصياح بأعلى صوته بكلمات نابية كانت قوية كعهدها.

# الفصل السَّابع

كتب وينستون: "لو كان هناك أمل، فالأمل في البرولز".

لو كان هناك أمل، فلابد أنه يكمن في البرولز، لأن هناك فقط، وسط تلك الجموع الكبيرة المُهملة، 85 في المائة من شعب أوشينيا، يمكن توليد القدرة على تدمير الحزب. لا يمكن الإطاحة بالحزب من داخله. فأعداؤه، إن كان له أعداء، لا سبيل أمامهم للتجمع، أو حتى التعرف على بعضهم البعض. وحتى إذا ما كان للأخوية الأسطورية وجود فعلي، وهو أمر محتمل، فليس من المتصور أن يتمكن أعضاؤها من التجمع بأعداد كبيرة، أعداد تزيد عن تجمعات من اثنين وثلاثة. فالتمرد يعني نظرة في العيون، تغير في نبرة الصوت، وعلى الأكثر، كلمة هامسة عابرة. لكن البرولز، فقط إذا ما أصبحوا- بشكلٍ ما- واعين بقوتهم الذاتية، فلا حاجة بهم للتآمر. ليسوا بحاجة إلا للنهوض والانتفاض، كما ينتفض الحصان ليُبعد عنه الذباب. وإذا

ما أرادوا فبإمكانهم أن يقطعوا الحزب إربًا صباح الغد. عاجلًا أو آجلًا بالتأكيد سوف يخطر لهم ذلك، صحيح؟ ولكن..!

تذكر كيف كان يسير ذات يوم في شارع مزدحم، عندما انفجرت صيحة هائلة لمئات الأصوات، أصوات نسائية، من شارع جانبي على بعد مسافة قصيرة أمامه. كانت صيحة غضب ويأس كبيرة، آآآآآآآآآآه عميقة صاخبة راحت تطنّ كرجع صدى جرَس. قفز قلبه. لقد بدأت! هكذا خطر له. عصيان! أخيرًا ينتفض البرولز! عندما بلغ المكان رأى جمعًا من مائتي إلى ثلاثمائة امرأة يتزاحمن حول أكشاك سوق بالشارع، وجوههن مأساوية كأنهن ركاب سفينة غارقة محكوم عليهن بالموت. لكن في تلك اللحظة، تحول اليأس العام إلى حومة من الشجارات الفردية. فقد اتضح أن أحد الأكشاك كان يبيع طاسات من الصفيح. كانت أشياء قذرة تعسة، لكن قدور الطهي من أي نوع كانت سلعة يصعب الحصول عليها دائمًا. والمخزون منها قد نفد على غير توقع. كانت النساء الناجحات في الحصول على طاسات- وقد تعرضن للدفع والتضارب من الباقيات- يحاولن الخروج بالطاسات من وسط الجمع، فيما تجمعت العشرات غيرهن حول الكشك، متهمات البائع بالمحسوبية وبأن لديه طاسات أخرى يخزنها في مكانٍ ما. اندلعت موجة جديدة من الصرخات. كانت سيدتان غاضبتان، وإحداهما متهدلة الشعر، قد أمسكتا بطاسة واحدة، وراحت كل منهما تحاول نزعها من يد الأخرى. للحظة راحت كل منهما تجذب الطاسة نحوها، فانخلع المقبض آنئذٍ. كان وينستون يراقبهما في تقزز. ولكن، للحظة، ما تلك القوة

التي تكاد تكون مخيفة، التي انبعثت في هذه الصرخة من بضع مئات من الحناجر! لماذا لا يمكنهم يومًا الصياح هكذا احتجاجًا على كل أمر مهم؟

كتب:

لن يتمردوا أبدًا إلى أن يصبحوا واعين، ولن يكون بمقدورهم أن يكونوا واعين إلى أن يتمردوا.

ما كتبه هذا، كما خطر له، ربما يكون منقولًا من أحد كتب الحزب. كان الحزب يزعم بالطبع أنه حرر البرولز من الاستعباد. قبل الثورة كانوا مقموعين من الرأسماليين بصورة بشعة، ويتضورون جوعًا ويتعرضون للجلد، وكانت النساء يُجبرن على العمل في مناجم الفحم (ما تزال النساء يعملن في مناجم الفحم، في واقع الأمر) ويتم بيع الأطفال للمصانع في عمر السادسة. لكن، في الوقت نفسه، ووفاءً لمبادئ تفكير-مزدوج، قضت تعاليم الحزب بأن البرولز أدنى درجة بطبيعتهم، ولابد من إخضاعهم طوال الوقت، كالحيوانات، من خلال تطبيق بعض المبادئ البسيطة. وفي واقع الأمر، فإن أقل القليل هو المعروف عن البرولز. فليس ضروريًا معرفة الكثير عنهم. فطالما هم مستمرون في العمل والتكاثر، فإن أنشطتهم الأخرى ليست ذات أهمية. متروكين لحالهم هكذا، كقطعان ماشية مطلوقة في سهول الأرجنتين، عادوا إلى أسلوب حياة يبدو طبيعيًا لهم، نمط من حياة الأسلاف. لقد وُلدوا، وكبروا في الدرك الأسفل، ويذهبون إلى العمل في الثانية عشرة، ويمرون بفترة قصيرة من ازدهار الجمال والرغبة الجنسية، ويتزوجون في العشرين، ويبلغون مرحلة منتصف العمر في الثلاثين، ويموتون، في الأغلب الأعم، في الستين.

يقومون بأعمال بدنية شاقة، يرعون البيوت والأطفال، ويدخلون في شجارات صغيرة مع الجيران، ويرتادون السينما، وكرة القدم، ويشربون البيرة، وفوق كل ذلك المقامرة، التي كانت تملأ أفق عقولهم. ولم يكن صعبًا الحفاظ عليهم تحت السيطرة. كان يتحرك وسطهم دائمًا القليل من عملاء شرطة الأفكار، يبثون شائعات كاذبة، ويرصدون ويتخلصون من الأفراد القلائل الذين يُظَن أنهم قادرون على أن يصبحوا خطرين؛ لكن لم تُبذل محاولة لتعليمهم أيديولوجية الحزب. لم يكن مرغوبًا في أن يكون لدى البرولز مشاعر سياسية قوية. كل ما كان مطلوبًا منهم هو وطنية بدائية يمكن استفزازها كلما ظهرت الحاجة إلى حملهم على تحمل ساعات عمل أطول أو تموين أقل. حتى عندما كانوا يشعرون بعدم الرضا، كما يحدث أحيانًا، فلم يكن يؤدي بهم هذا إلى أي شيء، لأنهم بدون أفكار عامة، لا يمكنهم التركيز سوى على مظالم محددة صغيرة. ودائمًا ما لا ينتبهون إلى الشرور الأكبر. وليس لدى الأغلبية العظمى من البرولز في بيوتهم تيليسكرين حتى. بل لا تتدخل الشرطة المدنية معهم إلا في حالات قليلة. كان في لندن حالة غالبة من الإجرام، عالم كامل داخل عالم من اللصوص، والعصابات، والعاهرات، وموزعي المخدرات، والمنحرفين من كل صنف ولون، لكن بما أن ذلك يحدث فيما بين البرولز أنفسهم، فليس بذي أهمية. وكان مسموحًا لهم– في كل المسائل الأخلاقية– اتباع نظام الأسلاف. لم يكن التطهر الجنسي للحزب يُفرض عليهم. ويجري الاختلاط الجنسي بينهم بلا عقاب، والطلاق أمر مقبول. ولذلك، فحتى التعبد الديني كان ليُسمح به في أوساط البرولز فيما لو كانوا قد أبدوا أية بادرة لاحتياجه أو

الرغبة فيه. كانوا دون الشبهات. فكما يقول شعار الحزب "البرولز والحيوانات أحرار".

مد وينستون يده لأسفل وفي حرص حكّ كاحله المصاب بالدوالي. بدأت تصيبه بالرغبة في الهرش من جديد. الشيء الذي تعودّ إليه دائمًا هو التفكير في استحالة معرفة ماذا كان شكل الحياة قبل الثورة حقًّا. أخرج من الدرج نسخة من كتاب تاريخ مدرسي للأطفال، كان قد اقترضه من السيدة بارسونز، وبدأ ينسخ فقرة منه في يومياته:

في الماضي القديم (كما ورد في الكتاب)، قبل الثورة المجيدة، لم تكن لندن هي المدينة الجميلة التي نعرفها اليوم. كانت مكانًا مظلمًا، قذرًا، تعسًا، لا يمكن لأحد فيه أن يجد ما يكفيه من طعام، وحيث المئات والآلاف من الفقراء كانوا حفاة، لا يظلهم سقف ينامون تحته. أطفال ليسوا أكبر منك كانوا مضطرين للعمل 12 ساعة يوميًّا عند سادة غلاظ القلب، يجلدونهم بالسياط إذا كان عملهم بطيئًا، ولا يطعمونهم سوى كسرات الخبز العفن والماء. لكن وسط كل هذا الفقر الفظيع كانت هناك بيوت قليلة عظيمة جميلة، يعيش فيها رجال أثرياء، لدى كل منهم ما يناهز الثلاثين خادمًا، يرعونهم. كان هؤلاء الأثرياء يُسمون رأسماليين. كانوا رجالًا سمانًا، قبيحين، وجوههم شريرة، مثل الرجل الذي تراه بالصورة في الصفحة المقابلة. وكما ترى فهو يرتدي معطفًا أسود طويلًا يُسمى معطف "الفروك"، وقبعة عجيبة لامعة مثل أنبوب مدخنة، وكانت تُسمى

القبعة الطويلة. كان هذا هو زي الرأسماليين الرسمي، ولا أحد غيرهم كان يُسمح له بارتدائه. كان الرأسماليون يملكون كل شيء في العالم، ومَن ليسوا منهم كانوا جميعًا عبيدهم. كانوا يملكون كل الأرض، وكل البيوت، وكل المصانع، وكل النقود. وإذا ما عصاهم أحد كان بمقدورهم أن يرموه في السجن، أو يفصلوه من العمل، ويتركوه يموت جوعًا. وعندما كان يتحدث شخص عادي إلى رأسمالي كان عليه أن يطأطئ رأسه ويحني ظهره، ويخلع قبعته، ويناديه بلقب "سيدي". ورئيس جميع هؤلاء الرأسماليين كان يُسمى الملك، و..

لكنه كان يعرف باقي الكتالوج. فهناك ذكر للقساوسة وثيابهم الغالية، والقضاة الذين يرتدون أردية الفراء، وسوق الأسهم، وآلات التشهير، وطاحونة التعذيب، والسياط، ومأدبة السيد العمدة، وممارسات تقبيل إصبع قدم البابا. كان هناك أيضًا كذلك شيءٌ ما يُدعى "**حق الليلة الأولى**"، والأفضل ألا يُذكر في كتاب مدرسي للأطفال. كان هو القانون الذي يحق بمقتضاه لكل رأسمالي أن ينام مع أية امرأة تعمل في أحد مصانعه.

كيف يمكنك تبين مدى ما في ذلك من أكاذيب؟ قد يكون حقيقيًا أن الإنسان العادي كان حاله الآن أفضل مما كان قبل الثورة. والدليل الوحيد على عكس ذلك هو الاحتجاج الأخرس في عظامك، الإحساس الغريزي بأن ظروف حياتك كما تعيشها لا تحتمل، ولابد أنها- في وقت سابق- كانت مختلفة. دهمه شعور بأن الشيء المميز حقًا في الحياة الحديثة ليس قسوتها أو انعدام الأمان فيها، بل مجرد أنها حياة قاحلة، آسنة، تافهة. فالحياة- إذا ما

نظرت حولك- لا تتشابه البتة لا مع الأكاذيب المرسلة من التيليسكرين، بل حتى لا علاقة لها بالمُثل التي يحاول الحزب تحقيقها. فمناطق كبيرة منها، حتى بالنسبة لعضو الحزب، محايدة وغير سياسية، هي مسألة الكدح خلال عمل موحش كئيب، والعراك على مكان للوقوف في المترو، وارتداء جوارب مهترئة، وتسول كيس سكر صناعي صغير، والاحتفاظ بعُقب سيجارة. كان المثال الذي وضعه الحزب شيئًا ما هائلًا، فظيعًا، وبراقًا- عالم من الحديد والخرسانة، من آلات وحشية وأسلحة مخيفة- أمة من المحاربين والمتعصبين، يمضون قُدُمًا في وحدة تامة، يفكرون جميعًا في الأفكار ذاتها، ويصيحون مرددين الشعارات نفسها، دائمًا ما يعملون، ويقاتلون، وينتصرون، ويعتدون- ثلاثمائة مليون نسمة كلهم بوجه واحد. والواقع هو مدن متحللة متعفنة، يروح ويغدو بها أشخاص يعانون من نقص التغذية، بأحذية مثقوبة، في بيوت قديمة، مرممة على عجل، ترجع إلى القرن التاسع عشر، تفوح دائمًا برائحة كُرنب ومغاسل قذرة. كان كأنه يشهد رؤيةً للندن، رحيبة متهدمة، مدينة المليون سلة قمامة، مختلطة بصورة السيدة بارسونز، المرأة ذات الوجه الذي شقته التجاعيد، ذات الشعر الناحل، تعبث بلا حيلة في ماسورة صرف مسدودة.

مد يده للأسفل، وحك كاحله من جديد. ليل نهار تخدش التيليسكرين أذنيك بإحصاءات تثبت أن لدى الناس اليوم المزيد من الطعام، والمزيد من الثياب، وبيوت أفضل، ووسائل ترفيه أفضل- أنهم يعيشون أطول، ويعملون ساعات أقل، وأنهم أضخم بنية، وأوفر صحة، وأقوى، وأسعد، وأذكى، وأفضل

تعليمًا، عن الناس قبل خمسين عامًا. ولا يمكن إثبات صحة أو كذب أية كلمة. فقد كان الحزب يزعم، على سبيل المثال، أن 40 في المائة من البرولز البالغين حاليًا هم الآن متعلمون: قبل الثورة، كما قيل، كان العدد هو 15 في المائة فقط. وكان الحزب يزعم أن معدل وفاة المواليد لا يزيد الآن عن 160 مولودًا لكل ألف، وأنه كان قبل الثورة 300 مولود- وهلمجرا. كانت كأنها معادلة واحدة بمجهولين. وربما كانت كل كلمة في كتب التاريخ- بالمعنى الحرفي- حتى الأمور المقبولة دون تشكيك، محض خيال. وعلى حد علمه، فربما لم يكن في العالم يومًا شيء يُدعى **حق الليلة الأولى**، أو أي مخلوق كرأسمالي، أو شيء يُلبس اسمه القبعة الطويلة.

كل شيء تلاشى إلى ضباب. لقد تم محو الماضي، وما تم محوه نُسي، وأصبحت الكذبة حقيقة. ذات مرة واحدة فحسب على مدار حياته امتلك- **بعد** الحدث: وذلك ما يؤخذ بعين الاعتبار- دليلًا راسخًا، لا لبس فيه، على فعل تزييف. وأمسك بالدليل بين أصابعه لنحو ثلاثين ثانية. في عام 1973، لابد أنه كان ذلك العام أو نحوه- على أية حال، فقد كان ذلك في تلك الفترة التي انفصل فيها عن كاثرين. لكن التاريخ الحقيقي كان أسبق بسبعة أو ثمانية أعوام.

بدأت القصة حقًا أواسط الستينيات، فترة حملات التطهير الكبرى حين تم محو قادة الثورة الأصليين إلى الأبد. وبحلول عام 1970، لم يكن قد تبقى منهم أحد، باستثناء الأخ الكبير نفسه. وكل الباقين- في ذلك الحين- تم اتهامهم بالخيانة، وبأنهم من الثورة المضادة. فر جولدشتاين وأختبأ في مكان

لا يعلمه أحد، ومن بين البقية، اختفى البعض ببساطة، في حين تم إعدام الأكثرية بعد محاكمات علنية مثيرة، أدلوا فيها باعترافات على جرائمهم. ومن بين آخر الناجين ثلاثة رجال أسماؤهم جونز وآرونسون ورازرفورد. ولابد أنه كان عام 1965 عندما تم القبض على الثلاثة. وكما تكرر كثيرًا، اختفوا لعام أو أكثر، بحيث لم يكن أحد ليعرف إن كانوا أحياء أو أمواتًا، ثم ظهروا فجأةً وقد اعترفوا على أنفسهم بالشكل المعهود. اعترفوا بالتخابر مع العدو (في ذلك الوقت، أيضًا، كان العدو هو أوراسيا)، وباختلاس أموال عامة، وبقتل عدد من أعضاء الحزب الثقات، وبالتآمر على قيادة الأخ الكبير، وهو الأمر الذي بدأ قبل حدوث الثورة بكثير، وأعمال تخريب أدت إلى موت مئات الآلاف من الناس. بعد الاعتراف بهذه الأمور، تم العفو عنهم، وأعيدوا للحزب، ومنحوا مناصب تافهة في الواقع، لكنها تبدو مهمة. كتب الثلاثة مقالات مطولة، مذلة، في "التايمز"، يحللون فيها أسباب انشقاقهم ويعدون فيها بالقيام بمراجعات.

بعد الإفراج عنهم بفترة، رأى وينستون الرجال الثلاثة بالفعل في مقهى شجرة الكستناء. كان يتذكر بأي افتتان مرعوب كان ينظر إليهم من طرف عينه. كانوا أكبر منه سنًا بكثير، من أطلال عالم غابر، كانوا تقريبًا آخر الشخصيات العظيمة الباقية من أيام الحزب البطولية. رونق النضال السري والحرب الأهلية ما يزال عالقًا بهم على نحوٍ ما. كان لديه إحساس- رغم أن الحقائق والتواريخ كانت قد أصبحت غائمة في ذلك الحين- بأنه كان يعرف أسماءهم قبل أعوام من معرفة اسم الأخ الكبير. لكنهم أيضًا كانوا مجرمين،

أعداء، منبوذين، محكوم عليهم- بشكل مطلق- بالانقراض، خلال عام أو عامين. فلا أحد- ممن سقطوا في قبضة شرطة الأفكار ذات يوم- قد أفلت في النهاية. إنهم جثث في انتظار عودتها إلى القبر.

لم يكن هناك أحد على أي من الموائد القريبة منهم. ولم يكن من الحكمة حتى أن يُشاهد المرء بجوار مثل هؤلاء الناس. كانوا يجلسون في صمت أمام كؤوس من الجين بنكهة القرنفل، وهو ما يتميز به هذا المقهى. ومن بين الثلاثة، كان رازرفورد هو الذي ترك مظهره في نفس وينستون أثرًا أقوى من الآخرين. فيما سبق، كان رازرفورد رسام كاريكاتير شهيرًا، ساعدت أعماله الكاريكاتورية اللاذعة في إلهاب الرأي العام قبل الثورة وخلالها. وحتى الآن، على مسافات متباعدة، كانت رسومه تظهر في "التايمز". كانت ببساطة محاكاة لا أكثر لأعماله القديمة، معدومة الحياة بصورة غريبة وغير مقنعة. دائمًا ما كانت تعود للموضوعات القديمة- سكان الأزقة، والأطفال الجائعين، وشجار الشوارع، والرأسماليين بالقبعات الطويلة- حتى على المتاريس كان الرأسماليون يبدون ما يزالون متشبثين بقبعاتهم الطويلة، كمحاولة بلا نهاية ولا أمل منها للعودة إلى الماضي. كان رجلًا ضخمًا، له لبدة من الشعر الرمادي الناعم، وجهه أحمر متغضن، وشفتاه غليظتان كشفاه الزنوج. لابد أنه كان- ذات يوم- قويًا بصورة هائلة، والآن أصبح جسده الضخم متهدلًا، مترهلًا، منبعجًا، متداعيًا في كل اتجاه. كان يبدو كأنه يتحطم أمام عينيك، كجبل يتداعى.

كانت الساعة الخامسة عشرة، الموحشة. لم يتمكن وينستون الآن من

تذكر كيف تصادف وجوده بالمقهى في مثل تلك الساعة. المكان شبه خال. وموسيقى خافتة كانت تتسرب من التيليسكرين. كان الرجال الثلاثة يجلسون في ركنهم بلا حراك تقريبًا، لا يتحدثون أبدًا. ودون طلب، كان الساقي يأتي لهم بكؤوس جين جديدة. وكانت هناك رُقعة شطرنج على المائدة إلى جوارهم، وقطع اللعب مصفوفة، لكن اللعب لا يبدأ. وآنئذٍ، ربما لنصف دقيقة لا أكثر، حدث شيءٌ ما في التيليسكرين. تغير اللحن الذي كان يصدر عنها، وتغيرت نغمة الموسيقى أيضًا. ذلك ما حدث- لكنه كان شيئًا يصعب وصفه. كانت نغمة غريبة، متصدعة، منكرة، متهكمة: في عقل وينستون رآها نغمة صفراء. ثم راح صوت منبعث من التيليسكرين يغني:

*تحت شجرة الكستناء الممتدة*

*بعتُك، وبعتني:*

*هناك يتمددون، وهنا نتمدد*

*تحت شجرة الكستناء الممتدة.*

لم تبدر عن الرجال الثلاثة أدنى حركة. لكن عندما رمق وينستون مرةً أخرى وجه رازرفورد المنهار، رأى عينيه مغرورقة بالدموع. وللمرة الأولى لاحظ، مع ارتعاشة داخليةٍ ما، دون أن يعرف تحديدًا علام ارتعش، أن أنف كل من آرونسون ورازرفورد مكسور.

بعد قليل تم اعتقال الثلاثة مرةً أخرى. تبين أنهم انخرطوا في مؤامرات جديدة بعد الإفراج عنهم مباشرةً. في محاكمتهم الثانية اعترفوا بكل جرائمهم القديمة مرةً أخرى، ومعها سلسلة كاملة من جرائم جديدة. تم

إعدامهم، وتم تسجيل مصيرهم في سجلات الحزب وكتب تاريخه، عبرةً للأجيال الصاعدة. وبعد خمس سنوات من ذلك، في عام 1973، كان وينستون يخوض في كومة من الوثائق التي قذف بها إليه الأنبوب الهوائي عند مكتبه، عندما رأى قصاصة ورق كان الظاهر أنها انزلقت مع الأوراق الأخرى على سبيل الخطأ ثم نُسيت. لحظة أن فضها رأى أهميتها. كانت نصف صفحة منزوعة من "التايمز"، قبل عشرة أعوام تقريبًا- النصف الأعلى من الصفحة، ولهذا كانت تحمل التاريخ- وكانت تحتوي على صورة لوفد في مأموريةٍ ما للحزب في نيويورك. كان بارزًا وسط الجمع جونز، وآرونسون، ورازرفورد. لم يكن ثمة خطأ ولا لبس في ذلك، وعلى كل حال فقد كان اسم كل منهم مذكورًا في التعليق أدنى الصورة.

المهم أن الرجال الثلاثة قد اعترفوا- في المحاكمتين- بأنهم كانوا، في ذلك التاريخ، على أراضي أوراسيا. أنهم طاروا من مطار سري في كندا للاجتماع بمكانٍ ما في سيبيريا، وأنهم اجتمعوا بأعضاء الأركان العامة الأوراسية، وكشفوا لهم أسرارًا عسكرية مهمة. التصق التاريخ بذاكرة وينستون لأنه تصادف كونه عيد ميلاد يوحنا المعمدان*؛ لكن القصة بأكملها لابد أنها مدونة في أماكن أخرى بلا حصر أيضًا. ولم يكن هناك سوى استنتاج واحد: الاعترافات أكاذيب.

بالطبع، لم يكن هذا- في حد ذاته- اكتشافًا. فحتى في ذلك الحين، لم

---

* Midsummer Day: هو يوم 24 يونيو، الذي يحتفل به باعتباره عيد ميلاد يوحنا المعمدان.

يكن وينستون يتخيل أن من يتم التخلص منهم في حملات التطهير قد ارتكبوا بالفعل الجرائم المتهمين بها. لكن ذلك كان دليلًا ماديًّا؛ هو شذرة من الماضي الممحو، مثل عظمة حفرية تظهر في طبقة مغايرة لطبقتها، فتدمر نظرية جيولوجية. كان دليلًا يكفي لتدمير الحزب تدميرًا، إذا ما أذيع على العالم بشكلٍ ما، وتم كشف دلالته.

مضى في عمله مباشرةً. وما إن رأى الصورة، وما تعنيه، حتى غطاها بورقة أخرى. ولحسن الطالع، فعندما فردها، كانت مقلوبة بالنسبة لرؤية التيليسكرين.

وضع دفتر الكتابة على ركبته، وتراجع بكرسيه إلى الوراء بحيث يبتعد عن التيليسكرين قدر الإمكان. وللاحتفاظ بوجهك بلا أي تعبير لم يكن بالأمر الصعب، فحتى صوت تنفسك يمكنك التحكم فيه، مع بذل بعض المجهود: لكنك لا يمكنك التحكم في خفقان قلبك، وكان التيليسكرين بالغ الرهافة بما يكفي لالتقاطه. ترك فترة قدرها بعشر دقائق تمر، وهو يشعر بالعذاب طيلة تلك المدة، خوفًا من وقوع حادث ما- هبة هواء مفاجئة على منضدته، على سبيل المثال- يمكن أن يخونه. ثم، ودون الكشف عن الورقة مرةً أخرى، أسقط الصورة في حفرة الذاكرة، بالإضافة إلى بعض الأوراق الأخرى المهملة. وبعد دقيقة أخرى، ربما، ستتحول إلى رماد.

كان هذا قبل عشر- أحد عشر عامًا. والآن، ربما كان ليحتفظ بالصورة. ومن المدهش أن حقيقة أنه أمسك بها بين أصابعه كانت تبدو له مختلفة

الآن، في حين أن الصورة نفسها، شأن الحدث الذي كانت تسجله، لم تكن سوى ذكرى. فهل سيطرة الحزب على الماضي أقل قوة، تساءل، لأن قطعة الدليل التي لم يعد لها وجود بعد كانت ذات مرة موجودة؟

لكن اليوم، بافتراض أنه يمكن- بشكلٍ ما- بعث الصورة من رمادها، فلربما لا تمثل دليلًا ما. فبالفعل، وقت أن اكتشفها، لم تكن أوشينيا في حالة حرب بعد مع أوراسيا، ولابد أن الرجال الموتى الثلاثة كانوا خانوا وطنهم لعملاء إيستاسيا. ومنذ ذلك الحين طرأت تغيرات أخرى- تغييران، أو ثلاثة، لا يذكر عددها. والأرجح أن الاعترافات قد أعيدت كتابتها المرة تلو الأخرى، حتى لم يعد للحقائق والتواريخ الأصلية أدنى أهمية. لم يتغير الماضي فحسب، بل كان يداوم على التغير بلا انقطاع. وما ابتلاه أكثر من أي شيء مع إحساس كابوسي، أنه لم يفهم يومًا بوضوح سبب عملية الخداع الكبيرة هذه. فالمزايا المباشرة لتزييف الماضي كانت جلية، لكن الدافع البعيد لها كان غامضًا عليه. أمسك بقلمه مرةً أخرى وكتب:

أنا أفهم كيف: لا أفهم لماذا.

تساءل- مثلما تساءل قبل ذلك كثيرًا- ما إذا كان مخبولًا. لعل المخبول أقلية قوامها شخص واحد. ذات مرة كان من أمارات الجنون الاعتقاد بأن الأرض تدور حول الشمس، والآن، فهو أن تعتقد أن الماضي غير قابل للتغير. لعله هو وحده مَن يحمل هذه الفكرة، وإن كان وحده، فهو إذن مخبول. لكن فكرة أن تكون مخبولًا لم تكن لتزعجه كثيرًا: إنما الرعب هو أنه قد يكون أيضًا مخطئًا في تقديره.

أمسك بكتاب تاريخ الأطفال ونظر إلى صورة الأخ الكبير التي تتصدره. العينان المنومتان تحدقان في عينيه. كأن قوة هائلة ما تضغط عليك.. شيء يخترق جمجمتك ويدخلها، يضرب عقلك بها، يخيفك لتنسى ما تؤمن به، يطاردك حتى تنكر شواهد حواسك. في النهاية، سيعلن الحزب أن اثنين زائد اثنين يساويان خمسة، وسوف يكون عليك أن تصدق. وكان من المحتم أن يخرجوا بهذا الزعم عاجلًا أو آجلًا: فمنطق موقفهم يستدعي هذا. فلم يكن الأمر يتعلق بصحة التجربة، بل بوجود الحقيقة الخارجية من الأساس، الذي كانت تنكره فلسفتهم بصورة ضمنية. أما هرطقة الهرطقات فكانت من الفطرة السليمة. ولم يكن المرعب أنهم سيقتلونك إذا ما فكرت خلاف هذا، بل إنهم ربما كانوا على حق. فكيف لنا أن نعرف- في نهاية الأمر- إن كان اثنين زائد اثنين يساويان أربعة؟ أو أن قوة الجاذبية موجودة؟ أو أن الماضي غير قابل للتغيير؟ أو أن الماضي والعالم الخارجي معًا لا وجود لهما إلا في الذهن، وإذا ما كان العقل نفسه قابلًا للسيطرة عليه، فماذا إذن؟

لكن لا! بدا أن شجاعته قد تصلبت فجأةً من تلقاء ذاتها. وطفا في عقله وجه أوبريان، دون أي رابط واضح. كان يعرف- عن يقين أكبر من ذي قبل- أن أوبريان إلى جانبه. كان يكتب في دفتره لأوبريان- إلى أوبريان: كأنها رسالة لا نهائية لن يقرأها أحد أبدًا، لكنها موجهة إلى شخص معين، وتستمد قيمتها من تلك الحقيقة.

قال لك الحزب أن ترفض شواهد عينيك وأذنيك. كان هذا أمرهم

النهائي، الأكثر جوهرية. غاص قلبه وهو يفكر في السلطة الهائلة المحتشدة ضده، وسهولة تغلب أي مثقف من الحزب عليه في أي نقاش، والحجج المعقدة التي لن يتمكن من فهمها، ناهيك عن الرد عليها. ومع ذلك فهو على صواب! هم مخطئون وهو على صواب. ولابد من الدفاع عن الواضح، والبسيط، والحقيقي. فالحقائق البديهية حق، فتمسك بهذا! والعالم الصلب موجود، وقوانينه لا تتغير. والصخور صلبة، والمياه بليلة، والأشياء غير المرتكزة إلى شيء تسقط باتجاه قلب الأرض. وبإحساس كأنه يحادث أوبريان، وأيضًا كأنه يسطر حقيقة بديهية لا نزاع فيها، كتب:

الحرية هي حرية قول أن اثنين زائد اثنين يساويان أربعة. فإذا ما تحقق هذا، فكل شيء يترتب عليه.

# الفصـل الثَّـامن

من مكانٍ ما في نهاية أحد الممرات، كانت تنبعث رائحة قهوة محمصة- قهوة حقيقية، وليست "قهوة النصر"- طافيةً إلى الشارع. توقف وينستون بشكل لا إرادي. ربما لثانيتين تقريبًا عاد إلى العالم نصف المنسي، عالم طفولته. ثم سمع بابًا يُصفق، ليبدو أن الرائحة قد انقطعت فجأةً كأنها كانت صوتًا.

كان قد سار عدة كيلومترات على الرصيف، فأحس بالدوالي في كاحله تنبض من الألم. كانت تلك ثاني مرة في ثلاثة أسابيع تفوته الأمسية في المركز المجتمعي: وهو فعل متهور، بما أنه من المؤكد أن مرات الحضور في المركز كانت تُرصد بدقة. ومن حيث المبدأ، فليس لدى عضو الحزب أي وقت فراغ، ولا يكون وحده أبدًا سوى في الفراش. وكان من المفترض به- في غير أوقات العمل أو الأكل أو النوم- أن يشارك في أحد أنشطة العمل المجتمعي:

أما أن تفعل شيئًا يوحي بالميل إلى الوحدة، ولو حتى القيام بتمشية وحدك، فكان دائمًا- إلى حدٍّ ما- أمرًا خطرًا. وهناك كلمة تصف ذلك في كلام- جديد: تُسمى "حياةخاصة"، والكلمة تحيل إلى الفردية، وغرابة الأطوار. لكن هذا المساء، وهو يخرج من الوزارة، أغراه هواء أبريل المنعش. كانت السماء زرقاء أدفأ مما سبق أن رآها في ذلك العام، وفجأةً أحس أن المساء الصاخب الطويل في المركز، والألعاب المملة المرهقة، والمحاضرات، والرفقة البالية المصحوبة بالجين، أمور لا تُحتمل. وبشكل لا إرادي ابتعد عن موقف الحافلات، وراح يهيم في متاهات لندن، إلى الجنوب أولًا، ثم شرقًا، ثم شمالًا مرةً أخرى، ليتوه في شوارع لا يعرفها ولا يبالي في أي اتجاه يسير.

كان قد كتب في الدفتر: "لو كان هناك أمل، فهو يكمن في البرولز". راحت الكلمات تعاوده، دالة على حقيقة مبهمة وسُخف محسوس. كان في مكان ما في الأزقة المظلمة البنية إلى الشمال والشرق مما كانت يومًا محطة سانت بانكراس. راح يسير في شارع مرصوف بالبلاط يتألف من بيوت صغيرة من طابقين لها مداخل بالية تنفتح مباشرة على الرصيف، وتوحي بشكلٍ ما بأنها جحور فئران. كانت بِرك من المياه الأسنة هنا وهناك فيما بين البلاطات. وداخل وخارج المداخل المظلمة، وعلى امتداد الأزقة الضيقة المتفرعة على الجانبين، كان الناس يحتشدون بأعداد مدهشة- فتيات في عز ازدهارهن، بشفاه مزينة بشكل غير متقن بأحمر الشفاه، وشبان يطاردون الفتيات، ونساء منتفخات يخبرنك بما ستكون عليه الفتيات بعد عشر سنوات، ومخلوقات محنية إلى الأمام، مسنة، تهيم على أقدام منفرجة، وأطفال

حفاة يلعبون في البرك ثم يتفرقون إثر الصيحات الغاضبة لأمهاتهن. لعل ربع النوافذ في الشارع كانت مهشمة وحل محل الزجاج فيها ألواح الخشب والكرتون. لم يلتفت أغلب الناس لوينستون، ورمقه القليلون بنوع من الفضول المتحفظ. وكانت هناك سيدتان ضخمتان بسواعد حمراء كالطوب منعقدة على صدريهما، تتحدثان أمام مِدخل أحد البيوت. التقط وينستون نِتفًا من الحديث وهو يقترب.

"نعم، قلت لها، كل هذا جميل. وقلت: لكنك إذا ما كنت في مكاني لكنت فعلت مثلما فعلت أنا. الانتقاد سهل. أتسمعين؟ لكن ليست مشاكلك هي نفس مشاكلي".

قالت الأخرى: "آه، فعلًا، هذه هي خلاصة الأمر، حقًّا".

سكتت الأصوات الحادة فجأة. تفرّست فيه المرأتان في صمت عدواني وهو يمر بهما. لكنها لم تكن عدوانية تمامًا، إنما هي نوع من الحذر، لا أكثر، جمود لحظي، مثلما لدى مرور حيوان غير مألوف. فلم يكن أوفرول الحزب الأزرق من المشاهد المألوفة في شارع كهذا. والحق أنه لم يكن من الحكمة أن يُشاهد المرء في أماكن كهذه، بلا ضرورة محددة. فقد توقفك الدوريات إذا ما صادفتك. "هل لي أن أرى أوراقك، يا رفيق؟ ماذا تفعل هنا؟ متى غادرت العمل؟ أهذا هو طريقك المعتاد للبيت؟" وهلمجرا وهلمجرا. فلم تكن هناك في الواقع قاعدة تمنع السير إلى البيت من مسار غير مألوف، لكن يكفي أن تلفت الانتباه إليك إذا سمعت شرطة الأفكار بالأمر.

فجأةً اضطرب حال الشارع كله. انبعثت صيحات تحذير من جميع الأطراف. كان الناس يتدافعون إلى مداخل البيوت كالأرانب. قفزت شابة من مدخل باب أمام وينستون بقليل، وأمسكت بطفل صغير يلعب في بركة، وأحاطته بمريلتها، ثم قفزت إلى البيت مرةً أخرى، كل هذا في حركة واحدة. في اللحظة نفسها اقترب رجل يرتدي سترة سوداء بلون الأوكرديون، كان قد خرج من زقاق جانبي، وركض باتجاه وينستون وهو يشير في حماسة إلى السماء.

صاح: "نفاثة! بُص يا جدع! تضرب في العلالي! ارقد على الأرض بسرعة!"

"النفاثة" هو المسمَّى الذي أعطاه البرولز، لسببٍ ما، للقنابل الصاروخية. انبطح وينستون فورًا على وجهه. كان البرولز محقين دائمًا تقريبًا بتحذيرهم من أمر كهذا. كأنهم كانوا يمتلكون غريزة ما تخبرهم قبل ثوان من مقدم الصاروخ، رغم أن الصواريخ يفترض بها أنها تتحرك أسرع من الصوت. عقد وينستون ساعديه فوق رأسه. كان ثمة زئير بدا كأن الرصيف ينتفض معه؛ وانهمرت أشياء خفيفة على ظهره. عندما نهض رأى أنه مغطى بشظايا زجاج نافذة قريبة.

مضى في طريقه. هدمت القنبلة مجموعة من البيوت على مسافة 200 متر أمامه في الشارع. انبعثت سحابة سوداء تعلقت في السماء، وتحتها سحابة من تراب الجبس بدأ يتجمع فيها حول الخراب بالفعل حشدٌ. وكانت هناك كومة صغيرة من الجبس على الرصيف أمامه، وفي وسطها أمكن أن يرى

لطخة حمراء براقة. عندما وصل إليها رأى أنها يد بشرية مقطوعة من المعصم. وإلى جانب البقعة الدموية كانت اليد شاهقة البياض تحاكي في مظهرها قالبًا من الجبس.

ركل ذلك الشيء إلى البلاعة، ثم، ولتفادي الحشد، انعطف إلى شارع جانبي إلى يمينه. وخلال ثلاث إلى أربع دقائق كان قد خرج من المنطقة المتأثرة بالقنبلة، وكانت حياة الشارع المزدحمة تمضي كعهدها كأن شيئًا لم يحدث. كانت الساعة العشرين تقريبًا، ودكاكين الشُرب التي يرتادها البرولز ("الحانات"، كما يسمونها) تغص بالزبائن. ومن أبوابها الدوارة المتسخة، التي تنفتح وتنغلق بلا انقطاع، كانت تنبعث رائحة البول، ونشارة الخشب، والبيرة الحامضة. وفي زاوية تشكلت جراء بروز أحد مداخل المنازل، كان ثلاثة رجال يقفون متلاصقين، في الوسط يمسك أحدهم بصحيفة مطوية، فيما الاثنان الآخران يتفحصانها من فوق كتفه. وحتى قبل اقترابه بما يكفي لتبين التعبير المرتسم على وجوههم، كان بمقدور وينستون أن يرى الاستغراق الشديد في كل تفصيلة من تفاصيل أجسادهم. كان من الواضح أنهم يطالعون خبرًا مهمًا. كان على مسافة خطوات منهم، عندما تفرقت المجموعة فجأةً ودخل اثنان منهم في جدل عنيف. وللحظة بدا كأنهما على وشك التضارب.

"ألا يمكن أن تصغي جيدًا لما أقول؟ أقول لك لم يربح رقم ينتهي بسبعة لما يزيد عن أربعة عشر شهرًا!"

"بلى، بل ربح!"

"لا، لم يحدث! في بيتي، عندي إعلانات الفوز لما يزيد على سنتين ماضيتين كاملة، مكتوبة على قصاصة ورق. أدونها بانتظام شديد كما الساعة. وأقول لك، لم يربح رقم ينتهي بسبعة..."

"لا، بل ربح السبعة! ويمكنني أن أخبرك بالرقم اللعين تقريبًا. أربعة صفر سبعة، كانت تلك نهاية الرقم. وكان ذلك في يانصيب فبراير- الأسبوع الثاني من فبراير".

"فبراير هو جدتك! فقد دونتُ الأرقام كلها بالأسود والأبيض. فاسمع مني، لم يربح أي..."

قال الرجل الثالث: "آه، خلصونا!"

كانوا يتحدثون عن اليانصيب. ألقى وينستون عليهم نظرة بعد أن تجاوزهم بثلاثين مترًا. كانوا ما يزالون يتجادلون، بوجوه مفعمة بالحيوية والتوقد. اليانصيب، بجوائزه الأسبوعية الضخمة، كان فعالية جماهيرية يهتم بها كثيرًا البرولز. وكان من المرجح أن بضع ملايين من البرولز ما يزالون على قيد الحياة بفعل هدف أساسي، إن لم يكن الوحيد، هو اليانصيب. كان مبعث سرورهم، وغوايتهم، وأفيونهم، والحافز الذهني لهم. وإذا ما تعلق الأمر باليانصيب، فمن يقرءون ويكتبون بالكاد يبدون قادرين على القيام بحسابات معقدة والاحتفاظ بذاكرة حديدية. وكان ثمة قبيلة كاملة من الرجال الذين يرتزقون ويعيشون ببساطة على بيع المنظومة، والتنبؤات، وتمائم الحظ. ولم يكن لوينستون أية علاقة بإدارة اليانصيب، التي تديرها

وزارة الوفرة، لكنه كان يعلم (والجميع في الحزب يعلمون قطعًا) أن الجوائز تخيلية إلى حدٍّ بعيد. فهناك مبالغ صغيرة فقط هي التي تُدفع بالفعل، والفائزون بالجوائز الكبيرة أشخاص لا وجود لهم. وفي غياب أي اتصال حقيقي بين مختلف أنحاء أوشينيا، فلم يكن من الصعبّ ترتيب هذا الأمر.

لكن إذا ما كان هناك أمل، فهو يكمن في البرولز. عليك أن تتمسك بهذه الفكرة. وعندما تصوغها في كلمات، تبدو معقولة: فعندما تنظر إلى الكائنات البشرية العابرة إلى جوارك على الرصيف، كانت تصبح مسألة إيمان. كان الشارع الذي انعطف إليه يمضي إلى الأسفل منحدرًا. راوده إحساس بأنه كان في هذا الحي من قبل، وأن هناك شارعًا رئيسيًّا من شرايين المدينة ليس ببعيد عن هنا. على مسافة قريبة أمامه كانت تأتي متعاليةً كوكبة من أصوات الصياح. انعطف الشارع بحدة وانتهى إلى درجات سلم تؤدي إلى زقاق واطئ حيث يبيع أصحاب الأكشاك خضراوات ذابلة. في تلك اللحظة، تذكر وينستون أين هو. كان الزقاق يؤدي إلى الشارع الرئيسي، وعند الانعطافة التالية، على مسافة خمس دقائق، كان هناك دكان الأنتيكات الذي اشترى منه الدفتر الذي يدون فيه يومياته. ومن مكتبة صغيرة غير بعيدة، كان قد اشترى القلم ودواة الحبر.

توقف للحظة عند أعلى الدرج. على الطرف الآخر من الزقاق كان ثمة حانة صغيرة قذرة تبدو نوافذها كأن عليها طبقة من الجليد، لكنها- في واقع الأمر- كانت مغطاةً بالتراب. كان هناك رجل هَرم، محني لكنه نشط، شاربه منتصب إلى الأمام كشارب الجمبري، قام بفتح الباب الدوار ودخل. وفيما

كان وينستون واقفًا يتفرج، خطر بباله أن العجوز، الذي لابد أن عمره لا يقل عن الثمانين، كان في أواسط العمر وقت اندلاع الثورة. هو وقلة من أمثاله كانوا آخر صلة باقية بعالم الرأسمالية البائد. في الحزب نفسه، لم يكن هناك الكثير من الناس ممن تشكلت أفكارهم قبل الثورة. كان الجيل الأقدم قد أُبِيد في الغالب من جراء حملات التطهير الكبرى في الخمسينيات والستينيات، والقلة التي نجت أصابها الرعب منذ أمد، فانتهت إلى استسلام فكري كامل. وإذا ما كان هناك شخص ما يزال على قيد الحياة، يمكنه أن يروي لك بصدق ظروف الجزء المبكر من القرن، فلابد أن يكون من البرولز. فجأة عادت إلى عقل وينستون تلك الفقرة من كتاب التاريخ التي نسخها في دفتره، وسيطرت عليه رغبة مخبولة. فسيدخل إلى الحانة، وسيصادق ذلك العجوز، ويطرح عليه الأسئلة. سيقول له: "كلمني عن حياتك، عندما كنت صبيًّا. كيف كانت الحياة أيامها؟ هل كانت الأمور أفضل مما هي عليه الآن، أم كانت أسوأ؟"

على عجل- وخشية أن يعتريه الخوف- نزل الدرجات، وعبر الشارع الضيق. كان هذا جنونًا، بالطبع. فكالعادة، لا توجد قاعدة محددة تمنع الحديث إلى البرولز، وارتياد حاناتهم، لكنه كان عملًا غير مألوف بالمرة، إلى حد ألا يمر دون ملاحظة. وإذا ما ظهرت دوريات، فقد يتظاهر بالإصابة بالإغماء، لكن لم يكن من المرجح أن يصدقوه. دفع الباب وفتحه، ودهمت وجهه رائحة البيرة الحامضة المثيرة للغثيان. وهو يدخل انحسر صخب الأصوات إلى نصف مستواه تقريبًا. ومن وراء ظهره أحس بالجميع

يرمقون الأوفرول الأزرق الذي يرتديه. توقفت لعبة "نشان" على الحائط، عند طرف الحانة الآخر لثلاثين ثانية تقريبًا. كان العجوز الذي يتبعه يقف عند البار، في خلافٍ ما مع الساقي، وهو شاب ضخم، بدين، أنفه معقوفة، ذو ساعدين هائلين. وكانت هناك مجموعة من الآَخرين، يقفون حولهما والكؤوس في أيديهم، يراقبون المشهد.

قال العجوز: "سألتك بأدب وذوق، ألم أفعل؟" وهو يفرد كتفيه في استفزاز. "وتقول لي إنه ليس لديك كأس واحدة بسعة الرُبع في هذه الحانة الملعونة؟"

قال البارمان: "وما هو الرُبع، أرجوك، جاوبني"، وهو ينحني إلى الأمام، على أطراف أصابعه، من وراء المنضدة الطويلة.

قال العجوز: "هاه، اسمعوه! يسمي نفسه ساقيًا، وهو لا يعرف ما الرُبع! الربع هو نصف النصف، وفي الجالون أربعة أرباع. لم يبق سوى أن نعلمك ألف باء".

قال الساقي باقتضاب: "لم أسمع به من قبل. اللتر ونصف اللتر- هذا هو كل ما نقدمه هنا. ها هي الكؤوس أمامك على الرف".

قال الرجل في تصميم: "أنا أريد رُبعًا. يمكنك أن تصب لي ربعًا بكل سهولة. لم تكن عندنا تلك اللترات اللعينة، وأنا شاب".

قال الساقي وهو ينظر إلى الزبائن الآخرين: "وأنت شاب، كنا جميعًا نعيش في قمم الأشجار".

انبعثت ضجة من الضحك، وبدا معها أن القلق من دخول وينستون المكان يتلاشى. تورد وجه العجوز المشوب بشذرات من لحية بيضاء قصيرة. دار على عقبيه، وهو يتمتم لنفسه، ثم اصطدم بوينستون. أمسكه وينستون من ذراعه في رفق.

قال: "أتسمح لي أن أعزمك على كأس؟"

قال الآخر: "أنت مهذب"، وهو يفرد كتفيه مرةً أخرى. بدا كأنه لم يلاحظ أوفرول وينستون الأزرق. أضاف موجهًا كلامه للساقي في عدوانية: "رُبع. ربع بيرة".

صب الساقي نصفي لتر من البيرة البنية الداكنة في كوبين سميكين كان قد غسلهما في دلو تحت المنضدة الطويلة. البيرة هي المشروب الوحيد المتاح في بارات البرولز. كان المفترض ألا يشرب البرولز الجين، وإن كانوا عمليًّا يمكنهم الحصول عليه بسهولة. عادت لعبة "النشان" إلى حميتها كما كانت من قبل، وبدأ جمع الرجال حول البار في الحديث عن تذاكر اليانصيب. نُسي للحظة وجود وينستون. كانت هناك مائدة خشبية أسفل النافذة يمكنه أن يتحدث عندها مع العجوز دون خوف من أن يسمعهما أحد. كان الأمر خطيرًا للغاية، لكن- على كل حال- لم تكن هناك تيليسكرين في المكان، وهي مسألة كان قد تأكد منها ما إن وطأت قدماه المكان.

قال العجوز متذمرًا وهو يجلس وراء كوبه: "كان يستطيع أن يصب لي رُبعًا بسهولة. فنصف اللتر لا يكفي. لا يُشبع. واللتر كثير للغاية. يلهب

مثانتي بالبول. ناهيك عن السعر".

قال وينستون في حذر: "لابد أنك رأيت تغيرات كثيرة منذ كنت شابًّا".

تنقلت عينا العجوز فاتحتا الزرقة بين لوح "التّشان" عند البار، ومن البار إلى باب مرحاض الرجال، كأنه كان يتوقع حدوث تغييرات في الحانة.

قال أخيرًا: "كانت البيرة أحسن، وأرخص! وأنا شاب، لم تكن البيرة لاذعة- كنا نسميها "لكمة"- وثمن الرُبع ثمانية ملاليم. كان ذلك قبل الحرب، طبعًا".

قال وينستون: "أي حرب كانت؟"

قال العجوز في إبهام: "كل الحروب". أمسك بكأسه، وانفرد كتفاه مرةً أخرى. "في صحتك!"

في رقبته النحيلة تحركت تفاحة آدم المدببة بحركة سريعة إلى أعلى وأسفل بصورة مدهشة، واختفت البيرة. ذهب وينستون إلى البار، وعاد بنصفي لتر آخرين. بدا أن العجوز قد نسي تحفظه على شرب لتر كامل.

قال وينستون: "أنت أكبر مني بكثير. لابد أنك كنت رجلًا ناضجًا قبل أن أولد. ويمكنك تذكر حال الأيام الغابرة، قبل الثورة. فالناس في عمري لا يعرفون حقًّا أي شيء عن تلك الفترة. ولا يسعنا سوى القراءة عنها في الكتب، والوارد في الكتب قد لا يكون حقيقيًا. فأريد رأيك في هذا الأمر. كتب التاريخ تقول إن الحياة قبل الثورة كانت مختلفة تمامًا عن الحياة الآن.

كانت فترة القمع الأكثر فظاعة، والظلم، والفقر كان أسوأ من قدرة أي أحد على التخيل. هنا في لندن، لم يكن لدى جموع الشعب الغفيرة ما يكفي للأكل، من المولد للممات. ونصفهم كانوا حفاة. كانوا يعملون 12 ساعة يوميًّا، ويخرجون من المدرسة في سن التاسعة، وينامون عشرة في الحجرة. وفي الوقت نفسه كانت هناك قلة قليلة من الناس، لا يزيد عددهم عن آلاف- الرأسماليون، كما كانوا يُسمون- هم الأغنياء أصحاب النفوذ. كانوا يملكون كل شيء يمكن تملكه. ويعيشون في بيوت كبيرة مترفة مع ثلاثين خادمًا، ويركبون سيارات وعربات تجرها أربعة خيول، ويشربون الشمبانيا، ويرتدون القبعات العالية..."

أشرق وجه العجوز فجأة.

قال: "القبعات العالية. غريب أنك ذكرتها. فنفس الشيء خطر لي بالأمس فقط. لا أعرف لماذا. كنت أفكر في أنني لم أر قبعة عالية منذ سنوات. اختفت تمامًا. وآخر مرة أذكر أنني ارتديتها كان في جنازة أخت زوجتي. وكان هذا- لا أعرف التاريخ بالتحديد، لكنه لابد أنه كان قبل خمسين عامًا. بالطبع ارتديتها لتلك المناسبة، أتفهم؟"

قال وينستون بصبر: "ليست القبعات العالية هي الأمر المهم. ما أقصده أن الرأسماليين- هم وقلة من المحامين والقساوسة وغير ذلك ممن يتعيشون عليهم- كانوا سادة الأرض. كل شيء موجود لخدمتهم. أنت- الناس العادية، العمال- كانوا عبيدهم. كان بمقدورهم فعل ما يريدونه بك. كان يمكنهم إرسالك إلى كندا كالماشية. يمكنهم النوم مع بناتك إذا شاءوا. يمكنهم الأمر

بجلدك بالسوط. وعليك خلع قبعتك عندما تمر بأحدهم. وكل رأسمالي كان يسير ومعه عصابة من البلطجية الذين..."

أشرق وجه العجوز مرةً أخرى.

"البلطجية! هذه كلمة أخرى لم أسمعها منذ أمد بعيد. البلطجية! هذا الكلام يعود بي سنوات طويلة. أذكر، نعم- منذ أمد بعيد بعيد- كنت معتادًا على الذهاب أحيانًا إلى هايد بارك عصر الأحد لأسمع الرجال يلقون الخطب. جيش الخلاص، الكاثوليك، اليهود، الهنود- كل الأصناف كانت هناك. وكان هناك رجل- حسنًا، لا يمكنني تذكر اسمه، لكنه كان خطيبًا مفوهًا. كان يكيل لهم.. سمعته يقول "يا بلطجية البرجوازية! أذناب الطبقة الحاكمة!" الطفيليات- هذا مُسمًّى آخر. و"الضباع"، نعم، أسماهم الضباع، وبالطبع كان يشير إلى حزب العمال، أتفهمني؟"

أحس وينستون بأن حديثهما يتقاطع، لا يتلاقى.

قال: "ما أردت معرفته حقًّا كان ذلك. فهل تشعر بأنك تملك من الحرية الآن أكثر من حريتك في تلك الأيام؟ هل تُعامل كإنسان أكثر؟ ففي الأيام الغابرة، كان الناس الأثرياء، مَن هم في القمة..."

قال العجوز في تذكر للماضي: "مجلس اللوردات".

"مجلس اللوردات إذن، كما تشاء. سؤالي هو: هل كان هؤلاء الناس في تلك الأيام يعاملونك كأنك أقل منهم، لمجرد أنهم أغنياء وأنت فقير؟ هل حقًّا كنت تناديهم بـ سيدي وتخلع قبعتك وأنت تمر بهم؟"

بدا أن العجوز يفكر بعمق. تجرع ربع كوبه تقريبًا قبل أن يجيب.

قال: "نعم. كانوا يحبون أن تلمس قبعتك لهم. هو إظهار للاحترام. لا أوافق على هذا الأمر عن نفسي، لكنني كنت أفعله في أحيان كثيرة. كان عليّ أن أفعل هذا، كما تقول".

"وهل كان معتادًا– وأنا الآن أنقل لك ما قرأته في كتب التاريخ– هل كان معتادًا أن يرميك هؤلاء الناس وخدمهم من الرصيف إلى البالوعة، وهم يمرون؟"

قال العجوز: "دفعني أحدهم ذات مرة. أذكر الأمر كأنه بالأمس. كانت ليلة سباق القوارب- وكان يجن جنونهم ليلة سباق القوارب- وقد اصطدمت بشاب في طريق شافتسبري. كان ابن ناس، يرتدي قميصًا فخمًا وقبعة عالية ومعطفًا أسود. كان يسير في مسار متعرج على الرصيف، فاصطدمت به بلا قصد. فقال: "لماذا لا تنظر إلى طريقك؟" فقلت له: "وهل اشتريت الرصيف بفلوسك؟" فقال: "سأقطع رأسك لو تطاولتَ عليّ!" فقلت: "أنت سكران. وسأكومك على الأرض في ثانية". ولو تصدقني، فقد وضع يده على صدري ودفعني دفعة قوية إلى حد أن كادت ترميني تحت عجلة أتوبيس. نعم، كنت شابًا في تلك الأيام، وكنت مصممًا على تلقينه درسًا، لكن..."

سيطر على وينستون إحساس بالعجز. فذاكرة العجوز ليست أكثر من كومة خربة من التفاصيل. ويمكن للمرء أن يستجوبه طوال النهار دون أن ينتزع منه معلومة حقيقية. تواريخ الحزب قد تكون صحيحة ما تزال، ومع

بعض التعديل، ربما تكون حقيقية تمامًا. وبذل محاولة أخيرة.

قال: "ربما لم أكن واضحًا. ما أحاول قوله هو.. أنت تعيش منذ فترة طويلة، وقد عشت نصف حياتك قبل الثورة. وفي عام 1925- على سبيل المثال- كنتَ بالغًا. ففي تقديرك، مما تذكره، هل كانت الحياة عام 1925 أفضل من حالها الآن، أم أسوأ؟ إذا كان لك الاختيار، فهل تفضل الحياة في ذلك الحين أم الآن؟"

نظر العجوز بتأمل إلى لوحة "النشان". أجهز على بيرته، أبطأ من ذي قبل. عندما تحدث تقمص نبرة الفيلسوف واسع الصدر، كأن البيرة قد هدأته.

قال: "أعرف ما الذي تتوقع مني قوله. فأنت تتوقع مني أن أقول إنني أفضل العودة شابًا مرةً أخرى. أغلب الناس يفضلون الشباب، إذا أعطيتهم الاختيار. فمعك صحتك وقوتك وأنت شاب. وعندما تصل إلى عمري لا تكون بخير أبدًا. فأنا أعاني من إصابة لعينة في قدمي، ومثانتي مزعجة. تخرجني من السرير للتبول ست وسبع مرات في الليلة. وعلى الجانب الآخر، فهناك مزايا كبيرة في التقدم في العمر. لا تراودك نفس الإزعاجات. لا تهمك النساء، وهذا أمر مهم. لم أحظ بامرأة منذ ثلاثين عامًا تقريبًا، لو تصدق! ولم أرغب في ذلك، وهذا أهم".

تراجع وينستون في مقعده الملاصق لإفريز النافذة. لا فائدة من الاستمرار. كان على وشك شراء المزيد من البيرة عندما نهض الرجل فجأةً مسرعًا إلى المبولة كريهة الرائحة عند الجانب الآخر من الحانة. فنصف اللتر

الزائد بدأ يؤثر فيه. جلس وينستون دقيقة أو دقيقتين يحدق في كأسه الفارغة، وكاد ألا يلاحظ عندما حملته قدماه إلى الشارع مرة أخرى. فخلال عشرين سنة على الأكثر، كما خطر له، يصبح السؤال الضخم والبسيط "هل كانت الحياة قبل الثورة أفضل منها الآن؟" غير قابل للإجابة ذات يوم وإلى الأبد. لكن عمليًّا، فلا إجابة للسؤال الآن، بما أن الناجين القلائل المبعثرين من العهد البائد غير قادرين على مقارنة عهد بعهد. إنهم يتذكرون الملايين من الأشياء عديمة الفائدة، شجار مع زميل في العمل، رحلة بحث عن منفاخ دراجة مفقود، التعبير المرتسم على وجه الشقيقة التي ماتت منذ زمن بعيد، دوامات التراب في صباح عاصف قبل سبعين عامًا: لكن كل الحقائق المهمة خارج نطاق رؤيتهم. كانوا كلهم كالنمل، الذي يستطيع رؤية الأشياء الصغيرة لا الكبيرة. وعندما تفشل الذاكرة، ويتم تزييف السجلات المكتوبة- عندما يحدث هذا، فإن زعم الحزب بتحسينه أحوال الحياة الإنسانية يصبح ممكن القبول، لأنه لا وجود، ولا يمكن أن يوجد أي معيار يمكن اختبار هذا الزعم عليه.

في تلك اللحظة توقف قطار تفكيره فجأة. توقف ورفع عينيه لأعلى. كان في شارع ضيق، فيه قلة من الدكاكين الصغيرة المظلمة، مبعثرة وسط البيوت. فوق رأسه مباشرة كانت معلقةً ثلاث كرات معدنية حائلة الألوان بدا كأنها كانت مطلية بلون ذهبي قبل زمن. كأنه يعرف هذا المكان. بالطبع! فقد كان يقف أمام دكان الأنتيكات الذي اشترى منه الدفتر.

سرت فيه موجة من الخوف. كان شراء الدفتر عملًا متهورًا في الأساس،

وقد أقسم ألا يقترب من هذا المكان مرةً أخرى. لكن لحظة أن أطلق العنان لأفكاره، قادته قدماه مرةً أخرى إلى هنا من تلقاء ذاتهما. كانت مقاومة النوازع الانتحارية من ذلك النوع بالتحديد، التي كان يريد حماية نفسه منها، هي ما دفعته إلى فتح اليوميات. وفي الوقت نفسه، لاحظ أن الدكان ما يزال مفتوحًا رغم أن الساعة الآن الواحدة والعشرون تقريبًا. وبإحساس أنه سيكون أقل إثارة للريبة في الداخل عنه في الخارج على الرصيف، تقدم ودخل. فإذا ما سأله أحد، فسوف يقول إنه كان يحاول شراء شفرات حلاقة.

كان صاحب المكان قد أشعل للتو قنديل زيت معلقًا تنبعث منه رائحة غير نظيفة وإن كانت ودودًا. كان رجلًا في نحو الستين من العمر، هش المظهر، محني الظهر، بأنف طويل جميل، وعينين لطيفتين تشوههما عوينات كبيرة. شعره أبيض تقريبًا، لكن حاجبيه كانا كثيفين وما يزالان أسودين. كانت عويناته، وحركاته اللطيفة، ولكونه يرتدي معطفًا قديمًا من القطيفة السوداء، تعطيه مظهر المثقف، كأنه كان من رجال الأدب والكتابة، أو ربما موسيقي. كان صوته ناعمًا، كأنه يتلاشى، ولكنته أقل حدة من أغلب البرولز.

قال على الفور: "عرفتك وأنت على الرصيف. أنت الأستاذ الذي اشترى دفتر الفتاة الشابة. كان ورقه جميلًا، بالفعل. الكريمي، هكذا يُسمَّى. ولا يوجد ورق مثله منذ- آه، يمكنني أن أقول منذ خمسين عامًا". رمق وينستون من فوق نظارته. "هل يمكنني خدمتك في شيء؟ أم أنك مررت لتلقي نظرة؟"

قال وينستون في إبهام: "كنت أمر. ألقي نظرة، لا أريد شيئًا محددًا".

قال الآخر: "لا بأس، لأنني لا أعتقد أنني قادر على أن ألبي طلبك". أومأ في اعتذار بيده الناعمة. "كما ترى؛ المحل خاوٍ، كما يمكنك أن تقول. بيني وبينك، تجارة الأنتيكات ولت وانتهت. لم يعد عليها أي طلب بعد، ولا حتى توجد بضاعة. الأثاث، الصيني، الأكواب، كلها تكسرت وتهشمت بالتدريج. وبالطبع فكل الأشياء المعدنية تم صهرها. فأنا لم أر شمعدانًا من النحاس منذ سنوات".

كان الدكان الصغير- في واقع الأمر- ممتلئًا للغاية بصورة مزعجة، لكن لا يكاد يكون به شيء ذو قيمة. كانت مساحة المحل بالغة الضيق، لأن على الجدران تكدست أعداد بلا حصر من إطارات الصور يعلوها الغبار. وفي نافذة العرض صوانٍ مليئة بالجوز والمزاليج، وأزاميل بالية، وسكاكين نصالها مكسورة، وساعات كالحة لا يبدو أنها تعمل، ومهملات أخرى بلا قيمة. فقط على منضدة صغيرة بالركن، كان ثمة غرائب ونثريات- علب نشوق مطلية، بروشات من العقيق، وما شابه- كانت تبدو أنها يمكن أن يكون بينها شيء مُلفت. ومع حركة وينستون باتجاه المائدة لفت انتباهه شيء مستدير، ناعم كان يلمع برقة تحت نور المصباح، فأمسك به.

كانت كتلة ثقيلة من الزجاج، محدبة من أحد جانبيها، ومسطحة من الجانب الآخر، مُشكلةً نصف دائرة تقريبًا. كانت تتسم بنعومة عجيبة، كقطرات المطر، سواء في لون أو ملمس الزجاج. وفي القلب منها، شيء غريب، قرمزي، ملتف على نفسه، أوحى له بزهرة أو محارة، وقد ضخَّم من حجمه السطح الزجاجي المستدير.

قال وينستون في افتتان: "ما هذا؟"

قال العجوز: "إنه مرجان، نعم. لابد أنها جاءت من المحيط الهندي. كانت العادة أن تُحفظ سليمة في الزجاج. لم يُصنع مثلها منذ مائة عام تقريبًا. ومن شكلها يبدو أن عمرها مائة عام".

قال وينستون: "يالجمالها".

قال الآخر في تقدير: "إنها جميلة. لكن لم يعد كثير من الناس من يصفونها هكذا هذه الأيام". سعل. "والآن، إذا ما أردت شراءها فستكلفك أربعة دولارات. أذكر وقت أن كان شيء كهذا ثمنه ثمانية جنيهات، والجنيهات الثمانية- حسنًا، لا يمكنني حسابها، لكنها كانت نقودًا كثيرة. لكن من يهتم بالأنتيكات الأصلية هذه الأيام- حتى القليل المتبقي منها؟"

في الحال دفع وينستون الدولارات الأربعة، ووضع الشيء المُشتهى في جيبه. ما اجتذبه فيه لم يكن جماله بقدر ما كان ما يحيط به من عبق أنه ينتمي لعصر مختلف تمامًا عن العصر الحالي. فالزجاج الناعم، الشبيه بماء المطر، لم يكن كالزجاج الذي عرفه طيلة عمره. كان ذلك الشيء جذابًا بصورة مضاعفة لأنه بلا استعمال، رغم أنه يمكن تخمين أنه لابد قد استخدم ذات مرة كثقالة للورق. كان ثقيلًا للغاية في جيبه، لكنه- لحسن الطالع- لم يؤد لانتفاخ الجيب كثيرًا. كان شيئًا عجيبًا، بل يثير التشكك، أن يقتنيه عضو في الحزب. فأي شيء قديم، أو حتى أي شيء جميل، هو دائمًا مما يبعث على الشبهات بصورة غامضة. تملك العجوز الفرح بصورة واضحة

بعد أن تلقى الدولارات الأربعة. وأدرك وينستون أنه كان ليقبل ثلاثة دولارات أو حتى دولارين.

قال: "هناك حجرة أخرى بالأعلى، إن أردت أن تلقي نظرة. ليس بها الكثير. بل قطع قليلة. سوف نأخذ معنا مصباحًا إذا صعدنا".

أضاء مصباحًا آخر، وبظهر منحنٍ، اتخذ طريقه ببطء صاعدًا درجات سلم منحدر قديم، وعلى امتداد ممر صغير، يفضي إلى حجرة لا تطل على الشارع، لكن على فناء أرضه من البلاط في خلفيته غابة من المداخن. لاحظ وينستون أن الأثاث ما يزال مرتبًا كأن الحجرة هي حجرة للمعيشة. وكان على الأرضية شريط من سجاد، وصورة أو صورتان على الحائط، وكرسي مهترئ بذراعين، مقعدته عميقة، قرب المدفأة. وكانت ساعة حائط زجاجية عتيقة الطراز تحمل اثني عشر رقمًا وتدق فوق رف المدفأة. وتحت النافذة، سرير عملاق ما تزال مرتبته عليه، يحتل ربع الحجرة تقريبًا.

قال العجوز في نبرة شبه المعتذر: "كنا نعيش هنا، حتى ماتت زوجتي. أبيع الأثاث قطعة وراء قطعة. والآن، هذا سرير من الماهوجني، جميل، أو على الأقل سيكون كذلك إذا أصبح خاليًا من البق. لكن دعني أقول إنك ستجده مرهقًا نوعًا".

كان يرفع المصباح عاليًا، ليضيء الحجرة بالكامل، وفي النور الدافئ الواهن بدا المكان مغريًا بصورة غريبة. انبثقت في رأس وينستون فكرة أنه قد يكون من السهل تمامًا أن يستأجر الحجرة مقابل عدة دولارات في

الأسبوع، إذا تجرأ على المخاطرة. كانت فكرة مجنونة مستحيلة، وعليه أن يتخلى عنها ما إن خطرت له؛ لكن الحجرة أيقظت فيه نوعًا من الحنين، نوعًا من ذكرى الأسلاف. بدا له كأنه كان يعرف تمام المعرفة إحساس مَن يقيم في حجرة كهذه، بها كرسي بمسند إلى جوار مدفأة تضّع على حاجزها قدميك وبراد على الحطب؛ منعزلة تمامًا، آمنة تمامًا، لا يراقبك فيها أحد، ولا يطاردك صوت، ولا تسمع إلا غناء البراد وصوت الساعة الودود.

"لا توجد تيليسكرين!".. لم يتمكن من كتم غمغمته تلك.

قال العجوز: "آه، لم تكن عندي قط أحد تلك الأشياء. باهظة الثمن للغاية. ولم أشعر بالحاجة إليها، على نحوٍ ما. والآن، انظر لهذه المائدة الجميلة المطوية في الركن هناك. لكنك بالطبع لابد أن تغير مفاصلها إذا أردت استخدام الأجزاء المطوية منها".

كان في الركن الآخر مكتبة صغيرة، أحس وينستون سريعًا بالانجذاب إليها. لم يكن بها سوى نفايات. فقد تمت عملية صيد الكتب وتدميرها بنفس الحماسة في مناطق سكن البرولز كما في كل الأماكن الأخرى. ولم يكن من المرجح أن تجد في أوشينيا كلها نسخة من كتاب مطبوع قبل عام 1960. كان العجوز، وهو ما يزال يرفع المصباح، يقف أمام صورة في إطار من خشب الورد معلقة على الجانب الآخر للمدفأة، قبالة السرير.

بدأ يقول في تردد: "إذا كنت مهتمًّا باللوحات المطبوعة القديمة..."

تقدم وينستون ليتفحص اللوحة. كانت حفرًا في الحديد لمبنى بيضاوي له

نوافذ مستطيلة، وثمة برج صغير في الأمام. وكان يحيط بالمبنى سياج، وفي الطرف الخلفي ما يبدو كأنه تمثال. حدق وينستون فيه للحظات. بدا له مألوفًا بصورة غائمة، وإن كان لم يتذكر التمثال.

قال العجوز: "الإطار مثبت بالجدار، لكن يمكنني أن أفكه لك".

قال وينستون في النهاية: "أعرف هذا المبنى. إنه أطلال الآن. يقع وسط الشارع أمام قصر العدل".

"هذا صحيح. أمام المحاكم. لقد تم قصفه في- آه، قبل سنوات طويلة. كان كنيسة في أحد الأوقات، سانت كليمنت دانس، كان هذا اسمها". ابتسم فيما يشبه الاعتذار، كأنه أدرك أن قوله سخيف نوعًا ما، وأضاف: "برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت".

قال وينستون: "ماذا تقصد؟"

"آه- "برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت". كانت من أغاني الأطفال وأنا صغير. لا أذكر متى ظهرت، لكني أعرف أنها تنتهي بـ: "وها هي شمعة تضيء لك طريقك إلى السرير، وها هو منجل يقطع رأسك". كانت أغنية راقصة. كانوا يفردون أذرعهم لك لتمر من تحتها، وعندما يصلون إلى "هنا يأتي منجل لقطع رقبتك" يخفضون أذرعتهم ويمسكون بك. لم تكن أكثر من أسماء لكنائس. كان من بينها كل كنائس لندن- كل كنائس لندن الرئيسية".

تساءل وينستون بصورة غائمة لأي قرن تنتمي الكنيسة. كان من

الصعب دائمًا تحديد عمر أحد أبنية لندن. وأي شيء ضخم وملفت، إذا ما كان يبدو جديدًا بصورة معقولة، كان يُزعم تلقائيًّا أنه بُني بعد الثورة، فيما كان أي شيء ينتمي إلى زمن أقدم بصورة واضحة، يتم نسبته إلى فترة غامضة تُسمى العصور الوسطى. فقرون الرأسمالية كان يُقال إنها لم تنتج شيئًا ذا قيمة. ولا يمكن للمرء معرفة التاريخ من أي معمار بقدر ما لا يمكنه معرفته من الكتب. فالتماثيل، والنقوش، والنصب التذكارية، وأسماء الشوارع- أي شيء قد يلقي الضوء على الماضي تم تبديله بشكل ممنهج.

قال: "لم أعرف يومًا أنها كانت كنيسة".

قال العجوز: "في الواقع بقي الكثير من الكنائس، وإن كانت أصبحت مستخدمة في أغراض أخرى. والآن، ما هي كلمات تلك الأغنية؟ آه، تذكرت!"

"برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت.

لي عندك ثلاثة ملاليم، تقول أجراس سانت مارتن..."

"هذا هو كل ما أذكره، الآن. المليم، كان عملة نحاسية صغيرة، كان مثل القرش".

قال وينستون: "وأين كانت كنيسة سانت مارتن؟"

"سانت مارتن؟ ما تزال قائمة. إنها في ميدان النصر، إلى جوار معرض الصور. مبنى له قبة مثلثة وأمامه أعمدة، ودرجات سلالم كثيرة".

كان وينستون يعرف المكان جيدًا. كان متحفًا يستخدم لعروض الدعاية من كل الأنواع- نماذج مصغرة من القنابل الصاروخية والقلاع العائمة، ولوحات الشمع التي ترسم مذابح العدو، وما إلى هذا.

أردف العجوز: "سانت مارتن في الحقول، هكذا كان اسمها. وإن كنت لا أتذكر أية حقول في تلك الأماكن".

لم يشتر وينستون اللوحة. كان يمكن أن تكون قرينة أكثر إثارة للشبهات من ثقالة الورق الزجاجية، ومن المستحيل العودة بها للبيت، ما لم يُخرجها من إطارها. لكنه تمهل في المكان لدقائق، متحدثًا مع العجوز، الذي كان اسمه، كما اكتشف، ليس "ويكس"- كما يظن المرء من النقش المكتوب على واجهة الدكان- بل تشارنجتن. كان السيد تشارنجتن، على ما يبدو، أرمل يبلغ من العمر 63 عامًا، ويسكن هذا الدكان منذ ثلاثين عامًا. وطيلة تلك الفترة كان يعتزم تغيير الاسم المكتوب على واجهة العرض، لكنه لم يصل أبدًا إلى حد القيام بذلك. وطيلة الوقت الذي قضياه في الحديث، ظلت أغنية الأطفال التي تذكر الرجل نصفها تراود خاطر وينستون. برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت، لي عندك ثلاثة ملاليم، تقول أجراس سانت مارتن! كان أمرًا مدهشًا، لكنك عندما تردد الأغنية بنفسك يتملكك وَهْم أنك تسمع الأجراس بالفعل، أجراس لندن الضائعة التي ما تزال موجودة في مكان أو آخر، متخفية ومنسية. ومن برج كنيسة شبحي إلى آخر، بدا له أنه يسمعها تقرع. لكن على قدر ما يتذكر، لم يسمع في حياته الواقعية أبدًا أجراس كنيسة تقرع.

ابتعد عن دكان السيد تشارنجتن، ونزل الدرج وحده، كي لا يراه العجوز وهو يتفحص الشارع بعينيه قبل أن يخرج من الباب. كان قد عقد العزم على أن يعود بعد فترة مناسبة – شهر، مثلًا – للمخاطرة بارتياد الدكان مرةً أخرى. فلعل ذلك لم يكن أكثر خطورة من تهرّبه من أمسيات المركز. وكانت الحماقة الحقيقية هي أن يعود إلى هذا المكان من الأساس، بعد شراء الدفتر، وبدون معرفة إن كان صاحب الدكان موضع ثقة. على أية حال..!

نعم، خطر له مرةً أخرى أنه سيعود. سيشتري المزيد من قطع المهملات الجميلة. سيشتري لوحة حفر سانت كليمنت دانس، سيخرجها من إطارها، ويعود بها للبيت مخفية داخل سترة الأوفرول. وسيستخرج باقي الأغنية من ذاكرة السيد تشارنجتن. حتى المشروع الجنوني، مشروع استئجار الحجرة العلوية، خطر للحظة بباله مرةً أخرى. وربما لخمس ثوان أصابته النشوة بالتهور، فخرج إلى الرصيف دون أن يلقي نظرة أولًا على الطريق من وراء نافذة العرض. بل إنه بدأ يردد لحنًا ارتجله

برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت
لي عندك ثلاثة ملاليم، تقول..

فجأةً بدا كأن قلبه قد استحال إلى جليد، وأمعاؤه إلى ماء. كان هناك شخصٌ ما يرتدي أوفرولًا أزرق يقترب على الرصيف، عن بُعد أقل من عشرة أمتار. كانت فتاة إدارة الكتابة الإبداعية، الفتاة ذات الشعر الداكن. كان الضوء شحيحًا، لكنه لم يجد صعوبة في التعرف عليها. نظرت إلى وجهه مباشرة، ثم مضت مسرعة كأنها لم تره.

لثوانٍ معدودة أصاب وينستون الشلل فلم يقدر على الحركة. ثم التفت إلى اليمين وسار بخطوات ثقيلة مبتعدًا، دون أن يلاحظ وقتها أنه يمضي في الاتجاه الخطأ. على كل حال، فقد وجد الإجابة عن السؤال. فلم يعد يراوده الشك في أن الفتاة تتجسس عليه. لابد أنها لاحقته إلى هنا؛ إذ لا يمكن تصور أن صدفة خالصة هي التي جعلتها تسير في نفس المساء إلى نفس الشارع الخلفي المعتم، على مسافة كيلومترات من أي مكان يعيش فيه أعضاء الحزب. كان الأمر أكبر من أن يكون محض صدفة. وسواء كانت عميلة لشرطة الأفكار، أو مجرد جاسوسة هاوية يحركها الحماس، فهذا لا يهم. فيكفي أنها كانت تراقبه. ولعلها رأته وهو يدخل الحانة أيضًا.

أصبح السير مُجهدًا. كانت كتلة الزجاج في جيبه تصطدم بفخذه في كل خطوة، ولم يكن راغبًا تمامًا في إخراجها ورميها. وأسوأ شيء كان الألم في بطنه. فلدقيقتين راوده الإحساس بأنه سيموت إن لم يصل إلى مرحاض سريعًا. لكن لا توجد مراحيض عامة في حي كهذا. ثم مرت التقلصات بسلام تاركة وراءها ألمًا مزعجًا.

كان الشارع حارة مسدودة. تمهل وينستون، وتوقف لثوان يتساءل في حيرة ماذا يفعل، ثم دار على عقبيه متتبعًا خطواته السابقة. وإذ استدار خطر بباله أن الفتاة قد مرت به قبل ثلاث دقائق، وأنه إذا ما ركض فيمكن أن يلحق بها. يمكنه أن يتابعها إلى أن يصلا إلى مكان هادئ، ثم يحطم رأسها بإحدى بلاطات الرصيف. وقطعة الزجاج في جيبه ثقيلة بما يكفي لأداء المهمة. لكنه تخلى عن الفكرة في الحال، لأن حتى فكرة بذل أي مجهود بدني

كانت لا تُحتمل. فهو لا يمكنه الجري، ولا يمكنه تسديد ضربة قوية. كما أنها شابة وشبقة، وسوف تدافع عن نفسها. خطر له أيضًا أن يهرع إلى المركز الاجتماعي، ويبقى هناك حتى يغلق المكان أبوابه، ليؤمن لنفسه دليلا جزئيًا بأنه أمضى المساء هناك. لكن هذا بدوره مستحيل. سيطرت عليه حالة من التعب القاتل. كان كل ما يريده هو العودة للبيت سريعًا، وأن يجلس ويبقى هادئًا.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية والعشرين عندما عاد إلى الشقة. كانت الكهرباء تنقطع عن المبنى في الساعة الثالثة والعشرين والنصف. مضى إلى المطبخ، وتجرع مقدار فنجان من جين النصر. ثم ذهب إلى المائدة في ركنه، وجلس، وأخرج الدفتر من الدرج. لكنه لم يفتحه على الفور. كان صوت أنثوي نحاسي في التيليسكرين يردد أغنية وطنية. جلس يحدق في غلاف الدفتر المرمري، محاولًا دون جدوى أن يُبعد الصوت عن وعيه.

كانوا في الليل يأتونك، في الليل دائمًا. وأفضل شيء أن تقتل نفسك قبل أن يقبضوا عليك. ولاشك أن بعض الناس فعلوا ذلك. والعديد من الاختفاءات كانت في واقع الأمر عمليات انتحار. لكن الأمر يحتاج إلى شجاعة يائسة لتقتل نفسك في عالم ليس متاحًا به إطلاقًا أسلحة نارية، أو أي نوع من السموم السريعة الفعالة. فكَّر بنوع من الدهشة في عدم الجدوى البيولوجية للألم والخوف، وخيانة الجسد البشري الذي يتجمد دائمًا في اللحظة الحاسمة التي يكون مطلوبًا منه فيها بذل جهد فائق. كان يمكنه إسكات الفتاة داكنة الشعر، فقط إذا ما تحلى بالسرعة الكافية: لكن بسبب

ما كان معرضًا له من خطر أقصى- بالتحديد- فقد فقَد القدرة على التصرف. خطر له أن في لحظات الأزمة لا يواجه المرء أبدًا عدوًّا خارجيًّا، إنما يواجه جسده. وحتى الآن، ورغم الجين، فقد حال ألم بطنه الوخيم دون الخوض في أفكار متماسكة. وتصور أن الأمر كذلك أيضًا في جميع المواقف البطولية أو المأساوية. ففي ساحة المعركة، أو في حجرة التعذيب، أو على متن سفينة تغرق، تُنسى دائمًا القضايا التي تقاتل من أجلها، لأن الجسد وقتها يتضخم إلى أن يملأ الكون، وحتى عندما لا يشلك الخوف أو الصراخ ألمًا، فإن الحياة هي لحظة وراء لحظة من الكفاح ضد الجوع أو البرد أو الأرق، ضد وجع البطن أو ألم الأسنان.

فتح الدفتر. كان من المهم أن يكتب شيئًا ما. كانت السيدة في التيليسكرين قد بدأت أغنية جديدة. وبدا كأن صوتها ينغرس في مخه كشظايا زجاج. حاول التفكير في أوبريان، الذي يكتب عنه أو من أجله اليوميات، لكن بدلًا من ذلك بدأ يفكر فيما سيحدث له بعد أن تلقي القبض عليه شرطة الأفكار. ولا يهم إذا ما قتلوك على الفور. فالقتل هو ما توقعته. لكن قبل القتل (لا أحد تحدث عن مثل هذه الأمور، لكن الكل كان يعرف بها) فهناك دائمًا مرحلة الاعترافات: الزحف على البلاط والصراخ التماسًا للرحمة، قعقعة العظام المتكسرة، والأسنان المحطمة، وكتل الدم التي يتلبد بها شعر الرأس.

فلماذا يتعين عليك تحمل الأمر، طالما أن النهاية واحدة دائمًا؟ لماذا لا يمكنك حذف بضعة أيام أو أسابيع من حياتك؟ ولم يهرب أحد أبدًا من

انكشاف أمره، ولم يمتنع أحد يومًا عن الاعتراف. فما إن تلحق بك جريمة أفكار، حتى توقن أنك في موعد مقدر ستموت. فلماذا إذن يجب أن يخيم هذا الرعب، الذي لا يغير من الأمر شيئًا، على المستقبل؟

حاول دون نجاح أكبر من ذي قبل أن يستدعي صورة أوبريان. قال له أوبريان: "سوف نلتقي في المكان الذي لا يعرف الظلام". أدرك مقصده، أو ظن أنه قد أدرك. فالمكان الذي لا يعرف الظلام هو المستقبل المتخيل، الذي لن يراه المرء أبدًا، لكنه- بموجب معرفة مسبقة- يمكن للمرء المشاركة فيه، بصورة خفية. لكن مع الصوت المنبعث من التيليسكرين الذي يطن في أذنيه، لم يتمكن من مواصلة تسلسل أفكاره لأبعد من ذلك. وضع سيجارة في فمه. سقط نصف التبغ فورًا على لسانه، وأحس بتراب لاذع يصعب بصقه من جديد. طفت في عقله صورة الأخ الكبير، وقد حلت محل صورة أوبريان. وتمامًا كما فعل قبل أيام، أخرج عملة معدنية من جيبه ونظر إليها. كان الوجه يحدق فيه، ثقيلًا، هادئًا، حاميًا: لكن ما تلك الابتسامة المخفية تحت الشارب الثقيل؟ وكجرس من الرصاص قرعت في خاطره الكلمات:

**الحرب سلام**

**الحرية استعباد**

**الجهل قوة**

# الجزء الثَّـــاني

# الفصل الأوّل

كان الوقت منتصف الصباح، وقد غادر وينستون كُشكه متجهًا إلى دورة المياه.

كان شخصٌ ما قادمًا نحوه، وحيدًا، من الطرف الآخر للممر الطويل، براق الإضاءة. كانت الفتاة ذات الشعر الداكن. كانت قد مرت أربعة أيام منذ ذلك المساء الذي صادفها فيه أمام دكان المهملات. إذ اقتربت أكثر رأى ذراعها اليمنى في جبيرة، لا تُلحظ عن بُعد لأنها بنفس لون الأوفرول الذي ترتديه. لعلها أصابت يدها وهي تؤرجحها حول إحدى آلات الكاليدوسكوب المستخدمة في "ضبط" حبكات الروايات. هي إحدى الحوادث المتكررة في إدارة الكتابة الإبداعية.

كانا قد أصبحا على مسافة أربعة أمتار تقريبًا عندما تعثرت الفتاة وسقطت بطولها على وجهها. بدرت عنها آهة ألم حاد. لابد أنها سقطت على

ذراعها المصابة. توقف وينستون لوهلة. نهضت الفتاة على ركبتيها. شحب وجهها، فيما بانت شفتاها أكثر حمرة من ذي قبل. ثبتت عيناها في عينيه، بتعبير استنجاد بدا أشبه بالخوف منه بالألم.

تحركت في قلب وينستون عاطفة غريبة. كانت أمامه عدوة كانت تحاول قتله: كانت أمامه أيضًا مخلوقة بشرية تتألم، ربما بإحدى عظامها مكسورة. كان- وبشكل غريزي- قد تقدم منها ليساعدها. ولحظة أن رآها تسقط على ذراعها المضمدة، أحس كأنما الألم يسري في جسده.

قال: "هل تأذيت؟"

"لا شيء. هي ذراعي. ستكون على ما يرام بعد ثانية".

تحدثت كأن قلبها يخفق. كانت بالتأكيد قد اعتراها شحوب بالغ.

"ألم تكسري شيئًا؟"

"لا، أنا بخير. إنها تؤلمني للحظة، هذا كل شيء".

مدت يدها السليمة إليه، وساعدها على النهوض. استعادت بعض لونها، وبدت في حال أفضل كثيرًا.

قالت باقتضاب: "لم يحدث شيء. كنت قد صدمت معصمي لا أكثر. شكرًا يا رفيق!"

ثم مضت في الاتجاه الذي كانت تسير فيه، برشاقة كأن شيئًا لم يحدث. لم تستغرق الواقعة كلها ما يزيد على نصف دقيقة. كان كبت مشاعر المرء عن

أن تبدو على وجهه إحدى العادات التي أصبحت مرادفة للغريزة، وعلى كل حال فقد كانا يقفان أمام تيليسكرين عندما حدث ما حدث. ومع ذلك، فلم يكن من الصعب للغاية أن تخونه دهشة لحظية، لثانيتين أو ثلاث ثوانٍ وهو يساعد الفتاة، حيث قامت الفتاة بدس شيءٍ ما في يده. لم يكن ثمة شك في أنها فعلت هذا عمدًا. كان شيئًا صغيرًا مسطحًا. وفيما كان يمر بباب الحمام نقلها إلى جيبه وتحسسها بأنامله. كانت قصاصة ورق، مطوية على هيئة مربع.

وهو يقف عند المبولة، تمكن- بالقليل من التحسس بأنامله- من فضها. كان الواضح أن بها رسالة ما مكتوبة فيها. للحظة أحس بإغراء الدخول إلى أحد المراحيض وقراءتها على الفور. لكن ذلك كان ينطوي على حماقة مفرطة، كما كان يعلم تمام العلم. فلا مكان هنا يمكنك فيه التيقن من أن التيليسكرين لا تراقبك عن كثب وبلا انقطاع.

عاد إلى كشكه، جلس، وألقى بقصاصة الورق باستهانة وسط الأوراق الأخرى على سطح المكتب، ووضع عويناته وجذب آلة كلام-كتابة إليه. قال لنفسه: "خمس دقائق، بعد خمس دقائق على الأقل!" كان قلبه يخفق في صدره في ضجيج مخيف. ولحسن الطالع أن العمل الذي يقوم به كان مجرد مهام روتينية لا أكثر: تصحيح قائمة طويلة من الأرقام، بلا حاجة إلى الكثير من الانتباه.

وأيًا ما كان المكتوب بالورقة، فلابد أن له مغزى سياسيًا ما. وإلى أن يتمكن من رؤيته، فقد كان هناك احتمالان. الأول، وهو الاحتمال الأرجح،

أن الفتاة عميلة لشرطة الأفكار، تمامًا مثلما كان يخشى. ولم يكن يدري لماذا تختار شرطة الأفكار تسليم رسائلها بهذه الطريقة، لكن ربما كان لديهم أسبابهم. وقد يكون المكتوب في الورقة تهديدًا، أو استدعاءً، أو أمرًا بالانتحار، أو فخًّا من نوعٍ ما. لكن كان ثمة احتمال آخر، أكثر تطرفًا، ظل يطل برأسه، مهما حاول بلا جدوى قمعه. هو أن الرسالة لم تأت من شرطة الأفكار بالمرة، إنما من تنظيم ما يعمل في الخفاء. ولعل الأخوية كانت موجودة بالفعل! ولعل الفتاة من أعضائها! لا شك أن الفكرة عبثية، لكنها طرأت بباله لحظة أن أحسَّ بقصاصة الورق في راحته. مرت دقيقتان قبل أن يرد على باله التفسير الآخر، الأرجح. وحتى لحظتها، فرغم أن عقله أخبره بأن الرسالة تعني الموت على الأرجح- فلم يكن هذا ما يعتقده، وظل الأمل غير المعقول يراوده، وخفق قلبه، وبصعوبة تمكن من منع صوته من الارتعاش، وهو يغمغم بالأرقام في جهاز كلام-كتابة.

لفّ أوراق العمل المنتهية وزلقها في الأنبوب الهوائي. مرت ثماني دقائق. عدَّل العوينات من جديد على أنفه، تنهد، وسحب المجموعة التالية من أوراق العمل، وقصاصة الورق فوقها. بسطها. وجد مكتوبًا عليها بخط يدوي كبير:

**أحبك.**

مرت ثوانٍ وهو مذهول إلى حد عدم إلقاء دليل الإدانة في حفرة الذاكرة. وعندما فعل هذا، رغم أنه كان يعرف تمام المعرفة خطر أن يبدي على وجهه قدرًا كبيرًا من الاهتمام، لم يستطع مقاومة قراءتها مرةً أخرى، ليتأكد من

وجود تلك الكلمة حقًّا عليها.

وجد العمل بالغ الصعوبة باقي ذلك الصباح. وما كان أسوأ من ضرورة تركيز أفكاره على سلسلة من المهام الصغيرة هو الحاجة لإخفاء استثارته عن التيليسكرين. أحس كأن نارًا تتقد في أحشائه. وكان الغداء في المقصف الحار، المزدحم، الصاخب، عذابًا. كان يأمل في الانفراد بنفسه لبرهة أثناء ساعة الغداء، لكن لسوء حظه ارتمى بارسونز الأبله بتثاقل إلى جواره، وكاد عبق عرقه يهزم الرائحة الرهيفة للشوربة، وانطلق في سيل من الحديث عن تحضيرات "أسبوع الكراهية". كان متحمسًا بشكل خاص بشأن تمثال كرتوني لرأس الأخ الكبير، عرضه متران، كان يتم تجهيزه للمناسبة على يد فرقة مخبري فتاته الصغيرة. والمزعج هو أن وينستون- في غمرة الأصوات- كان لا يكاد يسمع ما يقوله بارسونز، ويُضطر مرات كثيرة أن يطلب منه تكرار ملحوظة بلهاء ما. وذات مرة لمح الفتاة، تجلس إلى مائدة مع فتاتين أخريين عند طرف الحجرة البعيد. بدا أنها لم تره، ولم ينظر في اتجاهها مرة أُخرى.

كان عصر ذلك اليوم أكثر احتمالًا. فور انتهاء الغداء جاءته مهمة عمل صعبة وحساسة، استغرقت منه عدة ساعات، واقتضت أن ينحي كل ما عداها جانبًا. كانت عبارة عن تزييف سلسلة من تقارير الإنتاج صدرت قبل عامين، بحيث يتم نزع المصداقية عن عضو بارز في الحزب الداخلي، غير مرضي عنه الآن. كانت تلك إحدى المهام التي يجيدها وينستون، ولأكثر من ساعتين نجح في إبعاد الفتاة عن ذهنه تمامًا. ثم عادت إليه ذكرى وجهها من جديد، مصحوبة برغبة عارمة لا تحتمل في أن يكون وحيدًا. وإلى أن

يتمكن من الوحدة، كان من المستحيل عليه أن يفكر في هذا التطور الجديد. وكانت الليلة إحدى لياليه في المركز الاجتماعي. ابتلع وجبة أخرى عديمة المذاق من المقصف، وهرع إلى المركز، وشارك في السخافة الرصينة لـ"مجموعة النقاش"، ولعب دوري تنس طاولة، وابتع عدة كؤوس من الجين، ثم جلس لنصف ساعة يستمع إلى محاضرة "اشت-إنج وعلاقتها بالشطرنج". تلوّت روحه من الملل، لكنه- هذه المرة- لم يكن لديه دافع للتهرب من أمسيته في المركز. عند رؤيته لكلمة "**أحبك**"، تفجرت داخله الرغبة في البقاء حيًا، وفجأةً بدا له القيام بمخاطرات صغيرة أمرًا أحمق. ولم يعد إلى بيته حتى الساعة الثالثة والعشرين، وإلى سريره- في الظلام، حيث يأمن التيليسكرين طالما ظل صامتًا- وقتها فقط كان قادرًا على التفكير بشكل متصل.

كانت مشكلة مادية تحتاج إلى حل: فكيف يتواصل مع الفتاة ويرتب للقاء معها. لم يعد يفكر في احتمال أنها ربما تنصب له فخًا ما. كان يعرف أن الأمر ليس كذلك، بسبب استثارتها الواضحة تمام الوضوح وهي تسلمه الورقة. وكان من الواضح أنها مرعوبة بما يتجاوز قدراتها. كما لم تخطر له فكرة رفض محاولتها للاقتراب منه. فقبل خمس ليالٍ لا أكثر كان يتأمل فكرة تحطيم جمجمتها بإحدى بلاطات الرصف، لكن لا أهمية لهذا الآن. فكر في جسدها العاري، اليانع، كما رآه في أحلامه. تخيلها غبية كبقيتهن، رأسها مكدسة بالأكاذيب والكراهية، وبطنها ممتلئ بالثلج. اعترته حمّى عندما فكر في احتمال خسارتها، احتمال أن يفلت منه هذا الجسد الأبيض البض! وما كان يخشاه أكثر من أي شيء هو أنها قد تغير رأيها ببساطة إن لم

يتواصل معها سريعًا. لكن الصعوبة المادية للقاء كانت هائلة. كأنه كان يحاول تحريك قطعة شطرنج بعد أن أعلن خصمه "كش مات". فأينما تذهب تواجهك التيليسكرين. والحق أن كل سبل الاتصال الممكنة معها مرت برأسه خلال خمس دقائق من قراءته الورقة، لكن الآن، مع الوقت المتاح له للتفكير، مر عليها واحدًا وراء الآخر، كأنه يرص مجموعة من الأدوات على منضدة.

والواضح أن طريقة اللقاء الذي حدث هذا الصباح لا يمكن أن تتكرر. فإذا ما كانت تعمل في "إدارة السجلات"، فربما أصبح الأمر سهلًا بصورة مقارنة، لكنه لم تكن لديه إلا فكرة غامضة عن مكان إدارة الكتابة الإبداعية، وليست لديه ذريعة للذهاب إلى هناك. ولو كان يعرف أين تعيش، أو متى تغادر العمل، لأمكنه السعي للقائها في مكانٍ ما وهي في الطريق إلى بيتها؛ لكن أن يحاول السير وراءها إلى البيت، فلم يكن ذلك بالعمل الآمن، لأنه كان يعني الوقوف والتسكع أمام الوزارة، وهو الأمر الذي سيُلاحظ بلا شك. أما أن يرسل إليها رسالة بالبريد، فكان مستحيلًا. فلم يكن سرًّا أن جميع الرسائل تُفتح في طريقها من المرسل إلى المرسَل إليه، بصورة روتينية. والحق أن قلة من الناس ظلوا يكتبون رسائل. وبالنسبة للرسائل التي كانت هناك ضرورة لإرسالها، فقد كانت هناك كروت بريدية مطبوعة بقوائم مطولة من الجمل، ويمكنك شطب الجمل غير المنطبقة على الرسالة. وعلى كل حال، فلم يكن يعرف اسم الفتاة، ناهيك عن عنوانها. أخيرًا قرر أن أكثر الأماكن أمانًا هو المقصف. فإذا ما تمكن من الانفراد

بها على مائدة وحدهما، في مكانٍ ما وسط الحجرة، ليس عن قرب كبير من التيليسكرين، ومع قدر كاف من صخب الحديث المحيط بهما- وإذا ما دامت هذه الشروط لـ- لنقل- ثلاثين ثانية مثلًا، فربما يتمكن من تبادل كلمات قليلة معها.

على مدى أسبوع بعد تلك الليلة، أصبحت الحياة حلمًا مقلقًا. ففي اليوم التالي لم تظهر في المقصف إلى أن هَم بمغادرته، وكانت الصافرة قد انطلقت بالفعل. افترض أن فترة عملها تغيرت لوردية متأخرة. مرا ببعضهما البعض دون تبادل نظرة. وفي اليوم التالي، كانت في المقصف في الوقت المعتاد، لكن مع ثلاث فتيات أخريات، وتحت التيليسكرين مباشرة. ثم لثلاثة أيام بغيضة لم تظهر بالمرة. أحس بجسده وعقله وقد أصابتهما حساسية لا تحتمل، شفافية ما، جعلت كل حركة وكل صوت وكل اتصال وكل كلمة ينطقها أو يسمعها: محض عذاب. حتى في النوم، لم يتمكن من الهرب من صورتها أبدًا. لم يلمس دفتر المذكرات طوال تلك الأيام. وإن كانت هناك أي راحة فهي في عمله، الذي يمكنه أحيانًا من نسيان نفسه لعشر دقائق دفعة واحدة. لم يكن لديه أي تفسير على الإطلاق لما حدث لها. ولا يمكنه أن يسأل عنها أحدًا. ربما تبخرت، ربما قامت بالانتحار، ربما نُقلت إلى طرف أوشينيا الآخر: الأسوأ والأرجح، أنها ربما غيرت رأيها ببساطة، وقررت تفاديه.

عاودت الظهور في اليوم التالي. كانت ذراعها قد تحررت من الجبيرة، ولفت معصمها ببلاستر طبي. كان إحساسه بالراحة عندما رآها عظيمًا إلى حد أنه لم يقاوم التحديق فيها مباشرةً لعدة ثوانٍ. في اليوم التالي كاد ينجح

في الكلام معها. فعندما دخل إلى المقصف كانت جالسة إلى مائدة بعيدة تمامًا عن الجدار، وكانت وحدها. كان الوقت مبكرًا، والمكان غير ممتلئ تمامًا. راح الطابور يتقدم بطيئًا إلى أن كاد وينستون يصل إلى المنضدة الطويلة، ثم توقف لدقيقتين لأن هناك شخصًا ما أمامه راح يشتكي لعدم حصوله على السكر الصناعي. لكن الفتاة كانت ما تزال وحدها عندما أخذ وينستون صينيته، وشرع في الاتجاه نحو مائدتها. تقدم منها كأنه لا يلوي على شيء، وعيناه تبحثان عن مكان إلى مائدة وراءها. ربما كانت على مسافة ثلاثة أمتار منه. لم يكن بحاجة لوقت أطول من ثانيتين. آنئذٍ نادى صوت من خلفه: "سميث!" تظاهر بأنه لم يسمع. تكرر الصوت أعلى: "سميث!". لا فائدة. استدار. كان شابًا أشقر، ذا سحنة بلهاء، يُدعى ويلشر، كان يعرفه بالكاد، يدعوه بابتسامة للجلوس في مكان خال إلى مائدته. لم يكن آمنًا رفض الدعوة. بعد أن رآه، لم يكن من الممكن أن يذهب إلى مائدة مع فتاة لا أحد معها. فهذا فعل ملحوظ تمامًا. جلس وعلى وجهه ابتسامة ودود. بادله الابتسام الوجه الأشقر الأبله. انتابت وينستون هلوسة داخلية عن نفسه وهو يحطم هذا الوجه بفأس إلى نصفين. وامتلأت مائدة الفتاة بعد دقائق قليلة.

لكن المؤكد أنها رأته وهو يتقدم منها، وربما فهمت. في اليوم التالي حرص على المجيء مبكرًا. كانت جالسة إلى مائدة في المكان نفسه تقريبًا، ووحدها مرةً أخرى. كان الشخص الواقف أمامه في الطابور مباشرة رجلًا ضئيلًا، سريع الحركة، شبيهًا بالخنفساء، وجهه مسطح، وعيناه ضئيلتان

مرتابتان. وإذ استدار وينستون عن المنضدة الطويلة بصينيته، رأى الرجل الضئيل يتجه مباشرة إلى مائدة الفتاة. تحطمت آماله من جديد. كان هناك مكان خالٍ عند مائدة قريبة، لكن شيئًا ما في مظهر الرجل الضئيل أوحى له بأنه سيكون مهتمًّا براحته بما يكفي ليختار المائدة الفارغة من الناس. والثلج يعتصر قلبه، مشي وينستون وراءه. لا فائدة إن لم يتمكن من الاختلاء بالفتاة. في تلك اللحظة سمع صوتًا صاخبًا. كان الرجل الضئيل راقدًا على الأرض على أطرافه الأربعة، وقد طارت صينيته في الهواء، فيما ينساب على الأرضية سيلان من الشوربة والقهوة. انتفض على قدميه وهو يرمق بنظرة خبيثة وينستون، الذي كان واضحًا أنه يشك في أنه هو مَن قام بعرقلته. لكن كل شيء كان على ما يرام. فبعد خمس ثوان، وبقلب يخفق كهزيم الرعد، كان وينستون جالسًا إلى مائدة الفتاة.

لم ينظر إليها. راح ينقل الطعام من صينيته إلى المائدة، وبدأ في الأكل فورًا. كان من المهم أن يتحدث على الفور، قبل أن يأتي أحد آخر، لكن خوفًا رهيبًا تملكه. لقد مر أسبوع منذ اقتربت منه لأول مرة. فلعلها غيرت رأيها، لابد أنها غيرت رأيها! كان من المستحيل أن تنتهي هذه العلاقة بشكل ناجح! فمثل هذه الأمور لا تحدث على أرض الواقع. ربما كان ليعدل تمامًا عن الحديث لولا أنه رأى أمبلفورث في تلك اللحظة، ذلك الشاعر صاحب الأذنين المشعرتين، وهو يجول مترنحًا وفي يده صينيته، باحثًا عن مكان للجلوس. كان أمبلفورث مرتبطًا بوينستون بطريقته الغريبة، وكان من المؤكد أنه سيجلس إلى مائدته لو رآه. وكانت هناك دقيقة أو نحوها ليتصرف.

كان وينستون والفتاة يأكلان بلا توقف. كان ما يأكلانه هو شوربة خفيفة، وفاصولياء. وفي غمغمة خفيضة بدأ وينستون يتحدث. لم يرفع أيهما عينيه، وراحا يلعقان الشوربة الأقرب للماء بانتظام، وبين الرشف يتبادلان كلمات قليلة ضرورية بأصوات خفيضة تخلو من أي تعبير.

"متى تغادرين العمل؟"

"الثامنة عشرة والنصف".

"أين نلتقي؟"

"ميدان النصر، قرب النصب التذكاري".

"إنه مليء بالتيليسكرين".

"لا يهم إذا كان مزدحمًا".

"أهناك إشارة؟"

"لا. لا تقترب مني حتى تراني وسط حشد من الناس. ولا تنظر نحوي. فقط ابق قريبًا مني على مسافة ما".

"الساعة؟"

"السابعة مساءً".

"اتفقنا".

لم ير أمبلفورث وينستون، وجلس إلى مائدة أخرى. لم يتحدثا مرةً أخرى، وبقدر ما هو ممكن لشخصين يجلسان على طرفي مائدة واحدة، فلم ينظر أحدهما للآخر. انتهت الفتاة من طعامها سريعًا وغادرت، فيما جلس وينستون يدخن سيجارة.

كان وينستون في ميدان النصر قبل الموعد المحدد. راح يجول حول قاعدة العمود الاسطواني الضخم، الذي كان يحدق من قمته تمثال الأخ الكبير جنوبًا نحو السماء، إلى حيث هزم طائرات أوراسيا (كانت طائرات إيستاسيا، قبل بضع سنوات) في معركة المهبط رقم واحد. في الشارع أمامه تمثال لرجل على ظهر جواد يفترض أنه يمثل أوليفر كرومويل. بعد خمس دقائق من الموعد لم تظهر الفتاة بعد. مرةً أخرى سيطر على وينستون الخوف الرهيب. لن تأتي، فقد غيرت رأيها! تمشى في بطء إلى الطرف الشمالي للميدان، وأحس بقدر من المتعة الشاحبة للتعرف على كنيسة سانت مارتن، التي كانت أجراسها، عندما كانت لها أجراس، تُرنم "لي عندك ثلاثة ملاليم". آنئذٍ رأى الفتاة واقفة عند قاعدة النصب التذكاري، تقرأ أو تتظاهر بقراءة ملصق يلتف حول العمود بشكل حلزوني. لم يكن من الأمان الاقتراب منها إلى أن يتجمع بعض الناس. كانت شاشات التيليسكرين متناثرة في المكان. لكن في تلك اللحظة انبعثت موجة من الصيحات وانطلاق مركبات ثقيلة من مكانٍ ما إلى اليسار. فجأةً بدا أن الجميع يركضون عبر الميدان. راحت الفتاة تتحرك في خدر حول الأُسود عند قاعدة النصب التذكاري، وانضمت إلى الجمع. تبعها وينستون. وهو يركض، تبين له من بعض الملاحظات الجهورية أن قافلة من أسرى أوراسيا تمر.

كان جمع كثيف من الناس يحجبون الآن الجانب الجنوبي من الميدان. راح وينستون يدفع ويراوغ ويشق طريقه قُدمًا إلى قلب الحشد، وهو مَن كان في العادة ممن يفضلون البقاء عند أطراف أي تجمع. سرعان ما أصبح

على مسافة ذراع من الفتاة، لكن طريقه كان مسدودًا بشخص هائل الحجم من البرولز، وسيدة تكاد تماثله في الضخامة، الأرجح أنها زوجته، كأنهما يمثلان جدارًا من اللحم لا يمكن اختراقه. راوغ وينستون في هذا الاتجاه وذاك، وبحركة عنيفة تمكن من إدخال كتفه بينهما. للحظة أحس كأن أحشاءه قد انسحقت بين هذين الفخذين من العضلات، ثم نفذ من بينهما، وهو يتعرق. أصبح إلى جوار الفتاة. كتفه إلى كتفها، يحدقان معًا في ثبات أمامهما.

كانت تمر ببطء قافلة طويلة من الشاحنات، يقف بكل ركن من ظهرها حراس منتصبون بوجوه من خشب، مسلحون ببنادق نصف آلية. في الشاحنات رجال صُفر قصار في زي رسمي أخضر مهترئ يجلسون متكدسين القرفصاء. كانت وجوههم المنغولية، الحزينة، تحدق من فوق جوانب الشاحنات في لامبالاة تامة. ومن حين لآخر، عندما تتأرجح شاحنة كان يُسمع صليل تصادم المعادن: كان الأسرى مقيدين بسلاسل في الأقدام. شاحنة وراء أخرى من الوجوه الحزينة راحت تمر. كان وينستون يدرك أنهم أمامه، لكن لا يراهم إلا بشكل متقطع. كتف الفتاة، وذراعها اليمنى حتى المرفق، كان يضغطان على كتفه وذراعه. وكان خدها قريبًا منه بما يكفي ليشعر بدفئه. على الفور أخذت زمام المبادأة تمامًا، كما فعلت في المقصف. بدأت تتحدث بنفس الصوت الخالي من أي تعبير كما فعلت من قبل، بشفاه تكاد تتحرك، محض غمغمة تغرق بسهولة في سيل الأصوات وقعقعة العربات.

"أتسمعني؟"

"نعم".

"هل يمكنك أن تأخذ بعد ظهر الأحد إجازة؟"

"نعم".

"إذن اسمعني بحرص. لا بد أن تذكر ما سأقوله. اذهب إلى محطة بادنجتن.."

وبنوع من الدقة العسكرية التي أذهلته، أوضحت له المسار الذي سيكون عليه اتباعه. رحلة بالقطار لمدة نصف ساعة، دُر إلى اليسار خارج المحطة؛ كيلومتران على الطريق؛ بوابة عمودها العلوي مفقود؛ دربٌ عبر حقل؛ ممشى ينمو عليه العشب، شاحنة بين الأجمات؛ شجرة ميتة عليها طحالب. كانت كأن بداخل رأسها خريطة. همست أخيرًا: "هل تذكر كل هذا؟"

"نعم".

"ستدور إلى اليسار، ثم اليمين، ثم اليسار مرةً أخرى. وليس للبوابة عمود علوي".

"نعم. في أية ساعة؟"

"الثالثة من بعد الظهيرة. قد تُضطر للانتظار. سأصل إلى هناك من طريق آخر. هل أنت واثق من أنك تذكر كل شيء؟"

"نعم".

"إذن ابتعد عني بأسرع ما يمكن".

لم تكن مضطرة لأن تقول له ذلك. لكنهما لبرهة لم يتمكنا من تخليص نفسيهما من الحشد. كانت الشاحنات ما تزال تمر، والناس تنظر بأفواه مفغورة في دهشة. في البدء، اقتصر الأمر على بعض الصفير والهسيس، لكنه لم يكن ينبعث إلا من أعضاء الحزب وسط الحشد، وسرعان ما توقف. فالعاطفة الغالبة كانت ببساطة الفضول. فالأجانب، سواء كانوا من أوراسيا أو إيستاسيا، كانوا نوعًا غريبًا من الحيوانات. ولا يراهم المرء إطلاقًا إلا في شكل أسرى، وحتى وهم أسرى لا يراهم المرء إلا بلمحة عابرة. ولم يكن لأحد أن يعرف ماذا حدث لهم، باستثناء القلة منهم الذين يُعلقون في المشانق كمجرمي حرب: كان الآخرون يختفون، في معسكرات أشغال شاقة فيما يُفترض. حل محل الوجوه المغولية المستديرة وجوهٌ أقرب إلى الأوروبية، قذرة، ملتحية ومرهقة. وفوق الوجنات القذرة كانت العيون تنظر إلى عيني وينستون، بكثافة غريبة أحيانًا، ثم تشيح عنه من جديد. كادت القافلة تمر بالكامل. في الشاحنة الأخيرة، استطاع أن يرى رجلًا مُسنًّا، وجهه كتلة من الشعر الكثيف المتلبد، يقف منتصبًا ومعصماه معقودان أمامه، كأنه كان معتادًا على ربطهما معًا. كان تقريبًا وقت افتراق وينستون والفتاة. لكن في اللحظة الأخيرة، فيما كان الحشد ما يزال يحتويهما، بحثت يدها عن يده، ومنحتها ضغطةً عابرة.

مؤكد أن الأمر لم يزد عن عشر ثوانٍ، لكنه بدا كأنه فترة طويلة، تشابكت خلالها أيديهما معًا. كان لديه ما يكفي من وقت لمعرفة كل

تفصيلة من تفاصيل يدها. استكشف الأصابع الطويلة، والأظافر الجميلة، وراحة اليد التي اعترتها خشونة العمل، وبها صف من الخطوط الجامدة، واللحم اللين تحت المعصم. من تحسسه لها لا أكثر كان سيعرفها فيما بعد بمجرد النظر. في اللحظة نفسها خطر له أنه لا يعرف لون عيني الفتاة. ربما كان اللون البني، لكن الناس ذوي الشعر الداكن أحيانًا ما تكون عيونهم زرقاء. وأن يدير رأسه وينظر إليها فهذه حماقة لا يمكن تخيلها. بيدين مشبوكتين، لا يراهما ضغط الأجساد، حدقا أمامهما في ثبات، وبدلًا من عيني الفتاة حدقت فيه عينا الأسير المسن بصورة حزينة من وسط شعره الكثيف.

# الفصـل الثَّـاني

اتخذ وينستون طريقه خلال الدرب الضيق تلفه بقع من النور والظل، وهو يخطو إلى برك من الذهب كلما افترقت الأغصان. وتحت الأشجار إلى يساره كانت الأرض ضبابية بالورد الأزرق. كأن الهواء يقبل بشرة المرء. كان الثاني من مايو. ومن مكان أعمق في قلب الغابة سمع هديل الحمام.

جاء مبكرًا قليلًا. لم يصادف مصاعب في الرحلة، وكان من الواضح أن الفتاة خبيرة لدرجة أن خوفه كان أقل مما يحدث له عادةً. كان من المفترض أنها موثوقة في أن تجد مكانًا آمنًا. بشكل عام لم يكن يمكنك افتراض أنك أكثر أمنًا في الريف عن لندن. لم تكن هناك بالطبع شاشات تيليسكرين، لكن كان هناك دائمًا خطر وجود ميكروفونات مخفية قد يتم بواسطتها التقاط صوتك والتعرف عليه؛ كما أنه لم يكن ممكنًا أن تخرج في رحلة وحدك دون أن تجذب الانتباه. بالنسبة للمسافات الأقل من 100 كيلومتر

لم يكن مطلوبًا ختم جواز سفرك، لكن أحيانًا ما كانت هناك دوريات عند محطات السكة الحديد، تتفحص أوراق أي عضو بالحزب يعثرون عليه ويسألونه أسئلة مزعجة. على أية حال، لم تظهر دوريات، وفي سيره من المحطة تأكد بإلقاء نظرات حذرة خلفه من أن لا أحد يراقبه. كان القطار مليئًا بالبرولز، في مزاج الإجازات، لأن الطقس صيفي. وكانت عربة القطار ذات المقاعد الخشبية التي ركبها ممتلئة إلى حد التخمة بعائلة هائلة واحدة، تتراوح من الجدة الأكبر عديمة الأسنان، إلى الرضيع الذي لا يزيد عمره عن الشهر، وقد خرجوا لتمضية ساعة العصر مع "الأصهار" في الريف، وأيضًا- كما أوضحوا لوينستون في أريحية- لشراء بعض من زبد السوق السوداء.

اتسع الممر، وبعد دقيقة وصل إلى الممشى الذي أخبرته عنه، لا يزيد عن درب تمشي عليه الدواب بين الأجمات. لم تكن معه ساعة يد، لكن لا يمكن أن تكون الساعة قد أصبحت الخامسة عشرة بعد. كانت الزهور الزرقاء كثيفةً تحت القدم لدرجة أنه من المستحيل أن يمضي في طريقه دون أن يدوس عليه. ركع لأسفل وراح يلتقط بعضه، جزئيًا ليمرر الوقت، لكن أيضًا وبفعل فكرة مبهمة ما بأن يجمع باقة زهور يقدمها للفتاة عندما يلتقيان. جمع باقة كبيرة، وكان يتشمم رائحتها الزكية الرهيفة، حين سمع صوتًا من خلفه فتجمد في مكانه، صوت وقع قدم تدهس الأغصان الصغيرة، بلا شك. عاد لالتقاط الزهور. كان هذا أفضل شيء يفعله. قد تكون الفتاة، أو قد يكون هناك من يراقبه، رغم كل شيء. وأن ينظر خلفه كان كفيلًا بإظهار إحساسه بالذنب. التقط زهرة ثم أخرى. حطت يد بخفة على كتفه.

رفع عينيه. كانت الفتاة. هزت رأسها، مؤكد لتحذره بأن عليه التزام الصمت، ثم فرقت الأجمة بيدها واتخذت بسرعة طريقها عبر الممر الضيق إلى قلب الغابة. كان من الواضح أنها جاءت إلى هنا من قبل، لأنها تفادت المرور بالمناطق الموحلة كأنها تعرفها جيدًا. تبعها وينستون، وهو ما يزال ممسكًا بباقة الزهور. كان أول إحساس اعتراه هو الراحة، لكنه وهو يراقب الجسد القوي الرشيق يتحرك أمامه، بالحزام القرمزي الذي كان محبوكًا بما يكفي لكشف استدارة ردفيها، أحس بالدونية تثقل كاهله. وحتى الآن، كان يبدو مرجحًا تمامًا أنها إذا ما التفتت ونظرت إليه فسوف تتراجع بعد كل ذلك. أفعمته بالرهبة عذوبة الهواء واخضرار أوراق الشجر. فبالفعل، وهو يسير من المحطة، أشعرته شمس مايو بالقذارة والشحوب، بأنه أحد المخلوقات التي لا ترى الشمس، مع تراب لندن بلون السخام في مسام جلده. خطر له أنها حتى الآن ربما لم تره في نور النهار في مكان مكشوف. بلغا الشجرة الساقطة التي ذكرتها له. قفزت الفتاة فوقها وشقت الأجمة، التي لم يبد أن بها فتحة ما. عندما مشي وينستون وراءها، وجد أنهما كانا في بقعة مفتوحة طبيعية، بقعة صغيرة معشوشبة تحيط بها أشجار عالية ظليلة تخفيها عن الأنظار تمامًا. توقفت الفتاة والتفتت إليه.

قالت: "ها قد وصلنا".

كان في مواجهتها، على مسافة أقدام قليلة. وحتى الآن لم يجرؤ على الاقتراب منها أكثر.

أضافت: "لم أرغب في قول أي شيء في الممر، فربما كان به ميكروفون

مخبوء. لا أفترض وجود ميكروفون، لكنه قد يكون موجودًا. هناك دائمًا خطر أن يتعرف أحد هؤلاء الخنازير على صوتك. نحن على ما يرام هنا".

لم تكن لديه الشجاعة- ما يزال- للاقتراب منها. كرر في بلاهة: "أنحن على ما يرام هنا؟"

"أجل. انظر إلى الشجر". كانت أشجار دردار صغيرة، كانت قد قُطعت قبل زمن، ثم نمت مرة أخرى متحولة إلى غابة من الحراب المشرعة، لا يزيد سُمك جذع أي منها عن معصم اليد. "ما من شيء كبير هنا بما يكفي لإخفاء ميكروفون فيه. وقد جئت إلى هنا من قبل".

كانا يتحدثان لا أكثر. تمكن من الاقتراب منها أكثر الآن. وقفت أمامه مشدودة القامة، وابتسامة على وجهها فيها شيء من السخرية، كأنها تتساءل عن سبب بطئه هذا في التصرف. سقطت باقة الزهور الزرقاء على الأرض. كأنها سقطت من تلقاء ذاتها. أمسك بيدها.

قال: "أتصدقين أنني- حتى هذه اللحظة- لم أكن أعرف لون عينيك؟" لاحظ أنها بنية، درجة فاتحة من اللون البني، والرموش داكنة. "والآن بعد أن رأيت شكلي فعلًا، هل ما تزالين تتحملين النظر إليَّ؟"

"نعم، بسهولة".

"أنا في التاسعة والثلاثين من العمر. عندي زوجة لا يمكنني التخلص منها. ومصاب بالدوالي، وعندي خمس أسنان صناعية".

قالت الفتاة: "لا يهمني إطلاقًا".

في اللحظة التالية، كان من الصعب تبين من الذي اتخذ المبادرة، وكانت بين ذراعيه. في البداية لم يشعر بشيء سوى عدم التصديق الخالص. فالجسد اليافع كان يلاصق جسده، وكتلة الشعر الداكن على وجهه، ونعم! رفعت وجهها إليه وقبَّل فمها الأحمر العريض. لفت ذراعيها حول عنقه، وراحت تناديه يا حبيبي، يا غالي، يا حبي. نزل بها إلى الأرض، بلا أدنى مقاومة منها، وكان بمقدوره أن يفعل معها ما يشاء. لكن الحقيقة أنه لم يشعر بإحساس جسدي باستثناء الإحساس بالتلامس بينهما. كل ما كان يشعر به هو عدم التصديق والفخر. كان سعيدًا بما يحدث، لكن دون الشعور برغبة جسدية. كان ذلك سريعًا للغاية، فأخافه شبابها وجمالها، وكان قد اعتاد العيش بلا نساء- ولم يكن يعرف السبب. نهضت الفتاة، ونزعت زهرة زرقاء من شعرها. جلست قبالته، ولفت ذراعها حول خصره.

"ولا يهمك يا عزيزي. لسنا في عجلة. فأمامنا فترة ما بعد الظهيرة كلها. أليس مخبئًا مدهشًا؟ لقد وجدته عندما ضللت الطريق ذات مرة في رحلة جماعية. وإذا ما اقترب أحد فسيمكنك أن تسمعه من بُعد مئات الأمتار".

قال وينستون: "ما اسمك؟"

"جوليا. أعرف اسمك. وينستون، وينستون سميث".

"كيف عرفتِه؟"

"أعتقد أنني أجيد معرفة الأشياء أفضل منك، يا عزيزي. قل لي، كيف

كنت تراني قبل اليوم الذي أعطيتك فيه الورقة؟"

لم يشعر بأي إغراء للكذب عليها. فقد كان من قرابين الحب حتى أن يبدأ بقول أسوأ ما عنده.

قال: "كرهت منظرك. أردت اغتصابك ثم قتلك بعدها. قبل أسبوعين كنت أفكر جديًا في تحطيم رأسك بأحد بلاطات الرصف. إن كنتِ حقًّا تريدين المعرفة، فقد تخيلت أن لك علاقة ما بشرطة الأفكار".

ضحكت الفتاة في عذوبة، والظاهر أنها رأت فيما قاله إطراءً على مهارة تنكرها.

"ليست شرطة الأفكار! هل فكرت بجدية في هذا حقًّا؟"

"حسنًا، ليس تمامًا. لكنك من مظهرك العام- لمجرد أنك شابة وعذبة وبصحة جيدة، تفهمينني- فكرت أنك ربما.."

"كنت تظن أنني عضوة صالحة بالحزب. نقية في الكلام والأفعال. لافتات، مواكب، شعارات، ألعاب، رحلات جماعية، وكل هذا الأشياء. وتخيلت أنني إذا ما أتيحت لي ربع فرصة فسوف أشي بك، باعتبارك مجرم-أفكار، ويقتلونك؟"

"نعم، شيء من هذا القبيل. فهناك شابات كثيرات على هذا الحال، أنت تعرفين".

وهي تخلع عنها الحزام القرمزي لرابطة شبان معاداة الجنس، وترمي به

على غصن شجرة، قالت: "إنها تلك الشرطة اللعينة هي السبب". ثم، كأن ملامستها لخصرها قد ذكرتها بشيءٍ ما، راحت تبحث في جيب الأوفرول وأخرجت كسرة شيكولاتة صغيرة. كسرتها إلى نصفين، وأعطت أحدهما إلى وينستون. حتى قبل أن يأخذها عرف من رائحتها أنها شيكولاتة غير عادية. كانت داكنة ولامعة، وملفوفة بورق فضي. عادةً ما تكون الشيكولاتة شيئًا بليد اللون البني، ومفتت، له- إذا ما أمكن وصفه- مذاق يشبه دخان حريق القمامة. لكن في وقت ما سابقًا، تذوق شيكولاتة مثل القطعة التي أعطتها له. وأول نفحة من رائحتها بعثت فيه ذكرى لا يمكنه استحضارها، لكنها كانت قوية ومقلقة.

قال: "من أين أتيتِ بها؟"

قالت في لامبالاة: "السوق السوداء. الواقع أنني هذا الصنف من الفتيات الملفتات. فأنا ماهرة في الألعاب. وكنت قائدة فريق في إدارة المخبرين. وأؤدي العمل التطوعي ثلاثة مساءات في الأسبوع لصالح رابطة شبان معاداة الجنس. وقد أمضيت ساعات وساعات وأنا ألصق زبالتهم اللعينة على جدران لندن. ودائمًا ما أحمل أحد طرفي اللافتة في المسيرات. ودائمًا ما يبدو على وجهي السرور، ولا أتهرب من شيء. دائمًا ما أهتف مع الحشد. هذه هي الطريقة الوحيدة لتكون آمنًا".

ذابت أول قطعة شيكولاتة على لسان وينستون. كان المذاق مبهجًا. لكن الذكرى ما تزال تحوم حول حواف وعيه، شيء قوي أحس به، لكن لا يتخذ شكلًا محددًا، كشيء يراه المرء بطرف عينه. أبعد الذكرى عنه، دون

أن يعي سوى أنها ذكرى تصرفٍ ما يود لو كان بمقدوره أن يلغيه، لكن لم يكن ليستطيع.

قال: "أنت صغيرة للغاية. أصغر مني بعشرة أو خمسة عشر عامًا. فماذا ترينه جذابًا في رجل مثلي؟"

"كان شيء ما في وجهك. قلت فلآخذ فرصتي. إنني أجيد تبين غير المنتمين. وما إن رأيتك حتى عرفت أنك ضدهُم".

هُم، على ما يبدو، تعني الحزب، والحزب الداخلي قبل أي شيء، التي تحدثت عنها بكراهية مريرة جعلت وينستون يشعر بالقلق، رغم أنه كان يعرف أنهما آمنان هنا بأكثر من أي مكان آخر. ما أدهشه فيها كان خشونة كلامها. فالمفترض بأعضاء الحزب ألا يسبُّوا، ووينستون نفسه كان نادرًا ما يسب، بصوت عال، على الأقل. لكن جوليا، على أية حال، بدت غير قادرة على ذكر الحزب، خصوصًا الحزب الداخلي، دون استخدام كلمات كالتي يراها مكتوبة بالطباشير على جدران الأزقة الفقيرة. لم يكره ما تقوله. كان ذلك أحد أعراض تمردها على الحزب وكل أساليبه، وكان يبدو- على نحوٍ ما- أمرًا طبيعيًا وصحيًا، مثل عطسة جواد يشم تبنًا فاسدًا. تركا البقعة الخالية وراحا يجولان من جديد خلال الظل المتقطع، وذراع كل منهما حول خصر الآخر، كلما كان ثمة اتساع يكفي ليسيرا جنبًا إلى جنب. لاحظ كم يبدو خصرها ليونة بعد أن تخلصت من الحزام. لم يتحدثا بصوت يعلو على الهمس. خارج البقعة الخالية، على حد قول جوليا، من الأفضل توخي الهدوء. وفي التو، وصلا إلى طرف الغابة الصغيرة. استوقفته.

"لا تخرج إلى الخلاء. فقد يكون هناك مَن يراقب. ونحن على ما يرام إذا ما بقينا وراء الأشجار".

كانا واقفين في ظل أشجار البندق. وضوء الشمس- الذي ينفذ من خلال ما لا يحصى من وراء أوراق الشجر- ما يزال ساخنًا على وجهيهما. نظر وينستون إلى الحقل في البعيد، وانتابته صدمة إدراك غريبة، وبطيئة. لقد أدركه بالنظر. هو مرعى قديم، مقضوم، به ممشى يتلوى خلاله، وتلال الخلد هنا وهناك. وعند حاجز الأشجار القديم على الطرف المقابل كانت أغصان أشجار الدردار تتمايل مع النسيم بخفة، وأوراقها تتحرك بنعومة في كتل كثيفة كشعر امرأة. أليس من المؤكد أن هناك- في مكان ما قريب، خارج نطاق الرؤية- جدول ماء به برك خضراء تسبح فيها أسماك الشبوط؟

همس: "أليس هناك جدول ماء قريب من هنا؟"

"هذا صحيح، هناك جدول. إنه عند طرف الحقل التالي بالفعل. وفيه أسماك، أسماك كبيرة. ويمكنك رؤيتها وهي راقدة في البرك تحت أشجار الصفصاف، تهز ذيلها".

غمغم: "إنها الأرض الذهبية، تقريبًا".

"الأرض الذهبية؟"

"لا شيء. إنه مشهد طبيعي أراه أحيانًا في الحلم".

همست جوليا: "انظر!"

حط عصفور مغرد على أحد الأغصان على مسافة لا تزيد على خمسة أمتار، يكاد يكون في مستوى الوجه. لعله لم يرهما. كان في الشمس، وهما في الظل. فرد جناحيه، ثم أعادهما إلى مكانهما من جديد في حرص، وأحنى رأسه للحظة، كأنه يقوم بتحية الشمس باحترام، ثم بدأ في إطلاق شلال من التغريد. في صمت ما بعد الظهيرة كان الصوت مذهلًا. تشبث وينستون وجوليا ببعضهما البعض، مفتونين. تواصلت الموسيقى وتواصلت، دقيقة وراء دقيقة، بتنويعات مدهشة، لا تكرر نفسها أبدًا ولا مرةً واحدة، كأن الطائر يتعمد تقريبًا استعراض براعته. أحيانًا كان يتوقف لثوانٍ معدودة، يفرد جناحيه ويضمهما ثانيةً، ثم ينفخ صدره المنقط وينطلق في الغناء من جديد. كان وينستون يتفرج عليه بنوع من التبجيل الغامض. فلمن، ولماذا، كان يغني الطائر؟ لا وليف، ولا غريم كان يراه. فما الذي جعله يجثم على طرف غابة وحيدة هكذا ويصب غناءه على مسامع العدم؟ وتساءل ما إن كان ثمة ميكروفون- بعد كل هذا- مخبوء في مكان ما قريب. لم يكن قد تكلم هو وجوليا إلا بالهمس الخفيض، وإذا ما كان الميكروفون موجودًا فلن يلتقط ما قالاه، لكنه سيلتقط التغريد. ربما كان عند الطرف الآخر للميكروفون رجلٌ ما ضئيل، يشبه الخنفساء، ينصت بانتباه- ينصت لما يسمعانه. لكن تدفق الموسيقى أبعدت عن ذهنه- بالتدريج- كل تلك الأفكار. كان كأن مادة سائلة كانت تنسكب عليه، وتختلط بضوء الشمس النافذ من بين أوراق الشجر. كف عن التفكير واكتفى بالإحساس. خصر الفتاة في ثنية ذراعه كان ناعمًا ودافئًا. جذبها إليه حتى أصبحا صدرًا لصدر؛ وبدا أن جسدها يذوب في جسده. فأينما تحركت يداه كان يجده طيعًا كالماء. تداخلت معًا

شفاههما، وكان الأمر مختلفًا عن القبلات العنيفة التي تبادلاها من قبل. وعندما باعدا بين وجهيهما مرةً أخرى، تنهدا بعمق. انتاب الطائر الخوف، وطار بجناحين خفاقين.

وضع وينستون شفتيه على أذنها، همس: "الآن".

همست: "ليس هنا. فلنعد إلى المخبأ. فهو آمن أكثر".

سريعًا، مع صوت تكسر أغصان من حين لآخر، اتخذا طريقهما عائدين إلى البقعة الخالية. وعندما أصبحا داخل حلقة أشجار الدردار من جديد استدارت وواجهته. كانا يتنفسان في سرعة، لكن الابتسامة عاودت الظهور عند طرفي فمها. وقفت تنظر إليه للحظة، ثم بحثت بيدها عن سحَّاب الأوفرول الذي ترتديه. وبالفعل! كان كأنه مثلما رأى في حلمه تقريبًا. وتقريبًا بنفس سرعة ما تخيله، كانت قد خلعت ثيابها، وطرحتها جانبًا بتلك الحركة الرائعة التي بدا أنها تمحق حضارة كاملة. ومض جسدها أبيض في الشمس. لكنه للحظة لم ينظر إلى جسدها؛ استقرت عيناه على وجهها المنمش، بابتسامته الخفيفة الجريئة. ركع أمامها وأمسك بيدها في يده.

"هل فعلتِ هذا من قبل؟"

"بالطبع. مئات المرات– أعني، عشرات المرات، تقريبًا".

"مع أعضاء الحزب؟"

"نعم، دائمًا مع أعضاء الحزب".

"مع أعضاء من الحزب الداخلي؟"

"لا ليس هؤلاء الحقراء. لكن هناك الكثيرين ممن سيُقبلون لو أتيحت لهم نصف فرصة. ليسوا مقدسين كما يصورون أنفسهم".

تقافز قلبه. لقد فعلتها عشرات المرات: تمنى لو كانت مئات المرات، بل الآلاف. فأي شيء كان يشير إلى فساد دائمًا ما يعمر قلبه بالأمل الجامح. فمن يدري، ربما كان الحزب متعفنًا تحت السطح، وعقيدته عن التقشف وإنكار الذات هي ببساطة زيف يخفي الظلم. وإذا ما تمكن من أن يعديهم جميعًا بالجذام أو الزهري فسوف يفعلها بكل سرورا أي شيء ليصيب بالعفن، ليضعف ويقوض! جذبها إليه على الأرض فركعا وجهًا لوجه.

"اسمعي. كلما زاد عدد الرجال الذين عرفتِهم، زاد حبي لك. هل تفهمين؟"

"نعم، تمامًا".

"أكره النقاء، أكره الطيبة! لا أريد وجود أية فضيلة في أي مكان. أريد أن يفسد كل واحد حتى العظام".

"حسنًا إذن، فلابد أنني مناسبة لك إذن، يا عزيزي. فأنا فاسدة حتى العظام".

"أتحبين فعل ذلك؟ لا أقصد أنا تحديدًا: أقصد الشيء نفسه".

"أعشقه".

كان هذا، قبل أي شيء، ما كان يرغب في سماعه. ليس مجرد حب المرء لشخص آخر، بل الغريزة الحيوانية، الرغبة البسيطة التي لا تفرق بين

شخص وآخر: تلك هي القوة القادرة على تمزيق الحزب إربًا. ضغط عليها لتتمدد على العشب، بين الزهور الزرقاء الساقطة. هذه المرة لم تكن هناك صعوبة. وفي التو تباطأ صعود وهبوط صدريهما إلى السرعة الطبيعية، وفي حال من قلة الحيلة العذبة انفصلا عن بعضهما البعض. بدا كأن الشمس قد ازدادت حرارتها. أحسا بالنعاس، كلاهما. مد يده إلى الأوفرول المخلوع وغطى به بعض جسدها. وفي الحال تقريبًا غطا في النوم، واستغرقا في النوم لنحو نصف ساعة.

استيقظ وينستون أولًا. نهض وراقب وجهها المنمش، النائم ما يزال في سلام، وهو يتوسد راحة يدها. وباستثناء فمها، فلا يمكنك أن تعتبرها جميلة. كان هناك خط أو اثنان حول عينيها، إذا ما نظرت بإمعان. وكان الشعر الأسود الداكن كثيفًا وناعمًا بشكل استثنائي. خطر بباله أنه ما يزال لا يعرف اسمها بالكامل، أو أين تعيش.

الجسد اليافع القوي، الذي أصبح بلا حيلة وهو نائم، أيقظ فيه إحساسًا بالعطف والرغبة في الحماية. لكن العذوبة الخالصة التي أحسها تحت شجرة البندق، أثناء تغريد العصفور، لم تعد إليه تمامًا. نحى الأوفرول جانبًا وراح يتمعن في جسدها الأبيض الناعم. في الأيام الخوالي، كما خطر له، كان الرجل ينظر إلى جسد الفتاة ويراه مرغوبًا فيه، وتلك نهاية القصة. لكن لا يمكن للمرء هذه الأيام أن يجد الحب الخالص أو الشبق الخالص. فلا عاطفة خالصة، لأن كل شيء كان يمتزج بالخوف والكراهية. كان عناقهما معركة، والوصول إلى الذروة انتصارًا. كان ضربة مسددة إلى الحزب. كان فعلًا سياسيًّا.

# الفصل الثَّالث

قالت جوليا: "يمكننا المجيء إلى هنا مرةً أخرى. فاستخدام مخبأ مرتين آمن، بشكل عام. لكن ليس قبل شهر أو شهرين، طبعًا".

ما إن استيقظت حتى تغير طبعها. أصبحت منتبهة وعملية، فارتدت ثيابها، وأحاطت خصرها بالحزام، وبدأت في ترتب تفاصيل رحلة العودة. وبدا طبيعيًّا أن يترك الأمر لها. فالواضح أن لديها مهارة عملية ليست عند وينستون، وبدا أيضًا أنها على معرفة واسعة بالريف المحيط بلندن، كمخزون من رحلاتها الجماعية العديدة. كان المسار الذي أخبرته به يختلف تمامًا عن مسار القدوم، وأفضى به إلى محطة سكة حديد مختلفة. قالت: "لا تعد أبدًا من الطريق التي جئت منها"، كأنها ترسي مبدأً عامًّا مهمًّا. وستغادر هي أولًا، وعلى وينستون أن ينتظر نصف ساعة قبل أن يخرج وراءها.

ذكرت له مكانًا يمكنهما اللقاء فيه بعد العمل، في الأمسية الرابعة من

ذلك الحين. كان شارعًا بأحد الأحياء الأكثر فقرًا، حيث كان هناك سوقٌ مفتوحٌ، مزدحمٌ دائمًا وصاخب. ستتجول هناك بين الأكشاك، متظاهرة بالبحث عن رباط حذاء أو خيط حياكة. وإذا ما رأت أن الجو آمن، فستعطس وهو يقترب؛ وإلا فسيكون عليه أن يمر بها في تجاهل. لكن بشيء من الحظ، وسط الزحام، قد يكون من الآمن أن يتحدثا معًا ربع ساعة، ويرتبا للقاء آخر.

قالت، ما إن حفظ تعليماتها: "والآن يجب أن أذهب. فعندي موعد في التاسعة عشرة والنصف. وعليّ أن أقضي ساعتين في اجتماع رابطة شبان معاداة الجنس، أسلم منشورات أو شيئًا من هذا القبيل. أليس أمرًا لعينًا؟ انفض لي ثوبي، من فضلك. هل علقت أية أغصان بشعري؟ هل أنت متأكد؟ وداعًا إذن، يا حبي، وداعًا!"

رمت بنفسها بين ذراعيه، وقبلته بما يشبه العنف، وبعد لحظة شقت طريقها خلال أشجار الدردار، واختفت في الغابة بأقل جلبة. وإلى الآن، لم يكن يعرف اسمها بالكامل أو عنوانها. لكن، لا فرق، فليس من المتصور أن يلتقيا في بيت، أو يتبادلا أية مراسلات.

وبالفعل، لم يعودا أبدًا إلى البقعة الخالية في الغابة. وخلال شهر مايو كانت هناك فرصة أخرى نجحا فيها في ممارسة الجنس. كان ذلك في مخبأ آخر تعرفه جوليا، في برج كنيسة محطمة في منطقة تكاد تكون مهجورة في الريف، حيث سقطت قنبلة ذرية قبل ثلاثين عامًا. كان مخبأ جيدًا ما إن تصل إليه، لكن الوصول إليه كان خطرًا للغاية. وغير ذلك لم يتمكنا من

اللقاء إلا في الشوارع، في مكان مختلف كل مساء، ولا أكثر من نصف ساعة أبدًا في كل مرة. في الشارع، كان يمكن عادة الحديث، على نحوٍ ما. وفيما كانا يشقان طريقهما بالأرصفة المزدحمة، غير متجاورين تمامًا، ودون أن يتبادلا النظر، كان يدور بينهما حوار غريب، متقطع، يدور وينقطع كنور الفنار، ويصمتان فجأةً مع اقتراب شخص في زي الحزب، أو الاقتراب من شاشة تيليسكرين، ثم يواصلان الحديث بعد دقائق من منتصف جملة، ثم يتوقفان فجأةً مع افتراقهما عند النقطة المتفق عليها، ثم يتواصل الحديث- بلا مقدمات- في اليوم التالي. بدا أن جوليا كانت معتادة تمامًا على هذا النوع من الحديث، وكانت تسميه "حديث على أقساط". وكانت بارعة بشكل مدهش في الكلام دون تحريك شفتيها. مرةً واحدة خلال شهر تقريبًا من اللقاءات الليلية تمكنا فيها من تبادل قبلة. كانا يمران في صمت بشارع جانبي (لا تتحدث جوليا أبدًا وهما بعيدان عن الشوارع الرئيسية)، حين سمعا دويًا يصم الآذان، وتزلزلت الأرض، وأظلم الجو، ووجد وينستون نفسه مطروحًا على الأرض على جانبه، وقد أصابته الجروح واعتراه الرعب. لابد أن قنبلة صاروخية قد سقطت قريبًا منهما. فجأةً أدرك وجود وجه جوليا على مسافة سنتيمترات من وجهه، شاحبًا شحوب الموت، أبيض كالطباشير. حتى شفتاها كانتا بيضاوين. كانت ميتة! تشبث بها ووجد نفسه يقبِّل وجهًا حيًّا دافئًا. لكن ثمة مادة بيضاء، من غبار، اعترضت طريق شفتيه. كان وجهاهما يغطيهما الجبس الأبيض الكثيف.

مرت بهما أمسيات وصلا خلالها إلى موعد المقابلة، ثم كان عليهما أن

يمر أحدهما بالآخر دون نظرة، لأن دورية تصادف أنها تمر بالمكان، أو مروحية كانت تحلق فوقهما. وحتى إذا ما كان الأمر أقل خطورة، فقد يكون من الصعب العثور على وقت للقاء. كان وينستون يعمل ستين ساعة في الأسبوع، وجوليا تعمل أكثر، وأيام الإجازة لهما تتباين بحسب ضغط العمل، ولا تتوافق كثيرًا. وعلى أية حال، لم يكن لدى جوليا- إلا نادرًا- أمسية حرة بكاملها. كانت تمضي وقتًا بالغ الطول في حضور المحاضرات والمظاهرات، وفي توزيع تعاليم رابطة شبان معاداة الجنس، وتحضير اللافتات لأسبوع الكراهية، وجمع التبرعات لحملة المدخرات، وأنشطة من هذا القبيل. كانت تقول إن الأمر مفيد، فهو تمويه. وإذا ما راعيت القواعد الصغيرة، فيمكنك كسر القواعد الكبيرة. حتى إنها حملت وينستون على التطوع بإحدى أمسياته إلى نشاط تصنيع الذخيرة التطوعي، الذي يؤديه طوعًا أعضاء الحزب الغيورون على حزبهم. وهكذا، ففي أمسية واحدة كل أسبوع، أصبح وينستون يمضي أربع ساعات في ملل قاتل، يجمع فيها قطعًا صغيرة من المعدن، لعلها أجزاء من فتائل قنبلة، في ورشة باردة، مظلمة، يختلط فيها صوت المطارق بموسيقى التيليسكرين في مزيج كئيب.

وعندما التقيا في برج الكنيسة استوفيا الثغرات القائمة في حديثهما المتشظي. كان عصرًا لاهبًا. والهواء في الحجرة الصغيرة المربعة- فوق الأجراس- ساخن وراكد، ويفوح برائحة مخلفات الحمام النفاذة. جلسا يتحدثان بالساعات على الأرضية الترابية المكسوة بالأغصان الجافة، فيما كان ينهض أحدهما- من حين لآخر- لإلقاء نظرة من وراء فتحات السهام



م7 - ١٩٨٤ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

في البرج، والتأكد من عدم اقتراب أحد.

كانت جوليا تبلغ من العمر ستًّا وعشرين سنة. تعيش في نُزل مع ثلاثين فتاة أخرى ("دائمًا رائحة عطن النساء! كم أكره النساء! قالتها كجملة اعتراضية)، وتعمل، كما خمَّن، على آلات صناعة الروايات في إدارة الكتابة الإبداعية. كانت تستمتع بعملها، الذي يقوم بالأساس على تشغيل وإدارة محرك كهربائي قوي لكنه حرون. وكانت تحب استخدام يديها وتجد نفسها متآلفةً مع الآلة. كان يمكنها وصف عملية تأليف الرواية كاملة، ابتداءً من التوجيهات العامة الصادرة من لجنة التخطيط، وصولًا إلى اللمسات النهائية لفرقة إعادة الكتابة والتحرير. لكنها لم تكن مهتمة بالمنتج النهائي. "لا تهمني القراءة كثيرًا"، كما قالت. فالكتب ليست أكثر من سلعة عليهم إنتاجها، كالمربى أو أربطة الأحذية.

لا ذكريات عندها عن أي شيء أبعد من الستينيات، والشخص الوحيد الذي كان تعرفه يومًا، وكان يتحدث كثيرًا عن أيام ما قبل الثورة، هو جدٌّ لها اختفى وهي في الثامنة من العمر. في المدرسة، كانت قائدة فريق الهوكي، وفازت بميدالية الجمباز لعامين متتاليين. كانت قائدة لفرقة مخبرات وأمينة لشعبة في "رابطة الشبان" قبل انضمامها إلى "رابطة شبان معاداة الجنس". دائمًا ما كانت شخصيتها العامة ممتازة. بل إنها (في إشارة لا تخطئ على تمتعها بالسمعة الطيبة) قد اختيرت للعمل في قسم "البورنو"، وهو قسم فرعي في إدارة الكتابة الإبداعية كان يقوم بإنتاج مواد جنسية رخيصة لتوزيعها وسط البرولز. كان العاملون بالقسم يُسمونه "بيت الوحل"، كما أشارت له.

ظلت هناك لمدة عام، تساعد في إنتاج كتيبات في عبوات مغلفة ومختومة، بعناوين مثل "قصصَ الضرب على المؤخرة"، أو "ليلة في مدرسة البنات"، التي يشتريها بحماس الشباب البروليتاري الذين كان لديهم انطباع بأنهم إنما يشترون شيئًا غير قانوني.

قال وينستون في فضول: "ما هي هذه الكتب؟"

"ليست أكثر من قمامة. إنها مملة، بالفعل. فهم لا يعرفون سوى ست حبكات، لكنهم يقومون بتبديلها وتحويرها قليلًا. وبالطبع لم أكن أعمل إلا على آلات الكاليدوسكوب. لم أعمل قط في فرقة إعادة الكتابة والتحرير. فلست مهتمة بالأدب، يا عزيزي- ولا حتى بما يكفي لذلك".

عرف بدهشة أن جميع العاملين في قسم البورنو، باستثناء رؤساء الإدارات، من الفتيات. كانت النظرية أن الرجال، باعتبارهم أقل قدرة على التحكم في غريزتهم الجنسية من النساء، يتعرضون لخطر أكبر بالإفساد بالقاذورات التي يتعاملون معها.

أضافت: "بل إنهم لا يفضلون النساء المتزوجات هناك". فالمفترض دائمًا أن الفتيات بالغات النقاء. لكن ها هي واحدة ليست نقية، على أية حال.

أول علاقة جنسية دخلتها كانت وهي في السادسة عشرة، مع عضو في الحزب في عمر الستين، انتحر بعد ذلك لتفادي القبض عليه. قالت جوليا: "وقد أحسن عملًا أيضًا، وإلا لكانوا قد عرفوا باسمي منه في اعترافاته". من بعدها، كان هناك كثيرون. فالحياة كما كانت تراها بسيطة تمامًا. فالمرء يريد

تمضية وقت طيب، و"هم"، وتعني الحزب، يريدون منعك منه؛ فتخالف القواعد قدر الإمكان. كان يبدو أنها ترى من الطبيعي "أنهم" يريدون حرمانك من متعك، مثلما من الطبيعي أن تتفادى الإيقاع بك. كانت تكره الحزب، وقالت ذلك بأغلظ الكلمات، لكن لمّ تنتقده انتقادات عامة. أما عندما كان يمس حياتها الخاصة، فلم تكن لتهتم بمبادئ الحزب. لاحظ أنها لا تستخدم كلمات كلام-جديد أبدًا، إلا الكلمات التي دخلت إلى الاستخدام اليومية. لم تذكر الأخوية مطلقًا، ورفضت تصديق وجودها. وأي نوع من التمرد المنظم ضد الحزب، وهو أمر محكوم بالفشل، كانت تراه عملًا غبيًا. فالذكاء يكمن في أن تخالف القواعد وتبقى حيًا في الوقت نفسه. تساءل في غموض عن عدد الآخرين، مثلها، من الجيل الشاب، ممن نشأوا في عالم الثورة، ولا يعرفون سواه، ويقبلون بالحزب كشيء غير قابل للتغيير، كالسماء، دون أن يتمردوا على سلطته، لكن يتحاشونها فحسب، كما يراوغ الأرنب أحد الكلاب.

لم يناقشا إمكانية الزواج. كانت مسألة أبعد من جدارة التفكير فيها. فما من أية لجنة ستوافق على مثل هذا الزواج، حتى إذا ما أمكن التخلص من زوجته كاثرين، بشكلٍ ما. لا أمل في الأمر، حتى كحلم يقظة.

قالت جوليا: "كيف كانت؟ أقصد زوجتك؟"

"كانت- هل تعرفين تلك الكلمة في كلام-جديد **طيبةالتفكير**؟ بمعنى أنها ملتزمة عقائديًا بصورة طبيعية، وغير قادرة على التفكير في أمور سيئة"؟

"لا، لا أعرف الكلمة، لكني أعرف هذا النوع من الناس، تمام المعرفة".

بدأ يخبرها بقصة حياته الزوجية، لكن المدهش أنها بدت كأنها تعرف الأجزاء المهمة منها بالفعل. وصفت له، تقريبًا كأنها رأت أو أحست، جمود جسد كاثرين ما إن يلامسها، والطريقة التي كانت تبدو بها كأنها تبعده عنها بكل قوتها، حتى وذراعاها تحتضنانه بقوة. مع جوليا لم يشعر بأية صعوبة في الحديث عن هذه الأمور: فكاثرين، على كل حال، كفت منذ أمد عن أن تكون ذكرى مؤلمة له، وأصبحت مجرد ذكرى بغيضة".

"كان بمقدوري احتمال الأمر لولا شيء واحد"، قال. أخبرها بالطقس الاحتفالي البارد الذي كانت كاثرين تجبره عليه في نفس الليلة من كل أسبوع. "كانت تكره الجنس، لكن لا شيء يجعلها تكف عنه. كانت معتادة على تسميته- لن تتوقعي الاسم أبدًا".

قالت جوليا على الفور: "واجبنا تجاه الحزب".

"كيف عرفت؟"

"أنا أيضًا ذهبت إلى المدرسة، يا عزيزي. فدرس الجنس يتم مرة كل شهر للفتيات فوق الستة عشر عامًا. وفي حركة الشبان. إنهم يغرسونه فيك على مرّ السنين. فلنعترف أنه أثبت فعاليته في حالات كثيرة. لكنك بالطبع لا يمكنك أبدًا أن تعرف بشكل يقيني؛ فالناس منافقون لأقصى درجة".

بدأت تستفيض في هذا الموضوع. مع جوليا، يرجع كل شيء لغريزتها الجنسية. وما إن تتم ملامسة ذلك، بأي شكل، حتى تتناوله بدقة كبيرة. وعلى

النقيض من وينستون، فقد التقطت المعنى الكامن في طهرانية الحزب الجنسية. لم يكن الأمر فحسب أن الغريزة الجنسية كانت تخلق عالمًا خاصًّا بها خارج نطاق سيطرة الحزب، ومن ثم فلابد من تدميره إن أمكن. فالأهم أن الحرمان الجنسي كان يؤدي إلى الهيستريا، وهو ما كان مطلوبًا، لأنها يمكن تحويلها إلى حمَّى الحرب وعبادة القائد. هكذا فسرت الموضوع:

"فعندما تمارس الجنس تستهلك الطاقة، وبعدها تشعر بالسعادة ولا تبالي بشيء. وهم لا يمكنهم تحمل أن تشعر بشعور كهذا. إنهم يريدونك متفجرًا بالطاقة طوال الوقت. فكل تلك المسيرات هنا وهناك، والتهليل والتلويح بالأعلام، ليس إلا الجنس وقد تعفن لعدم استهلاكه. وإذا كنت سعيدًا بداخلك، فلماذا إذن تتحمس للأخ الكبير، وخطط السنوات الثلاث، ودقيقتي الكراهية، وكل عفنهم اللعين هذا؟"

كان هذا صحيحًا تمامًا، كما خطر له. فهناك صلة كامنة بين العفة والمبادئ السياسية. إذ كيف يمكن الاحتفاظ بالخوف والكراهية والسذاجة البلهاء- التي كان الحزب بحاجة إليها في أعضائه- في المستوى المناسب إلا بتعبئة غريزة قوية، واستخدامها قوةً دافعة؟ فالغريزة الجنسية خطرة على الحزب، وها هو الحزب قد سيطر عليها. وهم يلعبون لعبة مشابهة مع غريزة الأمومة. فلا يمكن القضاء فعليًا على الأسرة، وهم بالفعل يشجعون الناس على محبة أطفالهم، بالطريقة التقليدية القديمة تقريبًا. والأطفال، من جانبهم، ينقلبون- بشكل ممنهج- على آبائهم، ويُلقَّنون التجسس عليهم، والإبلاغ عن انحرافاتهم. لقد أصبحت الأسرة- في الواقع- امتدادًا لشرطة

الأفكار. هي جهاز أمكن من خلاله محاصرة كل واحد- ليل نهار- بالمخبرين الذين يعرفونه تمام المعرفة.

فجأة عاد عقله إلى كاثرين. كانت كاثرين قطعًا لتبلغ عنه شرطة الأفكار لو لم تكن أغبى من أن تكتشف عدم التزام آرائه بالمبادئ الحزبية. لكن ما أعاد ذكراها إليه في تلك اللحظة حقًّا كانت الحرارة الخانقة لما بعد الظهيرة، التي تصبب معها عرقه على جبينه. بدأ يخبر جوليا شيئًا مما حدث، أو بالأحرى مما لم يحدث، ذات أصيل صيفي حار كهذا، قبل أحد عشر عامًا.

كان ذلك بعد الزواج بثلاثة أو أربعة شهور. وكانا قد ضلا طريقهما في رحلة جماعية في مكانٍ ما في كِنت. لم يتخلفا عن الآخرين سوى لدقيقتين، حيث اتخذا منعطفًا خاطئًا. وفي التو وجدا نفسيهما عند جرف محجر جير قديم. كان أمامهما هاوية حادة بعمق عشرة أو اثني عشر مترًا، والكتل الصخرية في القاع. ولم يكن هناك من يسألانه عن الطريق. وما إن أدركت أنهما قد ضلا الطريق حتى انزعجت كاثرين كثيرًا. فأن تكون بعيدة عن جمع الرحلة الصاخب، ولو لدقيقة، أعطاها الإحساس بارتكابها خطيئة. كانت تريد المسارعة بالعودة من نفس الطريق الذي جاءا من خلاله، وبدأت البحث في الاتجاه العكسي. لكن في اللحظة نفسها، لاحظ وينستون بعض باقات الزهور النامية في شقوق الجرف تحتيهما. كانت هناك باقة بلونين، أرجوانية وحمراء بلون الطوب، يبدو أنها من جذر واحد. لم يكن قد سبق له أن رأى شيئًا كهذا من قبل، ونادى على كاثرين أن تقترب وتنظر معه.

"انظري، يا كاثرين! انظري إلى هذه الزهور. تلك الكتلة في الأسفل عند

القاع. هل ترين أنهما بلونين مختلفين؟"

كانت قد استدارت بالفعل لتغادر، لكنها عادت للحظة في اضطراب. بل إنها مالت على واجهة الجرف لترى إلى أين يشير. كان واقفًا وراءها بقليل، ووضع يده على خصرها ليثبتها في مكانها. في تلك اللّحظة خطر له فجأةً كم هما وحدهما تمامًا. ما من مخلوق في أي مكان، ولا ورقة شجر تتحرك، ولا حتى طائر يرفرف. في مكان كهذا كان خطر وجود ميكروفون مختبئ ضئيلًا للغاية، وحتى إذا ما كان هناك ميكروفون فلن يلتقط سوى الأصوات. كانت ساعة الأصيل الأعلى حرارة والأكثر بعثًا على النعاس. وكانت الشمس تشويهما في الأسفل، وينبثق العرق على وجهه. وخطرت له الفكرة..

قالت جوليا: "لماذا لم تدفعها دفعة قوية؟ كنت لأفعل هذا".

"نعم، يا عزيزتي، كنت لتفعلين. وكنت لأفعل، فيما لو كنت وقتها نفس الشخص الذي ترينه الآن. أو ربما كنت لأفعل وقتها- لست متأكدًا".

"هل تشعر بالأسف لأنك لم تفعل؟"

"أجل. بشكل عام يؤسفني أنني لم أفعل".

كانا يجلسان متجاورين على الأرضية المتربة. جذبها إليه واحتضنها. استراحت رأسها على كتفه، ورائحة شعرها العذبة تهزم رائحة مخلفات الحمام. كانت شابة للغاية، خطر له، وما تزال تتوقع شيئًا ما من الحياة، ولم تفهم أن دفع شخص مزعج من فوق جرف لا يحل مشكلة.

قال: "الواقع أنه لم يكن لينجم عنه أي فارق".

"إذن فلماذا تشعر بالأسف على أنك لم تفعل؟"

"فقط لأنني أفضل الإيجابية على السلبية. في هذه اللعبة التي نلعبها لا يمكننا أن نفوز. وبعض أنواع الفشل أفضل من أنواع أخرى، هذا كل شيء".

شعر بكتفيها تلتويان في اعتراض. كانت دائمًا ما تعارضه عندما يقول شيئًا من هذا القبيل. فهي لا تقبل فكرة أن يُهزم المرء دائمًا كإحدى المسلمات الطبيعية للحياة. بشكلٍ ما، كانت تدرك أن مصيرها هي نفسها مشئوم، فعاجلًا أو آجلًا ستمسك بها شرطة الأفكار وتقتلها، لكنها كانت تؤمن- في جانب آخر من عقلها- بأن من الممكن إلى حدٍّ ما بناء عالم سري يمكن أن تعيش فيه كما تشاء. وكل ما تحتاج إليه هو الحظ والمكر والجرأة. ولم تكن لتفهم أنه لا وجود لشيء كالسعادة، وأن الانتصار الوحيد يكمن في المستقبل البعيد، بعد أن تموت بكثير، وأنه منذ لحظة إعلان الحرب على الحزب، فمن الأفضل أن تفكر في نفسك كجثة.

قال: "نحن الموتى".

قالت جوليا بلا اكتراث: "لم نمت بعد".

"ليس جسديًا. بصورة متخيلة، بعد ستة أشهر، عام- خمسة أعوام. إنني أخاف الموت. وأنت شابة، لذلك أفترض أنك تخافينه أكثر مني. والواضح أن علينا إبعاده عنا قدر المستطاع. لكن لا فارق هنالك. فطالما ظل البشر بشرًا، فالموت والحياة سيان".

"كلام فارغ! فمن تفضل أن تنام معها، أنا أم هيكل عظمي؟ ألا تستمتع بكونك على قيد الحياة؟ ألا تحب الإحساس: هذه أنا، هذه يدي، هذه ساقي، أنا حقيقي، أنا صلب. أنا حي! ألا تحب هذا؟"

تلوت وضغطت بثديها عليه. أحس بثدييها ناضجين لكن متماسكين، من تحت الأوفرول. بدا جسدها كأنه يسكب من شبابه وحيويته عليه.

قال: "بلى، أحب هذا".

"إذن كفاك كلامًا عن الموت. والآن اسمعني، يا عزيزي، علينا تحديد أين نلتقي المرة القادمة. ربما نعود لمكاننا في الغابة. لقد أعطيناه فترة راحة كافية. لكن عليك الذهاب من طريق مختلف هذه المرة. لقد خططتُ لكل شيء. ستأخذ القطار- لكن، انظر، سأرسم لك المسار".

وبطريقتها العملية، رسمت مربعًا صغيرًا على التراب بإصبعها، وبغصن من عش حمامة بدأت في رسم خريطة على الأرض.

# الفصـل الرّابـع

نظر وينستون حوله في الحجرة الصغيرة الرثة فوق دكان مستر تشارنجتن. إلى جوار النافذة كان السرير الكبير مرتبًا، عليه بطانيات قديمة ووسادة بلا غطاء. ساعة الحائط العتيقة ذات الاثني عشر رقمًا كانت تدق فوق المدفأة. وفي الركن، على المائدة المطوية، كانت ثقالة الورق الزجاجية- التي اشتراها في زيارته الأخيرة- تلمع في نعومة في الحجرة شبه المظلمة.

وعند حاجز المدفأة كان هناك موقد زيتي بالٍ من الصفيح، وطاسة، وقدحان، قدمها مستر تشارنجتن. أشعل وينستون النار ووضع حلةً مليئة بالماء ليغلي. كان قد أتى معه بمظروف مليء بقهوة النصر وبعض عبوات السكر الصناعي. عقارب الساعة كانت تشير إلى السابعة عشرة وعشرين دقيقة: كانت الساعة فعليًا التاسعة عشرة وعشرين دقيقة. وكانت ستحضر في التاسعة عشرة والنصف.

غباء، غباء، ظل قلبه يكرر: غباء واعٍ، مجاني، انتحاري. فمن بين جميع الجرائم التي يمكن لعضو الحزب ارتكابها، هذه الجريمة هي الأقل قابلية للإخفاء. والواقع أن الفكرة قد خطرت بباله أول مرة على هيئة رؤيا، لثقالة الورق الزجاجية التي كانت تنعكس على سطح المائدة المطوية. وكما تخيل، فلم يجد السيد تشارنجتن مانعًا من تأجير الحجرة. كان الواضح أنه مسرور بالدولارات القليلة التي ستدرها عليه. كما لم تظهر عليه الصدمة ولا أحس بالإهانة حين تبين له بوضوح أن وينستون إنما يريد الحجرة لممارسة الجنس. بل نظر إلى منتصف المسافة، وتحدث في العموميات، بنبرة بالغة الرهافة تعطي الانطباع بأنه قد أصبح غير مرئي، جزئيًّا. قال إن الخصوصية شيء ثمين للغاية. الجميع يريدون مكانًا يتمكنون فيه من الاختلاء بأنفسهم بين الحين والحين. وحين ينالون مثل هذا المكان، فمن اللياقة العامة- التي لابد أن يراعيها مَن يعرف بذلك المكان- أن يحتفظ بمعرفته لنفسه. بل إنه بدا- في غضون ذلك- كأنه يختفي من الوجود تقريبًا، وأضاف أن هناك مدخلين للبيت، أحدهما من الفناء الخلفي، المفتوح على زقاق.

تحت النافذة، كانت هناك من تغني. أطل وينستون، آمنًا في حماية الستارة الموصلين. كانت شمس يونيو ما تزال عالية في السماء، وفي الفناء الذي تغمره الشمس في الأسفل، سيدة ضخمة، صلبة كعمود نورماندي، ساعداها قويان أحمران، وعلى خصرها مريلة متهدلة، كانت تسير جيئة وذهابًا بين حوض غسيل وحبل لنشر الغسيل، لتُخرج من الحوض أشياء بيضاء مربعة تعرف فيها وينستون على حفاضات الأطفال. وكلما كان فمها متحررًا من المشابك

كانت تغني بصوت قوي:

**لم يكن سوى خيال بلا أمل.**

**مرَّ كيوم من أبريل،**

**لكنهم استثارُوا نظرة وكلمة وأحلامًا !**

**خطفوا منّي الفؤاد !**

هو لحن يتردد في أنحاء لندن منذ أسابيع. كان من الأغنيات المماثلة بلا حصر التي تُذاع من أجل البرولز من قسم فرعي داخل إدارة الموسيقى. كلمات تلك الأغاني تؤلَّف دون أدنى تدخل بشري، على آلة معروفة باسم "ناظم الشعر". لكن المرأة راحت تغنيها منغومة كأنها تحول ذلك الهراء البشع إلى صوت يكاد يكون عذبًا. كان بمقدوره سماع المرأة وهي تغني، وسماع وقع حذائها على البلاط، وصيحات الأطفال في الشارع، وفي مكانٍ ما على مسافة بعيدة هدير خافت لحركة المرور، ومع ذلك بدت الحجرة صامتة بشكل غريب، بفضل غياب التيليسكرين.

غباء، غباء، غباء! راح يفكر ثانيةً. فليس من المتصور أن يتمكنا من ارتياد هذا المكان لأكثر من أسابيع قليلة قبل انفضاح أمرهما. لكن إغراء امتلاك مخبأ يخصهما حقًّا، داخل بناية وقريب المنال، كان ساحقًا. فبعد زيارتهما برج الكنيسة بفترة أصبح من المستحيل ترتيب لقاءات. وزادت ساعات العمل كثيرًا تأهبًا لأسبوع الكراهية. كان موعده بعد أكثر من شهر، لكن التحضيرات الكبيرة المعقدة المرتبطة به ألقت على كاهل الجميع المزيد من العمل الإضافي. وأخيرًا تمكنا من تدبير عطلة لمساء واحد مشترك. اتفقا

على العودة إلى البقعة الخلاء في الغابة. في المساء السابق عليه تقابلا لمدة قصيرة في الشارع. وكالعادة، لم ينظر وينستون إلى جوليا قدر المستطاع وهما ينساقان أحدهما إلى الآخر وسط الحشد، لكن من النظرة الخاطفة إليها بدت له أكثر شحوبًا من المعتاد.

غمغمت، ما إن تبين لها أن الكلام آمن: "إلغاء.. أقصد غدًا".

"ماذا؟"

بعد ظهر الغد. لا يمكن".

"لم لا؟"

"آه، السبب المألوف. لقد بدأت مبكرًا هذه المرة".

للحظة اعتراه غضب عنيف. فأثناء الشهر الذي عرفها خلاله كانت طبيعة رغبته فيها قد تغيرت. في البداية كان ثمة حسية حقيقية محدودة. وأول ممارسة للجنس بينهما كانت ببساطة عملًا إراديًا. لكن بعد المرة الثانية اختلف الأمر. رائحة شعرها، ومذاق فمها، وإحساسه ببشرتها، بدا أنها تخللته، أو تخللت الهواء من حوله. أصبحت ضرورة جسدية، شيئًا لا يرغبه فحسب، إنما له حق فيه أيضًا. وعندما قالت إنها لا يمكنها الذهاب، أحس بأنها تغشّه. لكن في تلك اللحظة تمامًا ضغطهما الحشد معًا وتلاقت يداهما صدفة. ضغطت على أنامله ضغطة سريعة بدت محملة لا بالرغبة، بل بالمحبة. خطر له أن المرء عندما يعيش مع امرأة فلابد لمثل هذه الحسرات أن تكون حدثًا متكررًا، وطبيعيًا؛ وفجأةً استولى عليه إحساس بالعطف

العميق تجاهها، إحساس لم يشعر به من قبل معها. تمنى لو كانا متزوجين منذ عشر سنوات. تمنى لو تمكن من السير معها في الشوارع كما يفعلان الآن، لكن علنًا ودون خوف، يتحدثان في التوافه ويشتريان معًا أشياء بيتهما الصغيرة. تمنى- قبل أي شيء- لو كان لديهما مكان يمكنهما اللقاء فيه على انفراد دون إحساس بالالتزام بالمضاجعة كلما التقيا. لم تخطر له فكرة تأجير حجرة السيد تشارنجتن تلك اللحظة، إنما في لحظةٍ ما في اليوم التالي. وعندما اقترحها على جوليا وافقت فورًا على غير توقعه. كانا يعرفان أن هذا جنون. وكانا كأنهما يخطوان عن وعي أقرب فأقرب إلى قبريهما. وفيما كان جالسًا ينتظرها على طرف السرير فكر- مرةً أخرى- في أقبية وزارة الحب. كان من المدهش كيف يدخل هذا الرعب المحتوم سلفًا وعي المرء ويخرج منه بشكل متكرر هكذا. فهو يكمن هناك، ثابتًا في لحظة من المستقبل، تسبق الموت قطعًا على نحو ما يسبق الرقم 99 الرقم 100. ولا يمكن للمرء تفاديه، لكنه قد يكون قادرًا على تأجيله: ولكن، مرة تلو المرة، بفعل واعٍ، إرادي، يختار المرء تقصير المدة التي تفصله عما ينتظره.

في تلك اللحظة كان هناك وقع خطوات سريعة على السلَّم. اندفعت جوليا إلى الحجرة. كانت تحمل حقيبة كبيرة من قماش خشن بني اللون، مثل تلك التي رآها تحملها أحيانًا في طريقها إلى الوزارة ومنها. انتفض متقدمًا ليأخذ بيديها، لكنها خلصت نفسها منه في تعجل، جزئيًا لأنها كانت ما تزال تحمل الحقيبة.

قالت: "ثانية واحدة. دعني أريك ماذا أحضرت. هل أحضرت بعضًا من

قهوة النصر القذرة تلك؟ حسبتك ستحضر بعضها. يمكنك التخلص منها، لأننا لن نحتاج إليها. انظر".

هبطت على ركبتيها، وفتحت الحقيبة، وأخرجت منها بعض الأدوات، ومفكًا، كانت تملأ الجزء العلوي منها. في الأسفل كان هناك عدد من عبوات ورقية نظيفة. أول عبوة ناولتها لوينستون كانت غريبة الشكل لكنها مألوفة بشكلٍ ما. كانت ممتلئة بشيءٍ ما ثقيل، شبيه بالرمل، يستجيب لك كلما ضغطت عليه.

قال: "أليس هذا بسكر؟"

"سكر حقيقي. ليس صناعيًا، بل سكر. وها هو نصف رغيف من الخبز- خبز أبيض فعلًا، وليس ذلك الشيء اللعين الذي نأكله- وعلبة مربى صغيرة. وها هي علبة حليب- لكن انظر! هذا هو مبعث فخري حقًا. اضطررت للفها بإحكام، لأن..."

لم تكن محتاجة لأن تخبره لماذا لفت العبوة. كانت الرائحة قد بدأت تملأ الحجرة فعلًا، رائحة قوية نفاذة ساخنة بدت كأنها تنبعث من طفولته المبكرة، لكن دون أن يصادفها المرء كثيرًا الآن، وهي تهب من ممرٍّ ما قبل أن ينغلق بابٌ بقوة، أو تسري بشكل غامض في شارع مزدحم، لتشمها للحظة ثم تفقدها من جديد.

غمغم: "إنها قهوة، قهوة حقيقية".

قالت: "قهوة الحزب الداخلي. معي هنا كيلو منها".

"كيف تمكنت من الحصول على كل هذه الأشياء؟"

"من أشياء الحزب الداخلي. فهؤلاء الخنازير لا يفتقرون إلى شيء، ولا شيء. لكن بالطبع يمكن للخدم والفراشين سرقة أشياء، و- انظر، فمعي عبوة صغيرة من الشاي أيضًا".

جلس وينستون القرفصاء إلى جوارها. فتح ركن العبوة.

"إنه شاي حقيقي، ليس ورق شجر العليق".

قالت بغموض: "هناك الكثير من الشاي في الآونة الأخيرة. فقد سيطروا على الهند، أو لسبب ما. لكن اسمع، يا عزيزي. أريدك أن تدير ظهرك لي لثلاث دقائق. اذهب واجلس على الجانب الآخر من السرير. لا تقترب كثيرًا من النافذة. ولا تلتفت إليّ قبل أن أخبرك".

حدق وينستون غائب الذهن إلى الستارة الموصلين. في الفناء في الأسفل كانت السيدة محمرة الساعدين ما تزال تروح وتجيء بين حوض الغسيل والحبل. كانت تمسك بمشبكين آخرين في فمها، وتغني بإحساس عميق:

**يقولون الزمن يسرق كل شيء،**
**لكن يقولون إنك يمكن دائمًا أن تنسى.**
**أما البسمات والدموع على مر السنين**
**فهي مع ذلك تعتصر نياط قلبي!**

كانت تعرف كل الأغنيات الحمقاء عن ظهر قلب، فيما يبدو. كان صوتها

يطفو لأعلى مع هواء الصيف العذب، منغومًا للغاية، مشحونًا بنوع من المرارة السعيدة. وقد يخطر للمرء أنها ستكون راضية للغاية، إذا ما كان مساء يونيو هذا بلا نهاية، وإذا ما مخزون الشياب لا ينفد، لتبقى هناك لألف عام، تعلق الحفاضات وتغني الهراء. خطر بباله كحقيقة غريبة أنه لم يسمع أبدًا أيًا من أعضاء الحزب يغني وحده وبتلقائية هكذا. بل إن أمرًا كهذا لابد أنه خروج على المبادئ القويمة، شذوذ خطر، مثل أن يحدث المرء نفسه. لعل الناس لا يغنون لأي شيء إلا عندما يقتربون من حد الموت جوعًا.

قالت جوليا: "يمكنك أن تستدير الآن".

استدار، وللحظة تقريبًا لم يتعرف عليها. فما كان يتوقعه هو أن يراها عارية. لكنها لم تكن عارية. وما جرى من تحول كان أكثر إثارة للدهشة من هذا. كانت قد زينت وجهها.

لابد أنها قد انسلت إلى دكان في أحياء البروليتاريا، واشترت لنفسها طاقم مكياج كامل. كانت شفتاها عميقتي الحمرة، ووجنتاها حمراوين، وعلى أنفها المسحوق؛ بل كان ثمة أثر لشيء ما تحت عينيها، جعلهما أكثر إشراقًا. لم تتزين بإتقان، لكن معايير وينستون في مثل هذه الأمور لم تكن عالية. فلم يسبق له أن رأى أو تخيل سيدة من الحزب بمساحيق الزينة. كان التحسن الذي طرأ على مظهرها مذهلًا. فبلمسات قليلة من الألوان في الأماكن المناسبة لم تصبح أجمل كثيرًا فحسب، بل أيضًا- وهذا أهم شيء- أكثر أنوثة. وقد أضاف شعرها القصير والأوفرول الصبياني الذي ترتديه إلى تأثير الزينة. وحين أخذها بين يديه فاضت موجة من رائحة زهور البنفسج

التجميلي على أنفه. تذكر المطبخ شبه المظلم في القبو، وفم المرأة الخاوي. كانت نفس الرائحة التي استخدمتها: لكن ذلك لم يهمه آنئذٍ.

قال: "وعطر أيضًا!".

"نعم يا عزيزي. عطر أيضًا. أتعرف ماذا سأفعل أيضًا؟ سأتدبر فستان امرأة حقيقي من مكانٍ ما، وسأرتديه بدلًا من هذه البنطلونات اللعينة. وسأرتدي جوارب حريرية وحذاءً بكعب عال! في هذه الحجرة سأكون امرأة، لا رفيقة في الحزب".

خلعا ثيابهما وصعدا إلى الفراش الماهوجني الضخم. كانت أول مرة يتعرى فيها في حضورها. حتى الآن كان يشعر بالخجل من جسده الشاحب الهزيل، ومن الدوالي البارزة في ساقيه، والبقعة عديمة اللون فوق الكاحل. لم تكن هناك ملاءات، لكن البطانية التي رقدا عليها كانت بالية وناعمة، وأدهشهما حجم ومرونة نوابض السرير. قالت جوليا: "أنا متأكدة أنها مليئة بالحشرات، لكن من يهتم؟". لا يرى المرء أسرَّة كبيرة هكذا هذه الأيام، إلا في بيوت البرولز. كان وينستون قد نام بعض الوقت على مثل هذا السرير في صغره: أما جوليا فلم يسبق لها أن نامت على مثله يومًا، بقدر ما تذكر.

بعد ذلك ناما قليلًا. عندما أفاق وينستون من النوم كانت عقارب الساعة قد بلغت نحو التاسعة. لم يتحرك، لأن جوليا كانت نائمة ورأسها في حضن ذراعه. أغلب مكياجها انتقل إلى وجهه وإلى المرتبة، لكن بقيت على وجنتها بقعة خفيفة من الأحمر، أبرزت جمالها. كان شعاع أصفر من الشمس

الغاربة يسقط على طرف السرير البعيد، ويضيء المدفأة، حيث كانت المياه تغلي وتتبخر سريعًا في القدر. وفي الفناء- في الأسفل- كانت المرأة قد كفت عن الغناء، لكن صيحات الأطفال البعيدة كانت تأتي من الشارع. تساءل في غموض إن كان من التجارب الطبيعية في الماضي المحو أن ينام المرء في الفراش هكذا، في برودة مساء الصيف، رجل وامرأة بلا ثياب، يمارسان الجنس وقتما يشاءان، يتحدثان عما يشاءان، بلا شعور بأية ضرورة للنهوض، راقدين ببساطة وهما يستمعان إلى أصوات هادئة بالخارج. هل كان ثمة زمن كان فيه مثل هذا الأمر عاديًّا؟ استيقظت جوليا، ودعكت عينيها، ونهضت معتمدة على مرفقها لتنظر إلى الموقد.

قالت: "تبخر نصف هذا الماء. سأنهض وأعد بعض القهوة في لحظة. أمامنا ساعة. في أية ساعة يقطعون النور في بنايتك؟"

"في الثالثة والعشرين والنصف".

"في الثالثة والعشرين في النُزل. لكن عليك أن تدخل قبل ذلك، لأن- أنت! ابتعد، يا نجس!"

فجأةً دارت بجسدها على الفراش، أمسكت بفردة حذاء من على الأرض، وطوحت بها إلى ركن الحجرة بحركة صبيانية من ذراعها، تمامًا مثلما رآها ترمي جولدشتاين بالقاموس، ذلك الصباح، أثناء دقيقتي الكراهية.

قال في دهشة: "ما الأمر؟"

"فأر. رأيته يُخرج أنفه القذر من وراء الغلاف الخشبي للحائط. هناك

حفرة في الأسفل. لقد أصبته برعب بالغ، على كل حال".

غمغم وينستون: "فئران! في هذه الحجرة!"

قالت جوليا في لامبالاة وهي تعاود الرقاد ثانية: "إنها في كل مكان. لدينا بعض منها في مطبخ النُّزل. وبعض أجزاء لندن تحتشد بها. هل تعرف أنها تهاجم الأطفال؟ نعم، تهاجمهم. في بعض هذه الشوارع لا تجرؤ النساء على ترك الرضع وحدهم لدقيقتين. فهناك فئران عملاقة بنية اللون تهاجمهم. والشيء المرعب حقًّا أن هؤلاء الملاعين دائمًا ما.."

قال وينستون، وهو يغمض عينيه بقوة: "لا تكملي!"

"حبيبي! لقد شحبت تمامًا. فما الأمر؟ هل يشعرونك بالقرف؟"

"كل فظائع العالم- إلا الفئران!"

ضغطت جسدها بجسده ولفت أطرافها حوله، كأنما لتطمئنه بدفء جسدها. لم يعاود فتح عينيه على الفور. لثوانٍ أحس وكأنه عاد إلى كابوس كان يتكرر من آن لآخر على مدار عمره. كان دائمًا هو نفس الكابوس. كان يقف أمام جدار من الظلام، وعلى الجانب الآخر ثمة شيء لا يُحتمل، شيء مرعب بقدر ما لا يمكنه مواجهته. في الحلم، كانت مشاعره الأعمق هي دائمًا خداع النفس، لأنه في الواقع كان يعرف ما الذي يكمن وراء جدار الظلام. بجهد جهيد، يشبه انتزاع قطعة من مخه، كان في الحلم يمكنه إخراج الشيء إلى الخلاء. وكان دائمًا ما يستيقظ وهو لا يعرف كنهه: لكنه كان شيئًا له صلة بما كانت جوليا تقوله عندما قاطعها.

قال: "أنا آسف. لا عليك. أنا لا أحب الفئران، هذا كل شيء".

"لا يهمك، يا عزيزي، لن نبقي على هذه الأشياء القذرة هنا. سأسد الحفرة بقطعة خيش قبل أن نذهب. وفي المرة القادمة التي سنأتي فيها سآتي معي ببعض الجبس وأسدها تمامًا".

كان قد أوشك على نسيان لحظة الذعر السوداء تلك. وفيما كان يشعر بشيء من الخجل من نفسه، جلس معتدلًا قبالة رأس السرير. نهضت جوليا من الفراش، وارتدت الأوفرول، وأعدت القهوة. كانت الرائحة التي انبعثت من القدر قوية ومثيرة لدرجة أنهما أغلقا النافذة خشية أن يلاحظها أحد في الخارج وتثير فضوله. أما الأفضل من مذاق القهوة نفسه، فكان المذاق الحريري لها بفعل السكر، وهو شيء نسيه وينستون تقريبًا بعد سنوات من السكر الصناعي. وبيد في جيبها وقطعة خبزٍ بالمربى في يدها الأخرى، راحت جوليا تجول في الحجرة، تنظر في لامبالاة إلى خزانة الكتب، موضحة أفضل طريقة لإصلاح المائدة المطوية، وتغوص بنفسها في المقعد ذي المسندين لترى إن كان مريحًا، وتتفحص الساعة العجيبة ذات الاثني عشر رقمًا بنوعٍ من التسلية المتسامحة. أتت بثقالة الورق الزجاجية إلى الفراش لتنظر إليها على ضوء أفضل. أخذها من يدها، مفتونًا، كالعادة، بمظهر الزجاج الناعم كقطرات المطر.

قالت جوليا: "ما هذه، في رأيك؟"

"لا أعرف، تحديدًا- قصدي، لا أظن أن لها أي نفع. هذا ما أحبه فيها.

إنها كسرة صغيرة من التاريخ الذي نسوا أن يبدلوه. إنها رسالة عمرها مائة عام، إذا عرف المرء كيف يقرأها".

"وتلك الصورة هناك"- أومأت برأسها إلى لوحة الحفر على الجدار المقابل- "هل يصل عمرها إلى مائة عام؟"

"أكثر. مائتا عام، في تقديري. لا أعرف بالتحديد. فمن المستحيل اكتشاف عمر هذه الأشياء في أيامنا هذه".

ذهبت إليها لتلقي عليها نظرة. قالت، وهي تركل الغلاف الخشبي للحائط تحت الصورة مباشرة: "من هنا أطل الفأر بأنفه. ما هذا المكان؟ لقد رأيته من قبل، في مكان ما".

"إنها كنيسة، أو كانت كذلك يومًا. كان اسمها سانت كليمنت دانس". عادت إلى خاطره شذرة الأغنية التي أسمعه إياها مستر تشارنجتن، وأضاف ببعض الحنين: "برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت!"

لدهشته أكملت الأغنية:

"لي عندك ثلاثة ملاليم، تقول أجراس سانت مارتن،
متى ستسددها لي؟ تقول أجراس أولد بايلي...".

"لا أذكر باقي الكلمات. لكنني- على أية حال- أذكر نهايتها: :وها هي شمعة تضيء لك طريقك إلى السرير، وها هو منجل يقطع رأسك!"

كان الأمر أشبه بكلمة سر من نصفين. لكن لابد أن هناك بيتًا آخر

بعد "أجراس أولد بايلي". ربما يمكن انتزاعه من ذاكرة السيد تشارنجتن، إذا ما تمكن من حفزه على ذلك بالشكل المناسب.

قال: "من علمك الأغنية؟"

"جدي. كان معتادًا على ترديدها لي وأنا صغيرة. لقد تبخر وأنا في الثامنة- على كل حال، اختفى. أتساءل أي ليمون كان"، أضافت في عدم اكتراث: "لقد رأيت البرتقال. إنه فاكهة صفراء مستديرة لها قشرة سميكة".

قال وينستون: "يمكنني تذكر الليمون. كان منتشرًا في الخمسينيات. كان حامضًا إلى حد يجعل أسنانك تصطك إذا شممته لا أكثر".

قالت جوليا: "أراهن أن وراء هذه اللوحة بقًا. سأنزلها وأنظفها جيدًا ذات يوم. أعتقد أن موعد مغادرتنا قد حان. لا بد أن أبدأ في إزالة هذا المكياج. يا للملل! سأزيل أحمر الشفاه من على وجهك بعد ذلك".

لم ينهض وينستون لدقائق أخرى. كانت الحجرة تُظلم. التفت نحو النور ورقد وهو يحدق في ثقالة الورق الزجاجية. الشيء المهم للغاية فيها ليس كسرة المرجان، بل داخل الزجاج نفسه. فثمة عمق فيه، لكنه شفاف تقريبًا كالهواء. كأن سطح الزجاج قوس السماء، محيطًا بعالم صغير بغلاف جوي كامل. أحس بأن بإمكانه الدخول فيه، وأنه في الحقيقة داخله، ومعه السرير الماهوجني والمائدة المطوية، وساعة الحائط، ولوحة الحفر، وثقالة الورق نفسها. كانت ثقالة الورق هي الحجرة التي كان بداخلها، والمرجان هو حياة جوليا وحياته، مثبتتين في نوع من الأبدية في قلب الكريستال.

# الفصل الخامس

اختفى سايم. مرّ صباح لم يحضر فيه إلى العمل: علّق بعض البلهاء على تغيبه. وفي اليوم التالي لم يذكره أحد. في اليوم الثالث ذهب وينستون إلى قاعة إدارة السجلات لينظر في لوحة الإعلانات فيها. كان أحد الإعلانات يحمل قائمة مطبوعة بأعضاء لجنة الشطرنج، التي كان سايم عضوًا بها. بدت القائمة كالسابق تمامًا- لم يُشطب منها أحد، لكن ينقصها اسم وا حد. كان هذا كافيًا. لم يعد لسايم أي وجود: لم يكن له وجود ذات يوم.

كان الطقس لاهبًا. في متاهة الوزارة، كانت الغرف عديمة النوافذ، مكيفة الهواء، تحتفظ بحرارتها الطبيعية، لكن بالخارج كانت الأرصفة تلهب أقدام المرء، ورائحة المترو الكريهة في ساعات الذروة مرعبة. كانت تحضيرات أسبوع الكراهية تجري على قدم وساق، والعاملون في جميع الوزارات يعملون لساعات إضافية. مسيرات، واجتماعات، ومواكب

عسكرية، ومحاضرات، وتماثيل من الشمع، وعروض فنية، وعروض أفلام، وبرامج تيليسكرين ينبغي تنظيمها؛ حوامل لابد من نصبها، وإعداد دُمَى الشخصيات، وصك الشعارات، وكتابة الأغاني، وإطلاق شائعات، وتزييف الصور. توقفت وحدة جوليا بإدارة الكتابة الإبداعية عن إنتاج الروايات، وعجلت بإصدار سلسلة من الكتيبات عن المذابح. أما وينستون، ففضلًا عن عمله المعتاد، فقد كان يمضي فترات طويلة كل يوم في مراجعة ملفات "التايمز" المحفوظة، وتبديل وحذف مواد خبرية كان يجري التحضير لاقتباسها في الخُطب. وفي ساعات الليل المتأخرة، عندما كانت حشود البرولز الفظة تهيم في الشوارع، كانت تعم المدينة أجواء محمومة بصورة غريبة. كانت القنابل تتساقط بأكثر من أي وقت، وأحيانًا، على بُعد، كانت تسمع انفجارات هائلة لا تفسير لها عند أحد، وتدور حولها شائعات طائشة.

كان اللحن الجديد المقرر أن يكون أغنية أسبوع الكراهية (أغنية الكراهية، كما أسموها) قد تم تأليفه، وكان يُبث بلا انتهاء على شاشات التيليسكرين. كان ذا وقع هجمي، نابح، لا يمكن وصفه تحديدًا بالموسيقى، إنما كان يحاكي قرع الطبول. كزئير ينطلق من مئات الحناجر على وقع المشية العسكرية، كان مرعبًا. أعجب به البرولز، وفي شوارع منتصف الليل راح ينافس أغنية "كانت أمنية بلا أمل لا أكثر" التي كانت ما تزال تتمتع بشعبية. وكان طفلا آل بارسونز يعزفان ذلك اللحن طوال ساعات الليل والنهار، بشكل لا يحتمل، على مشط ولفافة من ورق التواليت. أصبحت أمسيات وينستون مشغولة أكثر من أي وقت. كانت فرق المتطوعين، التي ينظمها آل

بارسونز، تجهز الشارع لأسبوع الكراهية، تخيط اللافتات، وتلون الملصقات، وتنصب صواري الرايات على الأسطح، وتمد الأسلاك- بصورة خطرة- عبر الشارع لاستقبال الرايات الخفاقة. كان بارسونز يتباهى بأن مساكن النصر وحدها ستمدّ أربعمائة متر من الرايات. كان في بيئته الطبيعية، وسعيدًا كالعصفور. بل إن حرارة الطقس والعمل اليدوي أعطياه مبررًا للعودة إلى الشورت والقميص المفتوح في المساءات. كان في كل مكان في اللحظة نفسها، يدفع، ويجذب، ويخيط، ويطرق، ويرتجل، ملاطفًا الجميع بأريحية رفاقية، مانحًا من كل طية في جسده ما يبدو أنه رصيد لا ينفد من رائحة العرق الخبيثة.

فجأة ظهر ملصق جديد في شتى أنحاء لندن. كان بلا تعليق، ليس أكثر من صورة هائلة لجندي من أوراسيا، بارتفاع ثلاثة أو أربعة أمتار، يخطو إلى الأمام بوجه منغولي بلا أية تعبيرات وجزمة ضخمة، وبندقية آلية تبرز من خصره. من أية زاوية تنظر إلى الملصق، تجد فوهة البندقية- الكبيرة بسبب منظور الرسم- تبدو كأنها مصوبة إليك مباشرة. تم لصق ذلك الشيء في كل مساحة خالية على كل جدار، بل فاق عدده عدد ملصقات الأخ الكبير. كان البرولز، اللامبالون عادةً تجاه الحرب، قد دخلوا في إحدى نوباتهم الوطنية الجنونية المتكررة. كأنما من أجل التناغم مع المزاج العام، كانت القنابل الصاروخية تقتل أعدادًا أكبر من المعتاد. سقطت قنبلة على سينما مزدحمة بالرواد في ستيبني، فدفنت مئات الضحايا تحت الأنقاض. خرج كل سكان الحي في جنازة طويلة ممتدة استمرت لساعات، وتحولت في نهاية المطاف إلى

اجتماع للتنفيس عن السخط. سقطت قنبلة أخرى على أرض مهجورة كانت تُستخدم ملعبًا للأطفال، فتمزق أكثر من عشرة أطفال إربًا. وخرجت مظاهرات غاضبة أخرى، وأحرقوا دمية لجولدشتاين، ومزقوا المئات من ملصق الجندي الأوراسي وألقوها في اللهب، ونُهبت عدة متاجر وسط الاضطرابات؛ ثم دارت شائعة بأن هناك جواسيس يوجهون القنابل الصاروخية باستخدام موجات لاسلكية، وتم الاشتباه في رجل مسن وزوجته المسنة بأنهما من أصل أجنبي، فتم إحراق بيتهما وهلكا اختناقًا.

وفي الحجرة فوق دكان مستر تشارنجتن، كلما أتيح لهما الذهاب، كانت جوليا ووينستون يرقدان جنبًا إلى جنب على السرير العاري، تحت النافذة المفتوحة، عاريين التماسًا لشيء من البرودة. لم يعد الفأر مطلقًا، لكن البق تضاعف بصورة مخيفة في الحر. ولم يبد ذلك أمرًا مهمًّا. فسواء كانت الحجرة نظيفة أم متسخة، فهي فردوسٌ. فما إن يصلا حتى يرشان كل شيء بفلفل ابتاعاه من السوق السوداء، ويخلعان ثيابهما، ويمارسان الجنس بجسدين يتصبب منهما العرق، ثم ينامان ويفيقان ليجدا البق يلتئم شمله ويتجمع في هجمة مضادة.

تقابلا أربع، خمس، ست، سبع مرات أثناء شهر يونيو. كف وينستون عن عادة شرب الجين في جميع ساعات النهار والليل. بدا أنه فقد حاجته إليه. ازداد وزنه، وخفّت دواليه، ولم يبق منها سوى بقعة بنية على الجلد فوق كاحله، وتوقفت نوبات سعاله الصباحية. لم تعد الحياة غير محتملة، ولم يعد لديه أي حافز للغضب من التيليسكرين، أو صب اللعنات بأعلى صوته.

الآن، بعد أن أصبح لهما مخبأ آمن، بيت تقريبًا، لم يكن مزعجًا لهما ألا يلتقيا إلا قليلًا، ولساعتين فحسب في كل مرة. فما يهم هو أن الحجرة فوق دكان الأنتيكات يجب أن تبقى. فمعرفة أنها موجودة، بلا انتهاك، كان تقريبًا كالوجود فيها. كانت الحجرة عالمًا، جيبًا من الماضي يمكن أن تجوبها حيوانات الماضي المنقرضة. خطر لوينستون أن السيد تشارنجتن بدوره حيوان آخر منقرض. كان دائمًا ما يقف ليتحدث مع السيد تشارنجتن لدقائق في طريقه للحجرة. وبدا كأن الرجل لا يبارح دكانه إلا نادرًا، أو لا يخرج أبدًا، وفي المقابل كان بلا زبائن تقريبًا. كان يعيش في وجود شبحي بين الدكان الصغير المظلم، ومطبخ أصغر في الخلف، حيث كان يُعد وجباته، ويحتوي- من بين أشياء أخرى- على جرامافون عتيق له بوق عملاق. كان يبدو سعيدًا بفرصة تجاذب أطراف الحديث. وهو يجول وسط بضاعته عديمة القيمة، بأنفه الطويل وعويناته السميكة وكتفيه المتهدلتين تحت المعطف القطيفة، كان له- على نحوٍ ما- مظهر هاوي جمع الأشياء القديمة لا التاجر. وبنوع من الحماس الذاوي يداعب هذه القطعة من سقط المتاع، أو تلك- سدادة زجاجة صيني، غطاء ملون لعلبة نشوق مكسورة، أو علبة مغلقة بها صلة من شعر طفلة ماتت منذ زمن- دون أن يطلب من وينستون أبدًا أن يشتريها، بل أن يُعجب بها لا أكثر. والحديث إليه يشبه الاستماع إلى رنين صندوق موسيقى عفا عليه الدهر. وكان يخرج من زوايا ذاكرته البعيدة المزيد من شذرات أغنيات منسية. أغنية عن "عشرين وأربع" شحارير، وأخرى عن بقرة ذات جرس محطم، وأخرى عن موت كوك روبن المسكين. كان يقول بضحكة صغيرة ساخرة، وهو يتذكر جزءًا آخر من أغنية أخرى:

"خطر ببالي أنها قد تعجبك". لكنه لا يستطيع أبدًا أن يتذكر أكثر من بعض أبيات من أية أغنية.

كانا يعرفان- على نحوٍ ما، لم يغرب عن بالهما أبدًا، أن ما كان يحدث الآن لن يدوم طويلًا. وفي بعض الأحيان، كانت تتبدى حقيقة الموت الوشيك محسوسة كالفراش الذي ينامان عليه، ويتشبثان ببعضهما بحسية يائسة، كروح ملعونة تتشبث بكسرتها الأخيرة من المتعة قبل أن تحين ساعتها بخمس دقائق. لكن كانت هنا أيضًا أوقات توهما فيها أنهما ليسا فقط آمنين، بل أيضًا في وضع دائم. وطالما أنهما كانا بالغرفة، كما شعرا، فلن يمسهما أي ضرر. فالوصول إلى هناك صعب وخطير، لكن الحجرة نفسها ملاذ آمن. مثل تلك اللحظة التي حدق فيها وينستون في قلب ثقالة الورق، شاعرًا بأن من الممكن دخول عالمها الزجاجي، وأنه ما إن يدخل فسوف يتوقفَ الزمن. كثيرًا ما أسلما نفسيهما لأحلام يقظة عن الهروب. فحظهما سيحالفهما أبدًا، وسوف ينفذان خطتهما، هكذا ببساطة، لما تبقى من حياتهما الطبيعية. أو تموت كاثرين، وبمناورات دقيقة يتمكن وينستون وجوليا من الزواج. أو قد ينتحران معًا. أو قد يختفيان، ويبدلان نفسيهما بالتنكر، ويتعلمان الحديث بلهجة البروليتاريا، ويحصلان على وظيفة في مصنع، ويعيشان حياتهما مجهولين في شارع خلفي. كان كله هراء، كما كانا يعرفان. فالواقع أنه لا مهرب. حتى الخطة الوحيدة القابلة للتنفيذ، وهي الانتحار، فلم يكونا ينويان تنفيذها. فالاستمرار من يوم ليوم ومن أسبوع لأسبوع، مع نسج حاضر بلا مستقبل، كان يبدو غريزة لا يمكن هزيمتها،

مثلما تجتذب رئة المرء نفسًا وراء نفس طالما كان الهواء متاحًا.

وأحيانًا، أيضًا، كانا يتحدثان عن الانخراط في تمرد حقيقي ضد الحزب، لكن دون أدنى فكرة عن كيفية اتخاذ الخطوة الأولى. فحتى إذا ما كانت الأخوية الخرافية واقعًا، فتبقى صعوبة العثور على طريق إليها. أخبرها عن الحميمية الغريبة القائمة، أو يبدو أنها قائمة، بينه وبين أوبريان، والدافع الذي يحس به أحيانًا لأن يذهب إلى أوبريان، معلنًا أنه عدو الحزب، ويطلب مساعدته. وكان غريبًا أن ذلك لم يصدمها باعتباره عملًا متهورًا بصورة مستحيلة. كانت قد اعتادت الحكم على الناس من وجوههم، وبدا طبيعيًا لها أن يعتقد وينستون بأن أوبريان جدير بالثقة لمجرد تبادل نظرة واحدة. وفضلًا عن ذلك، فقد كانت ترى من المسلمات أن الجميع، أو الجميع تقريبًا، يكرهون الحزب سرًا، وسيخالفون القواعد إذا ما عرفوا أنهم في أمان. لكنها رفضت تصديق وجود معارضة منتشرة ومنظمة، أو يمكن لها أن توجد. فالحكايات عن جولدشتاين وجيشه السري، على حد قولها، ليست أكثر من هراء اخترعه الحزب لأغراضه، وعليك أن تتظاهر بتصديقه. وفي مرات بلا حصر، في مسيرات الحزب ومظاهراته العفوية، راحت تهتف بأعلى صوتها مطالبة بإعدام أشخاص لم تسمع بأسمائهم من قبل، ويُفترض أنهم ارتكبوا جرائم لا تصدق بها إطلاقًا. وعندما كانت المحاكمات العلنية تنعقد، كانت تأخذ مكانها في وحدات رابطة الشبان التي تحاصر المحاكم من الصباح حتى الليل، وهي تردد على فترات "الموت للخونة!" وأثناء دقيقتي الكراهية، كانت تتفوق دائمًا على الآخرين في كيل الشتائم لجولدشتاين. لكنها ليست

لديها إلا فكرة بالغة التشويش عمن يكون جولدشتاين، أو المبادئ المفترض أنه يمثلها. لقد شبَّت في عهد الثورة، وكانت أصغر من أن تتذكر معارك الخمسينيات والستينيات الأيديولوجية. وشيء من قبيل وجود حركة سياسية مستقلة هو أمر خارج تصورها: وعلى كل حالٍ فالحزب لا يُهزم. سيوجد دائمًا، وسيبقى على حاله دائمًا. ويمكنك التمرد عليه بأفعال عصيان سرية، أو، على الأكثر، بأعمال عنف معزولة مثل قتل شخص ما أو تفجير شيء.

كانت أكثر رهافة من وينستون من عدة أوجه، وأقل تأثرًا بدعاية الحزب. ذات مرة عندما ذكر الحرب على أوراسيا في سياقٍ ما، أذهلته إذ قالت بلا مبالاة إن الحرب في رأيها لم تحدث يومًا. فالقنابل الصاروخية التي كانت تنهمر يوميًا على لندن يُرجح أن حكومة أوشينيا هي التي كانت تطلقها بنفسها "لإبقاء الناس خائفين لا أكثر". كانت تلك فكرة لم تخطر له يومًا على بال. كما استثارت داخله نوعًا من الحسد حين أخبرته أن أكبر صعوبة تواجهها أثناء دقيقتي الكراهية هي مقاومة الرغبة العارمة في الانفجار في الضحك. لكنها لم تكن لتشكك في تعاليم الحزب إلا عندما تمس حياتها بشكلٍ ما. كانت مستعدة كثيرًا للقبول بالأسطورة الرسمية، لمجرد أن الاختلاف بين الحقيقة والزيف لم تكن تبدو لها مهمة. كانت تعتقد، مثلًا، أن الحزب قد اخترع طائرات، كما تعلمت في المدرسة (على أيام حياته المدرسية، حسبما يذكر وينستون، في أواخر الخمسينيات، كانت المروحيات فحسب هي التي يدعي الحزب أنه اخترعها؛ وبعد نحو عشر سنوات، وقت أن كانت جوليا في المدرسة، كان يدعي أنها الطائرات، وبعد جيل، سيصبح

الاختراع هو المحرك البخاري). وعندما أخبرها بأن الطائرات كانت موجودة قبل أن يولد بكثير، وقبل الثورة بكثير، وجدت تلك الفكرة غير مهمة لها بالمرة. على كل حال، فما المهم فيمن اخترع الطائرات؟ وأحس بصدمة أكبر عندما اكتشف من تعليق عابر لها أنها لا تذكر أن أوشينيا- قبل أربع سنوات- كانت تحارب إيستاسيا، وفي سلام مع أوراسيا. والحق أنها نظرت للحرب برمتها كمسرحية: لكن من الواضح أنها حتى لم تلاحظ تغير اسم العدو. قالت في حيرة: "حسبت أننا كنا دائمًا في حرب مع أوراسيا". أخافه هذا قليلًا. فاختراع الطائرات يعود إلى زمن طويل قبل مولدها، لكن تغير العدو في الحرب لم يحدث إلا قبل أربع سنوات، وكانت وقتها قد كبرت. جادلها في الأمر لنحو ربع الساعة. وفي النهاية نجح في إعادتها بالذاكرة إلى الوراء، إلى أن تذكرت بغموض أن إيستاسيا كانت العدو، لا أوراسيا. لكنها ظلت تنظر للمسألة باعتبارها غير مهمة. قالت في نفاد صبر: "من يهتم؟ فهي دائمًا حرب دموية تتلو أخرى، والمرء يعرف أن الأخبار كلها أكاذيب، على كل حال".

كان يتحدث أحيانًا إليها عن إدارة السجلات وأعمال التزوير الصفيقة التي كان يرتكبها هناك. لم يكن يبدو أن أمورًا كهذه تروعها. ولم تشعر بالهاوية تنفتح تحت قدميها لدى فكرة تحول الأكاذيب إلى حقائق. أخبرها بحكاية جونز، وآرونسون، ورازرفورد، وقصاصة الورق التي وصلت إلى يديه يومًا ما. لم يؤثر فيها ما ذكره. في البداية، بطبيعة الحال، لم تتمكن من تبين مغزى القصة.



م8- ١٩٨٤ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

قالت: "هل كانوا أصدقاء لك؟"

"لا. لم أعرفهم أبدًا. كانوا من الحزب الداخلي. وفضلًا عن ذلك، كانوا أكبر مني سنًّا بكثير. كانوا من العهد القديم، قبل الثورة. وبالكاد تمكنت من التعرف عليهم بالنظر".

"إذن، فما مبعث القلق عليهم؟ فالناس يُقتلون طوال الوقت، أليس كذلك؟"

حاول أن يوصل لها المعنى. "لم تكن تلك حالة استثنائية. ولم تكن مسألة قتل شخصٍ ما. هل تدركين أن الماضي، بدءًا من الأمس، قد تم محوه؟ وإذا ما كان له وجود في مكانٍ ما، فهو كامن في أشياء قليلة صلبة خرساء، ليست مرتبطة بالكلمات، مثل قطعة الزجاج تلك هناك. فنحن لا نعرف بالفعل أي شيء عن الثورة، والسنوات السابقة على الثورة. وكل سجل دُمر أو زُيف، وكل كتاب أعيدت كتابته، وكل صورة أعيد رسمها، وكل تمثال وشارع ومبنى تغير اسمه، وكل توقيت بُدِّل. وتتواصل هذه العملية يومًا بعد يوم ودقيقة بعد دقيقة. فالتاريخ توقف. ولا وجود إلا لحاضر بلا نهاية، فيه الحزب دائمًا على حق. أعرف، بالطبع، أن الماضي قد زُيف، لكن سيكون مستحيلًا عليَّ إثبات ذلك، حتى عندما أكون أنا من يزيفه بنفسي. وبعد انتهاء العملية، لا يبقى دليل أبدًا. والدليل الوحيد داخل عقلي، ولا أعرف بأي قدر من اليقين ما إذا كان ثمة مخلوق غيري يشاركني ذكرياتي تلك. ففي تلك اللحظة الوحيدة، على مدار حياتي، كنت أمتلك دليلًا ملموسًا بعد الحدث- لسنوات بعد الحدث".

"وما الفائدة من هذا؟"

"لا فائدة، لأنني رميت الورقة بعد دقائق. لكن إذا ما حدث الشيء نفسه الآن، فسوف أحتفظ بها".

قالت جوليا: "عن نفسي لن أفعل! فأنا مستعدة تمامًا للمخاطرة، لكن على شيء يستحق المخاطرة، لا على قصاصة من جريدة قديمة. فماذا كنت لتفعل بها إذا ما احتفظت بها؟".

"ربما ليس الكثير. لكنها دليل. قد يزرع بعض الشكوك هنا وهناك، على افتراض أنني قد جرؤت على أن أريها لأحد. لا يمكنني تخيل أن بإمكاننا تبديل أي شيء خلال حياتنا. لكن قد يتخيل المرء أن تظهر مجموعات صغيرة من المقاومة، تظهر هنا وهناك- جماعات قليلة من البشر يتجمعون معًا، ويتزايدون بالتدريج، بل يخلفون وراءهم بعض السجلات، بحيث يمكن للأجيال التالية الاستئناف من حيث توقفنا".

"لست مهتمة بالجيل التالي، يا عزيزي. أنا مهتمة بنا".

قال لها: "أنت متمردة فحسب من خصرك إلى أسفل".

فكرت في هذه المزحة شديدة البراعة، ولفت ذراعيها حوله في سرور.

لم تكن مهتمة أدنى اهتمام بتفاصيل مبادئ الحزب. وكلما كان يبدأ بالحديث عن مبادئ الـ"اشت-إنج" أو "تفكير-مزدوج"، وخرس الماضي، وإنكار الواقع الموضوعي، واستخدام كلمات "كلام-جديد"، كانت تشعر

بالسأم والتشوش، وتقول إنها لم تهتم يومًا أبدًا بمثل هذه الأمور. فالمرء يعرف أن كلها هراء، فلماذا إذن يوجع رأسه بشأنها؟ كانت تعرف متى تهلل، ومتى تبدي الرفض في العلن، وهذا هو كل ما كان يحتاجه المرء. وإذا ما أصر على الحديث عن مثل هذه الأمور، كانت تتملكها عادة السقوط في النوم. فقد كانت ممن يمكنهم النوم في أي وقت وفي أي وضع. وبالحديث معها، تبين مدى سهولة إبداء مظهر الالتزام بمبادئ الحزب مع عدم فهم أي شيء عن هذه المبادئ. بشكلٍ ما، كانت رؤية الحزب للعالم تفرض نفسها قوية وبشكل أكثر نجاحًا على الأشخاص غير القادرين على فهمها. ويمكن تهيئتهم لتقبل أقصى انتهاكاته الفاضحة للواقع، لأنهم لم يفهموا يومًا فداحة ما هو مطلوب منهم، ولم يكونوا مهتمين بالقدر الكافي بالأحداث العامة بحيث يلاحظوا ما يحدث. ومع عدم الفهم يحافظون على سلامة عقولهم. كانوا يبتلعون ببساطة كل شيء، وما كانوا يبتلعونه لم يكن ليضرهم في شيء، لأنه لم يكن ليخلف وراءه أي أثر، مثلما تمر حبة ذرة غير مهضومة في جسم طائر.

# الفصـل السَّـــادس

أخيرًا حدث ما كان ينتظره! جاءت الرسالة المنتظرة. بدا له أنه كان ينتظر- طوال حياته- حدوث ذلك.

كان يسير في الممر الطويل في الوزارة، وكاد يصل إلى النقطة التي تدس عندها جوليا الورقة في يده، عندما أدرك وجود شخص أضخم منه يسير خلفه تمامًا. سعل ذلك الشخص، بغض النظر عمّن يكون، سعلة خفيفة، مقدمةً للحديث على ما يبدو. توقف وينستون فجأة والتفت. كان أوبريان.

أخيرًا أصبحا وجهًا لوجه، أحس بوازع وحيد هو الفرار. خفق قلبه بقوة. لم يكن قادرًا على الكلام. غير أن أوبريان مضى في طريقه بنفس الإيقاع، ملقيًا بيد ودود للحظة على ذراع وينستون، حتى أصبحا يسيران جنبًا إلى جنب. بدأ يتحدث بلباقته الرصينة التي تميزه عن أغلب أعضاء الحزب الداخلي.

قال: "كنت أنتظر فرصة للحديث إليك. فقد كنت أقرأ أحد مقالاتك عن "كلام-جديد" في التايمز قبل أيام. أنت مهتم اهتمام الباحثين بالكلام-جديد، كما أرى، أليس كذلك؟"

استعاد وينستون بعضًا من رباطة جأشه. قال: "بالكاد بشكل بحثي. فأنا مجرد هاوٍ. وليس هذا تخصصي. ولم يسبق أن كانت لي علاقة ببناء اللغة".

قال أوبريان: "لكنك تكتب كتابة بديعة جدًا. ليس هذا رأيي وحدي. فقد كنت أتحدث مؤخرًا مع صديق لك، وهو بالتأكيد خبير في الموضوع. يغيب اسمه عنّي الآن".

أحس وينستون مرة أخرى بقلبه يخفق بقوة. لم يكن من المتصور أن يكون كلامه يشير إلى أحد بخلاف سايم. لكن سايم لم يكن ميتًا فحسب، بل مُحي، هو "لا-شخص". وأية إشارة إليه ستكون خطرة بشكل مميت. ولابد أن ملاحظة أوبريان، وبكل وضوح، كانت بمثابة إشارة، كلمة سر. فأن يشركه في فعل صغير من أفعال جرائم الأفكار، فهو ما يحول الاثنين إلى متآمرين. واصلا سيرهما ببطء بالممر لفترة قصيرة، ثم توقف أوبريان. وبأسلوبه الغريب الودود القادر دائمًا على تحميله في إيماءته، عدل عويناته على أنفه، ثم أكمل:

"ما قصدت قوله إنني قد لاحظت في مقالك أنك استخدمت كلمتين أصبحتا عقيمتين. لكنهما أصبحتا كذلك مؤخرًا فحسب. هل رأيت الطبعة العاشرة من قاموس "كلام-جديد"؟"

قال وينستون: "لا. لم أكن لأظن أنها صدرت بعد. فما نزال نستخدم الطبعة التاسعة في إدارة السجلات".

"لن تصدر الطبعة العاشرة قبل شهور، على ما أعتقد. لكن هناك بعض النسخ الأولية. عندي واحدة. وقد يهمك أن تلقي عليها نظرة، فما رأيك؟"

قال وينستون فورًا بعد أن رأى مغزى كلامه: "طبعًا طبعًا".

"بعض التطويرات الجديدة مبدعة. وتقليص أعداد الأفعال- تلك هي المسألة التي ستيعجبك، فيما أظن. فلأنظر في الأمر، هل أرسل إليك مندوبًا بالقاموس؟ لكني أخشى أن أنسى شيئًا من هذا القبيل. أيمكنك أن تأخذه في شقتي، في الوقت الذي يناسبك؟ انتظر. دعني أعطيك عنواني".

كانا واقفين أمام تيليسكرين. تحسس أوبريان بشروده جيبيه، وبعدها أخرج دفترًا بغلاف جلدي، وريشة حبر ذهبية. تحت التيليسكرين مباشرة، وفي وضع يسمح لمن يراقب من الطرف الآخر للشاشة بأن يرى ما يكتبه، كان يخربش عنوانًا، وانتزع الورقة وأعطاها إلى وينستون.

قال: "أكون في البيت في المساء عادة. وإن لم تجدني، فسوف يعطيك خادمي القاموس".

رحل، وترك وينستون ممسكًا بقصاصة الورق، التي لم تكن ثمة حاجة- هذه المرة- لإخفائها. غير أنه حفظ المكتوب عليها في حرص، وبعد ساعات رماها في حفرة الذاكرة مع كتلة من الأوراق الأخرى.

لم يزد حديثهما عن دقيقتين. ولم يكن لما حدث سوى معنى واحد. فقد أدير الموضوع بشكل يؤدي بوينستون لأن يعرف عنوان أوبريان. كان ذلك ضروريًّا، إذ باستثناء الاستفسار بشكل مباشر، لم يكن ليمكن للمرء أبدًا معرفة أين تسكن. لم تكن هناك أدلة للعناوين من أي نوع. وما أخبره به أوبريان هو: "إذا أردت مقابلتي، فهنا ستجدني". ولعل في مكان ما بالقاموس ستكون ثمة رسالة سرية ما. لكن على كل حال، فثمة شيء واحد مؤكد. فالمؤامرة التي كان يحلم بها موجودة، وقد وصل إلى تخومها.

كان يعرف أنه- إن عاجلًا أو آجلًا- سيلبي استدعاء أوبريان. ربما غدًا، ربما بعد فترة طويلة- لم يكن متأكدًا. ما كان يحدث ليس إلا تحقيقًا لعملية بدأت قبل سنوات. كانت الخطوة الأولى سرية، فكرة لا إرادية، وكانت الثانية بدء تدوين المذكرات. انتقل من الأفكار إلى الكلمات، والآن من الكلمات إلى الأفعال. والخطوة الأخيرة هي شيءٌ ما سيحدث في وزارة الحب. وقد قبل بذلك. فالنهاية تكمن في البداية. لكن الأمر كان مخيفًا، أو لتحري الدقة، كان يشبه التذوق المسبق للموت، يشبه أن تكون على قيد الحياة بشكل أقل. وحتى فيما كان يتحدث مع أوبريان، وأدرك معنى كلماته، تملكت جسده ارتعاشة باردة. أحس بأنه يخطو إلى رطوبة القبر، ولم يكن الإحساس أفضل كثيرًا لأنه كان يعرف دائمًا بوجود القبر، وأن القبر ينتظره.

# الفصل السَّابع

أفاق وينستون من نومه وعيناه مغرورقتان بالدموع. مالت عليه جوليا، وهي نائمة، وغمغمت بشيءٍ كأنها تقول: "ما الأمر؟"

قال: "حلمت بـ..."، ثم توقف. كان الأمر أعقد من أن يُعبَّر عنه بالكلمات. كان الحلم نفسه، وكانت الذكرى المتصلة به التي علقت بعقله في الثواني التالية على الاستيقاظ.

رقد مغمض العينين، متبلدًا ما يزال في أجواء الحلم. كان حلمًا شاسعًا، مضيئًا، بدت فيه حياته ممتدة أمامه كمشهد طبيعي ذات مساء صيفي بعد المطر. وقد حدث الحلم كله داخل ثقالة الورق الزجاجية، لكن سطح الزجاجة كان قبة السماء، وداخلها كان كل شيء يفيض بنور صافٍ ناعم يمكن للمرء أن يرى فيه إلى مسافات عصية على الاختراق. كان الحلم أيضًا يكمن في- بالفعل، بمعنًى ما كان يتألف من- حركة ذراع قامت بها أمه،

وكررتها بعد ثلاثين عامًا السيدة اليهودية التي رآها في الفيلم الإخباري، وهي تحاول حماية الصبي الصغير من الرصاص، قبل أن تمزقهما المروحية إربًا.

قال: "هل تعرفين أنني حتى هذه اللحظة كنت أعتقد أنني قتلت أمي؟"

قالت جوليا في نعاس: "ولماذا قتلتها؟"

"لم أقتلها. ليس ماديًا".

في الحلم تذكر آخر لمحة رآها من أمه، وبعد ثوانٍ من الاستيقاظ عادت إليه الملابسات الصغيرة المحيطة بتلك اللحظة. كانت ذكرى لابد أنه أزاحها عن عمد من وعيه على مدار سنوات عديدة. لم يكن متأكدًا من التاريخ، لكنه لا يمكن أن يكون وقتها أقل من عشر سنوات من العمر، أو ربما اثنتي عشرة سنة، عندما حدث ما حدث.

كان والده قد اختفى في وقتٍ ما قبل ذلك، لا يذكر متى تحديدًا. كان يذكر بصورة أفضل الظروف الصاخبة المضطربة في تلك الفترة: حالات الذعر الدورية من الغارات الجوية، والاحتماء بمحطات قطارات الأنفاق، وأكوام الأنقاض في كل مكان، والإعلانات الملتبسة المعلقة على نواصي الشوارع، وعصابات الشبان في قمصان بلون موحد، والطوابير الطويلة أمام المخابز، ونيران البنادق الآلية المتقطعة عن بُعد- وقبل كل شيء، حقيقة أنه لا يوجد ما يكفي من الطعام. كان يتذكر ساعات الأصيل الطويلة التي كان يقضيها مع صبية آخرين في البحث في القمامة وأكوام النفايات، بحثًا عن أوراق الكرنب وقشر البطاطس وكسرات الخبز المتعفن التي ينفضون عنها التراب

في حرص بالغ؛ وأيضًا انتظار الشاحنات المارة، التي تمضي في طريق معين وكان معروفًا عنها أنها تحمل علف الأبقار، التي- عندما تهتز وتتمايل في الطريق الوعر- أحيانًا ما تُسقط القليل من العلف.

عندما اختفى أبوه، لم تُبد أمه أية دهشة أو أي حزن عنيف، لكن اعتراها تغير مفاجئ. بدا كأنها قد أصبحت بلا روح تمامًا. وكان من الواضح حتى لوينستون أنها تنتظر شيئًا تعرف أنه سيحدث لا مفر. كان تقوم بكل المطلوب منها- الطهي، والغسيل، وحياكة الثياب، وترتيب الفراش، ومسح الأرضيات، ونفض التراب عن سطح المدفأة العلوي، دائمًا ببطء شديد وبافتقار مدهش لأية حركة زائدة عن المطلوب، كأنها دُمية عرض تتحرك من تلقاء ذاتها. وبدا جسدها الضخم الجميل كأنه يرتد إلى حالة سكون. لساعات كانت تجلس بلا حراك في السرير، تعتني بأخته الصغيرة، طفلة ضئيلة مريضة صامتة للغاية تبلغ من العمر سنتين أو ثلاثًا، بوجه يشبه القرد بفعل النحول. وكانت أحيانًا ما تأخذ وينستون بين ذراعيها، تحتضنه لوقت طويل بلا كلمة. كان واعيًا، رغم صغره وأنانيته، بأن لهذا الأمر صلة ما بالشيء الموشك على الحدوث الذي لا يَرِد له ذكر.

كان يتذكر الحجرة التي عاشوا فيها، هي حجرة مظلمة، رائحتها مقبضة، كان يحتل نصفها السرير، وفوقه لحاف أبيض. كان عند المدفأة موقد غاز، ورف يوضع عليه الطعام، وعلى منبسط السلم خارج الحجرة حوض بني رث، مشترك بين عدة غرف. كان يتذكر جسد أمه الشبيه بالتماثيل منكبًا فوق موقد الغاز لتقليب شيءٍ ما في مقلاة. وقبل كل شيء، كان يتذكر جوعه

المستمر، والمعارك الشرسة القبيحة وقت الوجبات. كان يسأل أمه بإلحاح، مرة تلو المرة، لماذا لا يوجد طعام أكثر، ويصيح فيها ويعنفها (بل يذكر نبرة صوته، الذي بدأ يغلظ قبل الأوان، وكان أحيانًا عاليًا بشكل غريب)، أو يحاول تصنع المسكنة ليحصل على المزيد من الطعام. كانت أمه مستعدة تمامًا لأن تعطيه أكثر من نصيبه. كان من المسلمات بالنسبة لها أنه، هو "الصبي"، يجب أن يحصل على النصيب الأكبر؛ لكن أيًا ما كان ما يأخذه، كان يطلب المزيد دائمًا. وعند كل وجبة ترجوه ألا يكون أنانيًا، وأن يتذكر أن أخته الصغيرة مريضة، وأنها بدورها تحتاج الطعام، لكن بلا فائدة. كان يبكي من الغضب عندما تكف عن الغرف في طبقه، ويحاول أخذ المقلاة والمغرفة منها غصبًا، ويخطف الطعام من طبق أخته. كان يعرف أنه يتسبب في موت الآخرين جوعًا؛ لكنه كان بلا حيلة في هذا؛ بل يحس بأن له حقًا فيما يفعله. فالجوع الصاخب في بطنه يبرر له هذا. وبين الوجبات، إن لم تنتبه أمه جيدًا، كان دائمًا ما يسرق من مخزون الطعام فوق الرف.

ذات يوم وزعت حصةٌ من الشيكولاتة. لم يحدث مثل هذا التوزيع لأسابيع أو شهور سابقة. كان يتذكر بوضوح تام قطعة الشيكولاتة الصغيرة الثمينة تلك. كانت قطعة بوزن أوقيتين لا تزيد عن ثلاثين جرامًا (كانوا ما يزالون يستخدمون الأوقيات في تلك الأيام)، يتشارك فيها ثلاثتهم. وكان من الواضح أنها لابد من تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء متساوية. فجأةً، كأنه كان ينصت إلى شخص آخر، سمع وينستون نفسه وهو يطلب في صياح صاخب غاضب أنه لابد أن يأخذها كلها وحده. قالت له أمه لا تكن طماعًا. وكان

ثمة جدال طويل يتسم بالإلحاح، استمر فترة طويلة، مع صياح وتذمر ودموع واحتجاجات ومساومات. كانت أخته الصغيرة، المتشبثة بأمه بيديها، تشبه تمامًا القرد الصغير، تجلس مطلة من فوق كتفها إليه، بعيون كبيرة حزينة. في النهاية، كسرت الأم ثلاثة أرباع الشيكولاتة وأعطتها لوينستون، وأعطت الربع الأخير لأخته. أخذت الصغيرة القطعة ونظرت إليها في بلادة، ربما دون أن تدري ماذا تكون. وقف وينستون يراقبها للحظة. ثم بقفزة مفاجئة سريعة اختطف قطعة الشيكولاتة من يدها واتجه مسرعًا إلى الباب.

"وينستون، وينستون!" نادت أمه عليه. "عُد! أعد لأختك الشيكولاتة!".

توقف، لكنه لم يعد. تسمرت عينا أمه القلقتان على وجهه. حتى الآن، كان يفكر في ذلك الشيء الذي لم يكن يعرف ما هو، لكنه كان على وشك الحدوث. أما أخته، وقد أدركت أنها قد سُلب منها شيءٌ ما، فانطلقت في نحيب واهن. لفت أمه الطفلة بذراعها وضمت رأسها إلى صدرها. أخبره شيءٌ ما في تلك الحركة أن أخته تحتضر. استدار ونزل السلم ركضًا، والشيكولاتة تزداد لزوجة في يده.

لم ير أمه بعد ذلك ثانيةً. بعد أن التهم الشيكولاتة أحس بشيء من الخزي من نفسه، وراح يهيم في الشوارع لساعات، حتى أعاده الجوع إلى البيت. عندما عاد كانت أمه قد اختفت. كان ذلك الأمر طبيعيًا وقتها. لم يختف من الحجرة أي شيء سوى أمه وأخته. لم تأخذا أي ثياب، أو حتى معطف أمه الثقيل: حتى الآن لا يعرف على وجه اليقين إن كانت أمه قد ماتت. كان من المحتمل تمامًا أنها أرسلت إلى معسكر أشغال شاقة. أما

بالنسبة لأخته، فربما فصلوها عنها، مثل وينستون نفسه، بأخذها إلى إحدى مستعمرات الأطفال المشردين (الإصلاحيات، كان هذا اسمها)، التي زادت نتيجة للحرب الأهلية، أو ربما أرسلوها إلى معسكر العمل مع أمه، أو تركوها ببساطة في مكان ما لتموت.

كان الحلم ما يزال حيًّا في عقله، لا سيما حركة الذراع الحامية الحاضنة التي يبدو أن معنى الحلم كله يكمن فيها. عاد عقله به إلى حلم آخر منذ شهرين. ومثلما كانت أمه جالسةً على السرير ذي اللحاف الأبيض العطن، والطفلة متعلقة بها، هكذا كانت جالسة في السفينة الغارقة، بعيدًا تحته بكثير، وهي تغرق أكثر فأكثر كل دقيقة، لكن ما تزال تتطلع إليه من أسفل خلال الماء المظلم.

أخبر جوليا بقصة اختفاء أمه. ودون أن تفتح عينيها تقلبت واستقرت في وضع أكثر راحة لها.

قالت بنبرة مشوشة: "كنت أتوقع أنك كنت خنزيرًا صغيرًا متوحشًا تلك الأيام. كل الأطفال خنازير".

"نعم، لكن مغزى القصة هو..".

تبين من وتيرة تنفسها أنها نامت مرةً أخرى. كان يرغب في مواصلة حديثه عن أمه. لم يفترض- مما يمكن له أن يتذكره عنها- أنها كانت امرأة غير عادية، أو ذكية، لكنها مع ذلك كان تنطوي على نوعٍ ما من النُبل، نوعٍ ما من النقاء، ببساطة لأن المعايير التي كانت تلبيها معايير خاصة. كانت

مشاعرها تخصها، ولا يمكن أن تتبدل من الخارج. لم يكن ليخطر ببالها أن العمل غير المجدي يصبح بالتالي بلا معنى. فإذا كنت تحب أحدهم فأنت تحبه، وعندما لا يبقى معك ما تمنحه، فإنك تمنحه الحب. فعندما ولَّت قطعة الشيكولاتة الأخيرة، أمسكت أمه بالطفلة بين ذراعيها. لم تكن ثمة فائدة من ذلك الفعل، ولم يغير في الأمر شيئًا، ولم يأت بالمزيد من الشيكولاتة، ولم يؤخر موت الطفلة أو موتها؛ لكن كان يبدو لها طبيعيًا أن تفعل ذلك. وقد غطت المرأة اللاجئة في القارب أيضًا طفلها الصغير بذراعيها، وهو ما كان بلا فائدة في مواجهة الرصاص بأكثر من فائدة صفحة ورق. والشيء الفظيع الذي ارتكبه الحزب، هو إقناعك بأن محض الأفعال الغريزية، والمشاعر، بلا أي اعتبار، فيما يستلب- في الوقت نفسه- كل سلطتك على العالم المادي. فما إن تصبح في قبضة الحزب، حتى يصبح لا فارق هنالك بالمرة بين أن تشعر أو لا تشعر، أن تفعل أو تمتنع عن الفعل. مهما حدث فإنك تختفي، ولا يُسمع عنك أو عن أفعالك بعد ذلك أبدًا. تتم إزالتك هكذا من مجرى التاريخ. ولكن بالنسبة للناس قبل جيلين فحسب لم يكن ذلك ليبدو مهمًا، لأنهم لم يكونوا يحاولون تبديل التاريخ. كانت تحكمهم الولاءات الخاصة التي لم يتساءلوا بشأنها. وما كان مهمًا هو العلاقات الشخصية، وإيماءة قليلة الحيلة تمامًا، عناق، دمعة، كلمة تُقال لرجل يحتضر، أشياء كهذه كانت لها قيمة في ذاتها. البرولز، كما خطر له فجأةً، ظلوا على هذه الحال. لم يكونوا موالين للحزب أو للبلد أو لأية فكرة، كان ولاؤهم لبعضهم البعض. وللمرة الأولى في حياته لم يحتقر البرولز، أو يفكر فيهم كمجرد قوة خاملة ستهب إلى الحياة يومًا ما وتعيد إحياء العالم. فقد

ظل البرولز بشرًا. لم يتحجروا من الداخل. لقد احتفظوا بالمشاعر البدائية التي كان عليه هو نفسه تعلمها من جديد بجهد إرادي. وفيما يفكر في هذا تذكر- دون صلة واضحة- كيف أنه رأى قبل أسابيع يدًا مبتورة مرمية على الرصيف، وكيف ركلها إلى بالوعة كأنها قطعة كرنب.

قال بصوت جهوري: "البرولز كائنات بشرية. ونحن لسنا بشرًا".

قالت جوليا، وقد استيقظت مجددًا: "لمَ لا؟"

فكر لوهلة. قال: "هل خطر لك يومًا أن أفضل ما نفعله هو ببساطة أن نخرج من هنا قبل فوات الأوان، وألا نقابل بعضنا مرةً أخرى أبدًا؟"

"نعم، يا عزيزي، خطر لي هذا، عدة مرات. لكنني لن أفعل هذا، على كل حال".

قال: "كنا محظوظين، لكن ذلك لن يدوم كثيرًا. أنت شابة. وتبدين طبيعية وبريئة. وإذا ما ابتعدت عن الناس أمثالي، فربما تبقين على قيد الحياة خمسين عامًا أخرى".

"لا، لقد فكرت في هذا. وما ستفعله أنت سأفعله. ولا تكن متشائمًا هكذا. أنا ماهرة في البقاء على قيد الحياة".

"قد نبقى معًا ستة شهور أخرى- أو عام- مَن يدري. في النهاية من المؤكد أننا سنفترق. هل تدركين كم سنشعر بالوحدة التامة؟ بعد أن يمسكوا بنا لن يكون هناك شيء، لا شيء بالمعنى الحرفي للكلمة، يمكن لأيٍّ منا أن

يفعله للآخر. وإذا ما اعترفت أنا، فسوف يرمونك بالرصاص، وإذا ما رفضت الاعتراف فسيرمونك بالرصاص أيضًا. ولا شيء يمكنني فعله أو قوله أو أمنع نفسي من قوله سيؤجل موتك ولو لخمس دقائق. ولن يعرف أيٌّ منا ما إن كان الآخر على قيد الحياة أم ميت. سوف نصبح بلا أدنى حيلة من أي نوع. والشيء الوحيد المهم هو ألا نخون بعضنا البعض، حتى إن كان هذا لن يُحدث أدنى فارق".

قالت: "إذا ما كنت تقصد الاعتراف، فسوف نعترف، هذا مؤكد. فالجميع يعترفون دائمًا. لا يمكنك منع الاعتراف. فهم يقومون بالتعذيب".

"لا أقصد الاعتراف. الاعتراف ليس خيانة. فما يقوله المرء أو يفعله لا يهم. المشاعر وحدها هي المهمة. فلو استطاعوا دفعي إلى الكف عن حبك- فهذه هي الخيانة الحقيقية".

فكرت في الأمر. قالت أخيرًا: "لا يمكنهم فعل هذا. هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يقدرون عليه. فيمكنهم حملك على قول **أي شيء**- لكن ليس بإمكانهم إجبارك على الإيمان به. لا يمكنهم النفاذ إلى داخلك".

قال بقدر من التمني: "لا؛ ذلك صحيح تمامًا. لا يمكنهم النفاذ إلى داخلك. فإذا أمكنك **الإحساس** بأن بقاءك إنسانًا أمر يستحق، حتى عندما لا يؤدي هذا لأية نتيجة؛ فسوف تتمكنين من هزيمتهم".

فكر في شاشة التيليسكرين بأذنها التي لا تنام أبدًا. فيمكنهم التجسس عليك ليلًا ونهارًا، لكن إذا ما احتفظت بوعيك فيمكنك الانتصار عليهم.

فبكل مهارتهم لم يتمكنوا أبدًا من معرفة سرّ اكتشاف ما يفكر فيه إنسان آخر. ربما كان ذلك أقل صحةً وأنت بين أيديهم. فلا يدري المرء ما يجري داخل وزارة الحب، لكن التخمين ممكن: التعذيب، التخدير، أدوات دقيقة تسجل ردود أفعالك العصبية، التدمير التدّريجي للجسد بالحرمان من النوم والعزلة والاستجواب المتواصل. وعلى أية حال، لا يمكن الإبقاء على الحقائق مخفية. فيمكن تعقبها بالاستجواب، يمكن اعتصارها منك بالتعذيب. لكن إذا ما كانت القضية لا أن تبقى على قيد الحياة بل أن تبقى إنسانيًّا، فما الفارق في نهاية المطاف؟ فهم لا يمكنهم تبديل مشاعرك: ولا يمكنك أنت حتى تبديلها بشكل إرادي، حتى لو أردت. يمكنهم أن يعرفوا بشكل تفصيلي كل ما فعلته أو قلته أو فكرت فيه يومًا؛ لكن يبقى جوهر القلب- الذي لا تعرف أنت نفسك كوامنه- عصيًّا على الاختراق.

# الفصل الثَّامن

لقد فعلاها، فعلاها في النهاية !

كانت الحجرة التي يقفان بها مستطيلة، خافتة الإضاءة. وتم خفض صوت التيليسكرين إلى حد الغمغمة الخفيضة، وثراء البساط الأزرق الداكن يعطي الانطباع بالسير على القطيفة. وعند الطرف البعيد للحجرة كان أوبريان جالسًا إلى منضدة تحت مصباح له مظلة خضراء، وكتلة من الورق إلى جانبيه. لم يكبد نفسه عناء رفع نظره إليهما عندما أدخل الخادم جوليا ووينستون.

كان قلب وينستون ينتفض حتى إنه شك في قدرته على الكلام. لقد فعلاها، فعلاها أخيرًا، هذا كل ما يمكنه التفكير فيه. كان المجيء إلى هنا عملًا متهورًا تمامًا، وحماقة تامة أن يصلا معًا، حتى إن كانا قد جاءا من طريقين مختلفين، ولم يتقابلا إلا على عتبة باب أوبريان. لكن السير

ببساطة إلى مكان كهذا كان يحتاج إلى جهد عصبي. ففي مناسبات نادرة للغاية فحسب يرى المرء مساكن قيادات الحزب من الداخل، أو حتى يدخل إلى الحي الذي يعيشون فيه. فالأجواء العامة للكتلة السكنية الضخمة، وثراء ورحابة كل شيء، والروائح غير المألوفة للطعام الجيد والتبغ الجيد، والمصاعد الصامتة السريعة بشكل مذهل التي تنزلق صعودًا وهبوطًا، والخدم في ستراتهم البيضاء المهرولون هنا وهناك- كل شيء كان يفوح بالترهيب. رغم أن لديه ذريعة جيدة للمجيء إلى هنا، فقد تلبسه مع كل خطوة الخوف من أن يظهر الحارس ذو الزي الأسود من وراء الناصية، ويطلب منه أوراقه، ويأمره بالابتعاد. لكن خادم أوبريان أدخلهما دون كلام. كان رجلًا ضئيلًا، داكن الشعر، يرتدي سترة بيضاء، وجهه مستطيل كالماسة، يخلو تمامًا من أي تعبير كوجه رجل صيني. الممر الذي قادهما فيه كان مفروشًا بأبسطة ناعمة، وجدرانه مكسوة بورق بلون القشدة، ومغلفة بكسوة بيضاء، وكل شيء نظيف لدرجة مدهشة. ذلك بدوره كان يبعث على الرهبة. لم يستطع وينستون أن يتذكر أنه رأى قط ممرًا كهذا، جدرانه ليست مسودة من تلامس الأجساد بها.

كانت بين أصابع أوبريان قصاصة ورق، وبدا أنه يتفحصها باهتمام. وجهه الثقيل، المنكب بشكل يرى معه المرء خط أنفه، بدا مرعبًا وذكيًا في آن. وربما لنحو عشرين ثانية جلس بلا حراك. ثم جذب آلة كلام-كتابة منه، وأملى رسالة بأسلوب كتابة الوزارات المهجن:

"البنود واحد فاصل خمسة فاصل سبعة نوافق عليها كاملة نقطة اقتراح

يحتوي على بند ستة + مضاعف سخيف يكاد يكون جريمة تفكير إلغاء نقطة لا تكمل بناء قبل الحصول على تقديرات كاملة لآلات الأسطح نقطة رسالة انتهت".

نهض في بطء من مقعده، وتقدم منهما على البساط الأخرس. بدا كأن بعض الجو الرسمي قد سقط عنه مع كلمات كلام-جديد، لكن تعبير وجهه كان أكثر تجهمًا من المعتاد، كأنه لم يسره أن يقاطعه أحد. وكان الرعب الذي أحسه وينستون بالفعل تشوبه مسحة من إحساس عادي بالحرج. بدا له أنه ربما ارتكب خطأ أحمق. فما الدليل عنده حقًا على أن أوبريان متآمر سياسي من أي نوع؟ لا شيء سوى تلاقي نظرة عينين وتعليق واحد محمل بمعنيين: وبخلاف هذا، ليس سوى تخيلاته السرية، المؤسسة على حلم. ولا يمكنه حتى التراجع إلى ذريعة أنه جاء ليستعير القاموس، لأن حضور جوليا- في هذه الحالة- يصبح مستحيل التفسير. مع مرور أوبريان أمام التيليسكرين بدا له أنه قد خطرت بباله فكرةٌ ما. توقف، واستدار وضغط على مفتاح في الجدار. كان ثمة صوت حاد. وانطفأ الصوت.

صدر عن جوليا صوت ضئيل، شهقة ذهول. وحتى في خضم ذعره، ذُهل وينستون بحيث لم يتمكن من السيطرة على لسانه.

قال: "يمكنك إطفاؤها!"

قال أوبريان: "أجل. يمكننا إطفاؤها. لدينا هذا الامتياز".

كان قبالتهما الآن. جسمه المتين أطول منهما، والتعبير المرتسم على وجهه

ما يزال عصيًا على الفهم. كان ينتظر، بقدر من الصرامة، أن يتحدث وينستون، لكن عن ماذا؟ حتى الآن كان من المتصور تمامًا أنه ببساطة رجل مشغول يتساءل في امتعاض لماذا تمت مقاطعته. لم يتحدث أحد. بعد إطفاء التيليسكرين بدت الحجرة في صمت الموت. مرت الثواني، ضخمة. وبصعوبة تمكن وينستون من إبقاء عينيه مثبتتين في عيني أوبريان. ثم فجأةً تحول الوجه المتجهم إلى ما يمكن اعتباره بداية ابتسامة. وبإيماءته المميزة عدل أوبريان من عويناته على أنفه.

قال: "هل أقولها، أم ستفعل أنت؟"

قال وينستون فورًا: "سأقول أنا. هل تم إطفاء هذا الشيء حقًا؟"

"نعم، كل شيء منطفئ هنا. نحن وحدنا".

"حضرنا إلى هنا لكي.."

توقف، مدركًا للمرة الأولى إبهام دوافعه. فطالما أنه لا يعرف حقًا نوع المساعدة التي يتوقعها من أوبريان، فلم يكن من السهل أن يقول لماذا جاء. أكمل، مدركًا أن ما يقوله لابد أنه سيبدو هزيلًا ومُدعيًا:

"نؤمن بأن هناك مؤامرة من نوع ما، منظمة سرية ما تعمل ضد الحزب، وأنك ضالع فيها. نريد الانضمام إليها والعمل من أجلها. نحن أعداء للحزب. لقد كفرنا بمبادئ الاشت-إنج. نحن من مجرمي الأفكار. كما أننا متحللون أخلاقيًا. أقول لك هذا لأنني أريد أن نضع أنفسنا تحت رحمتك. فإذا ما أردت أن نُجرم أنفسنا بأي شكل، فنحن على استعداد".

توقف ونظر من فوق كتفه، بشعور أن الباب قد انفتح. بالفعل، كان الخادم أصفر الوجه قد دخل دون أن يطرق الباب. رأى وينستون أنه يحمل صينية عليها زجاجة شراب وكؤوس.

قال أوبريان في رصانة: "مارتن واحد منّا. هات الشراب هنا، يا مارتن. ضعه على المائدة المستديرة. هل عندنا مقاعد كافية؟ إذن فلنجلس ونتحدث في ارتياح. هات مقعدًا لك، يا مارتن. أمامنا عمل. ويمكنك الكف عن عمل الخادم للدقائق العشرة التالية".

جلس الرجل الضئيل، على راحته تمامًا، لكن ما يزال بمظهر الخادم، هيئة خادم فندق يستمتع ببعض الامتيازات. رمقه وينستون بطرف عينه. خطر له أن حياة الرجل كاملة كانت تلعب دورًا ما، وأنه يشعر بخطورة إسقاط شخصيته التي يتقمصها ولو للحظة واحدة. أمسك أوبريان بزجاجة الشراب من عنقها وملأ الكؤوس بسائل داكن الحمرة. حرَّك في وينستون ذكريات معتمة عن شيءٍ ما رآه قديمًا على جدار أو لوحة إعلانات ضخمة- قنينة هائلة مؤلفة من مصابيح كهربائية كان يبدو أنها تتحرك لأعلى وأسفل وتصب محتوياتها في كأس. من أعلى كان السائل يبدو أسود تقريبًا، لكنه في القنينة كان يومض كالياقوت. كانت له رائحة حمضية لذيذة. رأى جوليا تلتقط كأسها وتشمه بفضول واضح.

قال أوبريان بابتسامة خفيفة: "اسمه نبيذ. لقد قرأتما عنه في الكتب، بلا شك. مؤسف أنه لا يصل منه الكثير إلى أعضاء الحزب العاديين". عاد وجهه للرصانة من جديد، ورفع كأسه: "أعتقد أن من الملائم أن نبدأ الشرب

بنخب. في صحة قائدنا: إيمانويل جولدشتاين".

أمسك وينستون بكأسه بلهفة. فالنبيذ شيء قرأ عنه وحلم به. مثل ثقالة الورق الزجاجية أو أغاني السيد تشارنجتن التي لا يذكر إلا نصفها، كان ينتمي إلى الماضي الرومانسي، الغابر، إلى الأيام الخوالي، كما يحب تسميته ضمن أفكاره السرية. لسببٍ ما كان يعتقد دائمًا أن النبيذ حلو المذاق بشكل مكثف، كمذاق مربى التوت، وأن تأثيره المُسكر فوري. والواقع أنه حين تجرعه، تبين أنه مخيب للآمال بشكل واضح. والحقيقة أنه- بعد سنوات من شرب الجين- لم يستسغه إلا بالكاد. وضع الكأس الفارغة على المنضدة.

قال: "إذن فهناك شخصٌ اسمه جولدشتاين فعلا؟"

"نعم، له وجود، وهو حي. أين؟ لا أعرف".

"والمؤامرة.. المنظمة؟ أهي حقيقية؟ أليست ببساطة من اختراع شرطة الأفكار؟"

"لا، هي حقيقية. **الأخوية**، هكذا نسميها. لن تعرف أبدًا عن الأخوية أكثر مما هو متاح، وأنك تنتمي إليها. سأعود إلى هذا الموضوع بعد قليل". نظر إلى ساعة يده. "ليس من الحكمة حتى لقيادات الحزب إطفاء التيليسكرين لأكثر من نصف ساعة. ما كان يجب أن تأتيا إلى هنا معًا، وسيكون عليكما أن تغادرا على انفراد. أنت، يا رفيقة"- أومأ برأسه لجوليا- "ستغادرين أولًا. أمامنا عشرون دقيقة تقريبًا. ولابد أنكما تفهمان أن عليَّ البدء بسؤالكما بعض الأسئلة. بشكل عام، ماذا أنتما مستعدان لفعله؟"

قال وينستون: "أي شيء نقدر عليه".

دار أوبريان قليلًا في مقعده وأصبح يواجه وينستون. تجاهل جوليا تقريبًا، معتبرًا أن من المسلم به أن يتكلم وينستون بالنيابة عنها. للحظة تهدل جفناه على عينيه. بدأ يطرح أسئلته بصوت منخفض، يخلو من أي تعبير، كأنها مسألة روتينية، طقوس شفهية، ومعظم الإجابات معروفة له سلفًا.

"هل أنت مستعد للتضحية بحياتك؟"

"نعم".

"هل أنت مستعد للقتل؟"

"نعم".

"أن ترتكب أعمال تخريب قد تؤدي إلى مقتل مئات الأبرياء؟"

"نعم".

"أن تخون بلدك لصالح قوى أجنبية؟"

"نعم".

"مستعد للغش، للتزوير، للابتزاز، لإفساد عقول الأطفال، لتوزيع مخدرات تؤدي لاتباع عادات بعينها، للتشجيع على الدعارة، لنشر أمراض تناسلية- أن تفعل أي شيء يرجح أن يؤدي إلى هدم الأخلاق وإضعاف سلطة الحزب؟"

"نعم".

"على سبيل المثال، إذا ما أدى هذا إلى خدمة مصالحنا، أن ترمي ماء النار على وجه طفلة؟- هل أنت مستعد لهذا؟"

"نعم".

"هل أنت مستعد لفقدان هويتك، والعيش باقي حياتك كنادل أو عامل ميناء؟"

"نعم".

"هل أنت مستعد للانتحار، إذا وحين يوجَّه إليك الأمر بأن تنتحر؟"

"نعم".

"هل أنت مستعد، أنتما، للانفصال وعدم رؤية أحدكما الآخر مرة أخرى؟"

"لا!" قاطعته جوليا.

بدا لوينستون أن فترة طويلة قد مرت عليه قبل أن يجيب. للحظة بدا حتى كأنه قد حُرم من القدرة على الكلام. تحرك لسانه بلا صوت، مشكلًا المقطع الأول من كلمة واحدة، ثم من الأخرى، مرة تلو المرة. إلى أن قالها، لم يكن يعرف ما الكلمة التي سينطق بها. قال أخيرًا: "لا".

قال أوبريان: "أحسنتما بإخباري. فمن الضروري لنا أن نعرف كل شيء".

استدار نحو جوليا، وأضاف بصوت يحمل قدرًا من الإحساس:

"هل تفهمين أنه حتى لو بقي حيًّا، فقد يصبح إنسانًا مختلفًا؟ قد نضطر لمنحه هوية جديدة. وجهه، حركاته، شكل يديه، لون شعره- حتى صوته قد يختلف. وأنت نفسك قد تصبحين إنسانة أخرى. يمكن لجراحينا تبديل الناس بحيث لا يمكن التعرف عليهم. أحيانًا ما يكون هذا ضروريًّا. وأحيانًا ما نقطع حتى أحد الأطراف".

لم يتمكن وينستون من مقاومة اختطاف نظرة جانبية سريعة أخرى من وجه مارتن المنغولي. كان بلا ندوب، حسب ما رأى. ازدادت جوليا شحوبًا، فظهر نمشها أوضح، لكنها واجهت أوبريان في جرأة. غمغمت شيئًا ما يوحي بالموافقة.

"جيد. اتفقنا إذن".

كانت على المنضدة علبة سجائر فضية. وبذهن شارد دفعها أوبريان نحوهما، وأخذ واحدةً لنفسه، ثم نهض وبدأ يتمشى ببطء جيئة وذهابًا، كأنه يمكن له التفكير بشكل أفضل وهو واقف. كانت سجائر جيدة للغاية، سميكة وجيدة الحشو، وورقها ناعم بشكل غير مألوف. نظر أوبريان إلى ساعة يده مرةً أخرى.

قال: "الأفضل أن تعود إلى مطبخك، يا مارتن. سوف أشغل التيليسكرين بعد ربع ساعة. انظر جيدًا إلى وجهي هذين الرفيقين قبل أن تذهب. سوف تراهما مرةً أخرى. وقد لا أراهما أنا".

كما فعلتا أمام الباب الخارجي، مرت عينا الرجل الضئيل الداكنتان

سريعًا على وجهيهما. لم يكن في طريقته أي أثر من الود. كان يحفظ شكلهما، لكنه لم يشعر بأي اهتمام بهما، أو بدا أنه لا يشعر أصلًا. خطر لوينستون أن الوجه المصطنع يعجز بلا شك عن تغيير تعبيراته. دون أن ينطق أو يقوم بأية تحية، خرج مارتن، وأوصد الباب وراءه في هدوء. كان أوبريان يسير جيئةً وذهابًا، ويد في جيب الأوفرول الأسود، والأخرى ممسكة بسيجارته.

قال: "هل تفهمان أنكما ستحاربان في الظلام. وستكونان دائمًا في الظلام. سوف تتلقيان الأوامر وسوف تطيعانها، دون معرفة السبب. فيما بعد سوف أرسل إليكما كتابًا تفهمان منه الطبيعة الحقيقية للمجتمع الذي نعيش فيه، والاستراتيجية التي نتبعها لتدميره. عندما تقرآن الكتاب، سوف تصبحان عضوين كاملي العضوية في الأخوية. لكن فيما بين الأهداف العامة التي نقاتل من أجلها والمهام المباشرة الآنية، لن تعرفا أبدًا أي شيء. أقول لكما إن الأخوية موجودة، لكني لا أستطيع إخباركما بما إن كان عددها مائة عضو أو عشرة ملايين. من معرفتكما الشخصية لن تستطيعا أبدًا من قول إن كان عددها يصل حتى إلى عشرة أشخاص. سوف تصبحان على اتصال بثلاثة أو أربعة أشخاص، وسوف يتجددون من حين لآخر عند اختفائهم. وبما أن هذا هو اتصالكما الأول، فسوف يدوم. وعندما تتلقون أوامر فستكون مني. وإذا ما وجدنا ضرورة للتواصل معي، فسيكون من خلال مارتن. وعندما يتم القبض عليكما في النهاية، سوف تعترفان. ذلك لا مفر منه. لكن لن يكون لديكما الكثير للاعتراف به، باستثناء ما فعلتماه. لن تتمكنا من خيانة أكثر من حفنة من الناس غير المهمين. ربما

لن تخوناني حتى. لكن آنذاك قد أكون ميتًا، أو قد أصبحت شخصًا مختلفًا، بوجه مختلف".

استمر في حركته ذهابًا وإيابًا على البساط الناعم. ورغم ضخامة جسده كانت حركاته ناعمة بشكل مدهش. كانت تبدو كذلك حتى في الحركة التي يدس بها يده داخل جيبه، أو تعامله مع السيجارة. وقد أعطى انطباعًا بالثقة والفهم الممتزج بالسخرية بأكثر حتى من الانطباع بالقوة. وبغض النظر عن مدى جديته، فلم يكن يحمل شيئًا من ضيق الأفق اللصيق بالمتطرفين. وعندما تحدث عن القتل، والانتحار، والأمراض التناسلية، وبتر الأطراف، وتبديل الوجوه، كان يشوب حديثه مسحة من التهكم. كأن صوته يقول "لا مفر من هذا. وهذا ما علينا فعله، دون أن تطرف لنا عين. لكن هذا ليس ما سنفعله بعد أن تصبح حياتنا تستحق الحياة مرةً أخرى". انبعثت من وينستون موجة من الإعجاب، تقارب التبجيل، نحو أوبريان. وللحظة نسي صورة جولدشتاين المبهمة. عندما تنظر إلى كتفي أوبريان القويين، ووجهه صريح التقاسيم، القبيح للغاية والمتمدين للغاية مع ذلك، فمن المستحيل أن تعتقد بأن هزيمته ممكنة. فلم تكن ثمة خطة ليس كفؤًا لها، ولا خطر لا يمكنه توقعه. حتى جوليا بدت منبهرة. تركت سيجارتها تنطفئ، وراحت تنصت في إمعان. مضى أوبريان في كلامه:

"لابد أنكما سمعتما شائعات عن وجود الأخوية. ولاشك أنكما كونتما تصوركما عنها. تخيلتما على الأرجح أنها شبكة سرية هائلة من المتآمرين، الذين يجتمعون سرًّا في أقبية، ينقشون الرسائل على الجدران، يتعرفون أحدهم

على الآخر بكلمات سر أو بحركات معينة من اليد. لا يوجد شيء من هذا القبيل. فلا سبيل لأن يتعرف أعضاء الأخوية على بعضهم البعض، ومن المستحيل لأي عضو أن يعرف هوية ما يزيد عن بضعة آخرين. وجولدشتاين نفسه، إذا ما سقط في قبضة شرطة الأفكار، فلّا يمكنه تقديم قائمة كاملة بالأعضاء، أو أية معلومات قد تصل بهم إلى قائمة كاملة. فلا وجود لقائمة من هذا القبيل. لا يمكن محو الأخوية لأنها ليست تنظيمًا بالمعنى العادي للكلمة. ولا شيء يجمعها إلا فكرة لا يمكن تدميرها. ولا يحصل المرء فيها على ما يبقيه صامدًا إلا الفكرة. لا رفقة لك ولا تشجيع. وعندما يتم القبض عليك في النهاية، فلن يساعدك أحد. نحن لا نساعد الأعضاء أبدًا. قصارى ما نفعله، حين يصبح من الضروري تمامًا إسكات شخصٍ ما، أن نتمكن أحيانًا من دس شفرة حلاقة في زنزانة سجين. عليكما اعتياد الحياة دون نتائج وبلا أمل. سوف تعملان لفترة، وسوف يتم القبض عليكما، وسوف تعترفان، ثم تموتان. تلك هي النتائج الوحيدة التي ستريانها. ولا احتمال لأن يطرأ أي تغير ملموس أثناء حياتنا. نحن الموتى. وحياتنا الحقيقية الوحيدة تكمن في المستقبل. سوف نشارك فيها ونحن أكوام من التراب وبقايا عظام. لكن كم يبعد هذا المستقبل؟ لا يدري أحد. قد يكون ألف عام. وفي الوقت الحاضر ما من شيء ممكن سوى تمديد مساحة العقل شيئًا فشيئًا. ولا يمكننا العمل بشكل جماعي. لا يمكننا سوى نشر معرفتنا للخارج، من فرد إلى فرد، من جيل إلى جيل. وما من سبيل آخر في مواجهة شرطة الأفكار".

توقف، ونظر للمرة الثالثة في ساعة يده.

قال لجوليا: "إنها تقريبًا ساعة مغادرتك، يا رفيقة. انتظري. فالزجاجة ما تزال ممتلئة إلى النصف".

ملأ الكؤوس ورفع كأسه من عنقها.

قال، بنفس إيحاء التهكم: "ما النخب هذه المرة؟ إرباك شرطة الأفكار؟ موت الأخ الكبير؟ الإنسانية؟ المستقبل؟"

قال وينستون: "نخب الماضي".

وافقه أوبريان برصانة: "الماضي أهم".

أفرغوا كؤوسهم، وبعد لحظة نهضت جوليا لترحل. أخرج أوبريان صندوقًا صغيرًا من فوق خزانة، وناولها حبة بيضاء مسطحة طلب منها أن تضعها على لسانها. قال إن من المهم ألا تخرج وهي تفوح برائحة النبيذ: فعمال المصاعد يتمتعون بدقة الملاحظة. ما إن انغلق الباب خلفها حتى بدا كأنه نسي وجودها. تمشى مرةً أخرى جيئةً وذهابًا في الحجرة، ثم توقف.

قال: "هناك تفاصيل يجب الاتفاق عليها. أفترض أن عندك مخبأً ما؟"

أخبره وينستون بالحجرة فوق دكان السيد تشارنجتن.

"ستفي بالغرض الآن. فيما بعد سنرتب شيئًا آخر لكما. فمن المهم تغيير المخابئ من حين لآخر. وفي هذه الأثناء سأرسل إليك نسخة من الكتاب"- حتى أوبريان، كما لاحظ وينستون، يبدو كأنه ينطق الكلمات بالبنط المائل- "كتاب جولدشتاين، كما تدري، في أسرع وقت ممكن. قد تمر أيام قبل أن

أتمكن من الحصول على نسخة. فلا توجد نسخ كثيرة منه، مثلما يمكنك أن تتخيل. فشرطة الأفكار تتصيده وتدمره بنفس سرعة إنتاجنا له. ولا فارق كبيرًا في ذلك. فالكتاب لا يُدمر. فإذا ما اختفت النسخة الأخيرة منه، يمكننا إعادة إنتاجه كلمة كلمة. هل تحمل في طريقك للعمل حقيبة؟"

"كقاعدة عامة، أجل".

"ما شكلها؟"

"سوداء، رثة للغاية. ولها حزامان من الجلد".

"سوداء، حزامان، رثة للغاية- جيد. ذات يوم في المستقبل القريب- لا يمكنني تحديد موعد- سوف تصلك رسالة وسط رسائل العمل الصباحية وفيها خطأ مطبعي بإحدى الكلمات، وسيكون عليك أن تطلب إعادة لها. وفي اليوم التالي ستذهب إلى عملك بدون الحقيبة. وفي لحظة ما أثناء اليوم، في الشارع، سوف يلامس رجل ذراعك ويقول: "أعتقد أن حقيبتك قد سقطت منك". ستحتوي الحقيبة التي سيعطيها لك على نسخة من كتاب جولدشتاين. وسوف تعيدها خلال أربعة عشر يومًا".

عم الصمت للحظة.

قال أوبريان: "أمامنا دقيقتان قبل أن تضطر للمغادرة. سنلتقي من جديد- إذا قُدر لنا اللقاء مرة أُخرى.."

نظر وينستون إليه، وقال في تردد: "في المكان الذي ليس به ظلام؟"

أومأ أوبريان بلا دهشة. قال كأنه أدرك التلميحة: "في المكان الذي لا يعرف الظلام. وفي نفس الوقت، أهناك ما تريد قوله قبل مغادرتك؟ أية رسالة؟ أي سؤال؟"

فكَّر وينستون. لم يكن ليبدو أن هناك أي سؤال آخر كان يريد طرحه: ولم يشعر بأدنى رغبة في الحديث عن عموميات طنانة. وبدلًا من أي شيء مرتبط مباشرةً بأوبريان أو بالأخوية، خطرت بباله صورةٌ ما مركبة من غرفة النوم المظلمة التي قضت فيها أمه أيامها الأخيرة، والغرفة الصغيرة فوق دكان السيد تشارنجتن، وثقالة الورق الزجاجية، ولوحة الحفر بإطارها من خشب الورد. وبشكل يكاد يكون عشوائيًا قال:

"هل سمعت يومًا الأغنية القديمة التي تبدأ بـ:

برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت؟"

مرةً أخرى أومأ أوبريان. وبنوع من الكياسة الجادة أكمل المقطع:

برتقال وليمون، تقول أجراس سانت كليمنت،
لي عندك ثلاثة ملاليم، تقول أجراس سانت مارتن،
متى ستدفعها؟ تقول أجراس أولد بايلي،
عندما أصير غنيًا، تقول أجراس شورديتش.

قال وينستون: "أنت تعرف البيت الأخير!"

"أجل. أعرف البيت الأخير. والآن، أخشى أن وقت مغادرتك قد حان.



م٩ - ١٩٨٤ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

لكن انتظر. فالأفضل أن أعطيك أحد هذه الأقراص".

وإذ نهض وينستون مد أوبريان يده. سحقت قبضته القوية عظام راحة يد وينستون. وعند الباب نظر وينستون خلفه؛ لكن أوبريان بدا كأنه قد بدأ عملية إبعاده عن ذهنه. كان ينتظر ويده على مفتاح التحكم في التيليسكرين. ووراءه كان بمقدور وينستون أن يرى منضدة الكتابة بمصباحها الأخضر المظلل وآلة كلام-كتابة والسلال المصنوعة من الأسلاك المثقلة بالأوراق. انتهت العملية. وخلال ثلاثين ثانية، كما خطر له، سيعود أوبريان إلى عمله الذي اعترضاه، عمله المهم لصالح الحزب.

## الفصـل التّاسـع

احس وينستون بنفسه هلاميًّا من التعب. كانت "هلامي" هي الكلمة الصحيحة. خطرت بباله تلقائيًّا. وبدا أن جسده ليس بوهن الجيلي فحسب، بل بشفافيته أيضًا. أحس أنه لو رفع يده ونظر إليها فسيمكنه رؤية الضوء من خلالها. استُنزف دمه وخلاياه الليمفاوية بسبب الانغماس الهائل في العمل، ولم يبق له سوى بنية هشة من الأعصاب، والعظام، والجلد. كان يحس بكل المشاعر مضخمة. الأوفرول يحك كتفيه، والرصيف يخِز قدميه، حتى فتح يده وضمها أصبح مجهودًا تطقطق له مفاصله.

كان يعمل لأكثر من تسعين ساعة على مدار خمسة أيام. وكذلك كان يفعل كل من في الوزارة. والآن، انتهى الأمر، ولم يكن لديه ما يفعله، لا أعمال للحزب من أي نوع، حتى صباح الغد. كان بمقدوره قضاء ست ساعات في المخبأ، وتسع ساعات أخرى في سريره. ببطء، في شمس الأصيل

اللطيفة، سار في شارع قذر باتجاه دكان السيد تشارنجتن، وإحدى عينيه مفتوحة بحثًا عن الدوريات، لكنه كان مقتنعًا بشكل غير منطقي أن لا خطر- في هذا الأصيل- من اعتراض أحد له. كانت الحقيبة الثقيلة التي يحملها تضرب ركبته مع كل خطوة، مرسلة وخزًا خفيفًا في جلد ساقه. بداخلها الكتاب، الذي أصبح ملكًا له منذ ستة أيام ولم يفتحه بعد، بل لم ينظر إليه.

في اليوم السادس من أسبوع الكراهية، بعد المسيرات، والخطب، والهتافات، والغناء، واللافتات، والملصقات، والأفلام، وتماثيل الشمع، وقرع الطبول، ونفخ الأبواق، ووقع الأقدام في مارش عسكري، وصرير جنازير الدبابات، وزئير الطائرات الكثيرة، ودوي البنادق- بعد ستة أيام على هذا المنوال، بعد أن وصل الأورجازم العظيم إلى ارتعاشة الذروة، وفارت الكراهية العامة لأوراسيا متحولةً إلى حالة سعار لدرجة أن الحشد لو استطاع وضع يده على الألفين من مجرمي الحرب الأوراسيين المقرر شنقهم في اليوم الأخير للفعاليات، لكان له أن يمزقهم إربًا بلا شك- في تلك اللحظة تم إعلان أن أوشينيا ليست في حرب مع أوراسيا. إن أوشينيا في حرب مع إيستاسيا. وأوراسيا دولة حليفة.

بالطبع، لم يكن ثمة إقرار بوقوع أي تغير. أصبح الأمر معروفًا فحسب، بشكل مفاجئ للغاية، وفي كل مكان في الحال، أن إيستاسيا- وليست أوراسيا- هي العدو. كان وينستون يشارك في مظاهرة بأحد ميادين لندن المركزية لحظة أن حدث هذا. كان الوقت ليلًا، والوجوه البيضاء واللافتات القرمزية تتلألأ تحت فيضان الأضواء. كان الميدان عامرًا بالآلاف، وبينهم كتلة من

نحو ألف من تلاميذ المدارس في زي المخبرين. وعلى منصة مزينة بقماش قرمزي، وقف خطيب من الحزب الداخلي- رجل ضئيل محني الظهر، بذراعين طويلتين بشكل غير متناسب، ورأس صلعاء كبيرة عليها بضع خصلات من الشعر تناضل للبقاء- وراح يخطب خطبة عصماء في الحشد. بقامة قصيرة متجعدة، تعتصرها الكراهية، أمسك برقبة الميكروفون بيد وبالأخرى- وهي يد هائلة عند نهاية ساعد نحيل- كان يخمش بمخالبه- متوعدًا- الهواء فوق رأسه. وصوته، الذي أصبح معدنيًّا بفعل مكبرات الصوت، كان يدوي بقاموس لا نهائي من المذابح، والفظائع، والترحيلات، والنهب، والاغتصاب، وتعذيب السجناء، وقصف المدنيين، ودعاية كاذبة، واعتداءات ظالمة، ومعاهدات منتهكة. كان من المستحيل الاستماع إليه دون أن تكون أولًا مقتنعًا ثم مسعور الغضب. وكل بضع دقائق، كان غضب الحشد يفور ويغرق صوت المتحدث في زئير حيواني وحشي، كان يتعالى بلا سيطرة من آلاف الحناجر. الصراخ الأكثر وحشية انبعث من أطفال المدارس. كانت الخطبة قد بدأت منذ عشرين دقيقة عندما هرع مندوبٌ إلى المنصة ومعه قصاصة ورق دسها في يد الخطيب. فتحها وقرأها دون أن يوقف خطبته. لم يتبدل شيء في صوته أو طريقته، أو محتوى ما كان يقوله، لكن فجأةً تغيرت الأسماء. دون أية مقدمات، انسابت موجة إدراك خلال الحشد. فأوشينيا في حرب مع إيستاسيا! في اللحظة التالية عمت حالة هائلة من الهرج والمرج. فاللافتات والملصقات التي زُين بها الميدان كانت كلها خاطئة! ونصفها تقريبًا عليها الوجوه الخطأ. هذا تخريب! وعملاء جولدشتاين هُم من فعلوها! ثم بدأ فاصل من أعمال الشغب، أثناء تمزيق

الملصقات من الجدران، وتمزيق اللافتات إلى قصاصات، ووطئها بالأقدام. كان أداء المخبرين مدهشًا وعجيبًا، في صعودهم إلى الأسطح وقطع الحبال المزينة بالملصقات من المداخن. لكن خلال دقيقتين أو ثلاث انتهى كل شيء. فالخطيب- الذي كان ما يزال ممسكًا بالميكروفون من عنقه، وكتفاه محنيتان إلى الأمام، ويده الحرة تخمش الهواء- كان يواصل خطبته بلا توقف. وبعد دقيقة، كانت صرخات الغضب الوحشية تنفجر من الحشد. استمرت الكراهية تمامًا كما كانت من قبل، عدا أن هدفها قد تغير.

ما أدهش وينستون- وهو يستعيد ما جرى- أن الخطيب قد انتقل من سطر إلى آخر بالفعل وهو في منتصف جملة، لا بدون توقف فحسب، بل حتى دون أن يكسر تركيبة الجملة. لكن آنذاك كان ثمة أمر آخر يشغله. فأثناء لحظة الفوضى- فيما كانت الملصقات تُمزَّق- اقترب رجلٌ لا يعرف وجهه وربت على كتفه، وقال: "اعذرني، أعتقد أنك أسقطت حقيبتك". أخذ الحقيبة شارد الذهن، دون أن ينطق. كان يعرف أنه لن يتمكن من النظر بداخلها قبل أيام. ولحظة أن انتهت المظاهرة عاد إلى وزارة الحقيقة مباشرةً، وإن كانت الساعة قد أشرفت على الثالثة والعشرين. فعل مثله كل العاملين بالوزارة. ولم تكن ضرورية الأوامر الصادرة من التيليسكرين باستدعائهم إلى مكاتبهم.

أوشينيا كانت في حرب مع إيستاسيا: لطالما كانت أوشينيا في حرب مع إيستاسيا. أصبح جانب كبير من الأدب السياسي للسنوات الخمس الماضية عقيمًا بلا نفع. والتقارير والتسجيلات من كل نوع، الصحف، والكتب،

والمنشورات، والأفلام، والتسجيلات الصوتية، والصور الفوتوغرافية- كل هذا كان بحاجة إلى التعديل بسرعة البرق. ورغم عدم صدور توجيهات، فقد كان من المعروف أن رؤساء الإدارات يعتزمون- في ظرف أسبوع- محو أية إشارة إلى وجود حرب مع أوراسيا، أو تحالف مع إيستاسيا، من الوجود. كان العمل شاقًا للغاية، وزاد الطين بلةً أن العمليات المرتبطة بذلك لم يكن ممكنًا تسميتها بأسمائها الحقيقية. كان كل مَن في إدارة السجلات يعملون ثماني عشرة ساعة في الأربع وعشرين ساعة، مع اختطاف ساعتين إلى ثلاث للنوم. جُلبت مراتب من الأقبية، وفُرشت في جميع الممرات: كانت الوجبات- المؤلفة من شطائر وقهوة النصر- تدور عليهم على عربات صغيرة لعمال المقصف. وكل مرة ينتزع فيها وينستون نفسه من إحدى نوبات النوم القصيرة، كان يحاول ترك مكتبه خاليًا من العمل، وكل مرة يعود زاحفًا إليه بعيون نائمة وجسد متوجع، كان يجد شلالًا جديدًا من لفافات الورق يغطي المكتب مثل انهمار الثلوج، تكاد تدفن تحتها آلة كلام-كتابة، وتفيض على الأرضية، لذا كانت مهمته الأولى دائمًا هي رص الأوراق في كومة منظمة بما يكفي لأن يجد لنفسه مساحة للعمل. وكان أسوأ شيء هو أن العمل كان آليًا تمامًا. وفي أغلب الحالات كانت المهمة هي استبدال اسم بآخر، لكن أي تقرير تفصيلي بالأحداث كان يتطلب اهتمامًا وخيالًا. حتى المعرفة الجغرافية التي يحتاجها المرء لتحويل الحرب من جزء من العالم إلى آخر، كانت كبيرة.

بحلول اليوم الثالث آلمته عيناه بصورة لا تُحتمل، وأصبحت عويناته بحاجة للتنظيف كل بضع دقائق. كان كأنه يناضل للانتهاء من مهمة جسدية

ساحقة، شيء يحق للمرء رفضه، وهو- رغم ذلك- حريص بصورة عُصابية على الانتهاء منه. وبقدر ما يذكر، فلم تكن لتزعجه حقيقة أن كل كلمة غمغم بها لآلة كلام-كتابة، وكل ضربة قلم، كانت كذبة متعمدة. فقد كان حريصًا ككل مَن في الإدارة على أن تكون عمليّة التزوير بارعة. وفي صباح اليوم الثالث بدأ تساقط لفافات الورق يتباطأ. وتمر نصف ساعة دون خروج شيء من الأنبوب؛ ثم تخرج لفافة واحدة، ثم لا شيء. وفي كل مكان حوله في نفس الوقت كان العمل قد بدأ يخف. سرت في الإدارة تنهيدة عميقة وإن كانت سرية. تم إنجاز عمل جبار لا يمكن ذكره أبدًا. وأصبح من المستحيل الآن على أي إنسان أن يثبت بأي دليل موثق أن الحرب مع أوراسيا قد حدثت ذات يوم. وفي تمام الساعة ألف ومائتين أُعلن- بصورة غير متوقعة- أن جميع العاملين بالوزارة أحرار حتى صباح الغد. وينستون، وكان ما يزال يحمل الحقيبة التي تحتوي على الكتاب، والتي قبعت بين قدميه وهو يعمل، وتحت جسده أثناء نومه، ذهب إلى البيت، وحلق ذقنه، وكاد يسقط نائمًا في الحمام، رغم أن المياه كانت أقرب للبرودة.

صعد السلم فوق دكان السيد تشارنجتن ومفاصله تطقطق بصورة حسية. كان متعبًا، لكن لم يعد يشعر بالنعاس. فتح النافذة، وأشعل موقد الزيت الصغير المتسخ، ووضع فوقه إناء به ماء ليصنع القهوة. سوف تصل جوليا في الحال: في تلك الأثناء كان هناك الكتاب. جلس في المقعد الوثير المهترئ وفض حزامي الحقيبة.

مجلد أسود ثقيل، تم تجليده بغير إتقان، بلا اسم ولا عنوان على الغلاف.

كانت الكتابة تبدو أيضًا غير منتظمة طباعيًّا إلى حدٍّ ما. وبعض الصفحات ممزقة من الأطراف، وتنفصل، بسهولة، كأن الكتاب قد مرَّ على أيادٍ كثيرة. كان العنوان في الصفحة الأولى هو:

## نظرية وممارسة الجماعية الأوليجاركية*

بقلم

إيمانويل جولدشتاين

بدأ وينستون في القراءة:

## الفصل الأول

## الجهـل قــوة

على مرِّ الأزمنة المعروفة، وربما منذ انتهاء العصر الحجري الحديث، كانت هناك ثلاثة أنماط من الناس في العالم: **العَالي، المتوسط، المنخفض.** وكانوا منقسمين تقسيمات فرعية من عدة أوجه، ويسمون بأسماء مختلفة بلا حصر، وتتباين كثيرًا- من عصر إلى عصر- أعدادهم النسبية، وكذلك سلوكياتهم تجاه بعضهم البعض: لكن البنية الأساسية للمجتمع لم تتبدل يومًا. حتى بعد الانتفاضات الهائلة والتغيرات التي تبدو بلا نكوص، فإن نفس النمط يعيد دائمًا تأكيد ذاته، مثلما تشير البوصلة دائمًا إلى الشمال

---

* الأوليجاركية: حكم الأقلية؛ حكومة تهيمن عليها جماعة صغيرة، همها الاستغلال وتحقيق المنافع الذاتية.

بغض النظر عن وضعها.

وأهداف هذه المجموعات الثلاث لا توافق بينها على الإطلاق...

توقف وينستون عن القراءة، بالأساس لإدراك حقيقة أنه يقرأ في راحة وأمان. كان وحده: لا تيليسكرين، ولا أذن على ثقب الباب، ولا هواجس عصبية لأن يطل من فوق كتفه، أو يغطي الصفحة بيده. كان هواء الصيف العذب يداعب وجنته. ومن مكانٍ ما بعيد كانت تطفو صيحات الأطفال الواهية: وفي الحجرة نفسها لا صوت غير صوت عقارب ساعة الحائط. غاص في مقعده أكثر، ووضع قدمه على حاجز المدفأة. هذه نعمة، هذه أبدية. فجأةً، وكما يفعل المرء أحيانًا مع كتاب يعرف أنه سيقرأه ويعاود قراءة كل كلمة فيه، فتحه على موضع مختلف، ليجد نفسه في الفصل الثالث. وراح يقرأ:

## الفصل الثالث

## الحرب سـلام

إن تقسيم العالم إلى ثلاث دول عظمى كان حدثًا يمكن توقعه وتم توقعه بالفعل قبل منتصف القرن العشرين. فمع استيعاب روسيا لأوروبا، والولايات المتحدة للإمبراطورية البريطانية، ظهرت إلى الوجود اثنتان من القوى الثلاث الحالية، أوراسيا وأوشينيا. وقد ظهرت القوة الثالثة، وهي إيستاسيا، كوحدة منفصلة بعد عقد آخر من القتال الفوضوي. والحدود بين الدول العظمى الثلاث عشوائية في بعض المواضع، وفي مواضع أخرى سائلة متبدلة بحسب مصائر الحرب، لكنها بشكل عام تتبع الخطوط الجغرافية.

تتألف أوراسيا من كل الجزء الشمالي من الكتلة الأوروبية والآسيوية، من البرتغال إلى مضيق بيرنج. وتتألف أوشينيا من الأمريكتين، وجزر الأطلسي بما فيها الجزر البريطانية، واستراليا، والجزء الجنوبي من أفريقيا. وإيستاسيا- وهي أصغر حجمًا، وحدودها الغربية أقل تحديدًا- تتألف من الصين، والدول الواقعة إلى جنوبها، وجزر اليابان، وجزء كبير متغير الحدود من منشوريا، ومنغوليا، والتبت.

وبالتبادل، فإن هذه القوى العظمى الثلاث هي دائمًا في حالة حرب، وظلت كذلك منذ خمسة وعشرين عامًا. لكن الحرب- مع ذلك- لم تعد صراعًا يائسًا مهلكًا، كما كانت في العقود الأولى من القرن العشرين. إنها حرب بأهداف محدودة بين المقاتلين، غير القادرين على تدمير بعضهم البعض، وليس لها هدف مادي للقتال، ولا هي محكومة بتمايز أيديولوجي واضح. ولا نقصد بهذا أن مسلك الحرب، أو الموقف السائد تجاهها، قد أصبح أقل تعطشًا للدماء أو أكثر فروسية. على النقيض، فهيستيريا الحرب متواصلة وعامة في كل الدول، وأعمالٌ من قبيل الاغتصاب، والنهب، وذبح الأطفال، وإخضاع السكان للاستعباد، والانتقام من الأسرى بما يصل إلى غليهم بالماء ودفنهم أحياء، لهي أمور تُعتبر عادية، وتستحق الإطراء عندما ترتكب بحق مواطني الدولة وليس بحق العدو. لكن الحرب- بمعنى مادي للكلمة- ينخرط فيها عدد قليل من الناس، أغلبهم محترفون مدرَّبون جيدًا، وتؤدي- في حالة المقارنة- إلى خسائر بشرية أقل. ويتم القتال، عندما يحدث، على الحدود الغامضة التي لا يملك الإنسان العادي إزاءها سوى

تخمينها، أو حول قلاع عائمة تحرس نقاطًا استراتيجية في الممرات البحرية. وفي مراكز الحضارة، لا تعني الحرب أكثر من النقص الدائم في السلع الاستهلاكية، وانفجار قنبلة صاروخية بين الحين والآخر متسببة في موت العشرات. وقد غيرت الحرب- في واقع الأمر- شخصيتها. وعلى وجه الدقة، فقد تغيرت الأسباب التي تشعل الحروب من حيث ترتيب أهميتها. فالدوافع التي كانت قائمة بدرجة محدودة في الحروب الكبرى في مطلع القرن العشرين أصبحت الآن هي الأسباب الغالبة، وهي مدركة بوعي ويتم العمل وفقًا لها.

وكي نفهم طبيعة الحرب الحالية- فرغم تغيير التحالفات الذي يحدث كل عدة أعوام، فهي دائمًا الحرب نفسها- لابد للمرء أولًا من إدراك أن من المستحيل أن تكون حاسمة. فلا قوة من بين القوى العظمى الثلاث يمكن إطلاقًا أن تُقهر، ولو حتى من القوتين الأخريين مجتمعتين. فهي متكافئة تمامًا، ودفاعاتها الطبيعية منيعة للغاية. فأوراسيا تحميها مساحات أرضها الشاسعة، وأوشينيا يحميها اتساع الأطلسي والباسيفيكي، وإيستاسيا تحميها خصوبة وتصنيع سكانها. ثانيًا، لم يعد هناك- بالمعنى المادي للكلمة- أي شيء يمكن القتال عليه. فمع إقامة اقتصادات تتمتع بالاكتفاء الذاتي، حيث الإنتاج والاستهلاك يحرك أحدهما الآخر، فإن التنافس على الأسواق- الذي كان المحرك الأساسي للحروب السابقة- قد انتهى، فيما لم يعد التنافس على المواد الخام مسألة حياة أو موت. وعلى كل حال، فإن كلاً من الدول العظمى الثلاث شاسعة إلى حد أنها يمكن أن تحصل على كل المواد التي تحتاجها داخل حدودها. وإذا ما كان للحرب هدف اقتصادي مباشر،

فهو قوة العمل. فبين حدود الدول العظمى، يقع مستطيل ليس في حوزة أيٍّ منها بشكل دائم، أركانه هي طنجة، وبرازافيل، وداروين، وهونج كونج، ويحتوي على خُمس سكان العالم. ومن أجل السيطرة على هذه المناطق كثيفة السكان، وأطراف القطب الشمالي، تتقاتل القوى الثلاث بشكل دائم. وفي الواقع الفعلي، فما من قوة واحدة تسيطر وحدها على كل المنطقة المتنازع عليها. أجزاء منها تقع في يد قوة تلو الأخرى، وفرصة السيطرة على هذه القطعة أو تلك تتحقق بضربة غدر مفاجئة تؤدي إلى تغير التحالفات بشكل متصل.

تحتوي جميع الأراضي المتنازع عليها على معادن نفيسة، وبعضها تنتج منتجات زراعية مهمة مثل المطاط، الذي يحتاج تصنيعه في المناخات الأبرد إلى أساليب باهظة بالمقارنة بالمطاط الطبيعي. لكنها- قبل أي شيء- تحتوي على مخزون لا ينفد من العمالة الرخيصة. فأية قوة تسيطر على أفريقيا الاستوائية، أو بلدان الشرق الأوسط، أو جنوب الهند، أو أرخبيل إندونيسيا، تمتلك أيضًا أجساد مئات الملايين من العمال من ذوي الأجور الزهيدة الذين يقومون بعمل شاق غير بارع. وسكان هذه المناطق، الذين تراجعت حالتهم إلى حالة العبيد بدرجة أو أخرى، ينتقلون دائمًا من يد قوة غازية إلى أخرى، ويُستَهلكون كالفحم أو النفط، في السباق من أجل المزيد من التسليح، واكتساب أراض جديدة، والمزيد من التحكم في قوة العمل، وهكذا إلى الأبد. جدير بالذكر أن القتال لا يتجاوز أبدًا حواف المناطق المتنازع عليها. فحدود أوراسيا تتوسع وتتراجع فيما بين حوض نهر الكونغو

والشاطئ الشمالي للبحر المتوسط؛ والسيطرة على جزر المحيط الهندي والباسيفيكي، وإعادة السيطرة، تتم على يد أوشينيا أو إيستاسيا؛ وفي منغوليا، فخط التقسيم بين أوراسيا وإيستاسيا لا يستقر أبدًا؛ وحول القطب الشمالي، تسيطر القوى الثلاث على مساحات شاسعة منّ الأرض غير المأهولة- في واقع الأمر- بدرجة كبيرة، وغير المستكشفة: لكن توازن القوة دائمًا ما يبقى عامةً مستقرًا، وتبقى الأرض- التي تشكل قلب كل دولة عظمى- غير منتهكة. وفضلًا عن ذلك، فإن عمل الشعوب المستغلة حول خط الاستواء ليس ضروريًا حقًّا للاقتصاد العالمي. فهم لا يضيفون شيئًا إلى ثراء العالم، بما أن ما ينتجونه إنما يُستخدم لأغراض الحرب، والهدف دائمًا من شن الحرب هو تحسين الظرف عند شن حرب جديدة. ومن خلال عملها، فإن هذه الشعوب المستعبدة تسمح بتسريع إيقاع الحرب المستمرة. لكن لو لم يكن لهم وجود، فلن تتغير- بصورة جوهرية- بنية المجتمع العالمي، أو الآلية التي يحافظ بها على نفسه.

إن الهدف الأولي للحرب الحديثة (بموجب مبادئ تفكير-مزدوج، وهو الهدف الذي تقره وتنكره- في الوقت نفسه- العقول المدبرة في الحزب الداخلي، هو استخدام منتجات الآلة دون رفع مستوى المعيشة العام. فمنذ نهاية القرن التاسع عشر، كانت مشكلة "ماذا نفعل بفائض السلع الاستهلاكية" مشكلة مستترة في المجتمع الصناعي. وفي الوقت الحالي، مع حصول قلة من البشر على الطعام الكافي، فمن الواضح أن هذه المشكلة ليست ملحة، وربما لن تصبح ملحة، حتى لو كفت عمليات التدمير

الاصطناعية عن العمل. وعالم اليوم هو عالم عارٍ، وجائع، ومتداعٍ، مقارنة بالعالم الذي كان موجودًا قبل عام 1914، بل هو أكثر من ذلك بالمقارنة بالمستقبل الذي كان يتطلع إليه من عاشوا في تلك الحقبة. وفي مطلع القرن العشرين، كانت رؤية مجتمع المستقبل- كمجتمع ثري، ومرفه، ومنظم، وفعال، بما يفوق الخيال؛ عالم نظيف معقم يومض بالزجاج والحديد والخرسانة البيضاء بياض الثلج- كانت هذه الرؤية جزءًا من وعي جميع المثقفين تقريبًا. كان العلم والتكنولوجيا يتطوران بسرعة هائلة، وبدا من الطبيعي افتراض استمرار تطورهما. وهو ما لم يحدث، بسبب الإفقار الناجم عن سلسلة طويلة من الحروب والثورات، جزئيًا لاعتماد التقدم العلمي والتكنولوجي على الطبيعة التجريبية للتفكير، التي لم تتمكن من البقاء في مجتمع "مُعسكَر" بشكل صارم. وعمومًا، فالعالم حاليًا أكثر بدائية مما كان قبل خمسين عامًا. لقد حدث تقدمٌ ما في بعض المجالات الثانوية، وتم تطوير أجهزة عديدة، دائمًا مرتبطة بشكلٍ ما بالحرب وتجسس البوليس، لكن التجربة والابتكار توقفا إلى حدٍّ كبير، ولم يتم جبر الأضرار التي نجمت عن ويلات الحرب الذرية في خمسينيات القرن العشرين. ومع ذلك، فالأخطار الكامنة في الآلة ما تزال قائمة. فمنذ ظهور الآلة لأول مرة كان من الواضح لكل شخص قادر على التفكير أن الحاجة إلى كدح البشر، ومن ثم انعدام المساواة بين البشر، قد ولّت. فإذا ما تم استخدام الآلة لصالح هذه الغاية، لكان من الممكن القضاء على الجوع، والعمل المفرط، والقذارة، والأمية، والأمراض، خلال بضعة أجيال. وفي واقع الأمر، فمن دون استخدامها لهذا الغرض، بل- بنوعٍ من العمليات الآلية- في إنتاج ثروات كان من المستحيل

أحيانًا عدم توزيعها- فقد رفعت الآلة من مستوى معيشة الإنسان العادي بقدر كبير على مدار الخمسين عامًا الممتدة منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى بدايات القرن العشرين.

لكن كان من الواضح أيضًا أن الزيادة الكلية في الثراء تهدد بتدمير- حقًّا، بمعنى ما، تدمير- المجتمع التراتبي (الهيراركي). وفي عالم يعمل فيه الجميع ساعات قليلة، مع توفر الطعام الكافي، والسكن في منزل به حمام وثلاجة، وامتلاك سيارة، أو حتى طائرة، فإن الشكل الأوضح وربما الأهم لانعدام المساواة سيختفي بالفعل. وإذا ما أصبحت الثروة عامة ومتاحة للجميع، فلن تصبح أداة تمييز. وكان من الممكن، بلا ريب، تخيل مجتمع تكون فيه الثروة، بمعنى الممتلكات والرفاهية الشخصية، موزعةً بالتساوي، فيما تبقى السلطة في يد مجموعة صغيرة مميزة. لكن مثل هذا المجتمع لا يمكن له- من حيث الممارسة- أن يبقى مستقرًّا طويلًا. فإذا ما تمتع الجميع بالرفاهية والأمن على السواء، فإن الجماعات البشرية الكبيرة- التي يعيقها الفقر عادة- ستصبح متعلمة، وقادرة على التفكير من أجل نفسها؛ وما إن تفعل هذا فسوف تدرك عاجلًا أو آجلًا أن الأقلية المميزة بلا وظيفة، وسوف تتخلص منها. وعلى المدى البعيد، فإن المجتمع التراتبي لا يتحقق إلا على أساس من الفقر والجهل. أما أن نعود إلى الماضي الزراعي، كما حلم بذلك بعض المفكرين في مطلع القرن العشرين، فليس بالحل العملي. إنه يتعارض مع النزوع إلى الميكنة، الذي أصبح نزوعًا شبه فطري في أغلب مناطق العالم، وفضلًا عن ذلك، فأية دولة ظلت متخلفة صناعيًا كانت بلا حيلة بالمعنى

العسكري، وأصبحت عرضة لإخضاعها، بشكل مباشر أو غير مباشر، من قبل خصومها الأكثر تقدمًا.

كما لم يكن الإبقاء على الجموع في حالة فقر- بتقييد إنتاج السلع- بالحل المرضي. وقد حدث هذا إلى حد بعيد أثناء المرحلة النهائية للرأسمالية، بين 1920 و1940 تقريبًا. فقد سُمح لاقتصاد العديد من الدول بالركود، وأصبحت الأرض لا تُزرع، ولم تطرأ إضافة على أدوات رأس المال، ومُنعت قطاعات كبيرة من السكان من العمل، وأصبحت قطاعات كبيرة شبه حية بفعل الجهود الخيرية للدولة. لكن هذا أيضًا استتبعه الضعف العسكري، وبما أن الحرمان الذي أدى إليه هذا النهج كان وبوضوح غير ضروري، فقد جعل معارضته حتمية. كانت المشكلة هي كيف يمكن الإبقاء على دوران عجلة الصناعة دون زيادة الثروة الحقيقية للعالم. فلابد من إنتاج السلع، لكن يجب ألا تُوزع. ومن حيث الممارسة، فالسبيل الوحيد لتحقيق هذا المسعى هو الحرب الدائمة.

الفعل الرئيسي للحرب هو التدمير، لا للأرواح البشرية بالضرورة، إنما لمنتجات العمل الإنساني. فالحرب سبيل لتحطيم المواد، أو رميها في طبقة الغلاف الجوي، أو إغراقها في أعماق البحر، مواد كان يمكن استخدامها لجعل الجموع أكثر راحة، ومن ثم- على المدى البعيد- أكثر ذكاء. وحتى عندما لا تُدمر أسلحة الحرب بالفعل، فإن صناعتها سبيل مناسب لإنفاق قوة العمل دون إنتاج أي شيء قابل للاستهلاك. فالقلعة العائمة- على سبيل المثال- قد استلزمت عملًا كان قادرًا على بناء المئات من سفن نقل البضائع.

وفي نهاية المطاف تصبح خارج الاستخدام باعتبارها عتيقة الطراز، دون أن تحقق أي نفع مادي لأحد، ومع أعمال ضخمة أخرى يتم بناء قلعة عائمة أخرى. ومن حيث المبدأ فإن المجهود الحربي يُخطط له دائمًا بحيث يستهلك أي فائض قد يتحقق بعد الوفاء بالاحتياجات الدنيا للسكان. وفي الممارسة، فدائمًا ما يتم تقدير احتياجات السكان بأقل مما هي عليه، والنتيجة هي عجز مزمن في نصف الاحتياجات الضرورية للحياة؛ لكن ذلك يُنظر إليه باعتباره مزية. إنها سياسة متعمدة أن تبقى حتى المجموعات المميزة على شفير الحياة الشاقة، لأن حالة الندرة العامة تزيد من أهمية الامتيازات الصغيرة، ومن ثم تُضخم تمايز مجموعة عن أخرى. وبمعايير مطلع القرن العشرين، فحتى عضو الحزب الداخلي يعيش حياة متقشفة مليئة بالعمل. غير أن وسائل الترف القليلة التي يتمتع بها في شقته الكبيرة، جيدة الموقع، وملمس ثيابه الأنعم، وجودة طعامه وشرابه وتبغه، وخدمه الاثنين أو الثلاثة، وسيارته الخاصة أو مروحيته- تضعه في عالم مختلف عن عالم العضو العادي بالحزب، فيما يتمتع أعضاء الحزب العاديون بمزايا شبيهة بالمقارنة بالجموع المدفونة التي نسميها "البرولز". إن الطابع المجتمعي الغالب هو طابع المدينة المحاصَرة، حيث الحصول على قطعة من لحم الخيل هي الأمر الفارق بين الثراء والفقر. وفي الوقت نفسه، فإن الوعي بوقوع الحرب، ومن ثم الإحساس بالخطر، يجعل تسليم السلطة لقلة قليلة مسألة طبيعية، وشرطًا لا غنى عنه للاستمرار على قيد الحياة.

إن الحرب، كما سنرى، تحقق التدمير الضروري، لكنها تحققه بشكل

مقبول نفسيًّا. ومن حيث المبدأ، فسيكون من السهل تمامًا تبديد فائض إنتاج العمل في العالم من خلال بناء المعابد والأهرامات، أو حَفر حُفر وردمها مرة أخرى، أو حتى بإنتاج كميات كبيرة من السلع ثم إشعال النار فيها. لكن هذا النهج لا يوفر إلا السند الاقتصادي- لا النفسي- للمجتمع التراتبي. فالمهم هنا ليس الحالة المعنوية للجموع، التي لا تهم ميولها طالما أنها تقوم بالعمل بشكل منتظم، وإنما الحالة المعنوية للحزب نفسه. فحتى أدنى عضو بالحزب يُنتظر منه أن يكون كفؤًا، ومنتجًا، بل ذكيًّا في حدود المعقول، لكن من الضروري أيضًا أن يكون متطرفًا وغبيًّا وجاهلًا، ونزعاته السائدة هي الخوف، والكراهية، والتملق، والانتصار المعربد. بمعنى آخر، من الضروري أن تكون ذهنيته هي ذهنية الحرب. ولا يهم ما إن كانت الحرب قائمة بالفعل، وبما أنه لا يمكن تحقيق انتصار حاسم، فلا يهم إن كان الأداء في الحرب جيدًا أم سيئًا. كل المطلوب هو وجود حالة الحرب. إن استنزاف العقل الذي يتطلبه الحزب من أعضائه، والذي يسهل تحقيقه أكثر في أجواء الحرب، قد أصبح الآن مسألة معممة تقريبًا، لكن كلما ارتفعت مرتبة العضو، زاد الأمر. ففي الحزب الداخلي بالتحديد تكون هستيريا الحرب وكراهية العدو أقوى. ومن واقع طبيعة عمله الإداري، فمن الضروري غالبًا أن يعرف عضو القيادة أن هذه التفصيلة أو تلك عن الحرب غير حقيقية، وغالبًا ما قد يعرف أن الحرب كلها مزيفة، وأنها إما لا تحدث أو تم شنها لأغراض مختلفة تمامًا عن الأغراض المعلنة: غير أن معرفته هذه يتم تحييدها بسهولة بفعل تقنية "**تفكيرمزدوج**". وفي الوقت نفسه، لا يتزعزع إيمان عضو القيادة الغامض للحظة بأن الحرب حقيقية، وأنها محكومة بأن

تنتهي بالانتصار، بهيمنة أوشينيا بلا منازع على العالم أجمع.

يؤمن كل أعضاء الحزب الداخلي بهذا الغزو القادم إيمانًا مطلقًا. ويرون أنه سيتحقق إما بالاكتساب التدريجي للمزيد والمزيد من الأراضي، ومن ثم رجحان الكفة في ميزان القوة بشكل نهائي، أو باكتشاف سلاح جديد ساحقٍ ما. ويستمر البحث عن الأسلحة الجديدة بدون توقف، وهو أحد الأنشطة القليلة الباقية التي يمكن أن تجد فيها العقول المخترعة الإبداعية متنفسًا لها. وفي أوشينيا- في الوقت الحالي- فإن العلم، بمعناه القديم، كاد يختفي من الوجود. ولا توجد- في لغة "كلام-جديد"- كلمة مرادفة لـ"عِلم". والنهج التجريبي للتفكير، الذي تأسست عليه كل منجزات العلوم في الماضي، يتعارض مع غالبية المبادئ الأساسية لتعاليم "اشت-إنج". بل إن التقدم التكنولوجي لا يتحقق إلا عندما يمكن استخدام منتجاته- بشكلٍ ما- في تقليص الحرية الإنسانية. و في مضمار كل الفنون المفيدة، فإما أن العالم يراوح في مكانه ، أو ينتكس. فالحقول تُزرع بالمحاريث التي تجرها الخيول، بينما تُكتب الروايات بالآلات. لكن في الأمور ذات الأهمية القصوى- ونقصد الحرب وتجسس الشرطة على الناس- فإن النهج التجريبي ما يزال يلقى التشجيع، أو يمكن التسامح معه على الأقل. والهدفان الأساسيان للحزب هما قهر سطح الأرض بالكامل، والقضاء- بشكل نهائي- على أية إمكانية للتفكير المستقل. ولهذا، فهناك معضلتان كبيرتان ينشغل الحزب بمحاولة حلهما. الأولى، هي كيفية اكتشاف ما يفكر فيه الإنسان- رغم إرادته- ما الذي يفكر فيه الآخر الآن، والثانية كيفية قتل مئات الملايين من

البشر في ثوانٍ معدودة دون تحذيرهم مسبقًا. وبقدر ما يستمر البحث العلمي حتى الآن، فإن هذا هو موضوعه الأساسي. وعالِم اليوم إما أنه مزيج من عالم النفس والمحقق- يدرس بدقة عادية حقيقية معنى تعبيرات الوجه، والإيماءات، ونبرات الصوت، ويختبر تأثير المخدرات الكاشفة للحقيقة، والعلاج بالصدمة، والتنويم المغناطيسي، والتعذيب البدني- أو هو كيميائي، أو فيزيائي، أو عالم أحياء، يُعنى بفروع من تخصصه ذات صلة بانتزاع الحياة. وفي معامل وزارة السلام الشاسعة، وفي المختبرات التجريبية المخبوءة في غابات البرازيل، أو في صحراء استراليا، أو في جزر القطب الجنوبي المجهولة، تعكف فرق من الخبراء على العمل بلا انقطاع. بعضها يعني ببساطة بتخطيط إمداد حروب المستقبل بالمؤن، وبعضها يخترع قنابل صاروخية أكبر وأكبر، ومتفجرات أقوى وأقوى، ودروع أصلب وأعصى على الاختراق؛ وفرق أخرى تعنى بتطوير غازات جديدة أشد فتكًا بالأرواح، أو سموم مذابة يمكن إنتاجها بكميات كفيلة بمحو الأخضر واليابس في قارة كاملة، أو تخليق سلالات من الجراثيم المحصنة ضد جميع الأجسام المضادة الممكنة؛ وفرق أخرى تسعى لإنتاج عربة قادرة على شق طريقها تحت الأرض، مثلما تفعل الغواصة تحت الماء، أو طائرة مستقلة عن قاعدتها شأن السفينة الشراعية؛ وتستكشف فرق أخرى إمكانات أبعد مثل تركيز أشعة الشمس خلال عدسات معلقة على مسافة آلاف الكيلومترات في الفضاء، أو إحداث زلازل وموجات تسونامي اصطناعية من خلال التلاعب بالحرارة في مركز الأرض.

لكن لا تقترب أي من هذه المشاريع- في أي مكان أبدًا- من التحقق، كما لا تحقق أي من الدول العظمى الثلاث سبقًا مهمًّا عن القوتين الأخريين. والأكثر إدهاشًا أن القوى الثلاث تحوز بالفعل سلاحًا أقوى بكثير مما يمكن للبحوث الحالية اكتشافه، وهو القنبلة الذرية. ورغم أن الحزب- بحكم العادة- ينسب الاختراع لنفسه، إلا أن القنابل الذرية قد ظهرت للمرة الأولى في أربعينيات القرن العشرين، واستخدمت للمرة الأولى على نطاق واسع بعد عشر سنوات تقريبًا. في تلك الفترة تم إسقاط مئات القنابل الذرية على مراكز صناعية، بالأساس في روسيا الأوروبية، وغرب أوروبا، وشمال أمريكا. وكان تأثيرها إقناع النخب الحاكمة في كل الدول بأن بضع قنابل ذرية إضافية تعني نهاية المجتمع المنظم، ومن ثم نهاية سلطتها. وبناءً عليه، ورغم عدم إبرام اتفاق على ذلك أو التلميح إليه، فلم يتم إسقاط المزيد من القنابل الذرية. واستمرت القوى الثلاث العظمى في إنتاج القنابل الذرية ببساطة وتخزينها، تحينًا لفرصة حاسمة يرون جميعًا أنها ستحين عاجلًا أو آجلًا. وفي نفس الوقت، بقي فن الحرب على حاله دون تغير تقريبًا لثلاثين أو أربعين عامًا. فالمروحيات تُستخدم بأكثر مما كانت تستخدم من قبل، وتم استبدال الطائرات القاذفة بمقذوفات آلية ذاتية، وحلت القلعة العائمة غير القابلة للإغراق تقريبًا محل السفينة الحربية الهشة؛ لكن بخلاف هذا لم تطرأ تطورات ذات بال. فالدبابة، والغواصة، والطوربيد، والبندقية الآلية، بل حتى البندقية والقنبلة اليدوية، هي أسلحة ما تزال مستخدمة. وعلى الرغم من المذابح التي لا تنتهي، والتي ترصدها الصحافة وشاشات التيليسكرين، فإن المعارك اليائسة للحروب السابقة- حيث كان يُقتل مئات الآلاف أو

حتى الملايين من الناس في أسابيع قليلة- لم تتكرر أبدًا.

لم تحاول أي من الدول العظمى الثلاث يومًا القيام بأية مناورة قد تؤدي إلى خطر الهزيمة. وعندما تتم أية عملية كبرى، فعادةً ما تكون هجومًا خاطفًا على حليف. والاستراتيجية التي تتبعها القوى الثلاث- أو تتظاهر أمام نفسها باتباعها- هي استراتيجية واحدة. وقوام الخطة- بالمزج بين القتال، والمساومة، وضربات المباغتة جيدة التوقيت- هي اكتساب مجموعة من القواعد تحيط بالكامل بواحدة أو أخرى من الدول المنافسة، ثم توقيع اتفاق صداقة مع الخصم، والبقاء في حالة سلم لسنوات طويلة تؤدي إلى تنويم الشكوك. وأثناء هذه الفترة، يمكن تجميع الصواريخ المحملة بالقنابل الذرية في جميع النقاط الاستراتيجية؛ وفي النهاية يمكن إطلاقها في وقت واحد، بتأثيرات تدميرية هائلة تحول دون إمكانية شن هجمات ثأرية. في تلك اللحظة، يحين وقت توقيع اتفاق صداقة مع القوة العالمية الباقية، تحضيرًا لهجوم جديد. وهذه الخطة، وهذا غني عن القول، لا تزيد عن حلم يقظة، يستحيل تحققها. كما أنه لا يحدث أي قتال إلا في المناطق المتنازع عليها حول خط الاستواء وعند القطب الشمالي: لم يحدث أن تم غزو أراضي العدو. وهذا ما يفسر حقيقة اعتباطية الحدود الفاصلة- في بعض المواضع- بين القوى العظمى. فأوراسيا، على سبيل المثال، يمكنها بسهولة غزو الجزر البريطانية، التي تمثل جغرافيًا جزءًا من أوروبا، أو على الجانب الآخر، يمكن لأوشينيا أن تدفع حدودها إلى نهر الراين أو حتى إلى فيستولا. لكن ذلك سيخرق المبدأ الذي تتبعه جميع الأطراف، برغم أنه غير مكتوب،

مبدأ الوحدة الثقافية. وإذا ما قامت أوشينيا بغزو المناطق التي كانت معروفة فيما سبق بفرنسا وألمانيا، فسيصبح من الضروري إما إبادة سكانها- وهي مهمة صعبة جدًّا لاعتبارات فيزيقية- أو أن تُخضع السكان الذين يصلون إلى نحو مائة مليون نسمة، وهم جميعًا- من حيث التطور التكنولوجي- على نفس مستوى أوشينيا تقريبًا. والمشكلة هي نفسها بالنسبة للدول الثلاث العظمى. فمن الضروري تمامًا لبنيتها ألا يحدث أي اتصال بالأجانب، اللَّهُمَّ إلا في حالات محدودة، مع أسرى الحرب والعبيد السود. وحتى الدولة حليف اليوم الرسمي، يُنظر إليها دائمًا بريبة كبيرة. فبغض النظر عن أسرى الحرب، فإن مواطن أوشينيا العادي لم ير يومًا مواطنًا من أوراسيا أو إيستاسيا، وهو ممنوع من تعلم اللغات الأجنبية. وإذا ما سُمح له بالاتصال بالأجانب فلسوف يكتشف أنهم مخلوقات مماثلة له، وأن أغلب ما قيل له عنهم ليس سوى أكاذيب. وسينكسر العالم المغلق الذي يعيش فيه، وقد يتبخر كل الخوف، والكراهية، والتعصب الذاتي، الذي تعتمد عليه حالته المعنوية. لذا، تدرك جميع الأطراف أنه بغض النظر عمن يحوز فارس أو مصر أو جاوة أو سيلان، فلابد ألا تعبر الحدود الأساسية أبدًا سوى القنابل.

وفيما وراء ذلك تكمن حقيقة لا تُذكر علنًا، لكنها مفهومة بشكل ضمني وتؤخذ في الاعتبار: هي أن ظروف الحياة في الدول العظمى الثلاث واحدة إلى حد بعيد. ففي أوشينيا، فإن الفلسفة الغالبة تُسمى "اشت-إنج"، وفي أوراسيا اسمها "البلشفية الجديدة"، وفي إيستاسيا تُسمى باسم صيني يُترجم عادة إلى "عبادة الموت"، لكن ربما كان من الأفضل ترجمته إلى "محو

الذات". ولا يُسمح للمواطن في أوشينيا بمعرفة أي شيء عن مرتكزات الفلسفتين الأخريين، لكن يُلقن التنديد بهما باعتبارهما انتهاكًا بربريًا للأخلاق والحس السليم. والحق أن الفلسفات الثلاث يمكن بالكاد التمييز بينها، والنظم الاجتماعية التي تنهض عليها غير متمايزة بالمرة. ففي كل مكان، هناك دائمًا البنية الهرمية، ونفس العبادة للقائد شبه الإله، نفس الاقتصاد القائم بفعل ومن أجل الحرب الدائمة. وعلى ذلك، فإن الدول العظمى الثلاث ليست عاجزة فحسب عن غزو بعضها البعض، بل أيضًا لن تكسب أية مزية من ذلك. وعلى النقيض، فطالما ظلت في صراع فهي تدعم بعضها البعض، مثل ثلاثة أعواد ذرة مزروعة في أرض واحدة. وكالعادة، فإن المجموعات الحاكمة في القوى الثلاث جميعًا مدركة وغير مدركة- في الوقت نفسه- لما تفعله. فحياتهم مكرسة لغزو العالم، لكنهم يعرفون أيضًا أن من الضروري أن تستمر الحرب أبدية وبلا انتصار. وفي الوقت نفسه، فإن حقيقة انتفاء وجود خطر غزو يُمكِّن من إنكار الواقع، وهي السمة الخاصة بعقيدة "اشت-إنج"، ونظامي التفكير الآخرين. ومن الضروري هنا أن نكرر ما سلف ذكره من أن الحرب- بعد أن أصبحت متواصلة- قد تغير طابعها.

في العصور الماضية، كانت الحرب تقريبًا- من حيث التعريف- أمرًا ينتهي عاجلًا أو آجلًا، عادةً بانتصار أو هزيمة واضحة. في الماضي، أيضًا، كانت الحرب إحدى الأدوات الرئيسية التي تبقى بموجبها المجتمعات الإنسانية على اتصال بالواقع المادي. وقد حاول جميع الحكام، في كل العصور، فرض رؤية مزيفة للعالم على رعاياهم، لكنهم لم يقوموا بتشجيع أي وهم

يقوض الكفاءة العسكرية. وطالما أن الهزيمة تعني فقدان الاستقلال، أو نتيجة أخرى كانت تُعتبر غير مرغوبة عمومًا، فكان لابد أن تكون الاحترازات ضد الهزيمة جادة. لم يكن من الممكن تجاهل الحقائق المادية. ففي الفلسفة، أو الدين، أو الأخلاق، أو السياسة، فإن اثنين زائد اثنين قد تساويان خمسة، لكن عند تصميم بندقية أو طائرة، فعليهما أن يكونا أربعة. ودائمًا ما كان يتم غزو الأمم غير الكفء، طال الزمن أو قصر، وكان الكفاح لتحقيق الكفاءة نافيًا للأوهام. وفضلًا عن ذلك، فلتحقيق الكفاءة كانت القدرة على التعلم من الماضي ضرورية، بما يعني وجود فكرة دقيقة إلى حدٍّ ما عما حدث في الماضي. وكانت الصحف وكتب التاريخ بالطبع منحازة دائمًا ومحرَّفة، لكن التزييف- بالقدر الذي يُمارس حاليًا- كان أمرًا مستحيلًا. كانت الحرب حصنًا حصينًا للعقلانية، وهي- بالنسبة للطبقات الحاكمة أهم التحصينات. وفيما يمكن ربح الحروب أو خسارتها؛ فلم يكن من الممكن أن تتسم أية طبقة حاكمة بانعدام كامل للمسؤولية.

لكن عندما تصبح الحرب مستمرة، بالمعنى الحرفي للكلمة، فإنها تكف أيضًا عن أن تكون خطرة. فعندما تصبح الحرب مستمرة ينتفي ما يسمَّى الضرورة العسكرية. فيمكن للتقدم التكنولوجي أن يتوقف، ويمكن إنكار الحقائق الملموسة أو تجاهلها. وكما رأينا، فالأبحاث التي يمكن وصفها بأنها علمية ما تزال تتم لأغراض الحرب، لكنها بالأساس لا تزيد عن كونها نوعًا من أحلام اليقظة، وليس مهمًّا أنها تخفق في الوصول إلى نتائج. فالكفاءة، حتى الكفاءة العسكرية، لم تعد مطلوبة. ولا شيء كفئًا في

أوشينيا إلا "شرطة الأفكار". وبما أن كلًّا من الدول العظمى الثلاث غير قابلة للهزيمة، فقد أصبحت كلٌّ منها كونًا منفصلًا يمكن داخله ممارسة أي تضليل للأفكار بأمان. فالواقع لا يمارس ضغوطه إلا من خلال احتياجات الحياة اليومية: الحاجة للغذاء والماء، المأوى والملبس، تفادي تجرع السم أو القفز من نوافذ علوية، وأمور على هذه الشاكلة. وبين الحياة والموت، بين المتع المادية والألم المادي، ما تزال ثمة فروق واضحة، لكن هذا كل شيء. ومع الانقطاع عن التواصل مع العالم الخارجي، ومع الماضي، أصبح مواطن أوشينيا يشبه رجلًا في فضاء سديمي بين النجوم، لا سبيل أمامه للتمييز بين الاتجاه الأعلى والأسفل. وحُكام دولة كهذه حكام مطلَقون، كالفراعنة أو القياصرة. وهم ملزمون بمنع تضور أتباعهم جوعًا حتى الموت بأعداد كبيرة بقدر مزعج، وهم ملزمون بالبقاء على نفس المستوى المتدني من التقنية العسكرية لخصومهم؛ لكن ما إن يتحقق هذا الحد الأدنى، فيمكنهم لي عنق الواقع وتشكيله ليتخذ أي شكل يختارونه.

فالحرب إذن– فيما لو نظرنا إليها وفق معايير الحروب السابقة– ليست إلا مسرحية. إنها تشبه معارك بين بعض الحيوانات المجترة التي تشكل قرونها زوايا لا تمكّنها من إيذاء بعضها البعض. ورغم أنها مسألة غير حقيقية فهي ليست عبثية. فهي تلتهم فائض السلع الاستهلاكية، وتساعد في الحفاظ على المناخ الذهني الخاص الذي يحتاجه المجتمع التراتبي. فالحرب الآن، كما سنرى، هي شأن داخلي خالص. وفي الماضي، كانت المجموعات الحاكمة في كل الدول، ورغم أنها كانت قد تدرك مصلحتها المشتركة وتقلل بالتالي من

تدميرية الحرب، فقد قاتلت بعضها البعض، ودائمًا ما قام المنتصر بنهب المهزوم. أما في عصرنا هذا، فهم لا يقاتلون بعضهم البعض بالمرة. بل تشن كل مجموعة حاكمة الحرب على رعاياها، والهدف من الحرب ليس غزو الأرض أو منع غزو الأرض، إنما المحافظة على بنية المجتمع سليمة. فكلمة "حرب"- لهذا إذن- أصبحت كلمة مضللة. ربما يكون من الدقة أن نقول إن الحرب- بعد أن أصبحت دائمة- قد كفت عن الوجود. والضغط الفريد الذي كانت تمارسه على البشر بين نهاية العصر الحجري الحديث ومطلع القرن العشرين قد اختفى، وحل محله شيء مختلف تمامًا. ولن يختلف الأثر إذا ما وافقت الدول العظمى الثلاث– بدلًا من قتال بعضها البعض– على العيش في سلام دائم، فكل منها حصينة داخل حدودها. ففي تلك الحالة، تبقى كل منها ككون مكتفٍ بذاته، وقد تحرر إلى الأبد من الآثار ثقيلة الوطأة للخطر الخارجي. والسلام الدائم حقًّا لا يختلف عن الحرب الدائمة. وهذه الفكرة– التي تفهمها الأغلبية العظمى من أعضاء الحزب بمعنى ضحل– هي المعنى الباطني لشعار الحزب: **الحرب سلام.**

توقف وينستون عن القراءة للحظة. في مكان ما عن بُعد أرعدت قنبلة صاروخية. والإحساس الرائع، بأن يكون وحيدًا مع كتاب مُحرَّم، في حجرة بلا تيليسكرين، لم يذهب أثره بعد. فالعزلة والسلامة أحاسيس مادية، ممتزجة بشكل ما بإرهاقه الجسماني، وطراوة المقعد، وملمس النسمة الرقيقة القادمة من النافذة تداعب وجنته. سحره الكتاب، أو- بشكل أدق- أعاد طمأنته. بمعنى ما، فهو لم يخبره بشيء جديد، لكن ذلك كان بعض جاذبيته.

قال ما كان ليقوله هو، إذا ما تمكن من صياغة أفكاره المبعثرة في نسقٍ ما. كان ثمرة عقل يشبه عقله، لكن أقوى بكثير، أكثر منهجية، وأقل ابتلاءً بالخوف. فأفضل الكتب- كما يتصور- هي التي تخبرك بما تعرفه بالفعل. كان قد عاد إلى الفصل الأول عندما سمع وقع قدمي جوليا على السلم فنهض من مقعده ليقابلها. ألقت بحقيبة الأدوات البنية على الأرض، وألقت بنفسها بين ذراعيه. مر أكثر من أسبوع منذ رأيا بعضهما البعض.

قال وهو يفض اشتباكهما: "لقد حصلت على الكتاب".

قالت دون كثير من الاهتمام: "حقًّا، أحصلت عليه؟ جيد" ثم ركعت في الحال إلى جوار الموقد لإعداد قهوة.

لم يعودا إلى هذا الموضوع حتى قضيا في السرير نصف ساعة. كان المساء باردًا بما يكفي لأن يتغطيا باللحاف. من الأسفل أتى صوت الغناء المألوف وحركة الأقدام على البلاط. السيدة حمراء مفتولة الساعدين التي رآها وينستون في زيارته الأولى كادت تقريبًا تكون من معالم الفناء الثابتة. تكاد ألا تمر ساعة من النهار إلا وهي تروح وتغدو بين حوض الغسيل والحبال، تشغل نفسها بالتبادل بالمشابك والانطلاق في الغناء الشهواني. تمددت جوليا على جنبها، وكانت تبدو موشكة على النوم. مد يده إلى الكتاب، الذي كان مرميًّا على الأرض، ثم اعتدل مستندًا إلى ظهر السرير.

قال: "يجب أن نقرأه. أنت أيضًا. على كل أعضاء الأخوية قراءته".

قالت وعيناها مغمضتان: "اقرأه أنت. اقرأه بصوت مرتفع. هذه أفضل

طريقة. ثم يمكنك شرحه لي أثناء القراءة".

أعلن عقرب ساعة الحائط أن الساعة السادسة، أي الثامنة عشرة. كان أمامهما ثلاث إلى أربع ساعات. أسند الكتاب إلى ركبتيه، وبدأ يقرأ:

## الفصل الأول

## الجهـل قــوَّة

على مرِّ الأزمنة المعروفة، وربما منذ انتهاء العصر الحجري الحديث، كانت هناك ثلاثة أنماط من الناس في العالم: العَالي، المتوسط، المنخفض. وكانوا منقسمين تقسيمات فرعية من عدة أوجه، ويسمون بأسماء مختلفة بلا حصر، وتتباين كثيرًا- من عصر إلى عصر- أعدادهم النسبية، وكذلك سلوكياتهم تجاه بعضهم البعض: لكن البنية الأساسية للمجتمع لم تتبدل يومًا. حتى بعد الانتفاضات الهائلة والتغيرات التي تبدو بلا نكوص، فإن نفس النمط يعيد دائمًا تأكيد ذاته، مثلما تشير البوصلة دائمًا إلى الشمال بغض النظر عن وضعها.

قال وينستون: "جوليا، هل أنت مستيقظة؟"

"نعم، يا حبيبي، أُنصت إليك. استمر. إنه مدهش".

مضى في القراءة:

وأهداف هذه المجموعات الثلاث لا توافق بينها على الإطلاق. هدف المجموعة العليا هي الحفاظ على وضعها. وهدف الوسطى هو تبادل الأماكن

مع العليا. وهدف السفلى، عندما يكون لها هدف- ذلك أن من الصفات اللصيقة بالسفلى أنها مسحوقة تمامًا تحت وطأة مطالب الحياة اليومية بما يحول دون وعيها إلا بشكل متقطع بأي شيء خارج دائرة حياتها اليومية- هو إزالة جميع التمايزات وخلق مجتمع يتساوى فيه الناس جميعًا. ومن ثم فعلى مدار التاريخ طفا إلى السطح مرةً تلو الأخرى صراع واحد متكرر له سمات واحدة. فلفترات طويلة كان يبدو أن الطبقة العليا آمنة في سدة السلطة، لكن طال الزمن أو قصر تأتي دائمًا لحظة تفقد فيها إما إيمانها بنفسها، أو تفقد قدرتها على الحكم بفعالية، أو الأمرين. وقتها تخلعها الطبقة الوسطى، التي تضمّ السفلى إلى جانبها متظاهرةً بأنهما يناضلان من أجل الحرية والعدل. وما إن يتوصلا إلى تحقيق هدفهما، حتى تطيح الوسطى بالسفلى إلى وضعها العبودي القديم، وتصبح هي العليا. وتنفصل مجموعة وسطى جديدة عن إحدى المجموعتين الأخريين، أو عنهما معًا، ويبدأ الصراع مرةً أخرى. ومن بين المجموعات الثلاث، فإن السفلى فقط هي التي لم تنجح أبدًا ولو مؤقتًا في تحقيق أهدافها. وسيكون من المبالغة أن نقول إنه لم يحدث- على مدار التاريخ- أي تقدم مادي. فحتى الآن، في مرحلة الانحدار، فإن الإنسان العادي أفضل حالًا- بدنيًا- عما كان قبل عدة قرون. لكن لم يطرأ تقدم في الثروة، أو تهذيب للسلوك، أو إصلاح أو ثورة أدت إلى الاقتراب بملليمتر واحد من المساواة بين البشر. ومن منظور الطبقة السفلى، لم يعن أي تغير تاريخي أي شيء يزيد عن تغير أسماء أسيادهم.

بحلول أواخر القرن التاسع عشر أصبح تكرر هذا النمط ظاهرًا للعديد

من المراقبين. ظهرت آنئذٍ مدارس من المفكرين الذين فسروا التاريخ بصفته عملية دائرية، وزعموا أن هذا يُظهر عدم المساواة باعتباره القانون الثابت للحياة الإنسانية. ودائمًا ما كان لهذه العقيدة، بالطبع، أتباعها، ولكن ثمة تغير كبير في الطريقة التي تُقدم بها الآن. ففي الماضي، كانت الحاجة إلى شكل تراتبي للمجتمع هي عقيدة العليا تحديدًا. وروج لها الملوك، والأرستقراطية، والقساوسة، ورجال القانون، وأشباههم ممن يعيشون عالةً عليهم، وتم تشذيبها بصورة عامة بوعود بالتعويض في عالم مُتخيّل فيما وراء القبر. وقد استخدمت الطبقة الوسطى، طالما أنها تناضل سعيًا للسلطة، بمصطلحات مثل الحرية، والعدل، والإخاء. لكن مفهوم الإخاء الإنساني بدأ يتعرض لتهجمات أشخاص لم يصلوا بعد إلى مناصب القيادة، إنما كانوا يأملون في وصولهم إليها سريعًا. وفي الماضي، قامت الوسطى بثورات تحت لواء المساواة، ثم أسست لنظم مستبدة جديدة، ما إن تم إقصاء القديمة. وقد أعلنت المجموعات الوسطى الجديدة عن استبدادها مقدمًا. فالاشتراكية، وهي نظرية ظهرت في بدايات القرن التاسع عشر، وكانت الحلقة الأخيرة في سلسلة أفكار ترجع إلى عصور ثورات العبيد قديمًا، كانت ما زالت مبتلاة في العمق بطوباوية الأزمنة القديمة. لكن في كل تنويعة من الاشتراكية ظهرت منذ عام 1900 تقريبًا فصاعدًا، تم التخلي أكثر فأكثر وضوحًا عن هدف تحقيق الحرية والمساواة. والحركات الجديدة التي ظهرت في سنوات منتصف القرن- اشت-إنج في أوشينيا، والبلشفية الجديدة في أوراسيا، وعبادة الموت، كما تسمى عمومًا في إيستاسيا، كان لديها هدفها الواعي لديمومة "اللاحرية" و"اللامساواة". وقد انبثقت هذه الحركات الجديدة- بطبيعة الحال- عن

الحركات القديمة، ونزعت إلى الاحتفاظ بمسمياتها، والتظاهر باعتناقها أيديولوجياتها. لكن الغرض من جميع هذه الحركات كان القبض على حركة التقدم، وتجميد التاريخ في لحظة مختارة. وكان لتأرجح البندول المعهود أن يحدث مرة أخرى، وبعدها يتوقف. وكالعادة، كان من المقدر أن تخلع الوسطى العليا، لتصبح آنذاك الوسطى هي العليا؛ لكن- هذه المرة- وفق استراتيجية واعية، أن تكون العليا قادرة على الاحتفاظ بوضعها بصورة دائمة.

ظهرت العقائد الجديدة جزئيًّا بسبب تراكم المعرفة التاريخية، وتنامي الحس التاريخي، الذي كاد ألا يكون له وجود قبل القرن التاسع عشر. والحركة الدائرية للتاريخ أصبحت الآن مفهومة، أو يبدو أنها كذلك؛ وطالما أنها أصبحت مفهومة، فهي قابلة إذن للتبديل. لكن السبب الرئيسي، الكامن، هو أن المساواة الإنسانية قد أصبحت- منذ بدايات القرن العشرين- ممكنة التحقق تقنيًّا. كان ما يزال صحيحًا أن الناس ليسوا متساوين في مواهبهم الفردية، وأن الوظائف لابد من تخصيصها على نحو يميز بعض الأفراد عن الآخرين؛ لكن لم تعد هناك أية حاجة حقيقية إلى التمايزات الطبقية أو للفوارق الكبيرة في الثروة. وفي العصور السابقة، لم تكن التمايزات الطبقية محتومة فحسب، بل مرغوبًا فيها. وكان انعدام المساواة ثمن الحضارة. لكن مع تطور الإنتاج الآلي، تبدل الحال. وحتى إذا ما استمرت ضرورة اضطلاع البشر بأنواع مختلفة من العمل، فلم يعد من الضروري لهم أن يعيشوا في مستويات اجتماعية أو اقتصادية متباينة. ومن ثم، فمن وجهة نظر المجموعات الجديدة- التي كانت على وشك السيطرة على



م ١٥ - ١٩٨٤ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

السلطة- لم تعد المساواة بين البشر من المثل التي يجب السعي إليها، إنما هي خطر يجب تفاديه. وفي عصور أكثر بدائية، عندما كان المجتمع العادل والمسالم مسألة غير ممكنة التحقق في الواقع، كان من السهل تماما الإيمان بذلك. ففكرة الفردوس الدنيوي الذي يحيا فيه النّاس جميعًا في حالة من الإخاء، دون قوانين أو عمل شاق، قد لاحقت خيال البشر لآلاف السنين. وهذه الرؤية لها هيمنة حتى على عقول الجماعات التي استفادت فعلًا من كل تغير تاريخي. وكان ورثة الثورات الفرنسية والإنجليزية والأمريكية يؤمنون جزئيًّا- بتعبيراتهم الخاصة- بحقوق الإنسان، وحرية التعبير، والمساواة أمام القانون، وما شابه من أفكار، بل سمحوا بأن يتأثر سلوكهم إلى حدٍّ ما بهذه الأفكار. لكن بحلول العقد الرابع من القرن العشرين، كانت كل تيارات الفكر السياسي سلطوية. لقد نُزعت المصداقية عن فكرة الفردوس الدنيوي في اللحظة التي أصبح تحققه فيها ممكنًا. وكل نظرية سياسية جديدة، بغض النظر عن اسمها، تراجعت إلى التراتبية والتقسيم إلى وحدات. وفي خضم التصلب العام للرؤى الذي جرى في عام 1930 أو نحوه، فإن الممارسات التي هُجرت منذ زمن طويل، منذ مئات الأعوام في بعض الحالات- كالحبس دون محاكمة، واستعباد أسرى الحرب، والإعدام العلني، والتعذيب لانتزاع الاعترافات، واتخاذ الرهائن، وتهجير الشعوب- لم تعد شائعة فحسب، إنما مقبولة، بل دافع عنها أشخاص يعتبرون أنفسهم مستنيرين وتقدميين.

بعد عقد من الحروب الوطنية، والحروب الأهلية، والثورات، والثورات المضادة في جميع أنحاء العالم، ظهرت اشت-إنج ومنافساتها كنظريات

سياسية كاملة التفاصيل. لكنها جميعًا كانت مسبوقة بنظم متباينة، سُميت عمومًا شمولية، كانت قد ظهرت في وقت مبكر من القرن العشرين، وأصبحت الخطوط العريضة للعالم- الذي سينبثق من الفوضى السائدة- بالغة الوضوح منذ أمد بعيد. وكان على نفس درجة الوضوح طابع الناس الذين سيحكمون هذا العالم. كانت الارستقراطية الجديدة مؤلفة في معظمها من البيروقراطيين، والعلماء، والفنيين، وقادة نقابيين، وخبراء الدعاية، وعلماء الاجتماع، والمعلمين، والصحفيين، والسياسيين المحترفين. وهؤلاء الناس، الذين ترجع أصولهم إلى الطبقة المتوسطة التي تعمل براتب والشرائح العليا من الطبقة العاملة، قد شكلهم وجمَّعهم العالم القاحل للاحتكار الصناعي والحكومة المركزية. وبالمقارنة بأقرانهم في العهود الماضية، كانوا أقل جشعًا، وأقل نزوعًا للترف، وأكثر شراهةً للسلطة الخالصة، والأهم، أكثر وعيًا بما يفعلونه، وأشد عزمًا على سحق المعارضة. وهذا الاختلاف الأخير بالغ الأهمية. فبالمقارنة بما يوجد الآن، فإن جميع نظم الماضي المستبدة كانت مزعزعة التصميم وبلا كفاءة. كانت الجماعات الحاكمة دائمًا مبتلاة بقدرٍ ما بأفكار ليبرالية، وتسمح بترك فجوات هنا وهناك، وتتابع فحسب الأعمال العلنية، دون اهتمام بما يفكر فيه الرعايا. حتى الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى كانت متسامحة بمعايير الحاضر. وجزء من السبب كان يكمن في أن أية حكومة- في الماضي- لم تكن لتملك القدرة على إخضاع مواطنيها للمراقبة الدائمة. لكن اختراع الطباعة سهَّل التلاعب بالرأي العام، ومضت السينما والإذاعة بالعملية خطوات أبعد. ومع ظهور التلفزيون، والتقدم التكنولوجي الذي مكَّن من الاستقبال والبث في الوقت

نفسه بنفس الجهاز، انتهت الحياة الخاصة. فكل مواطن، أو على الأقل كل مواطن مهم بما يكفي ليستحق المراقبة، يمكن أن يصبح تحت أعين الشرطة على مدار ساعات اليوم، وتحت وطأة الدعاية الرسمية، مع منع جميع قنوات الاتصال الأخرى عنه. إن إمكانية فرضّ الطاعة الكاملة لإرادة الدولة، مع الاتساق الكامل في الآراء بشأن كل الموضوعات، أصبحت ممكنة وقائمةً الآن للمرة الأولى.

وبعد فترة الخمسينيات والستينيات الثورية، أعاد المجتمع تجميع نفسه، كالعادة، في ثلاث مجموعات، العليا والوسطى والسفلى. لكن المجموعة العليا الجديدة، على النقيض من سابقاتها، لم تتحرك بفعل الغريزة، بل كانت تعرف ما هو مطلوب لتأمين وضعها. فقد تبين منذ زمن طويل أن السند الآمن الوحيد للأوليجاركية هو الجماعية. فالثروة والامتيازات يسهل الدفاع عنها أكثر عندما تكون جماعية. وما يُعرف بـ"القضاء على الملكية الخاصة" الذي شهدته سنوات القرن العشرين الوسيطة، كان يعني حقًّا تركيز الملكية في أيد أقل بكثير مما سبق: لكن مع هذا الاختلاف، أن الملاك الجُدد مجموعة وليسوا كتلة من الأفراد. فبشكل فردي، لا يملك أي عضو بالحزب شيئًا، إلا متعلقات شخصية متواضعة. لكن جماعيًّا، يملك الحزب كل شيء في أوشينيا، لأنه يسيطر على كل شيء، ويوزع السلع كما يرى. وفي السنوات التالية على الثورة، كان ممكنًا الاضطلاع بهذا الوضع القيادي دون معارضة تقريبًا، لأن العملية بأكملها تم تقديمها باعتبارها إحدى ممارسات الجماعية. وكان يُزعم دائمًا أنه إذا ما تم تجريد الرأسماليين من الملكية، فلابد أن يلي

ذلك الاشتراكية: ولا شك أن الرأسماليين تم تجريدهم من أملاكهم. لقد صودر منهم كل شيء، المصانع، والمناجم، والأراضي، والبيوت، ووسائل المواصلات: وبما أن هذه الأشياء لم تعد ملكية خاصة، فلابد بالتالي أن تصبح ملكية عامة. وعقيدة "اشت-إنج"- التي خرجت من رحم الحركة الاشتراكية السابقة عليها، وورثت عنها النزوع الخطابي، نفذت- في واقع الأمر- البند الرئيسي في البرنامج الاشتراكي؛ مع نتيجة، متوقعة ومقصودة من قبل، هي أن اللامساواة الاقتصادية قد أصبحت دائمة.

لكن مشكلات المجتمع التراتبي الدائم أعمق من هذا. فهناك أربعة سبل فحسب يمكن للجماعة الحاكمة من خلالها السقوط عن سدة السلطة. إما قهرها من قِبل عدو خارجي، أو أن تَحكم بلا كفاءة بما يحرك الجموع فتثور، أو تسمح بنشوء طبقة وسطى قوية وغاضبة ، أو تفقد ثقتها بالنفس ورغبتها في الحُكم. وهذه الأسباب لا تعمل منفردة، وكقاعدة عامة فإن الأسباب الأربعة جميعًا حاضرةٌ بقدرٍ ما. والطبقة الحاكمة التي يمكنها أن تحمي نفسها من هذه الأسباب مجتمعة تبقى في السلطة بصورة دائمة. وفي نهاية المطاف، فإن العامل المحدد هو الميل الذهني للطبقة الحاكمة نفسها.

بعد أواسط القرن الحالي، اختفى الخطر الأول، في واقع الأمر. فكل من القوى الثلاث التي تتقاسم العالم لا يمكن غزوها في الواقع، ولا يمكن أن تُخترق إلا من خلال تغيرات سكانية بطيئة يمكن لحكومة واسعة السلطات تفاديها بسهولة. أما الخطر الثاني، فهو بدوره خطر نظري فقط. فالجموع لا تثور أبدًا من تلقاء ذاتها، ولا تثور لمجرد أنها مقموعة. والحق أنه طالما لا

يُسمح لها بمعرفة معايير للمقارنة، فلن تدرك أبدًا أنها مقموعة. ولم تكن أزمات الماضي الاقتصادية المتكررة ضرورية إطلاقًا، ولا يُسمح لها الآن بالحدوث، لكن هناك اختلالات كبرى أخرى يمكن أن تحدث، وهي تحدث فعلًا، دون أن تكون لها نتائج سياسية، لأنّ لا سبيل هنالك لأن يصبح للغضب قوام واضح. أما بالنسبة لمشكلة الإفراط في الإنتاج، وهي مشكلة مستترة في مجتمعنا منذ تطور التقنية الآلية، فقد حُلت بآلية الحرب الدائمة (انظر الفصل الثالث)، وهي بدورها مفيدة في الإبقاء على الروح المعنوية للشعب عند النغمة المطلوبة. ومن وجهة نظر حُكام الحاضر إذن، فالمخاطر الحقيقية الوحيدة هي انفصال مجموعة جديدة من أناس قادرين وعاطلين عن العمل ومتطلعين للسلطة، مع نمو الليبرالية والتشكك في صفوفهم. فالمشكلة إذن مشكلة تعليمية. إنها مشكلة القولبة المستمرة للوعي، سواء وعي المجموعة الموجهة للسلطة أو المجموعة التنفيذية الأعرض التي تقع تحتها مباشرة. ولا يحتاج وعي الجموع إلا أن يتأثر بشكل سلبي.

على هذه الأرضية، يمكن للمرء أن يستشف، إن لم يكن يعرف بالفعل، البنية العامة للمجتمع الأوشيني. فعلى قمة الهرم الأخ الكبير. والأخ الكبير معصومٌ وذو قوة مطلقة. وكل نجاح، وكل إنجاز، وكل نصر، وكل اكتشاف علمي، وكل معرفة، وكل حكمة، وكل سعادة، وكل فضيلة، مرهونةٌ مباشرة بقيادته وإلهامه. ولم ير أحدٌ أبدًا الأخ الكبير. إنه وجه على الملصقات، وصوت في التيليسكرين. ولنا أن نتأكد، بكل اطمئنان، إلى أنه خالد لن يموت أبدًا، وهناك بالفعل قدر من عدم اليقين يحيط بتاريخ مولده.

فالأخ الكبير هو القناع الذي يعرض به الحزب نفسه على العالم. ووظيفته هي أن يكون نقطة استقطاب الحب، والخوف، والتقديس، وهي مشاعر يسهل توجيهها نحو شخص لا نحو تنظيم. وتحت الأخ الكبير يأتي الحزب الداخلي. ويصل عدد أعضائه إلى ستة ملايين، أو ما يقل عن اثنين بالمائة من سكان أوشينيا. وتحت الحزب الداخلي هناك الحزب الخارجي، الذي- إذا ما وصفنا الحزب الداخلي بأنه عقل الدولة- فهو أيدي الدولة. وفي الأسفل الجموع البليدة التي نشير إليها عادة باسم "البرولز"، وتصل ربما إلى 85 في المائة من السكان. وبحسب تصنيفنا السابق، فإن البرولز هم المجموعة السفلى: إذ إن الشعوب المستعبدة في الأراضي الاستوائية الذين يتبدل عليهم الغازي تلو الآخر، ليسوا جزءًا دائمًا أو ضروريًا من هذه البنية.

ومن حيث المبدأ، فإن عضوية هذه المجموعات الثلاث ليست وراثية. فالطفل لأبوين من الحزب الداخلي لم يولد بالضرورة في صفوف الحزب الداخلي. وإدخال الأفراد إلى أي من فرعي الحزب يتم بموجب اختبار، في سن السادسة عشرة. ولا يوجد تمييز عنصري، ولا أية هيمنة لإقليم في الدولة على آخر. ويوجد اليهود، والزنوج، ومَن ينحدرون من أمريكا الجنوبية ودمهم هندي تمامًا، في أعلى مراتب الحزب، ومديرو أية منطقة يُختارون من سكان المنطقة. ولا يوجد- في أيٍّ من مناطق أوشينيا- إحساس لدى السكان بأنهم شعب مستعمر تحكمه العاصمة البعيدة. فليس لأوشينيا عاصمة، وعلى رأسها شخص لا يعرف أحد مكانه. وباستثناء أن الإنجليزية هي لغتها المنطوقة الأولى والكلام-جديد لغتها الرسمية، فهي ليست دولة مركزية بأي

شكل. ولا تجمع بين الحكام صلات قرابة، بل الالتزام بعقيدة مشتركة. والواقع أن مجتمعنا متراتب، صارم التراتب، بحيث يبدو- للوهلة الأولى- كخطوط وراثية. وهناك حراك محدود- بدرجة كبيرة- بين مختلف المجموعات، عما كان عليه الوضع في ظل الرأسمالية، أو حتى في العصر ما قبل الصناعي. وبين فرعي الحزب ثمة قدر ما من التبادل، لكن بالقدر الكافي لضمان استبعاد الضعفاء عن الحزب الداخلي، وتصعيد الطموحين من الحزب الخارجي لتلافي خطرهم. ليس مسموحًا للبروليتاريا- في الممارسة- بالانتساب للحزب. والأعلى موهبة من صفوفها، مَن قد يكونون نواة للسخط، يتم تحديدهم من قِبل شرطة الأفكار والقضاء عليهم. لكن هذا الوضع ليس دائمًا بالضرورة، وليس مسألة مبدئية. فالحزب ليس طبقة بالمعنى القديم للكلمة. فهو لا يهدف إلى توريث السلطة لأبناء أعضائه: وإذا لم تكن هناك طريقة أخرى لإبقاء أقدر الناس على القمة، فهو مستعد تمامًا لتجنيد جيل جديد كامل من صفوف البروليتاريا. وفي السنوات الحاسمة السابقة، كانت حقيقة أن الحزب لا يُورث عضويته لها مفعول السحر على تحييد المعارضة. والاشتراكي من النمط القديم، الذي دُرب على النضال ضد ما سُمي "امتيازات طبقية"، كان يفترض أن ما ليس وراثيًا لا يمكن أن يكون دائمًا. ولم ير أن استمرارية الأوليجاركية لا حاجة بها لأن تكون جسدية، ولم يتوقف ليفكر كيف أن الارستقراطيات الوراثية كانت دائمًا قصيرة العمر، بينما التنظيمات المتكيفة، مثل الكنيسة الكاثوليكية قد دامت أحيانًا مئات أو آلاف السنين. إن جوهر الحكم الأوليجاركي ليس وراثة الابن للأب، إنما ديمومة رؤيةٍ ما للعالم وطريقة حياة معينة، يفرضها الموتى على الأحياء.

والجماعة الحاكمة تبقى جماعة حاكمة طالما أنها قادرة على تسمية خلفائها. ولا يهتم الحزب بديمومة دمه، بل بديمومته هو ذاته. ومَن يتولى السلطة ليس بالمسألة المهمة، إذا ما ظلت البنية الهيراركية على حالها.

إن جميع المعتقدات، والعادات، والأذواق، والمشاعر، والتوجهات الذهنية التي يتسم بها زمننا هي- في واقع الأمر- مصممة للاحتفاظ بغموض صورة الحزب، ومنع إدراك الطبيعة الحقيقية لمجتمع اليوم. إن التمرد المادي، أو أي تحرك أوَّلي باتجاه التمرد، لهو أمر مستحيل حاليًا. لا خوف على الإطلاق من البروليتاريا. فإذ تُركوا لشأنهم، فسوف يستمرون من جيل إلى جيل ومن قرن إلى قرن، يعملون، ويتناسلون، ويحتضرون، ليس فقط بدون دافع للتمرد، إنما دون القدرة على فهم إمكانية أن يكون العالم بخلاف ما هو عليه. ولا يمكن أن يصبحوا خطريين إلا إذا أملى التقدم التكنولوجي ضرورة تعليمهم تعليمًا أفضل؛ لكن بما أن التنافس العسكري والتجاري لم يعد مهمًّا، فإن مستوى تعليم الشعب في انحدار. والآراء التي تعتنقها الجموع، أو لا تعتنقها، يُنظر إليها بلامبالاة. ويمكن منحهم الحرية الفكرية لأنهم بلا فكر. أما عضو الحزب، في المقابل، فلا يمكن التسامح إزاء أدنى انحراف في آرائه عن أتفه الموضوعات.

يعيش عضو الحزب- من مولده إلى مماته- تحت عين شرطة الأفكار. حتى وهو وحده، فلا يمكنه أبدًا التأكد من أنه وحده. وأينما كان، نائمًا أو مستيقظًا، في عمله أو راحته، في حمامه أو في فراشه، يمكن مراقبته دون سابق إنذار، ودون معرفة أنه مراقب. وما من شيء يفعله يتم التعامل معه

بلامبالاة. فصداقاته، وعلاقاته، وسلوكه تجاه زوجته وأطفاله، وتعبير وجهه وهو وحيد، والكلمات التي ينطقها في نومه، بل حتى الحركات المميزة لجسده، يتم فحص كل هذا بإخلاص شديدة. يتم التحقق من كل شيء، ليس فقط السلوكيات السيئة الفعلية، بل أيضًا أي وّجه للغرابة، بغض النظر عن ضآلته، أي تغير في العادات، أي سلوك عصبي يمكن أن يكون عرَضًا لصراع داخلي. ولا حرية اختيار له في أي شيء. ومن الناحية الأخرى، فلا تنظم أفعاله قوانين أو مدونة سلوك واضحة مقننة. ولا قوانين في أوشينيا. والأفكار والأعمال التي- لدى اكتشافها- تعني الموت ليست محظورة رسميًّا، وحملات التطهير اللانهائية، والاعتقالات، والتعذيب، والسجن، والتبخير، ليست عقابًا على جرائم ارتُكبت فعلًا، بل هي تصفية لأشخاص قد يرتكبون جريمة في وقت ما في المستقبل. ومطلوب من عضو الحزب ألا يكتفي بتبني الآراء الصحيحة، بل أيضًا الغرائز الصحيحة. فالكثير من المعتقدات والميول المطلوبة منه، لا تُذكر بوضوح أبدًا، ولا يمكن ذكرها دون فضح التناقضات الكامنة في "اشت-إنج". وإذا كان شخصًا يسير على الصراط المستقيم بطبعه (بلغة كلام-جديد **جيدتفكير**)، فسيعرف- في جميع الظروف- دون تفكير، ما هو الاعتقاد الصحيح أو العاطفة المطلوبة. لكن على كل حال يتم إجراء تدريب ذهني مدروس، من مراحل الطفولة، ويتمحور حول مصطلحات الكلام-جديد: "**وقفجريمة**"، "**أسودأبيض**"، "**تفكيرمزدوج**"، بحيث يصبح غير راغب ولا قادر على التفكير بعمق في أي موضوع، أيًّا ما كان.

منتظرٌ من عضو الحزب ألا تكون له مشاعر خاصة، أو تحفظات على التحمس. مفترضٌ به أن يعيش في سعار دائم من كراهية الأعداء الأجانب والخونة داخل البلد، من نشوة الانتصارات، والتواضع الذاتي أمام سلطة وحكمة الحزب. والسخط الذي تؤدي إليها حياته العارية، غير المشبعة، يتم تحويله عن عمد إلى الخارج، ويتم التنفيس عنه من خلال آليات من قبيل "دقيقتي الكراهية"، والتأملات التي قد تؤدي إلى نزوع متشكك أو متمرد تُقتل في مهدها مع اكتسابه في مرحلة مبكرة من العمر لتعاليم الحزب. وأول وأبسط مرحلة تلقين، والتي يمكن تلقينها حتى للأطفال الصغار، تُسمى بلغة كلام-جديد: "**وقفجريمة**". و"**وقفجريمة**" تعني القدرة على مجابهة أية فكرة خطرة في بدايتها، وكأنما بشكل غريزي. وهي تنطوي على عدم القدرة على إدراك التماثلات، والفشل في تصور الأخطاء المنطقية، أو إساءة فهم أبسط الحجج، إذا ما كانت معادية لـ اشت-إنج، والملل والنفور من أية سلسلة أفكار قادرة على أن تؤدي إلى اتجاه الهرطقة. "**وقفجريمة**" باختصار تعني الغباء الذي يحمي. لكن الغباء لا يكفي. على النقيض، فإن الالتزام بمبادئ الحزب بالمعنى الكامل للكلمة يتطلب السيطرة على عمليات التفكير بشكل كامل، كما يسيطر البهلوان على جسده. ويعتمد مجتمع أوشينيا- في نهاية المطاف- على الاعتقاد بأن الأخ الكبير مطلق القدرة، وأن الحزب معصوم. لكن بما أن الأخ الكبير- في الواقع- ليس مطلق القدرة، والحزب ليس معصومًا، فهناك حاجة إلى مرونة دائمة وكاملة في معالجة الحقائق. والكلمة المفتاح هنا هي "**أسودأبيض**". وشأن الكثير من كلمات كلام-جديد، فهذه الكلمة لها معنيان متناقضان ينفي كل منهما الآخر. فإذا طُبقت على

الخصم، فهي تعني عادة الزعم بوقاحة أن الأسود أبيض، في تناقض مع الحقائق البسيطة. وإذا طُبقت على عضو الحزب، فهي تعني الاستعداد بكل ولاء لقول أن الأسود أبيض، إذا ما تطلب نظام الحزب هذا. لكنها تعني أيضًا القدرة على **الإيمان** بأن الأسود أبيض، بل حتى **معرفة** أن الأسود أبيض، ونسيان أن المرء كان قد اعتقد يومًا نقيض هذا. وهذا ما يتطلب تبدلًا دائمًا للماضي، يتحقق من خلال نظام للأفكار يدخل في كنفه- في واقع الأمر- كل شيء آخر، وهو ما يُعرف في لغة كلام-جديد بكلمة **تفكير مزدوج**.

وتبديل الماضي ضروري لسببين، أولهما ثانوي، ويمكن وصفه بأنه من قبيل الاحتياط. السبب الثانوي هو أن عضو الحزب، شأن البروليتاري، يتحمل ظروف الحاضر جزئيًّا لأنه يفتقر إلى معايير المقارنة. فهو لابد أن ينقطع عن الماضي، مثلما يجب أن ينقطع عن الدول الأخرى، لأن من الضروري له أن يعتقد أنه أفضل حالًا من أسلافه، وأن مستوى الترف المادي الذي يتمتع به في صعود مستمر. لكن السبب الأهم بكثير لتعديل الماضي هو الحاجة لتأمين عصمة الحزب. ولا يقتصر الأمر على ضرورة تحديث الخطب، والإحصاءات، والسجلات من كل نوع، بشكل دائم، من أجل إظهار أن تقديرات الحزب كانت صحيحة في كل الحالات؛ بل أيضًا أن أي تغير في المبادئ أو التحالفات السياسية لا يمكن أبدًا السماح بها. إذ أن تغيير فكر المرء، أو سياسته، هو اعتراف بالضعف. فإذا ما كانت أوراسيا أو إيستاسيا مثلًا عدوًّا اليوم، فلابد إذن أن تكون هذه الدولة هي العدو الأبدي. وإذا ما كانت الحقائق خلاف ذلك، فلابد من تبديل الحقائق. ومن ثم تتم إعادة

كتابة التاريخ دائمًا. وهذا التزييف اليومي للماضي، الذي تنفذه وزارة الحقيقة، مهم لاستقرار النظام بنفس أهمية القمع والمراقبة الذي تقوم به وزارة الحب.

إن قابلية الماضي الأبدية للتبدل هي العمود الأساسي الذي تنهض عليه الـ إشت-إنج. وأحداث الماضي، كما يجادلون، لا وجود موضوعيًا لها، بل تواصل الحياة في السجلات المدونة وفي ذاكرة البشر فحسب. فالماضي هو ما تتفق عليه السجلات والذاكرة. وبما أن للحزب سيطرة كاملة على جميع السجلات، وسيطرة كاملة بالمثل على عقول أعضائه، فيستتبع هذا أن الماضي هو ما يختار الحزب أن يكونه. ويستتبع ذلك أيضًا أنه الماضي رغم قابليته للتبدل، فلم يتبدل أبدًا في أية لحظة فاصلة. فإذ يُعاد خلقه بأي قالب تتطلبه اللحظة، فإن النسخة الجديدة تصبح إذن هي الماضي، ولا يكون هناك أي وجود لماضٍ آخر أبدًا. والمقولة صحيحة أيضًا في حالة ظهور الحاجة لتبديل الواقعة نفسها عدة مرات على مدار سنة واحدة، كما حدث كثيرًا. فالحزب يمتلك دائمًا الحقيقة المطلقة، ومن الواضح أن المطلق لا يمكن أن يختلف أبدًا عما هو عليه الآن. وسنرى أن السيطرة على الماضي تعتمد قبل أي شيء على تدريب الذاكرة. وضمان توافق جميع السجلات المكتوبة مع المبادئ المتبعة في اللحظة الراهنة، ليس أكثر من عملية آلية. لكن من الضروري أيضًا تذكُّر أن الأحداث قد حدثت بالشكل المنشود. وإذا ما ظهرت ضرورة إعادة ترتيب ذكريات المرء، أو التلاعب بالسجلات المكتوبة: فمن الضروري آنئذٍ نسيان أن تبديلًا ما قد حدث. فخدعة تنفيذ ذلك يمكن تعلمها مثل

أية تقنية ذهنية. يتعلمها أغلب أعضاء الحزب، ويتعلمها بالتأكيد جميع الأذكياء وجميع الملتزمين بمبادئ الحزب. بلغة "كلام-قديم" كانت تُسمى وبكل وضوح "سيطرة على الواقع". أما في لغة كلام-جديد فتُسمى **تفكيرمزدوج**، وإن كان **التفكيرمزدوج** ينطوي على أمور أخرى كثيرة.

**تفكيرمزدوج** يعني القدرة على اعتناق معتقدين متناقضين في عقل المرء في الوقت نفسه، والقبول بهما معًا. ويعرف مثقف الحزب إلى أي اتجاه ينبغي تبديل ذكرياته، ومن ثم فهو يعرف أنه يتلاعب بالواقع، لكن بممارسة **تفكيرمزدوج** فهو يرضي ضميره أيضًا محققًا لنفسه فكرة أن الواقع لا يُنتهك. لابد أن تكون تلك العملية واعية وليست في اللاوعي، وإلا فلن تُنفذ بالدقة الكافية المنشودة، ولابد في الوقت نفسه أن تكون في اللاوعي، وإلا فسوف يصاحب التنفيذ الإحساس بالتزييف ومعه الإحساس بالذنب. فـ**تفكيرمزدوج** يكمن في القلب من الاشت-إنج، بما أن الفعل الجوهري للحزب هو استخدام الخداع الواعي مع الاحتفاظ بصرامة الغاية التي تُحاط بالصدق الكامل. فأن تنطق بأكاذيب متعمدة مع الاعتقاد في صحتها التامة، أن تنسى أية حقيقة أصبحت غير مُرضية، ثم عندما تصبح ضرورية من جديد، أن تستعيدها من النسيان طيلة المدة المطلوبة خلالها، أن تنكر وجود الواقع الموضوعي، مع أخذ الواقع الذي تنكر في الحسبان طول الوقت- كل هذا ضروري بلا بديل. حتى باستخدام كلمة **تفكيرمزدوج** من الضروري ممارسة **التفكيرمزدوج**. إذ باستخدام الكلمة يقر المرء بأنه يتلاعب بالواقع، وبفعل جديد من **التفكيرمزدوج**، يمحو المرء هذه المعرفة، وهكذا إلى الأبد،

وبالكذبة يسبق المرء الحقيقة. وفي نهاية المطاف، فبالاستعانة بأدوات **تفكيرمزدوج**، تمكن الحزب- وقد يستمر في التمكن لآلاف السنين- من أسر مجرى التاريخ.

لقد هوت كل أوليجاركيات الماضي من سدة السلطة لأنها تحجرت ذهنيًّا، أو لأنها أصبحت رخوة. إما أنها أصبحت غبية ومتغطرسة، وفشلت في تكييف نفسها مع الظروف المتغيرة، وتم خلعها، أو أنها أصبحت ليبرالية وجبانة، فقدمت تنازلات وقت أن كان عليها استخدام القوة، ومرةً أخرى تم خلعها. لقد هوت، سواء بوعي أو بلاوعي. وهو إنجاز للحزب أن يقوم بإنتاج نظام فكري يمكن أن تحيا فيه التناقضات مع بعضها البعض بصورة متزامنة. وعلى هذا الأساس الفكري- لا سواه- يمكن أن تصبح هيمنة الحزب دائمة. فإذا كان للمرء أن يحكم، ويستمر في الحُكم، فلابد أن يتمكن من تفكيك الإحساس بالواقع. فسِرّ الحُكم هو مزج الاعتقاد بأن المرء معصوم بـ**القدرة** على التعلم من أخطاء الماضي.

غني عن القول إذن أن أمهر الممارسين للـ**تفكيرمزدوج** هم من اخترعوا **التفكيرمزدوج**، ويعرفون أنه نظام شاسع للغش العقلي. وفي مجتمعنا، فإن الأكثر معرفة لما يحدث هُم أيضًا الأبعد عن رؤية العالم كما هو. فبشكل عام، كلما زاد الفهم زاد الضلال؛ كلما زاد الذكاء زاد الجنون. ومن الأمثلة الواضحة على هذه المقولة حقيقة أن هيستريا الحرب تزيد كثافة مع ارتقاء المرء في السلم الاجتماعي. وأولئك الذين يتحلون بذهنية أكثر عقلانية تجاه الحرب هم رعايا المناطق المتنازع عليها. وبالنسبة لهؤلاء، فالحرب ببساطة

بؤس مقيم يروح ويغدو على أجسادهم مثل موجات المدّ. والطرف الرابح مسألة لا تهمهم إطلاقًا. فهم مدركون أن تغير الحاكم يعني ببساطة أنهم سيؤدون العمل نفسه، كما كانوا يؤدونه، للسادة الجدد الذين يعاملونهم بنفس أسلوب معاملة السادة السابقين. والعمالّ الأفضل حالًا قليلًا، الذين نسميهم "البرولز"، لا يتصورون الحرب إلا بشكل متقطع. فعند الضرورة يمكن دفعهم إلى نوبات الخوف والكراهية، لكن عند تركهم لحالهم، يمكنهم النسيان لفترات طويلة أن الحرب دائرة. ولا يوجد الحماس الحقيقي للحرب إلا داخل صفوف الحزب، داخل صفوف الحزب الداخلي. والإيمان الأرسخ بفكرة غزو العالم يعتنقه مَن يعرفون أنه مستحيل. هذا الربط الفريد بين الأضداد- المعرفة والجهل، الشك والتعصب- هو إحدى السمات الأساسية المميزة للمجتمع الأوشيني. والأيديولوجيا الرسمية زاخرة بالتناقضات، حتى مع غياب أي سبب عملي لها. ومن ثم، فالحزب يرفض ويكذب كل مبدأ كانت تنهض عليه الحركة الاشتراكية في الأصل، ويختار فعل هذا باسم الاشتراكية. إنه يدعو إلى ازدراء الطبقة العاملة بشكل غير مسبوق في القرون السابقة، ويختار لأعضائه زيًا رسميًا كان- في فترةٍ ما- خاصًا بالعمال اليدويين، وتم تبنيه لهذا السبب. إنه يقوض بشكل ممنهج تماسك الأسرة، ويسمي قائده باسم لصيق الصلة بالولاء الأسري. حتى أسماء الوزارات الأربع التي تحكمنا تقدم نوعًا من الصفاقة في قلبها المتعمد للحقائق. فوزارة السلام معنية بالحرب، ووزارة الحقيقة بالأكاذيب، ووزارة الحب بالتعذيب، ووزارة الوفرة بالموت جوعًا. هذه التناقضات ليست عارضة، إنما هي نتيجة لحالة النفاق العامة. هي تمارين متعمدة في الـ **تفكير مزدوج**.

إذ أن السبيل الوحيد للاحتفاظ بالسلطة بصورة لا نهائية هو التوفيق بين المتناقضات. وما من سبيل آخر لكسر الحلقة القديمة. وإذا كان المطلوب تفادي المساواة بين البشر إلى الأبد– إذا ما أراد "الأعلى"، كما نسميهم، الاحتفاظ بمكانتهم دائمًا– فلابد إذن أن يكون الظرف الذهني السائد هو الجنون المحكوم.

لكن هناك سؤالًا واحدًا قمنا بتجاهله حتى اللحظة: لماذا ينبغي تفادي المساواة بين البشر؟ وبافتراض أننا وصفنا آليات العملية بالشكل الصحيح، فما الدافع على هذا الجهد الهائل، المخطط له بدقة، من أجل تجميد التاريخ عند لحظة بعينها؟

هنا نصل إلى السر المركزي. وكما رأينا، فغموض الحزب، والحزب الداخلي بالأساس، يعتمد على **التفكيرمزدوج**. لكن أعمق من هذا يكمن الدافع الأصلي، الغريزة التي لم تُساءل أبدًا والتي أدت في البداية إلى الاستيلاء على السلطة والإتيان بـ**التفكيرمزدوج**، وشرطة الأفكار، والحرب الدائمة، وكل الأدوات الضرورية الأخرى إلى الوجود فيما بعد. قوام هذا الدافع هو..

أدرك وينستون الصمت، كما يدرك المرء وجود صوت جديد. كان يبدو له أن جوليا ساكنة للغاية منذ فترة. كانت راقدة على جنبها، عارية من الخصر إلى أعلى، وجنتها تتوسد يدها، وخصلة داكنة من الشعر تتدلى على عينيها. كان صدرها يعلو ويهبط بانتظام وبطء.

"جوليا".

لا تجيب.

"جوليا، هل أنت مستيقظة؟"

لا مجيب. كانت نائمة. أغلق الكتاب، وضعه بحرص على الأرضية، وتمدد، وجذب اللحاف فوقهما.

فكَّر في أنه ما يزال لا يعرف السر الجوهري. فَهِم **كيف**؛ ولم يفهم **لماذا**. فالفصل الأول، مثل الفصل الثالث، لم يخبره حقًّا بأي شيء لا يعرفه، إنما نسَّق له المعرفة التي كان يمتلكها بالفعل. لكن بعد قراءته أدرك بأفضل مما قبل أنه لم يكن مجنونًا. فأن تكون ضمن أقلية، أقلية قوامها شخص واحد حتى، لا يجعل منك مجنونًا. فهناك الحقيقة وهناك اللاحقيقة، وإذا ما تشبثت بالحقيقة، ولو ضد العالم أجمع، فلن تكون مجنونًا. دخل شعاع أصفر من الشمس الغاربة خلال النافذة، وسقط على الوسادة. أغمض عينيه. الشمس الساقطة على وجهه، وجسد الفتاة الناعم الذي يلامس جسده، منحه شعورًا قويًّا، ناعسًا، واثقًا. كان آمنًا، وكل شيء على ما يرام. راح في النوم، وهو يغمغم "السلامة العقلية ليس رقمية"، مع الإحساس بأن هذه الملاحظة تحمل في طياتها حكمة عميقة.

*****

عندما أفاق من النوم أحس بأنه نام فترة طويلة، لكن نظرة على ساعة

الحائط العتيقة أخبرته بأن الساعة الثالثة والعشرين لا أكثر. رقد ناعسًا لبرهة، ثم تصاعد الغناء المنبعث من أعماق الصدر من الفناء تحته:

**لم يكن سوى خيال بلا أمل.**
**مرَّ كيوم من أبريل،**
**لكنهم استثارُوا نظرة وكلمة وأحلامًا !**
**خطفوا منّي الفؤاد !**

كان يبدو أن الأغنية الحمقاء قد احتفظت بشعبيتها. فما تزال تسمعها في كل مكان. لقد عمَّرت أكثر من "أغنية الكراهية". أفاقت جوليا من النوم على الصوت، وراحت تتمطى في ترف، ونهضت من الفراش.

"أنا جائعة"، قالت. "فلنُعد بعض القهوة. اللعنة! انطفأت نار الموقد والماء بارد". رفعت الموقد ورجَّته. "لا يوجد به زيت".

"يمكننا الحصول على بعض الزيت من العجوز تشارنجتن، فيما أظن".

"الغريب أني حرصت على أن يبقى ممتلئًا. سوف أرتدي ثيابي"، أضافت. "يبدو أن الطقس أصبح أبرد".

نهض وينستون بدوره ليرتدي ثيابه. مضى الصوت الذي لا يكل ولا يمل في الغناء:

**يقولون الزمن يسرق كل شيء،**
**لكن يقولون إنك يمكن دائمًا أن تنسى.**

**أما البسمات والدموع على مر السنين**
**فهي مع ذلك تعتصر نياط قلبي!**

وهو يربط حزام الأوفرول على خصره خطا إلى النافذة. لابد أن الشمس قد انحدرت فيما وراء البيوت؛ لم تعد ترسل ضياءها على الفناء. كان بلاط الأرض مبتلاً وكأنه غُسل لتوه، وكان لديه الإحساس بأن السماء قد غُسلت بدورها، نضرة وشاحبة كانت الزرقة فيما بين المداخن. تروح المرأة وتغدو بلا كلل، تكبح نفسها وتنطلق، تغني وتصمت، تأتي بالمزيد من الحفاضات وتعلقها، والمزيد والمزيد. تساءل إن كانت تكسب رزقها من الغسيل أم أنها عبدة لعشرين أو ثلاثين حفيدًا. جاءت جوليا إليه ووقفت إلى جانبه؛ راحا يحدقان معًا إلى خارج النافذة بنوع من الافتتان إلى السيدة الضخمة تحتهما. وهو ينظر إلى المرأة بسلوكها المميز، وساعداها السمينان ممدودان عاليًا إلى الحبل، وعجيزتها القوية الشبيهة بعجيزة المهر بارزة، خطر بباله وقتها للمرة الأولى أنها جميلة. لم يخطر له من قبل قط أن جسد سيدة في الخمسين، وقد انتفخ هكذا إلى أبعاد هائلة بسبب الحمل، ثم تصلب واخشوشن من العمل إلى أن سطحه خشنًا كلِفتة عجوز، يمكن أن يكون جميلًا. لكنه كان هكذا، وعلى كل حال- فكر- لمَ لا؟ فالجسد الصلب، بلا انحناءات، ككتلة من الجرانيت، والجلد الأحمر الفظ، على علاقة بجسد الفتاة كعلاقة ثمرة الوردة بالوردة. فلماذا ينبغي أن تكون الثمرة في مرتبة أدنى من الوردة؟

غمغم: "إنها جميلة".

قالت جوليا: "عرضها من الخصر لا يقل عن المتر".

قال وينستون: "هذا هو نهجها في الجمال".

أمسك بجوليا من الخصر اللدن، وأحاطه بذراعه بسهولة. التصقت بجسده من الردفين إلى الركبتين. لن يخرج من جسديهما أطفال ذات يوم. هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يمكنهما أبدًا القيام به. بكلمة من الفم، من العقل للعقل، يمكنهما تمرير السر. والمرأة هناك في الأسفل ليس لها عقل، ليس لها أكثر من ذراعين قويتين وقلب دافئ، وبطن خصيب. تساءل عن عدد الأطفال الذين ولدتهم. قد لا يقل العدد عن خمس عشر طفلًا. وكان لها- لعام، ربما- الازدهار العابر لجمال زهرة برية، ثم انتفخت فجأةً كثمرة مخصبة، وأصبحت متصلبة وحمراء وخشنة، ثم أمضت حياتها في الغسيل، وتنظيف الأرضية، والطهي، والمسح، وتلميع الأثاث، ورتق الثياب، وغسل الثياب، للأطفال أولًا، ثم للأحفاد، على مدار أكثر من ثلاثين عامًا بلا انقطاع. وفي النهاية ما تزال تغني. كان الاحترام المبهم الذي أحسه تجاهها ممزوجًا- على نحوٍ ما- بمرأى السماء الشاحبة، بلا غيوم، الممتدة بعيدًا من وراء المداخن إلى البُعد اللامتناهي. كان غريبًا أن يفكر أن السماء واحدة للجميع، في أوراسيا وإيستاسيا وهنا. والناس تحت السماء متشابهون كثيرًا- ففي كل مكان، في كل أنحاء العالم، مئات آلاف الملايين هكذا، ناس يجهلون وجود بعضهم البعض، تفرقهم جدران الكراهية والأكاذيب، ومع ذلك فهم متماثلون في الوقت نفسه- ناس لم يتعلموا التفكير أبدًا، بل يخزنون في قلوبهم وبطونهم وعضلاتهم الطاقة التي ستقلب العالم يومًا رأسًا على عقب. وإذا ما كان هناك أمل، فهو يكمن في البرولز! ودون أن يقرأ خاتمة الكتاب،

كان يعرف أن هذه لا بد أن تكون رسالة جولدشتاين الأخيرة. فالمستقبل للبرولز. فهل يمكن له التأكد من أن زمنهم حين يحل، لن يكون العالم الذي سيبنونه غريبًا عليه تمامًا، هو وينستون سميث، شأن عالم الحزب؟ نعم. لأنه- على الأقل- سيكون عالم السلامة العقلية. ستكون هناك مساواة، وستكون هناك عقلانية. وعاجلًا أو آجلًا سيحدث هذا، ستتغير القوة إلى وعي. والبرولز خالدون، لا شك يراودك في هذا حين تنظر إلى تلك المرأة الشجاعة في الفناء. في النهاية ستحين يقظتهم. وإلى أن يحدث هذا، رغم أنه قد يحدث بعد ألف سنة، فسوف يبقون على قيد الحياة في مواجهة كل الظروف، كالعصافير، يمررون من جسد إلى جسد الحيوية التي لم يشاركهم الحزب فيها، ولم يتمكن من قتلها.

قال: "هل تذكرين الطائر الذي غرد لنا، في ذلك اليوم الأول، عند طرف الغابة؟"

قالت جوليا: "لم يكن يغني لنا. كان يغني ليسلي لنفسه. ولا هذا حتى. كان يغني لا أكثر".

غردت الطيور، غرد البرولز. لم يغرد الحزب. في جميع أنحاء العالم، من لندن إلى نيويورك، من أفريقيا إلى البرازيل، وفي الأراضي الغامضة المحظورة فيما وراء الحدود، في شوارع باريس وبرلين، في قرى السهول الروسية اللامتناهية، في أسواق الصين واليابان- في كل مكان كان ينتصب نفس القوام الصلب الذي لا يمكن قهره أبدًا، وقد أصبح حوشيًا بفعل العمل والإنجاب، كادحًا من المولد إلى الممات، وما يزال يغني. من هذه الأعضاء

الجنسية الجبارة لابد أن يأتي يومًا جنس من البشر الواعين. أنتم الموتى، والمستقبل ملكهم. لكن يمكنك مشاركتهم في المستقبل إذا ما أبقيت العقل حيًا مثلما يبقون الجسد حيًّا، وقمت بتمرير العقيدة السرية بأن اثنين زائد اثنين تساوي أربعة.

قال: "نحن الموتى".

رددت جوليا من واقع الإحساس بالواجب: "نحن الموتى".

"أنتم الموتى"، قالها صوت حديدي من ورائهما.

هبًّا متباعدين. بدا أن أحشاء وينستون قد تحولت إلى ثلج. كان بمقدوره رؤية البياض حول حدقتي عيني جوليا. أصبح وجهها أصفر شاحبًا. وبقعة الأحمر التي كانت ما تزال على كل خد كانت تبدو ناتئة بحدة، تقريبًا كأنها لا صلة لها بالجلد.

"أنتم الموتى"، كررها الصوت الحديدي.

همست جوليا: "إنه وراء اللوحة".

قال الصوت: "إنه وراء اللوحة. فلتبقيا حيثما أنتما تمامًا. لا حركة واحدة إلى أن يوجه إليكما الأمر".

بدأنا، بدأنا أخيرًا! لم يكن بوسعهما أي شيء سوى الوقوف محدقين في بعضهما البعض. أن يهربا بحياتهما، أن يخرجا من البيت قبل فوات الأوان- فهذه فكرة لم تخطر لهما. لا تفكير في عصيان الصوت الحديدي المنبعث من

الجدار. سمعا صوتًا حادًّا كأن مزلاجًا قد انفتح، ثم صوت تهشم زجاج. سقطت اللوحة على الأرضية، لتكشف عن شاشة تيليسكرين من ورائها.

قالت جوليا: "يمكنهم الآن رؤيتنا".

قال الصوت: "يمكننا الآن رؤيتكما. قفا في منتصف الحجرة. ظهرك لظهرها. ليرفع كل منكما يديه وراء رأسه. لا تتلامسا".

لم يتلامسا، لكن بدا له أنه يشعر بجسد جوليا ينتفض. أو ربما كان انتفاض جسده هو. تمكن بصعوبة من السيطرة على اصطكاك أسنانه، لكن ركبتيه كانتا خارج سيطرته. كان ثمة صوت الأحذية العسكرية في الأسفل، داخل البيت وخارجه. بدا أن الفناء ممتلئ بالرجال. كان ثمة شيء تتم جرجرته على الأحجار. توقف غناء المرأة فجأة. ثم دوت قعقعة طويلة رنانة، كأن الحوض قد أطيح به عبر الفناء، ثم خليط من الصيحات الغاضبة التي انتهت بصرخة ألم. -

قال وينستون: "البيت محاصر".

قال الصوت: "البيت محاصر".

سمع جوليا تطبق أسنانها. قالت: "أعتقد أن أوان الوداع قد حان".

قال الصوت: "أوان الوداع قد حان". ثم صوت آخر مختلف تمامًا، صوت رفيع، مثقف، أحس وينستون بأنه سمعه من قبل: "وبالمناسبة، ونحن بصدد الموضع، "ها هي شمعة تضيء لك طريقك إلى السرير، وها هو منجل ليقطع

رأسك!"

تحطم شيءٌ ما على السرير وراء ظهر وينستون. تم إقحام طرف سلم عبر النافذة، وقد اخترق إطارها. هناك مَن يتسلق ليدخل من النافذة. وكان ثمة وقع أحذية عسكرية أعلى السلَّم. أصبحت الحجرة ممتلئة برجال أشداء في زيهم الأسود، وأحذية عسكرية تلتمع كالحديد في أقدامهم وهراوات في أيديهم.

توقف وينستون عن الارتعاد. حتى عينيه، كان يحركهما بالكاد. ثمة شيء واحد مهم: البقاء ثابتًا، البقاء ثابتًا وعدم منحهم المبرر لضربك! رجلٌ له فك شبيه بفك المصارعين المحترفين، وفمه فيه لا يزيد عن شق نحيل، توقف قبالته وهو يؤرجح هراوته في تفكير بين إبهامه وسبابته. واجه وينستون عينيه. إحساس بالعُري- ويد وراء الظهر والوجه والجسده مكشوفان تمامًا- يكاد لا يحتمل. أخرج الرجل طرف لسان أبيض، لعق المكان الذي يفترض أن تكون شفتاه فيه، ثم تحرك. كان ثمة دوي جديد. هناك مَن أمسك بثقالة الورق الزجاجية من على المائدة وهشمها على المدفأة الحجرية.

تدحرجت على الأرض شظية المرجان، حبة ضئيلة من اللون القرمزي كحبّة سكر انفصلت عن كعكة. خطر لوينستون كم هي صغيرة، كم كانت دائمًا صغيرة! كان ثمة شهقة وصوت ضربة مكتومة من خلفه، وتلقى ركلة عنيفة على كاحله كادت تفقده توازنه. ضرب أحد الرجال جوليا في بطنها بقبضته ضربة عنيفة، فالتوت كمسطرة للجيب. كانت تتقلب على الأرض، تشهق بحثًا عن نفَس. لم يجرؤ وينستون على الالتفات برأسه ولو

بملليمتر واحد، لكن أحيانًا ما كان وجهها اللاهث المزرق يدخل في مجال بصره. حتى في رعبه، كان كأنه يشعر بالألم الذي يحس به جسدها، الألم القاتل الذي كان رغم هذا أقل أهمية من نضالها لالتقاط أنفاسها. كان يعرف بم تشعر؛ الألم المرعب المدمر المعذِّب، الذي كان موجودًا دائمًا لكنك لا يمكنك أن تعانيه بعد، لأن المهم قبل أي شيء أن تتمكن من التنفس. ثم رفعها رجلان من ركبتيها وكتفيها، وحملاها إلى خارج الحجرة كأنها جوال. لمح وينستون وجهها، مقلوبًا، مصفرًّا وملتويًا، وعيناها مغمضتان، وما يزال ببقعة الأحمر على خديها، وكانت تلك آخر مرة يراها فيها.

وقف ثابتًا تمامًا. لم يضربه أحد بعد. الأفكار التي راودته من تلقاء ذاتها ويبدو أنها غير مهمة على الإطلاق بدأت تعبر بعقله متلاحقة. تساءل إن كانوا قد قبضوا على السيد تشارنجتن. تساءل عما فعلوا بالسيدة في الفناء. لاحظ أنه يريد التبول بشدة، وأحس بدهشة خفيفة، لأنه تبول قبل ساعتين أو ثلاث لا أكثر. لاحظ أن الساعة على المدفأة تقول التاسعة، أي الواحدة والعشرين. لكن الضوء بدا مبهرًا للغاية. ألا يخفت الضوء في الساعة الحادية والعشرين في مساء أغسطس؟ تساءل إن كان قد أخطأ تقدير الوقت هو وجوليا- ربما ناما يومًا كاملًا وكانا يحسبان الساعة العشرين والنصف، فيما كانت في الواقع الثامنة والنصف في الصباح التالي. لكنه لم يسترسل في فكرته. لم تكن مهمة.

ثم سمع خطوة أخرى، أخف، في الردهة. دخل السيد تشارنجتن الحجرة. فجأة أصبح سلوك الرجال ذوي الزي الأسود أكثر خضوعًا. شيءٌ ما في مظهر

السيد تشارنجتن تغير أيضًا. سقطت عيناه على شظايا ثقالة الورق الزجاجية.

قال في حدة: "اجمعوا هذه الشظايا".

انحنى أحد الرجال مطيعًا. اختفت لهجته اللندنية الدافئة؛ فجأة أدرك وينستون صوت مَن هو الذي سمعه منذ لحظات على التيليسكرين. كان السيد تشارنجتن ما يزال يرتدي معطفه القطيفة القديم، لكن شعره، الذي كان أبيض بالكامل تقريبًا، أصبح فاحمًا. كما أنه لم يكن يضع عويناته. رمق وينستون بنظرة واحدة حادة، كأنه يتحقق من هويته، ثم لم يعره اهتمامًا. كان ما يزال بإمكانه تبين أنه السيد تشارنجتن، لكنه لم يعد الشخص نفسه. استقام جسده، وبدا كأنه ازداد ضخامة. طرأت على وجهه تغييرات صغيرة حولته مع ذلك إلى شخص آخر تمامًا. أصبح حاجباه الأسودان أقل كثافة، ذهبت التجاعيد، وكأن خطوط وجهه تبدلت كلها؛ حتى الأنف بدا أقصر. كان وجه رجل منتبه، بارد، في الخامسة والثلاثين تقريبًا. خطر لوينستون أنه للمرة الأولى في حياته ينظر، عن معرفة، إلى أحد أعضاء شرطة الأفكار.

# الجزء الثَّـــالث

# الفصــل الأوَّل

لم يكن يعرف أين هو. المفترض أنه في وزارة الحب، لكن لا سبيل للتأكد. كان في زنزانة عالية السقف، بلا نوافذ، جدرانها تلتمع بالبورسلين الأبيض. كانت مصابيح مخفية تغمرها بنور بارد، وصوت مهمهم منتظم افترض أن له علاقة بالتهوية. ثمة دكة، أو رف، بمساحة تكفي بالكاد للجلوس عليها، على امتداد الجدار، لا يقطعها سوى الباب، وعند الطرف المقابل للباب، حوض غسيل بلا مقعد خشبي. وكانت هناك أربع شاشات تيليسكرين، واحدة على كل جدار.

أحس بألم بليد في بطنه. يعانيه منذ كوموه في الشاحنة المغلقة ومضوا به مبتعدين. لكنه كان جائعًا أيضًا، نوع من الجوع قاضم ومزعج. ربما مرت أربع وعشرين ساعة منذ أكل لآخر مرة، وربما ست وثلاثين ساعة. ما يزال لا يعرف، ربما لن يعرف أبدًا، ما إن كان الوقت صباحًا أم مساءً عندما

قبضوا عليه. لم يأكل منذ تم القبض عليه.

جلس ثابتًا قدر المستطاع على الدكة الضيقة، ويداه منعقدتان على ركبته. كان قد تعلم الجلوس بثبات. فإذا بدرت عنك أية حركة غير متوقعة يصيحون فيك من التيليسكرين. لكن الجوع إلى الطعام كان يزداد. أكثر ما كان يهفو إليه هو كسرة خبز. كان يعرف أن في جيب الأوفرول بعضًا من فتات الخبز. بل كان من الممكن– وقد خطرت له هذه الفكرة لأن شيئًا ما كان يخبط ساقه بين الحين والحين– أن يكون في جيبه كسرة خبز لا بأس بحجمها. وفي النهاية غلب هذا الإغواء خوفه، فتسللت يده إلى جيبه.

"سميث!" صرخ صوت من التيليسكرين. "6079 سميث و.! الأيدي تبقى خارج الجيوب في الزنازين!"

جلس ثابتًا من جديد، يداه منعقدتان على ركبته. قبل المجيء به إلى هنا أخذوه إلى مكان آخر، لعله كان سجنًا عاديًا أو محبسًا مؤقتًا تستخدمه الدوريات. لم يعرف كم مر عليه هناك، ساعات على كل حال، دون ساعة أو نور النهار، فمن الصعب تقدير الوقت. كان مكانًا صاخبًا، كريه الرائحة. وضعوه في زنزانة مماثلة للتي يجلس فيها الآن، لكن قذرة للغاية، ومكتظة في كل الأوقات بعشرة أو خمسة عشر شخصًا. أغلبهم كانوا مجرمين عاديين، لكن بينهم قلة من السجناء السياسيين. جلس صامتًا لصق الجدار هناك، تحتك به أجساد قذرة، مشغولًا للغاية بالخوف والألم في معدته عن الاهتمام بالنظر لما حوله، لكنه يلاحظ الاختلاف المدهش بين سلوك سجناء الحزب والسجناء الآخرين. فسجناء الحزب دائمًا صامتون ومرعوبون، لكن

المجرمين العاديين كان يبدو عليهم أنهم لا يبالون بأحد. كانوا يكيلون السباب للحراس، ويتشاجرون بشراسة عند مصادرة متعلقاتهم، ويكتبون على الأرض كلمات نابية، ويأكلون طعامًا مهربًا أخرجوه من مخابئ غامضة في ثيابهم، بل يصيحون في التيليسكرين عندما تحاول استعادة النظام. وعلى الجانب الآخر، بدا أن بعضهم على صلات طيبة بالحراس، ينادون عليهم بكنياتهم، ويحاولون تهريب السجائر من ثقب التجسس في الباب. الحراس بدورهم كانوا يعاملون المجرمين العاديين بنوع الصبر، حتى عندما كانوا يضطرون للتعامل معهم بخشونة. كان هناك كلام كثير عن معسكرات الأشغال الشاقة المتوقع إرسال أغلب السجناء إليها. كانت الحياة في المعسكرات "لا بأس بها"، كما تبين، طالما أن لديك معارف، وتعرف كيف تتصرف. بها رشوة ومحسوبية وفساد من كل لون، كان هناك المثلية الجنسية والدعارة، بل حتى الكحول المهرب،المقطر من البطاطس. وكانت المهام التي تحتاج للثقات تُعطى للمجرمين العاديين، لا سيما رجال العصابات والقتلة، الذين كانوا يشكلون أرستقراطية ما. وكل المهام القذرة تُعطى للسياسيين.

كان السجناء من كل صنف يروحون ويجيئون باستمرار: تجار المخدرات، اللصوص، رجال العصابات، تجار السوق السوداء، المخمورون، المشتغلون بالدعارة. كان بعض المخمورين يتسمون بالعنف لدرجة أن السجناء الآخرين كانوا يضطروا للتعاون على قمعهم. وسيدة ضخمة، محطمة، في نحو الستين، بثديين عظيمين متكومين على صدرها، ولفافات سميكة من شعرها الأبيض الذي تهدل في مقاومتها، قام أربعة حراس بإدخالها الزنزانة، وهي تركل



م ۱۱ - ۱۹۸٤ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

وتصرخ، وكل واحد يمسك بها من أحد أطرافها. خلعوا فردتي الحذاء الذي كانت تحاول ركلهم به، ورموا بها على حِجر وينستون، فكادوا يحطمون عظام فخذه. نهضت المرأة معتدلة وتابعتهم وهم يخرجون بشتائمها: "يا أولاد الحرام يا خ.!" آنئذٍ، إذ لاحظت أنها جالسة على شيء غير مستوٍ، انزلقت عن ركبتي وينستون إلى الدكة.

قالت: "لا مؤاخذة، يا حبي! ما كنت لأجلس عليك، لكن ولاد الحرام هم من وضعوني هنا. لا يعرفون كيف يعاملون سيدة، أليس كذلك؟" سكتت، ربتت على ثديها، وتجشأت. "عفوًا. لا أعرف ماذا جرى لي".

مالت إلى الأمام، ثم تقيأت بغزارة على الأرض.

قالت، وهي تتراجع للخلف بعينين مغمضتين: "هكذا أفضل. لا تبقها داخلك أبدًا، هذا رأيي. رجِّعها وهي ما تزال طازجة في بطنك".

كانت تتعافى، استدارت لتلقي نظرة أخرى على وينستون، وبدا كأنها أعجبت به فورًا. وضعت ذراعًا هائلة حول كتفه وقرَّبته منها، وهي تتنفس البيرة والقيء في وجهه.

قالت: "ما اسمك، يا حبي؟"

قال وينستون: "سميث".

قالت المرأة: "سميث؟ عجيبة. اسمي سميث أيضًا". أضافت في رقة: "ربما كنت أمك".

خطر لوينستون أنها ربما تكون أمه. كانت في نحو العمر والهيئة البدنية الصحيحة، ومن المحتمل أن الناس قد يتغيرون- على نحوٍ ما- بعد عشرين عامًا في معسكرات الأشغال الشاقة.

لم يكلمه أحد غيرها. كان المجرمون العاديون يتجاهلون سجناء الحزب لدرجة مدهشة. أسموهم "بتوع السياسة"، بنوع من الازدراء اللامبالي. كان سجناء الحزب يبدون مرعوبين من الكلام مع أي أحد، والأهم من الكلام مع بعضهم البعض. مرة واحدة فقط، حين كانت هناك سيدتان من أعضاء الحزب، متلاصقتين على الدكة، سمع من وسط صخب الأصوات كلمات هامسة قليلة منهما؛ وخاصة إشارة إلى شيء يُدعى "الحجرة مائة وواحد"، ولم يفهم.

ربما مرت ساعتان أو ثلاث ساعات منذ أتوا به إلى هنا. الألم البليد في بطنه لم يتركه أبدًا، لكنه يخف أحيانًا ويزيد أحيانًا، وأفكاره مع درجة الألم تتسع أو تضيق. عندما كان الألم يزداد لم يكن يفكر إلا في الألم ذاته، ورغبته في الطعام. وعندما يخف، يسيطر عليه الذعر. مرت لحظات تخيل فيها ما سيحدث له بشكل ملموس لدرجة أن قلبه كان يركض بقوة وتحتبس أنفاسه. أحس بضرب الهراوات على مرفقيه والجزمة العسكرية الملتمعة بالحديد على ذقنه؛ رأى نفسه يزحف على الأرض، يصرخ طالبًا الرحمة من بين أسنان مهشمة. فكر بالكاد في جوليا. لم يكن بمقدوره تركيز فكره عليها. كان يحبها ولن يخونها؛ لكن هذه حقيقة لا أكثر، يعرفها كما يعرف مبادئ علم الحساب. لم يشعر بالحب نحوها، وبالكاد تساءل عما يحدث لها.

فكر في أوبريان أكثر، بأمل يومض. قد يعرف أوبريان أنه تم القبض عليه. الأخوية، كما قال، لم تحاول يومًا إنقاذ أعضائها. لكن كانت هناك شفرة الحلاقة؛ قد يرسلون إليه شفرةً إن استطاعوا. وقد تمر خمس ثوانٍ قبل أن يهرع الحارس للزنزانة. ستعضه الشفرة بنوع من البرودة الحارقة، وحتى الأصابع التي كانت ممسكة بها ستُقطع حتى العظام. كل شيء كان يعود إلى جسده المريض، الذي كان يرتجف من أقل ألم. لم يكن واثقًا من أنه سيستخدم الشفرة حتى إذا أتيحت له الفرصة. كان الطبيعي أكثر بالنسبة إليه أن يعيش لحظة بلحظة، متقبلًا الحياة لمدة عشر دقائق إضافية بيقين من يعرف بوجود التعذيب عند نهاية هذه المدة.

في بعض الأحيان حاول عدّ بلاطات البورسلين في جدران الزنزانة. كان لها أن تكون مسألة سهلة، لكنه دائمًا ما كان يختلط عليه العدد عند نقطة أو أخرى. والأكثر، أنه راح يتساءل أين هو، وأي وقت من اليوم هو. في لحظةٍ ما أحس بشكل يقيني بأن الخارج في وضح النهار، وفي اللحظة التالية كان يوقن أيضًا أنه الظلام الدامس. في هذا المكان، كان يعرف بشكل غريزي، فالأنوار لا تُطفأ أبدًا. هو المكان الذي لا ظلام فيه: كان يرى الآن لماذا بدا أن أوبريان قد أدرك المجاز. لا نوافذ في وزارة الحب. قد تكون زنزانته في قلب المبنى، أو لصق جداره الخارجي؛ قد تكون تحت الأرض بعشر طوابق، أو فوق الأرض بثلاثين طابقًا. راح يتحرك في خياله من مكان إلى مكان، وكان يحاول أن يتبين من إحساس جسده ما إن كان جاثمًا في الهواء أو مدفونًا عميقًا تحت الأرض.

سمع صوت الجزم العسكرية المارة بالخارج. انفتح الباب الحديدي بقرقعة. ثمة ضابط شاب متأنق، يرتدي الزي الرسمي الأسود، بدا ملتمعًا بكامله في ثيابه الجلدية الصقيلة، ووجهه الشاحب مستقيم القسمات كان يشبه قناعًا من الشمع، دخل برشاقة. أشار للحراس بالخارج أن يأتوا بالسجين الذي كان معهم. دخل الشاعر أمبلفورث متثاقلًا إلى الزنزانة. أوصد الباب من خلفه مقرقعًا.

تقدم أمبلفورث خطوة أو خطوتين مترددتين من جانب إلى جانب، كأن عنده فكرة عن وجود باب آخر للخروج، ثم بدأ يجول في الزنزانة هنا وهناك. لم يلحظ بعد وجود وينستون. كانت عيناه القلقتان تحدقان في الجدران، فوق مستوى رأس وينستون بمتر. كان حافي القدمين؛ أصابع قدميه الضخمة القذرة كانت تبرز من ثقوب جوربه. لم يكن قد حلق ذقنه أيضًا منذ أيام. كانت تغطي وجهه حتى الوجنتين لحية خفيفة قذرة، أعطته طابع الهمجية، الذي بدا غريبًا مع جسده الضخم الهزيل وحركاته العصبية.

حمل وينستون نفسه على الخروج قليلًا من ثباته. لابد أن يكلم أمبلفورث، ويخاطر بتلقي صيحة من التيليسكرين. بل ربما كان أمبلفورث هو الآتي بالشفرة.

قال: "أمبلفورث".

لم يسمع صيحة من التيليسكرين. توقف أمبلفورث، مندهشًا إلى حدٍّ ما. تركزت عيناه ببطء على وينستون.

قال: "آه، سميث! أنت أيضًا!"

"لم أنت هنا؟"

جلس على الدكة المواجهة لوينستون في وضع غير مريح: "أقول لك الحق، لا توجد إلا جريمة واحدة، أليس كذلك؟"

"وهل ارتكبتها؟"

"يبدو أنني ارتكبتها".

وضع يده على جبينه، وضغط على صدغه للحظة، كأنه يحاول تذكر شيء ما.

قال في غموض: "هذه الأشياء تحدث. يمكنني تذكر حالة واحدة- حالة محتملة. كان حمقًا مني، لا شك في هذا. كنا نعكف على إصدار الطبعة النهائية لأشعار كيبلنج. سمحت ببقاء كلمة "الرب" في نهاية أحد الأبيات. لم أقدر مقاومتها!" أضاف العبارة الأخيرة فيما يشبه السخط، ورفع وجهه لينظر إلى وينستون: "كان من المستحيل تغيير البيت. كانت القافية "قلب/رب". هل تعرف أنه لا توجد كلمات تتفق قافيتها في اللغة كلها مع "قلب/رب" سوى اثنتي عشر كلمة؟ على مدار أيام كنت أُعمل فكري. لم تكن هناك كلمة أخرى مناسبة".

تغير تعبير وجهه. راح عنه الاستياء للحظة، وبدا عليه ما يشبه السرور. نوعٌ من دفء المثقفين، بهجة المثقف المتحذلق الذي عثر على حقيقة لا نفع

لها، كانت تشع من وجهه القذر وشعره الهزيل.

قال: "هل خطر لك يومًا أن تاريخ الشعر الإنجليزي كله تحدّه حقيقة أن اللغة الإنجليزية تفتقر إلى القوافي؟"

لا، لم تخطر لوينستون هذه الحقيقة أبدًا. ولم يرها مهمة أو مدهشة في هذه الظروف.

قال: "هل تعرف في أي وقت من اليوم نحن الآن؟"

بدا أمبلفورث متفاجئًا من جديد: "لم أفكر في هذا الأمر كثيرًا. قبضوا عليّ- ربما قبل يومين- أو ثلاثة". مرت عيناه سريعًا على الجدران، كأنه كان يتوقع أن يعثر على نافذة هنا أو هناك. "لا فارق بين الليل والنهار في هذا المكان. لا أرى كيف يمكن حساب الوقت هنا".

تحدثا على غير هدى لدقائق، ثم- دون سبب ظاهر- أمرتهما صيحة من التيليسكرين بالتزام الصمت. جلس وينستون في هدوء، يداه معقودتان. وأمبلفورث، الأضخم من أن يجلس براحة على الدكة الضيقة، راح يتقلب من جانب إلى جانب، يضع يده النحيلة على ركبة، ثم على الأخرى. نبحت فيه التيليسكرين أن يجلس بثبات. مر الوقت. عشرون دقيقة، ساعة- من الصعب المعرفة. ومرة أخرى، سُمع وقع الأحذية في الخارج. أحس وينستون بأمعائه تتقلص. قريبًا، قريبًا جدًا، ربما بعد خمس دقائق، وربما الآن، يعني وقع الأقدام المقتربة أن دوره قد حان.

انفتح الباب. دخل إلى الزنزانة الضابط الشاب ذو الوجه البارد. بحركة

صغيرة من يده أشار إلى أمبلفورث.

قال: "الحجرة 101".

مشى أمبلفورث في خراقة بين الحراس، وجهه مضطرب قليلًا لكن لا يبدو عليه الفهم.

مرت ما يبدو أنها فترة طويلة. عاد الألم إلى بطن وينستون. راح عقله يدور في حلقة مفرغة، ككرة تسقط مرة تلو المرة في نفس الدائرة. لم تخطر له سوى ست أفكار: الألم في بطنه؛ كسرة خبز؛ الدم والصراخ؛ أوبريان؛ جوليا؛ الشفرة. ثم أحس بمغصة أخرى في أمعائه، كانت الأحذية العسكرية الثقيلة تقترب. ما إن انفتح الباب حتى دخلت موجة من الهواء مصحوبة برائحة عرق بارد قوية. دخل بارسونز إلى الزنزانة. كان يرتدي السروال القصير الكاكي والقميص الرياضي.

هذه المرة أحس وينستون بدهشة أنسته حاله.

قال: "أنت! هنا؟"

رمى بارسونز وينستون بنظرة خلو من الاهتمام و الدهشة، بل بالتعاسة لا أكثر. بدأ يسير مترنحًا ذهابًا وإيابًا، غير قادر- فيما يبدو- على الهدوء. كل مرة كان يشد فيها ساقيه القصيرتين كان يظهر أنهما ترتعش. ارتسمت في عينيه نظرة تحديق ودهشة، كأنه لا يمكنه منع نفسه عن التحديق في شيء ما على مسافة وسيطة.

قال وينستون: "لم أنت هنا؟"

قال بارسونز بصوت سريع: "جريمةتفكير!". كانت نبرة صوته تنطوي على الاعتراف الكامل بأنه مذنب- وفي نفس الوقت- على نوع من الرعب غير المصدَّق لأن تنطبق عليه كلمة كهذه. توقف قبالة وينستون وبدأ يكلمه في لهفة: "لا تعتقد أنهم سيرمونني بالرصاص، أليس كذلك، يا صديقي القديم؟ إنهم لا يرمونك بالرصاص إن لم تفعل حقًّا شيئًا ما- لا أكثر من خواطر، لا يمكنك أن توقفها؟ أعرف أنهم يتيحون محاكمة عادلة. آه، أثق في أنهم سيفعلون هذا! سيعرفون سجلي وتاريخي، أليس كذلك؟ أنت تعرف كيف كنتُ. لم أكن سيئًا بأي شكل من الأشكال. لم أكن ذكيًّا، طبعًا، لكني كنت متحمسًا. حاولت بذل قصارى جهدي من أجل الحزب، ألم أفعل؟ سأفلت بعقوبة خمس سنوات، ألا تظن هذا؟ أو حتى عشر سنوات؟ شخص مثلي يمكنه أن يكون مفيدًا في معسكر العمل. فلن يطلقوا عليَّ النار لأن أفكاري شردت ذات مرة".

قال وينستون: "هل أنت مذنب؟"

صاح بارسونز، وهو ينظر نظرة ذليلة إلى التيليسكرين: "بالطبع أنا مذنب! هل تظن أن الحزب قد يقبض على رجل بريء، هل تظن؟" هدأ وجهه الشبيه بوجه الضفدع قليلًا، بل بدت عليه آيات النفاق. قال بصورة وعظية: "جريمةالتفكير شيء رديء للغاية، يا رجل. إنها خبيثة. قد تسيطر عليك حتى دون أن تدري. هل تعرف كيف سيطرت عليَّ؟ في نومي! نعم، هذا ما حدث. كنت أعمل- محاولًا بذل قصارى جهدي- دون أن أدرك أن

في رأسي أية فكرة سوداء على الإطلاق. ثم بدأت أتحدث في نومي. هل تعرف ماذا سمعوني أردد في نومي؟"

خفض صوته، كمن يُضطر لأسباب طبيةٍ لأن يقول كلمات نابية.

"يسقط الأخ الكبير! نعم، قلت هذا! قلتها مرة تلو المرة، على ما يبدو. بيني وبينك يا صديقي القديم، فأنا سعيد أنهم أمسكوني قبل أن أتمادى. هل تعرف ماذا سأقول لهم عندما أقف أمام المحكمة؟ سأقول "شكرًا لكم، شكرًا لكم على إنقاذي قبل فوات الأوان"".

قال وينستون: "من أبلغ عنك؟"

قال بارسونز بنوع من الفخر الحزين: "ابنتي الصغيرة. كانت تتنصت من ثقب الباب. سمعت ما كنت أقوله، ووشت بي لإحدى الدوريات في اليوم التالي مباشرة. ذكية تمامًا بالنسبة لواشية في السابعة، أليست كذلك؟ لا أحمل لها أية ضغينة. الحق أنني فخور بها. فهذا يكشف أنها تتحلى بالروح القويمة، على كل حال".

بدرت عنه حركات خرقاء أخرى، وهو يذرع الحجرة جيئة وذهابًا، عدة مرات، ملقيًا بنظرة مشتاقة إلى المرحاض. ثم فجأة أنزل سرواله.

قال: "اعذرني، صديقي القديم، فأنا مضطر. إنه الانتظار، هو السبب".

وضع مؤخرته الضخمة على حفرة المرحاض. غطى وينستون وجهه بيديه.

صرخ الصوت من التيليسكرين: "6079 سميث و.! اكشف عن

وجهك. لا تُغطَّى الوجوه في الزنازين".

كشف وينستون عن وجهه. استخدم بارسونز المرحاض، في صخب وغزارة. ثم تبين أن السيفون معطل، وأن رائحة الزنزانة أصبحت لا تطاق على مدار ساعات بعدها.

تم إخراج بارسونز. جاء وذهب سجناء آخرون، بصورة غامضة. منهم امرأة أُعلن عن تسليمها إلى "الحجرة 101"، ولاحظ وينستون أن لونها تبدل وارتعدت عندما سمعت الكلمة. أصبح الوقت هو الأصيل، إذا كانوا قد أتوا به إلى هنا في الصباح؛ أما إذا كانوا قد أتوا به في الأصيل، إذن فالوقت الآن هو منتصف الليل. كان هناك بالزنزانة ستة سجناء، رجال ونساء. كانوا يجلسون جميعًا في سكون. كان يجلس قبالة وينستون رجل بلا ذقن، وجهه تبرز فيه أسنانه المدببة، بالضبط كأنه حيوان قارض ما ضخم وغير مؤذٍ. كانت وجنتاه السمينتان، المنتفختان ناتئتين في أسفلهما لدرجة أنه كان من الصعب عدم الاعتقاد بأنه يخبئ طعامًا في فمه. راحت عيناه الرماديتان الشاحبتان تدوران بتهيب من وجه إلى وجه، ثم تلتفت سريعًا بعيدًا قبل أن يبادله أحد النظر.

انفتح الباب، وتم إدخال سجين آخر بعث مظهره بارتعادة خاطفة في وينستون. كان رجلًا عادي المظهر، تبدو عليه الوضاعة، ربما كان مهندسًا أو فنيًّا من نوعٍ ما. لكن ما كان يجفل له هو نحول وجهه. كأنه جمجمة. وبسبب نحوله، كان يبدو الفم والعينان ضخامًا بلا تناسب، وتبدو العينان مفعمتين بكراهية قاتلة نهمة لشخصٍ ما أو شيءٍ ما.

جلس الرجل على الدكة، على مسافة قريبة من وينستون. لم ينظر إليه وينستون مرةً أخرى، لكن الوجه المُعذَّب الشبيه بالجمجمة كان منطبعًا في ذهنه كأنه أمام عينيه مباشرةً. فجأة أدرك ماهية الأمر. فالرجل كان يموت من الجوع. ويبدو أن الفكرة نفسها خطرتّ لكل مَن في الزنزانة في اللحظة ذاتها. أحس بحركة خفيفة للغاية على امتداد الدكة. ظلت عينا الرجل بلا ذقن تحطان على الوجه الشبيه بالجمجمة، ثم تبتعدان عنه في إحساس بالذنب، ثم تعودان إليه مرة أخرى في انجذاب لا يُقاوم. بدأ يتململ في جلسته. وأخيرًا نهض ومضى بشكل أخرق عبر الزنزانة، ووضع يده في جيب الأوفرول، و- بهيئة مرتبكة- أخرج كسرة خبز قدمها إلى الرجل ذي وجه الجمجمة.

كان ثمة زئير غاضب يصم الآذان من التيليسكرين. قفز الرجل عديم الذقن في سيره. دفع الرجل ذو وجه الجمجمة يديه سريعًا وراء ظهره، كأنه يعلن للعالم كله أنه يرفض الهدية.

دوى الصوت: "بومستيد! 2713 بومستيد ج.! ارمِ كسرة الخبز!"

أسقط الرجل عديم الذقن كسرة الخبز على الأرض.

قال الصوت: "ابق واقفًا حيث أنت. واجه الباب. لا تقم بحركة واحدة".

أطاع الرجل عديم الذقن. كانت وجنتاه المنتفختان ترتجفان بلا سيطرة منه. قرقع الباب مفتوحًا. حين دخل الضابط الشاب وخطا جانبًا، من خلفه ظهر حارس قصير ضخم الذراعين والكتفين. وقف قبالة الرجل عديم

الذقن، ثم- بعد إشارة من الضابط- سدد ضربة مخيفة، تحمل كل وزن جسده، على فم الرجل عديم الذقن مباشرة. بدا كأن الضربة من قوتها قد أطاحت به من على الأرض تمامًا. أطيح بجسده عبر الزنزانة ليسقط إلى جوار قاعدة المرحاض. للحظة رقد كأنه فقد الوعي، ودم قاتم ينز من فمه وأنفه. انبعث منه أنين خافت أو عواء، بدا بلا وعي. ثم تدحرج ورفع نفسه بغير ثبات على يديه وركبتيه. ووسط سيل من الدم واللعاب، سقط نصفا طاقم أسنانه من فمه.

جلس السجناء في سكون تام، وأيديهم معقودة على ركبهم. عاد الرجل عديم الذقن إلى مكانه. وعلى أحد جانبي وجهه كان الجلد يسوَد. انتفخ فمه ليصبح كتلة بلون الكرز، بلا معالم، وفي وسطها ثقب أسود.

ومن حين لآخر كان دم قليل يقطر على صدر الأوفرول. وما تزال عيناه الرماديتان تجولان من وجه إلى وجه، وبهما إحساس بالذنب أكثر من ذي قبل، كأنه يحاول استكشاف مدى احتقار الآخرين له على ما تلقى من مهانة.

انفتح الباب. وبحركة صغيرة أشار الضابط إلى الرجل صاحب الوجه الجمجمة.

قال: "الحجرة 101".

سمع وينستون شهقة وجلبة إلى جواره. كان الرجل قد رمى بنفسه على ركبتيه على الأرض، ويداه معقودتان معًا.

صاح: "يا رفيقي! الضابط! لست بحاجة لأخذي إلى ذلك المكان! ألم

أخبركم بكل شيء بالفعل؟ ما الذي تريدون معرفته بعد ما قلته؟ لم يعد شيء لم أعترف به، ولا شيء! أخبرني فقط ما هو وسوف أعترف به فورًا. أكتبه على ورق وسوف أوقع عليه- أيًّا ما كان! إلا الحجرة 101!"

قال الضابط: "الحجرة 101".

تحول وجه الرجل الشاحب للغاية الآن إلى لون لم يصدق وينستون إمكانية وجوده. كان لونه- بلا شك وبكل وضوح- مشوبًا بالأخضر.

صرخ: "افعلوا بي أي شيء. أنتم تقتلونني جوعًا منذ أسابيع. خلصوني ودعوني أموت. ارموني بالرصاص. اشنقوني. احكموا علي بخمس وعشرين عامًا. أهناك شخص آخر تريدون أن أشي به؟ أخبروني مَن هو وسوف أخبركم بأي شيء تريدونه. لا يهمني مَن هو أو ما ستفعلونه به. عندي زوجة وثلاثة أبناء. أكبرهم لم يُكمل عامه السادس. يمكنكم أخذهم جميعًا، وذبحهم أمام عيني، وسوف أقف وأتفرج. لكن ليس الحجرة 101".

قال الضابط: "الحجرة 101".

نظر الرجل حوله في ذعر إلى السجناء، وكأنه بحيلةٍ ما قد يتمكن من وضع ضحية أخرى مكانه. استقرت عيناه على الوجه المحطم للرجل عديم الذقن. رمى إليه بذراع هزيلة.

صاح: "هذا هو الرجل الذي يجب أن تأخذوه، لا أنا! لم تسمعوا ما كان يقوله بعد أن حطموا وجهه. أعطوني فرصة وسأقول لكم كل ما نطق به. إنه المعادي للحزب، لا أنا". تقدم الحراس إلى الأمام. ارتفع صوت الرجل في

صراخ حادة: "أنتم لم تسمعوا"، كرر. "التيليسكرين كانت معطلة. إنه الشخص الذي تريدونه. خذوه، لا أنا!".

انحنى الحارسان القويان لأخذه من ذراعيه. لكنه- في تلك اللحظة- رمى بنفسه على أرض الزنزانة، وأمسك بإحدى الأرجل الحديدية التي تسند الدكة. انطلق في العواء بلا كلمات، مثل الحيوان. أمسك به الحارسان لفك يده، لكنه تشبث بها في قوة مذهلة. لعشرين ثانية تقريبًا راحوا يجذبونه. كان السجناء يجلسون في هدوء، أيديهم معقودة على ركبهم، ينظرون أمامهم مباشرة. توقف العواء؛ لم يعد لدى الرجل أي نفس إلا ما يكفي للتمسك بالرجل الحديدية. ثم صدرت صرخة مختلفة. كانت ركلة من جزمة أحد الحراس قد كسرت أصابع إحدى يديه. جرجروه حتى اعتدل واقفًا.

قال الضابط: "الحجرة 101".

أخرجوا الرجل، وهو يسير بلا اتزان، رأسه محني، يحاول تخفيف الألم عن يده المكسورة، وقد ذهبت عنه أية قدرة على المقاومة.

مرت فترة طويلة. لو كان الوقت منتصف الليل عندما أخذوا الرجل بوجه الجمجمة فهو الآن الصباح: إذا كان الصباح فهو الآن الأصيل. كان وينستون وحيدًا، مرت عليه ساعات وهو وحيد. كان ألم الجلوس على الدكة الضيقة كبيرًا لدرجة أنه نهض كثيرًا وراح يتمشى، دون اعتراض من التيليسكرين حركته. كانت كسرة الخبز ما تزال حيثما أسقطها الرجل عديم الذقن. في البداية كانت بحاجة إلى جهد كبير حتى يتفادى النظر إليها، لكن

الآن حل العطش محل الجوع. أصبح فمه دبقًا كريه المذاق. أصابه صوت الطنين والضوء الأبيض الذي لا يتغير بنوع من الوهن، إحساس بفراغ داخل رأسه. ينهض لأن ألم عظامه لم يعد محتملًا، ثم يجلس مرةً أخرى على الفور تقريبًا لأنه كان يشعر بالدوار إلى حد عدم التأكد من قدرته على البقاء على قدميه. وكلما عاوده الإحساس بأن جسده تحت سيطرته إلى حدٍّ ما كان يعاوده الرعب. كان يفكر أحيانًا بأمل يذوي في أوبريان وشفرة الموسى. كان من الممكن أن تصل الشفرة مخفية في طعامه، إذا قدموا له أي طعام. وكان يفكر في جوليا بقدر أكبر من الالتباس. في مكان ما أو آخر، كانت تعاني ربما بأسوأ منه. ربما تصرخ من الألم في هذه اللحظة. خطر له: "إذا أمكنني إنقاذ جوليا بمضاعفة ألمي، فهل أفعلها؟ نعم، سأفعلها". لكن هذا لم يكن سوى قرار ذهني، اتخذه لأنه يعرف أن عليه أن يتخذه. لم يشعر به. في هذا المكان لا يمكنك الشعور بأي شيء، سوى الألم والمعرفة المسبقة بالألم. وفضلًا عن ذلك، أكان ممكنًا، عندما تعاني الألم فعلًا، أن ترغب- لأي سبب- في زيادة ألمك؟ لكن هذا السؤال كان بلا إجابة حتى الآن.

اقتربت الجزم العسكرية من جديد. انفتح الباب. دخل أوبريان.

انتفض وينستون على قدميه. صدمة الرؤية جرفت منه كل حذر. للمرة الأولى منذ سنوات، نسي وجود التيليسكرين.

صاح: "أخذوك أنت أيضًا!"

قال أوبريان بسخرية أقرب إلى الندم: "أخذوني منذ زمن طويل". انتحى

جانبًا. من ورائه ظهر حارس عريض المنكبين في يده هراوة سوداء طويلة.

قال أوبريان: "أنت تعرف، يا وينستون. فلا تخدع نفسك. كنت تعرف من البداية، كنت تعرف دائمًا ".

نعم، رأى الآن أنه كان يعرف منذ البداية. لكن لا وقت للتفكير في هذا. كل ما تدركه عيناه هي الهراوة في يد الحارس. قد تسقط في أي مكان، على رأسه، على طرف أذنه، على ساعده، على مرفقه...

المرفق! انكب على ركبتيه، مشلولًا تقريبًا، ممسكًا في كل يد بمرفق الذراع الأخرى. انفجر كل شيء في سحابة من الضوء الأصفر. لا يتصور، لا يتخيل أن تؤدي ضربة واحدة إلى كل هذا الألم! صفا الضوء، وأصبح بمقدوره أن يرى الرجلين ينظران إليه من أعلى. كان الحارس يضحك من تلويه على الأرض. كان ثمة سؤال قد تمت الإجابة عليه، على كل حال. أبدًا، لأي سبب على وجه الأرض، لا يمكنك أن ترغب في زيادة الألم. مع الألم لا تتمنى إلا أمرًا واحدًا: أن يكف الألم. فلا شيء في العالم في رداءة الألم الجسدي. وفي مواجهة الألم لا أبطال، لا أبطال، راح يفكر مرارًا وتكرارًا وهو يتلوى على الأرض، ممسكًا بلا جدوى بساعده الأيسر الذي عجز عن الحركة.

## الفصـل الثَّـاني

كان يرقد على شيء كأنه سرير المعسكرات، لكن أعلى من الأرض، وكان مثبتًا إليه بشكل لا يمكنه معه الحركة. وكان نور يبدو أقوى من المعتاد مسلط على وجهه. كان أوبريان يقف إلى جواره، ينظر إليه من أعلى باهتمام. وإلى الجانب الآخر كان يقف رجل يرتدي معطفًا أبيض، وفي يده سرنجة من النوع الذي يُحقن تحت الجلد.

حتى بعد أن فتح عينيه لم يتمكن من استيعاب ما حوله إلا تدريجيًا. كان يحس كأنه يسبح صاعدًا إلى هذه الغرفة من عالم مختلف تمامًا عنها، عالم تحت الماء بعيدًا في الأعماق. لم يكن يدري منذ متى وهو هنا. فمنذ أن قبضوا عليه لم يكن يرى ظلامًا أو نهارًا. كما أن ذكرياته ليست متصلة. فهناك فترات من الوعي- ولو حتى ذلك الوعي الذي يستشعره المرء في نومه- تتوقف وتبدأ من جديد بعد فاصلٍ ما. لكن هل تلك الفواصل أيام أم

أسابيع أم ثوان معدودة، فلا سبيل لأن يعرف.

مع تلك الضربة الأولى على المرفق بدأ الكابوس. فيما بعد أدرك أن كل ما حدث وقتها لم يكن إلا التمهيد، استجواب روتيني خضع له تقريبًا كل السجناء. هناك طيف واسع من الجرائم- التجسس، التخريب، وما شابه- على الجميع الاعتراف بها من حيث المبدأ. وكان الاستجواب مسألة شكلية، وإن كان التعذيب حقيقيًا. كم مرةً تعرض للضرب، وما مدة الضرب، لا يمكنه أن يتذكر. كان هناك دائمًا خمسة أو ستة رجال في زيهم الأسود ينكبون عليه في نفس الوقت. أحيانًا باللكمات، وأحيانًا بالهراوات، وأحيانًا بالمواسير المعدنية، وأحيانًا بالجزم العسكرية. وكانت هناك أوقات تلوى فيها على الأرض، بلا خزي كالحيوان، يلوى جسده بهذا الشكل أو ذاك في محاولة عبثية بلا انتهاء لتفادي الركلات، مجتذبًا ببساطة المزيد والمزيد من الركلات في ضلوعه، وفي بطنه، ومرفقيه، وذقنه، وفي أعضائه الجنسية، وعلى العظمة المستقرة عند أساس عموده الفقري. كانت هناك أوقات تواصل فيها الضرب هكذا، حتى بدا له أن الأمر القاسي، الغاشم، الذي لا يُغتفر ليس هو استمرار الحراس في ضربه، إنما أنه لم يتمكن من دفع نفسه إلى فقدان الوعي. كانت هناك أوقات خذلته فيها أعصابه فبدأ في الصياح طالبًا الرحمة حتى قبل أن يبدأ الضرب، عندما كانت رؤية القبضة تتراجع إلى الوراء من أجل التسديد كافية لأن يعترف بجرائم حقيقية ومتخيلة. وكانت هناك أوقات أخرى يعقد العزم فيها على عدم الاعتراف بشيء، عندما كانت كل كلمة ينطقها تخرج من بين شهقات الألم، وأوقات أخرى حاول فيها بوهن أن

يصل إلى حلول وسط، عندما كان يقول لنفسه: "سوف أعترف، لكن ليس الآن. ينبغي أن أتماسك إلى أن يصبح الألم لا يُطاق. ثلاث ركلات أخرى، ركلتان، وبعدها سوف أخبرهم بما يريدون". وأحيانًا كان يتلقى الضرب إلى أن يعجِز تقريبًا عن الوقوف، ثم يُطاح به كجوال من البطاطس على أرض الزنزانة الحجرية، ويتركوه ليتعافى لساعات قليلة، بعدها يأخذونه ويضربونه من جديد. وكانت هناك أيضًا فترات أطول من التعافي. كان يتذكرها بضبابية، لأنه كان يقضيها بالأساس في النوم أو الغيبوبة. كان يتذكر زنزانة فيها سرير عبارة عن لوح خشبي عريض، كرف يبرز من الجدار، وحوض اغتسال من الصفيح، ووجبات من الشوربة الساخنة والخبز، والقهوة أحيانًا. كان يتذكر مجيء حلاق ليحلق له ذقنه ويشذب شعره، ورجال عمليين غير متعاطفين يرتدون معاطف بيضاء، يجسّون نبضه، ويقيسون ردود فعله العصبية، ويرفعون جفنيه، ويمررون أصابع فظة على جسده بحثًا عن عظام مكسورة، ويحقنونه في ذراعه لكي ينام.

بدأت نوبات الضرب تقل، وأصبحت لا تزيد عن التهديد، الرعب من أنه يمكن إرساله مرة أخرى للضرب لحظة أن تصبح إجاباته غير مرضية. لم يعد مستجوبوه رجالًا غلاظًا يرتدون الزي الرسمي الأسود، إنما مثقفين من الحزب؛ رجال قصار ممتلئون، حركاتهم سريعة وعويناتهم وامضة، كانوا يتناوبون العمل عليه لفترات كانت تستمر- كما يظن، دون أن يكون متأكدًا- عشر ساعات أو اثنتي عشرة في النوبة. راعى المستجوبون الآخرون هؤلاء أن يبقى في حالة من الألم الخفيف طيلة الوقت، لكنهم لم يعتمدوا على

الألم بالأساس. كانوا يصفعونه على وجهه، ويلوون أذنيه، ويشدون شعره، ويجبرونه على الوقوف على قدم واحدة، ويرفضون أن يذهب ليتبول، ويسلطون الأضواء المبهرة على وجهه إلى أن تمتلئ عيناه بالدموع؛ لكن الهدف من ذلك كان ببساطة إذلاله وتدمير قدرته على الجدل والتفكير المنطقي. كان سلاحهم الحقيقي هو الاستجواب الذي لا يرحم، يتواصل ساعة وراء ساعة، مترصدين زلاته، ونصب الفخاخ له، ولي عنق كل شيء كان يقوله، مع إقناعه- في كل خطوة- بالأكاذيب والتناقضات الذاتية إلى أن بدأ يبكي وينتحب من الخزي وأيضًا من الإرهاق العصبي. كان أحيانًا ما ست مرات في الجلسة الواحدة. وأغلب الوقت كانوا يصرخون في وجهه بالسباب، ويهددونه- لدى كل تردد منه- بأن يسلموه إلى الحراس مرةً أخرى؛ لكنهم أحيانًا ما كانوا يغيرون نبرتهم فجأةً، وينادونه بالرفيق، ويطلبون منه أمورًا باسم الاشت-إنج والأخ الكبير، ويسألونه في أسف إن لم يكن قد تبقى لديه حتى الآن من الولاء للحزب ما يكفي ليدفعه إلى تمني التراجع عن الشر الذي ارتكبه. ومع انهيار أعصابه بعد ساعات من الاستجواب، فإن رجاءهم هذا كان يمكن أن يفضي به إلى انفجاره بالدموع. في النهاية، أصابته الأصوات اللحوحة بالانهيار تمامًا بأكثر من ركلات ولكمات الحراس. أصبح ببساطة فمًا ينطق، ويدًا توقع، أي شيء يُطلب منه. كان همه الوحيد هو معرفة ما يريدونه أن يعترف به، ثم يعترف به سريعًا، قبل أن يبدأ تعنيفه من جديد. اعترف باغتيال أعضاء بارزين في الحزب، وبتوزيع منشورات تحريضية، وباختلاس أموال عامة، وببيع أسرار عسكرية، وبأعمال تخريب من كل نوع. اعترف بأنه كان جاسوسًا مأجورًا لحكومة

إيستاسيا منذ عام 1968. اعترف بأنه مؤمن بالدين، ومعجب بالرأسمالية، ومنحرف جنسيًّا. اعترف بأنه قتل زوجته، وإن كان يعرف– ولابد أن المستجوبين يعرفون – أن زوجته ما تزال على قيد الحياة. اعترف بأنه على اتصال شخصي منذ سنوات بجولدشتاين، وأنه كان عضوًا في تنظيم سري يضم كل تقريبًا كل مَن عرفهم يومًا في حياته. كان من الأسهل الاعتراف بكل شيء وتوريط الجميع. وفضلًا عن ذلك، كان كل ذلك صحيحًا، بمعنًى ما. كان صحيحًا أنه عدو للحزب، وفي نظر الحزب فلم يكن ثمة فارق بين الفكرة والفعل.

كانت هناك أيضًا ذكريات من نوع آخر. ظهرت واضحة في ذهنه بلا اتصال بينها، مثل صور محاطة تمامًا بالسواد.

كان في زنزانة لابد أنها كانت إما مظلمة أو مضاءة، لأنه لم يستطع وقتها أن يرى أي شيء سوى عينين. بالقرب منه كانت هناك أداةٌ ما تصدر صوتًا رتيبًا بطيئًا منتظمًا. كبرت العينان وزاد نورها. فجأةً طفا من كرسيه لأعلى، غاص في العينين، وتم ابتلاعه.

كان حبيس كرسي محاط بعدادات، تحت أنوار مبهرة. ورجل يرتدي معطفًا أبيض يقرأ العدادات بعينيه. وكان هناك وقع جزم عسكرية ثقيلة بالخارج. انفتح الباب مقرقعًا. دخل الضابط شمعي الوجه، يتبعه حارسان.

قال الضابط: "الحجرة 101".

لم يلتفت الرجل ذو المعطف الأبيض. بل لم ينظر إلى وينستون أيضًا،

كان ينظر إلى العدادات لا أكثر.

كان يتدحرج في ممر طويل رحيب، عرضه كيلومتر، ممتلئ بالأضواء الذهبية البراقة، وهو يزأر بالضحك ويصرخ بالاعترافات بأعلى صوته. كان يعترف بكل شيء، حتى الأشياء التي نجح في إخفائها وهو تحت التعذيب. كان يروي تاريخ حياته كله لجمهور يعرف تاريخه بالفعل. وكان معه حراس، والمستجوبون الآخرون، ورجال يرتدون المعاطف البيضاء، وأوبريان، وجوليا، والسيد تشارنجتن، يتدحرجون جميعًا في الممر معًا وينفجرون في الضحك. وكان هناك شيءٌ ما مرعب يكمن في المستقبل، تم المرور عليه مرور الكرام- على نحوٍ ما- ولم يحدث. كان كل شيء على ما يرام، لم يكن هناك ألم، وآخر تفصيلة من تفاصيل حياته كانت تُعرى، ويتم تفهمها، والتسامح معها.

كان ينتفض من السرير الخشبي وهو نصف متيقن من أنه قد سمع صوت أوبريان. وطوال استجوابه، رغم أنه لم يره قَط، كان يشعر بوجود أوبريان عند مرفقه، خارج نطاق رؤيته. كان أوبريان هو مَن يدير كل شيء. كان هو مَن سلَّط الحراس على وينستون، وهو مَن منعهم من قتله. كان هو مَن قرر متى ينبغي أن يصرخ وينستون من الألم، ومتى يجب أن يرتاح، ومتى ينبغي إطعامه، ومتى ينبغي أن ينام، ومتى ينبغي أن يحقن بالعقاقير في ذراعه. كان هو مَن طرح الأسئلة وأوحى بالإجابات. كان هو الجلاد، وهو الحامي، هو المحقق، وهو الصديق. وذات مرة- لا يذكر وينستون إن كان أثناء النوم تحت تأثير المخدر أو نومًا عاديًّا أو حتى لحظة إفاقة- همس صوت في أذنه: "لا

تقلق، يا وينستون؛ أنت في حمايتي. كنت أرعاك منذ سبع سنوات. والآن حانت لحظة التحول. سوف أنقذك، سوف أجعلك رائع الكمال". لم يكن واثقًا ما إن كان هذا هو صوت أوبريان؛ لكنه نفس الصوت الذي قال له: "سوف نلتقي في المكان الذي لا يعرف الظلام"، في ذلك الحلم الآخر، منذ سبع سنوات.

لا يذكر أية نهاية لاستجوابه. كانت هناك فترة من السواد ثم الزنزانة، أو الحجرة، التي كان يجسدها الآن تدريجيًا حول نفسه. كان نائمًا على ظهره، في وضع مسطح تقريبًا، لا يمكنه الحركة. كان جسده مشدودًا للأرض من كل نقطة مهمة. حتى قفاه كان ممسوكًا بشكلٍ ما. كان أوبريان ينظر إليه في الأسفل برصانة أقرب إلى الحزن. كان وجهه، وهو يراه من أسفل، يبدو خشنًا مهترئًا، وثمة أكياس سوداء تحت العينين، وخطوط التعب من الأنف إلى الذقن. كان أكبر سنًّا مما يعتقد وينستون؛ ربما في الثامنة والأربعين أو الخمسين. وتحت يديه عدَّاد وفوقه مؤشر وأرقام تدور حول الوجه.

"قلت لك"، قال أوبريان، "إننا إذا التقينا مرةً أخرى فسوف يكون اللقاء هنا".

قال وينستون: "أجل".

ودون أي تحذير غير حركة طفيفة من يد أوبريان، اجتاحت جسده موجة من الألم. كان ألمًا مخيفًا، لأنه لم يكن بمقدوره أن يرى ما الذي يحدث، لكنه كان يشعر بأن قد أصيب إصابة قاتلة. لم يكن يعرف ما إذا

كان ذلك يحدث بالفعل، أم أن الألم قد نتج عن مصدر كهربائي؛ لكن جسده كان يتلوى خارجًا عن كل شكل، ومفاصله تتمزق مفصولة في بطء. ورغم أن الألم دفع بالعرق إلى جبينه، فإن أسوأ ما في الأمر هو الخوف من أن ينقسم عموده الفقري. جز على أسنانه وراح يتنفس بصعوبة من أنفه، محاولًا التزام الصمت لأطول مدة ممكنة.

قال أوبريان، وهو يراقب وجهه: "أنت خائف من أن ينكسر فيك شيءٌ ما بعد لحظة. أقوى خوفك هو على عمودك الفقري. ولديك صورة ذهنية واضحة لفقرة تتهشم والنخاع الشوكي يقطر منها. هذا ما تفكر فيه، أليس كذلك يا وينستون؟"

لم يجب وينستون. أعاد أوبريان المؤشر على العدادإلى الوراء. انحسرت موجة الألم بسرعة كما بدأت.

قال أوبريان: "كانت تلك درجة الأربعين. ويمكنك أن ترى أن الأعداد على هذا العداد تصل إلى المائة. فهل أرجو منك أن تتذكر- على امتداد حديثنا- أن عندي القدرة على أن أنزل بك الألم في أية لحظة وبالدرجة التي أريدها؟ فلو أخبرتني بأية أكاذيب، أو حاولت المراوغة بأي شكل، أو حتى تدنيت عن مستوى ذكائك العادي، فسوف تصرخ من الألم، في الحال. هل تفهم ذلك؟"

قال وينستون: "نعم".

أصبح سلوك أوبريان أقل قسوة. عدَّل وضع عويناته على أنفه في تفكير،

ثم خطا خطوة أو خطوتين ذهابًا وإيابًا. وعندما تحدث كان صوته مهذبًا صبورًا. كانت لديه سيماء طبيب، أو مدرس، أو حتى قسّ، حريص كل الحرص على الشرح والإقناع وليس العقاب.

قال: "إنني أبذل معك جهدًا خاصًا، يا وينستون، لأنك تستحقه. وأنت تعرف تمامًا ما مشكلتك. كنت تعرفها منذ سنوات، رغم أنك جاهدت ضد المعرفة. أنت مشوش ذهنيًا. فأنت تعاني من ذاكرة بها خلل. وأنت عاجز عن تذكر الأحداث الحقيقية وتقنع نفسك بأن تتذكر أحداثًا لم تحدث أبدًا. ولحسن الحظ، فهذا الأمر قابل للعلاج. وأنت لم تعالج نفسك منه أبدًا، لأنك لم تشأ ذلك. كان هناك جهد إرادي صغير لم تكن مستعدًا لبذله. وحتى الآن، وأنا مدرك تمامًا، فأنت متشبث بمرضك بانطباع أن ذلك المرض فضيلة. والآن، لنأخذ مثالًا. في هذه اللحظة، أية قوة عالمية تحاربها أوشينيا؟"

"وقت إلقاء القبض عليّ كانت أوشينيا في حرب مع إيستاسيا".

"مع إيستاسيا. جيد. وكانت أوشينيا في حرب دائمة مع إيستاسيا، أليس كذلك؟"

جذب وينستون نفَسًا عميقًا. فتح فمه ليتكلم ثم لم يتكلم. لم يتمكن من إبعاد عينيه عن العداد.

"الحقيقة، من فضلك، يا وينستون. حقيقتـك. أخبرني بما تعتقد أنك تذكره".

"أتذكر أننا- قبل أسبوع واحد من القبض عليّ- لم نكن في حرب مع إيستاسيا بالمرة. كنا في تحالف معها. كانت الحرب ضد أوراسيا. وقد دامت أربع سنوات. وقبل ذلك..."

أسكته أوبريان بحركة من يده.

قال: "مثال آخر. قبل سنوات خطر لك وهم خطير للغاية. كنت تعتقد أن ثلاثة رجال، ثلاثة كانوا أعضاء بالحزب ذات يوم، أسماؤهم جونز وآرونسون ورازرفورد- وهم رجال أعدموا بتهمة الخيانة والتخريب بعد إدلائهم بأكمل الاعترافات الممكنة- لم يكونوا مذنبين بالجرائم التي اتهموا بها. وكنت تعتقد أنك رأيت دليلًا وثائقيًا دامغًا يثبت أن الاعترافات زائفة. وكانت هناك صورة فوتوغرافية معينة كنت تهلوس بشأنها. وكنت تعتقد أنك قد أمسكت بتلك الصورة بين يديك. كانت صورة لشيء كهذا".

ظهرت بين أصابع أوبريان قصاصة مستطيلة من صفحة جريدة. لنحو خمس ثوانٍ كانت في مجال رؤية وينستون. كانت صورة فوتوغرافية، لا لبس في ماهيتها. كانت الصورة. كانت نسخة أخرى من صورة جونز وآرونسون ورازرفورد في مأمورية الحزب في نيويورك، التي صادفها قبل أحد عشر عامًا، وقام بتدميرها على الفور. للحظة واحدة كانت أمام عينيه، ثم اختفت عن عينيه مرةً أخرى. لكنه رآها، لا شك في أنه رآها! بذل جهدًا يائسًا أليمًا ليحرر النصف العلوي من جسده. كانت الحركة بمقدار سنتيمتر واحد مستحيلة، في أي اتجاه. في هذه اللحظة نسي العداد. لم يكن يريد إلا أن يمسك بالصورة بين أصابعه من جديد، أو على الأقل يراها.

صاح: "إنها موجودة!"

قال أوبريان: "لا".

راح يخطر في الحجرة. كانت هناك حفرة ذاكرة في الجدار المقابل. رفع أوبريان غطاءها. وفي خفاء كانت قصاصة الورق تدور في تيار الهواء الساخن، كانت تختفي في ومضة اللهب. التفت أوبريان مبتعدًا عن الجدار.

قال: "رماد. ليس حتى رمادًا يمكن تحديد ماهيته. غبار. لا وجود لها. لم تكن موجودة يومًا".

"لكنها كانت موجودة! هي موجودة! لها وجود في الذاكرة. أنا أتذكرها. أنت تتذكرها".

قال أوبريان: "أنا لا أتذكرها".

غاص قلب وينستون. كان هذا "تفكيرمزدوج". أحس بقلة حيلة قاتلة. لم يكن ليهمه الأمر، إذا ما استطاع التأكد من أن أوبريان يكذب. لكن من الممكن تمامًا أن أوبريان قد نسي بالفعل وجود الصورة. وإن كان ذلك كذلك، فقد نسي إذن إنكاره لتذكرها، ونسي فعل النسيان. فكيف يتيقن المرء من أن ذلك مجرد خدعة ببساطة؟ ربما أمكن فعلًا حدوث ذلك التشوش الجنوني في العقل: وكانت تلك الفكرة هي التي هزمته.

كان أوبريان ينظر إليه من أعلى في تأمل. رأى فيه- أكثر من أي وقت- سيماء المدرس الذي يعاني مع طفل ضال لكنه واعد.

قال: "هناك شعار حزبي يتعامل مع فكرة السيطرة على الماضي. قُله، لو سمحت".

قال وينستون في طاعة: "مَن يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل: مَن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي".

قال أوبريان، وهو يومئ برأسه في استحسان بطيء: "مَن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي. هل هذا رأيك يا وينستون: أن الماضي كان له وجود حقيقي؟"

من جديد حلَّ عليه الإحساس بقلة الحيلة. انتقلت عيناه إلى العداد. لم يكن يعرف إن كانت الإجابة بـ "نعم" أو "لا" هي الكفيلة بإنقاذه من الألم، بل إنه لم يكن حتى يعرف ما الإجابة التي يراها فعلًا صحيحة.

ابتسم أوبريان بوهن، وقال: "أنت لست ميتافيزيقيًّا، يا وينستون. حتى هذه اللحظة لم تفكر يومًا في معنى الوجود. سأجعل السؤال أكثر تحديدًا: هل للماضي وجود ملموس، في الفراغ؟ هل هناك في مكان أو آخر، عالم من المواد الصلبة، ما يزال الماضي يحدث فيه؟"

"لا".

"إذن فأين يوجد الماضي، إن كان له وجود؟"

"في السجلات. هو مدوَّن".

"في السجلات. و..؟"

"في العقل. في ذكريات البشر".

"في الذاكرة. جيد جدًّا، إذن. نحن، الحزب، نسيطر على جميع السجلات. ونسيطر على جميع الذكريات. إذن، فنحن نسيطر على الماضي. أليس كذلك؟"

"لكن كيف تمنعون الناس من تذكر الأشياء؟" صاح وينستون من جيد، وقد نسي العداد للحظة. "إنه أمر لاإرادي. خارج قدرة المرء على السيطرة. كيف تسيطرون على الذاكرة؟ لم تسيطروا على ذاكرتي!"

عادت الصرامة إلى أوبريان من جديد. وضع يده على العداد.

قال: "على النقيض. فـ أنت لم تسيطر عليها. هذا هو ما أتى بك إلى هنا. فأنت هنا لأنك أخفقت في التحلي بالتواضع، في ضبط النفس. لم تقم بفعل الخضوع وهو ثمن السلامة العقلية. فضلت أن تكون مخبولًا، أقلية من شخص واحد. والعقل المنضبط هو وحده القادر على رؤية الواقع، يا وينستون. أنت تؤمن بأن الواقع شيء موضوعي، خارجي، له وجود في ذاته. كما تؤمن بأن طبيعة الواقع مُسلم بها. وعندما تضلل نفسك بالتفكير في أنك ترى شيئًا ما، فأنت تفترض أن كل مَن سواك يرون الشيء نفسه مثلك. لكن دعني أخبرك، يا وينستون، أن الواقع ليست خارجيًّا. فالواقع موجود في العقل البشري، لا في أي مكان سواه. لا في العقل الفردي، القادر على ارتكاب أخطاء، والذي سرعان ما يموت على كل حال: إنما في عقل الحزب وحده، وهو جمعي وخالد. فما يراه الحزب باعتباره الواقع فهو الواقع. ومن المستحيل رؤية الواقع إلا بالنظر في أعين الحزب. هذه هي الحقيقة التي

عليك أن تعيد تعلمها، يا وينستون. إنها تحتاج إلى فعل من أفعال تدمير الذات، مجهود إرادي. ويجب أن تتواضع قبل أن تصبح عاقلًا".

سكت للحظات، وكأنه يسمح بمهلة لفهم ما قاله.

استأنف كلامه: "هل تتذكر أنك كتبت في دفتر يومياتك أن الحرية هي حرية قول أن اثنين زائد اثنين تساوي أربعة؟"

قال وينستون: "أجل".

رفع أوبريان يده اليسرى، وظهرها إلى وينستون، مخفيًا الإبهام والأربعة أصابع ممدودة.

"كم إصبعًا ترى يا وينستون؟"

"أربعة".

"وإذا ما قال الحزب إنها ليست أربعة بل خمسة- فكم يصبح عددها؟"

"أربعة".

انتهت الكلمة بشهقة ألم. قفز مؤشر العداد إلى خمس وخمسين. تصبب العرق على جسد وينستون كله. كان الهواء يمزق رئتيه ويخرج من جديد في صورة آهات عميقة لم يتمكن من وقفها، حتى بالجز على أسنانه بقوة. راقبه أوبريان، وأصابعه الأربعة ما تزالت ممدودة. أعاد مؤشر القرص إلى وضعه الأول. هذه المرة خف الألم قليلًا فحسب.

"كم إصبعًا يا وينستون؟"

"أربعة".

قفزت الإبرة إلى ستين.

"كم إصبعًا يا وينستون؟"

"أربعة! أربعة! ماذا بوسعي أن أقول غير هذا؟ أربعة!"

لابد أن الإبرة صعدت ثانيةً، لكنه لم ينظر إليها. كان الوجه الثقيل الصارم والأصابع الأربعة تملأ رؤيته. كانت الأصابع تنتصب أمام عينيه كالأعمدة، هائلة، غائمة، يبدو كأنها تتذبذب، لكنها أربعة بلا شك.

"كم إصبعًا، يا وينستون؟"

"أربعة! أوقفها، أوقفها! كيف يمكنك الاستمرار هكذا؟ أربعة! أربعة!"

"كم إصبعًا، يا وينستون؟"

"خمسة! خمسة! خمسة!"

"لا، يا وينستون. ليس هكذا. أنت تكذب. ما تزال تعتقد أنها أربعة أصابع. كم إصبعًا، من فضلك؟"

"أربعة! خمسة! أربعة! أي شيء تريده. أوقفها فقط، أوقف الألم!"

فجأةً أصبح يجلس وذراع أوبريان حول كتفيه. ربما فقد الوعي لثوانٍ معدودة. كانت الأربطة التي تتحكم في جسده قد انحلت. أحس بالبرودة الشديدة، وراح يرتعد غير قادر على التحكم في ارتعاشه، وأسنانه تصطك،



م 12 - ١٩٨٤ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

ودموعه تنهمر على وجنتيه. للحظة تعلق بأوبريان كطفل رضيع، وقد أحس براحة غريبة من الذراع الثقيلة المحيطة بكتفيه. أحس بأن أوبريان هو حاميه، وأن الألم شيء منبعث من الخارج، من مصدر آخر، وأن أوبريان هو الذي سينقذه منه.

قال أوبريان في رفق: "أنت تتعلم ببطء، يا وينستون".

قال في عفوية: "وماذا بوسعي؟ كيف لا أرى ما تراه عيني؟ اثنان واثنان أربعة".

"أحيانًا، يا وينستون. أحيانًا، تكون خمسة. أحيانًا تكون ثلاثة. أحيانًا هي كل هذا في اللحظة نفسها. يجب أن تحاول أكثر. ليس من السهل أن تصبح عاقلًا".

مدد وينستون على السرير. اشتد إحكام القيد على أطرافه ثانية، لكن الألم انحسر وكف الارتعاد، ليتركاه واهنًا باردًا. أشار أوبريان برأسه إلى الرجل الذي يرتدي المعطف الأبيض، والذي كان يقف بلا حراك طوال كل ما حدث. انحنى الرجل ذو المعطف الأبيض ونظر عن كثب في عيني وينستون، وتحسس نبضه، ووضع أذنه على صدره، وطرق بإصبعه هنا وهناك، ثم أومأ لأوبريان.

قال أوبريان: "مرةً أخرى".

تدفق الألم إلى جسد وينستون. لابد أن المؤشر كان عند السبعين، أو الخمس والسبعين. أغمض عينيه هذه المرة. كان يعرف أن الأصابع ما تزال

هناك، وأنها ما تزال أربعة. كل ما كان يهمه هو البقاء على قيد الحياة بشكلٍ ما إلى أن تنتهي النوبة. توقف عن ملاحظة ما إن كان يصرخ أو لا. خف الألم مرةً أخرى. فتح عينيه. كان أوبريان قد أرجع مؤشر العداد.

"كم إصبعًا يا وينستون؟"

"أربعة. أفترض أنها أربعة. لو أمكنني، لكنت أراها خمسة أصابع. أحاول رؤية خمسة أصابع".

"ما الذي تأمله: أن تقنعني بأنك ترى خمسة أصابع؟ أم أنك تراها خمسة حقًّا؟"

"أراها حقًّا".

"مرةً أخرى".

لعل المؤشر وصل إلى ثمانين- تسعين. لم يتمكن وينستون أن يتذكر إلا بشكل متقطع لماذا يحدث الألم. وراء جفنيه المرفوعين رغمًا عنه غابة من الأصابع، كان يبدو أنها تتحرك في رقصةٍ ما، تدخل إلى نطاق رؤيته وتخرج، تختفي وراء بعضها البعض وتعاود الظهور من جديد. كان يحاول أن يحصيها، دون أن يتذكر لماذا. كان يعرف أن من المستحيل أن يحصيها، وأن ذلك يرجع- على نحوٍ ما- إلى الكينونة الغامضة الواقعة بين الخمسة والأربعة. مات الألم مرةً أخرى. عندما فتح عينيه اكتشف أنه ما يزال يرى الشيء نفسه. أصابع بلا حصر، كالأشجار المتحركة، ما تزال تمرق في كل اتجاه، تعبر وتعاود العبور. أغمض عينيه مرةً أخرى.

"كم إصبعًا أرفعها، يا وينستون؟"

"لا أعرف. لا أعرف. سوف تقتلني إذا فعلتها مرةً ثانية. أربعة، خمسة، ستة- بكل صدق لا أعرف".

قال أوبريان: "هذا أفضل".

انسلت إبرة إلى ذراع وينستون. في اللحظة نفسها تقريبًا انتشر في أرجاء جسده دفء سعيد شاف. نسي نصف الألم. فتح عينيه، ونظر بامتنان إلى أوبريان. عند رؤية الوجه الثقيل، الممتلئ بالخطوط، القبيح للغاية والذكي للغاية، بدا كأن قلبه يثب هلعًا. لو كان بمقدوره أن يتحرك لكان قد مد إليه يدًا ووضعها على ذراع أوبريان. لم يحبه أبدًا بمثل هذا العمق مثلما في هذه اللحظة، وليس فقط لأنه أوقف الألم. عاوده الإحساس القديم، بأن في العمق لا يهم ما إن كان أوبريان صديقًا أو عدوًّا. كان أوبريان شخصًا يمكن الحديث إليه. ربما هو شخص لا تريد أن تحبه بقدر رغبتك في أن تفهمه. عذبه أوبريان حتى حافة الخبل، وخلال برهة، كان هذا مؤكدًا، سيرسله إلى حتفه. لا فرق. بمعنًى ما أعمق من الصداقة، كانا في علاقة حميمة: في مكان أو آخر، رغم أن الكلمات نفسها ربما لم تُنطق يومًا، هناك مكان يمكنهما اللقاء فيه وتجاذب أطراف الحديث. كان أوبريان ينظر إليه من أعلى بتعبير مرتسم على وجهه يوحي بأن نفس الفكرة ربما تدور في ذهنه. عندما تحدث كان بنبرة هينة، نبرة حوار.

قال: "هل تعرف أين أنت، يا وينستون".

"لا أعرف. يمكنني التخمين. في وزارة الحب".

"هل تعرف منذ متى أنت هنا؟"

"لا أعرف. أيام، أسابيع، شهور- أعتقد أنها شهور".

"ولماذا ترانا- في تصورك- نأتي بالناس إلى هذا المكان؟"

"لحملهم على الاعتراف".

"لا. ليس هذا هو السبب. فكر مرةً أخرى".

"لعقابهم".

"لا"، صاح أوبريان متعجبًا. تبدل صوته بشكل مدهش، وفجأةً أصبح وجهه صارمًا وودودًا، في الوقت نفسه: "لا! ليس لمجرد انتزاع اعترافك، وليس لعقابك. هل أخبرك لماذا أتينا بك إلى هنا؟ لعلاجك! لجعلك عاقلًا! هلا فهمت، يا وينستون، أننا لا نأتي بأحد إلى هنا ليخرج من تحت أيدينا بلا شفاء؟ لا تهمنا الجرائم الحمقاء التي ارتكبتها. ليس الحزب مهتمًّا بالعمل العلني: إنه الفكر هو ما يهمنا. نحن لا ندمر أعداءنا فحسب، إنما نبدلهم. هل تفهم ما أقصده بكلامي هذا؟"

كان منحنيًا على وينستون. بدا وجهه هائلًا بسبب قربه، وقبيحًا بدرجة شنيعة لأنه زاوية رؤيته كانت من أسفل. فضلًا عن ذلك، كان يمور بنوع من الاهتياج، من التصميم المخبول. مرةً أخرى غاص قلب وينستون. لو كان بإمكانه، لانكمش أكثر في سريره. أحس بشكل يقيني بأن أوبريان على وشك

إدارة العداد لا لسبب إلا الإفراط في القسوة. لكن- في تلك اللحظة- أشاح أوبريان بوجهه عنه. خطا خطوة أو اثنتين ذهابًا وجيئة. ثم استرسل في كلامه بحدة أقل:

أول ما يجب أن تفهمه هو أن لا شهداء في هذا المكان. لقد قرأتَ عن أعمال الاضطهاد الديني في الماضي. في العصور الوسطى كانت هناك محاكم التفتيش. كانت فشلًا ذريعًا. كان هدفها القضاء على الهرطقة، وانتهت إلى جعلها دائمة. ذلك أن كل مهرطق احترق على العمود، ظهر معه الآلاف غيره. لماذا؟ لأن محاكم التفتيش قتلت أعداءها في العلن، وقتلتهم دون أن يتوبوا. في الواقع، قتلتهم لأنهم لم يتوبوا. كان الرجال يموتون لأنهم لم يتخلوا عن معتقداتهم الحقة. وبطبيعة الحال، فإن المجد كله يذهب للضحية، والعار كله يلحق بالجلاد الذي أحرقه. فيما بعد، في القرن العشرين، كانت هناك نظم شمولية، كما كانوا يسمونها. كان هناك النازيون الألمان والشيوعيون الروس. كان الروس يضطهدون المهرطقين بقسوة أبلغ من محاكم التفتيش. وكان يتخيلون أنهم تعلموا من أخطاء الماضي؛ كانوا يعرفون- على كل حال- أنه يجب ألا يصنعوا أي شهداء. وقبل كشفهم عن ضحاياهم في المحاكمات العلنية، كانوا يتعمدون تدمير كرامتهم. كانوا يدمرونهم بالتعذيب والعزلة إلى أن يصبحوا كائنات حقيرة، حطام بشر، يعترفون بأي شيء يضعونه على ألسنتهم، وهم يغرقون أنفسهم في الانحطاط، فيتهمون ويحمون بعضهم البعض من وراء ظهورهم، ويتهامسون طلبًا للرحمة. ومع ذلك، فبعد سنوات قليلة فحسب، حدث الأمر نفسه مرةً أخرى. أصبح الموتى شهداء، ونُسي ما

لحق بهم من تحطيم للكرامة. ومرةً أخرى، لماذا كان ذلك؟ في المقام الأول، لأن الاعترافات التي أدلوا بها كانت منتزعة بالإكراه بوضوح، وغير حقيقية. ونحن لا نرتكب أخطاء من هذا النوع. فكل الاعترافات التي يُنطق بها هنا حقيقية. نجعلها حقيقية. وقبل أي شيء لا نسمح للموتى بالنهوض ضدنا. فلابد أن تكف عن الاعتقاد بأن الأجيال القادمة ستثأر لك، يا وينستون. لن تسمع بك الأجيال القادمة أبدًا. سوف تُمحى كاملًا من مجرى التاريخ. سوف نحولك إلى غاز ونطلقك في طبقات الغلاف الجوي العليا. لن يبقى منك شيء، لا اسم في سجل، ولا ذكرى في عقل حي. سوف تُباد من الماضي كما من المستقبل. لن يكون لك وجود من الأساس".

خطرت لوينستون فكرة: "إذن فلماذا تتكبدون عناء تعذيبي؟"، مع إحساس لحظي بالمرارة. توقف أوبريان عن المشي كأن وينستون قد نطق الكلمات بصوت جهوري. اقترب وجهه الضخم القبيح، وضاقت العينان قليلًا.

قال: "أنت تفكر: بما أننا نعتزم تدميرك تدميرًا كاملًا، بحيث لا يُحدث أي شيء قلته أو فعلته يومًا أدنى فارق- فلماذا إذن نتكبد عناء استجوابك أصلًا؟ هذا ما تفكر فيه، أليس كذلك؟"

قال وينستون: "بلى".

ابتسم أوبريان ابتسامة خفيفة: "أنت ثغرة في النظام، يا وينستون. أنت بقعة لابد من مسحها. ألم أقل لك الآن أننا نختلف عن مضطهدي الماضي؟

لا ترضينا الطاعة السلبية، ولا حتى الخضوع التام الكامل. فعندما تستسلم لنا في النهاية، فلابد أن يكون استسلامك نابعًا من واقع إرادتك الحرة. فنحن لا ندمر المهرطق لأنه يقاومنا: فطالما يقاومنا فلن ندمره أبدًا. سوف نحوله، نمسك بعقله الداخلي، ونعيد تشكيله. نحرق كل شر وكل وهم داخله؛ نأخذه إلى جانبنا، لا في المظهر فقط، بل بصدق، قلبًا وروحًا. نجعله واحدًا منّا قبل أن نقتله. لا تسامح لدينا مع وجود فكرة ضالة في أي مكان في العالم، مهما كانت سرية أو واهية. حتى في لحظة الموت، لا يمكننا السماح بأي انحراف. في الأيام الغابرة، كان المهرطق يمضي إلى العمود وهو ما يزال مهرطقًا، معلنًا عن هرطقته، محتفلًا بها. حتى ضحية حملات التطهير الروسية، كان يمكن أن يحمل التمرد داخل جمجمته وهو يسير إلى حيث ينتظر الرصاصة. لكننا نجعل العقل كاملًا تامًّا قبل أن نفجره. كان أمر الطغاة القدامى هو: "أنت لن تكون". وأمر الشموليين هو: "أنت ستكون". وأمرنا هو: "أنت كذا". وما من أحد نأتي به إلى هذا المكان يقف ضدنا. فالكل يتطهرون. حتى هؤلاء الخونة التعساء الثلاثة الذين آمنت ببراءتهم يومًا- جونز وآرونسون ورازرفورد- في النهاية انهاروا. لقد شاركت في استجوابهم بنفسي. رأيتهم يتحللون تدريجيًا، يغمغمون ويزحفون وينتحبون- وفي النهاية لم يبق لا الألم ولا الخوف، إنما التوبة فحسب. ووقت انتهائنا منهم لم يكونوا سوى رجال من أصداف خاوية. لم يتبق فيهم سوى الحزن على ما فعلوا، والحب للأخ الكبير. كان مؤثرًا أن ترى كم كانوا يحبونه. وقد توسلوا إلينا أن نسارع بإطلاق النار عليهم، حتى يمكنهم أن يموتوا وعقولهم ما تزال نظيفة".

أصبح صوته حالمًا تقريبًا. كانت الاهتياج والحماس المخبول ما يزالان على وجهه. خطر لوينستون أنه لا يمثل، وليس منافقًا، بل يؤمن بكل كلمة يقولها. ما أحزنه أكثر كان وعيه بتدنيه الفكري عنه. كان يراقب هيئة أوبريان الثقيلة لكن الرشيقة تسير جيئةً وذهابًا، في وخارج نطاق بصره. كان أوبريان- من كل الأوجه- أكبر منه. لم تكن هناك فكرة خطرت له من قبل، أو يمكن أن تخطر له، لم يكن قد عرفها أوبريان منذ زمن بعيد، واختبرها، ورفضها. كان عقله قد **احتوى** عقل وينستون. لكن في تلك الحالة، كيف يصح أن يكون أوبريان مجنونًا؟ لابد أنه هو، وينستون، المجنون. توقف أوبريان ونظر إليه من علٍ. عادت الصرامة إلى صوته ثانيةً:

"لا تتخيل أنك ستنقذ نفسك، يا وينستون، حتى لو استسلمت لنا بشكل كامل. فلم يُعف يومًا شخصٌ ضل الطريق. وحتى إذا ما اخترنا أن ندعك تعيش مدة حياتك الطبيعية، فلن تفلت منّا يومًا. ما يحدث لك هنا أبدي. افهم هذا مسبقًا. سوف نحطمك حتى نقطة لا عودة منها. وسوف تحدث لك أشياءً لن تتعافى منها، حتى لو عشت آلاف السنين. فلن تكون لديك القدرة- مرةً أخرى- على الإحساس بالمشاعر الإنسانية العادية. كل شيء داخلك سيصبح ميتًا. لن تتمكن مرةً أخرى من الحب، أو الصداقة، أو بهجة العيش، أو الضحك، أو الفضول، أو الشجاعة، أو التماسك. ستصبح خاويًا. سنعتصرك حتى نفرغك من كل شيء، ثم نعبئك بذواتنا نحن".

توقف، وأشار للرجل في المعطف الأبيض. كان وينستون مدركًا لوجود أداة ثقيلة ما تُدفع إلى ما وراء رأسه. جلس أوبريان إلى جوار السرير، بحيث

أصبح وجهه على نفس مستوى وجه وينستون تقريبًا.

قال، وهو يتحدث من فوق رأس وينستون إلى الرجل صاحب المعطف الأبيض: "ثلاثة آلاف".

وضعت وسادتان صغيرتان ناعمتان، بهما قدر من الرطوبة، لصق صدغي وينستون. أجفل. فالألم قادم، نوع جديد من الألم. وضع أوبريان يده على يده ليطمئنه، بصورة عطوفة تقريبًا.

قال: "هذه المرة لن تشعر بالألم. أبق عينيك مثبتتين في عينَي".

في تلك اللحظة كان ثمة انفجار مدمر، أو ما بدا شبيهًا بانفجار، وإن لم يكن واثقًا من سماع أي دوي. كان بلا شك ثمة وميض يُعمي. لم يتأذ وينستون، إنما أُجبر على اتخاذ وضع مسطح، لا أكثر. ورغم أنه كان يرقد بالفعل على ظهره وقت أن حدث ما حدث، فقد أحس إحساسًا غريبًا بأنه قد أُجبر على هذا الوضع. مددته ضربة هائلة لا ألم فيها. أيضًا حدث شيءٌ ما داخل رأسه. وإذ استعادت عيناه تركيزهما تذكر مَن يكون، وأين هو، وتعرف على الوجه الذي كان يحدق في وجهه؛ لكن في مكانٍ ما هناك بقعة كبيرة من الفراغ، كأنما انتُزعت قطعة من عقله.

قال أوبريان: "لن يدوم هذا طويلًا. انظر في عينيَّ. ما الدولة التي تحاربها أوشينيا؟"

فكر وينستون. كان يعرف معنى كلمة أوشينيا، وأنه مواطن من أوشينيا. كما يتذكر وجود أوراسيا وإيستاسيا؛ لكنه لم يكن يدري مَن كان يحارب

مَن. في الواقع لم يكن يدرك وجود أي حرب.

"لا أتذكر".

"أوشينيا في حرب مع إيستاسيا. هل تذكر هذا الآن؟"

"نعم".

"لطالما كانت أوشينيا في حرب مع إيستاسيا. منذ بداية حياتك، منذ بداية الحزب، منذ بداية التاريخ، تواصلت الحرب بلا هدنة، دائمًا هي الحرب نفسها. هل تذكر هذا؟"

"نعم".

"قبل أحد عشر عامًا قُمت بخلق أسطورة عن ثلاثة رجال حُكم عليهم بالإعدام بتهمة الخيانة. ادعيت أنك رأيت قصاصة ورق تثبت براءتهم. لم يكن هناك أي وجود لتلك الورقة يومًا. أنت اخترعتها، وبعد ذلك وصلت إلى تصديقها. تتذكر الآن اللحظة التي اخترعت فيها ذلك. هل تتذكرها؟"

"نعم".

"منذ لحظة رفعت أصابعي أمام عينيك. وأنت رأيت خمسة أصابع. هل تذكر؟"

"نعم".

رفع أوبريان أصابع يده اليسرى، وقد أخفى الإبهام.

"هذه أصابع خمسة. هل ترى خمسة أصابع؟"

"نعم".

وقد رآها خمسة، للحظة عابرة، قبل أن يتبدل المشهد في ذهنه. رأى خمسة أصابع، دون أدنى تشوه في المشهد. ثم عاد كل شيء إلى طبيعته، والخوف القديم، والكراهية، والتعجب، عادت متزاحمةً من جديد. لكن كان ثمة لحظة- لم يعرف كم من الوقت استغرقت، ثلاثين ثانية ربما- من اليقين المضيء، عندما ملأ كل إيحاء جديد من أوبريان بقعة من الفراغ وأصبح حقيقة مطلقة، وعندما أصبح ممكنًا لاثنين زائد اثنين أن تساوي ثلاثة بسهولة أن تساوي خمسة، لو كان هذا هو المراد. خفتت تلك اللحظة، لكن قبل أن ينزل أوبريان يده؛ وإن كان لا يمكنه إعادة الإمساك بها، فيمكنه تذكرها، كما يتذكر المرء تجربة ثرية من فترة في حياته كان فيها- في الحقيقة- شخصًا مختلفًا.

قال أوبريان: "ترى الآن، أن الأمر ممكن على كل حال".

قال وينستون: "نعم".

وقف أوبريان بسيماء راضية. إلى أعلى يساره رأى وينستون الرجل صاحب المعطف الأبيض يكسر أمبولًا ويسحب منه ملء حقنة. التفت أوبريان إلى وينستون مبتسمًا. وبطريقته القديمة ضبط وضع العوينات على أنفه.

قال: "هل تذكر عندما كتبت في دفتر مذكراتك أنه لا يهم ما إن كنتُ

صديقًا أو عدوًّا، بما أنني على الأقل شخصٌ يفهمك ويمكن الحديث معه؟ كنت محقًّا. أنا أستمتع بالحديث معك. عقلك يجذبني. إنه يشبه عقلي، لكن تصادف أنك مجنون. قبل أن ننهي الجلسة، يمكنك أن تسألني بعض الأسئلة، إذا أردت".

"أي سؤال عندي؟"

"أي شيء". رأى عينَي وينستون على العدَّاد. "إنه مُطفأ. ما هو سؤالك الأول؟"

قال وينستون: "ماذا فعلت بجوليا؟"

ابتسم أوبريان من جديد. "لقد خانتك، يا وينستون. على الفور، ودون أية تحفظات. قلما رأينا شخصًا ينتقل إلى جانبنا بهذه السرعة. لن تتعرف عليها إذا رأيتها. كل تمردها، وكل قدرتها على الخداع، وكل ألاعيبها، وعقلها القذر، كل شيء فيها احترق. كانت محادثة رائعة، حالة وكأنها من الكتاب".

"هل عذبتها؟"

ترك أوبريان هذا السؤال بلا إجابة. قال: "السؤال التالي".

"هل الأخ الكبير موجود؟"

"بالطبع، هو موجود. الحزب موجود. والأخ الكبير هو تجسيد الحزب".

"هل هو موجود، كما أنا موجود؟"

قال أوبريان: "أنت غير موجود".

مرة أخرى اجتاحه الإحساس بقلة الحيلة. كان يعرف، أو له أن يتخيل، الحجج التي تثبت لا وجوده؛ لكنها هراء، ليست إلا تلاعبًا بالكلمات. أليست جملة "أنت غير موجود" تنطوي على تناقض منطقي؟ لكن ما فائدة أن ينطق بهذا الكلام؟ كان عقله يذوي وهو يفكر في الحجج المجنونة، التي بلا إجابة، التي سيجهز بها أوبريان عليه.

قال في تعب: "أعتقد أنني موجود. أنا على وعي بهويتي. أنا وُلدت وسوف أموت. عندي ذراعان وساقان. أحتل مساحة معينة في الفراغ. وما من شيء صلب آخر قادر على احتلال نفس المساحة، في الوقت نفسه. بهذا المعنى: هل الأخ الكبير موجود؟"

"لا أهمية لهذا. هو موجود".

"هل سيموت الأخ الكبير يومًا؟"

"بالطبع لا، كيف يموت؟ السؤال التالي".

"هل الأخوية موجودة؟"

"هذا الأمر يا وينستون لن تعرفه أبدًا. وإذا ما اخترنا أن نطلق سراحك عندما ننتهي منك، وإذا ما عشت حتى عمر التسعين، فلن تعرف ما إن كانت إجابة هذا السؤال نعم أم لا. وطالما أنت حي فسوف يبقى لغزًا لا إجابة له في عقلك".

رقد وينستون صامتًا. راح صدره يعلو ويهبط بوتيرة أسرع قليلًا. ما

يزال لم يطرح السؤال الذي خطر له في البداية. كان عليه أن يسأله، ولكن كأن لسانه كان عاجزًا عن النطق به. كانت هناك مسحة من التسلي في وجه أوبريان. حتى نظارته بدا كأن فيها لمعة ساخرة. إنه يعرف، كما خطر لوينستون فجأة، يعرف السؤال الذي سأطرحه! عند ذلك الخاطر انفجرت منه الكلمات:

"ماذا يوجد في الحجرة 101؟"

لم يتغير التعبير المرتسم على وجه أوبريان. أجاب في غلظة:

"أنت تعرف ماذا يوجد في الحجرة 101، يا وينستون. الكل يعرفون ماذا يوجد في الحجرة 101".

رفع إصبعًا إلى الرجل ذي المعطف الأبيض. كان يبدو أن الجلسة قد انتهت. اخترقت إبرة ذراع وينستون. غرق تقريبًا في الحال في نوم عميق.

## الفصـل الثَّـالث

قال أوبريان: "هناك ثلاث مراحل لإعادة إدماجك. هناك التعليم، وهناك الفهم، وهناك القبول. حان وقت دخولك المرحلة الثانية".

كالعادة، كان وينستون راقدًا في وضع مسطح على ظهره. لكن- في الآونة الأخيرة- أصبحت قيوده فضفاضة أكثر. ما يزالون يقيدونه إلى السرير، لكنه يمكنه تحريك ركبتيه قليلًا، ويمكنه أن يدير رأسه من جانب إلى جانب، ويرفع ذراعيه من عند المرفقين. العدَّاد بدوره أصبح يسبب له رعبًا أقل. كان يمكنه تفادي لذعاته إذا ما كان سريع البديهة بالقدر الكافي: بالأساس حين كان يبدي الغباء كان أوبريان يحرك القرص. كانوا أحيانًا ما يخوضون جلسة كاملة دون استخدام العداد. لم يكن بوسعه تذكر عدد الجلسات التي خضع لها. بدت له العملية بأسرها ممتدة على وقت طويل، غير محدد- أسابيع، ربما- وربما كانت الفواصل بين الجلسات- في بعض الأحيان- أيامًا،

وأحيانًا ساعة أو ساعتين فحسب.

قال أوبريان: "وأنت راقد في مكانك هذا، كثيرًا ما تساءلتَ- بل حتى سألتني – لماذا تتكبد وزارة الحب كل هذا الوقت والعناء عليك. وعندما كنتَ حرًّا كان يحيرك السؤال نفسه بالأساس. يمكنك فهم آليات المجتمع الذي تعيش فيه، لكن ليس دوافعه المحركة. هل تذكر عندما كتبت في يومياتك: أفهم **كيف**. لكني لا أفهم **لماذا**"؟ فوقت أن فكرت في "لماذا" شككت في قواك العقلية. لقد قرأت **الكتاب**، كتاب جولدشتاين، أو أجزاء منه على الأقل. هل أخبرك الكتاب بشيء لم تكن تعرفه بالفعل؟"

قال وينستون: "هل قرأته؟"

"بل كتبته. بمعنًى ما، تعاونت في كتابته. ما من كتاب يُنتج بصورة فردية، كما تعرف".

"هل هو حقيقي؟ ما ورد فيه؟"

"كتوصيف، نعم. أما البرنامج الذي يضعه فهراء. التراكم السري للمعرفة- انتشار التنوير التدريجي، ثم ثورة البروليتاريا في نهاية المطاف، والتخلص من الحزب. أنت تنبأت بنفسك أن هذا هو ما سيقوله. إنه هراء كله. فالبروليتاريا لن تثور أبدًا، ولا بعد ألف سنة ولا مليون. لا يمكنهم. وليس عليَّ إخبارك بالسبب: فأنت تعرفه بالفعل. فإذا ما كنت تتعلق بأية أحلام عن عصيان عنيف، فعليك التخلي عنها. فلا سبيل للإطاحة بالحزب. حكم الحزب أبدي. فلتكن هذه منطَلق أفكارك".

اقترب من السرير، وكرر: "إلى الأبد! والآن، فلنعد إلى سؤال "كيف" و"لماذا". أنت تفهم بالقدر الكافي **كيف** يحافظ الحزب على مكانه في السلطة. والآن سوف أخبرك لماذا نتمسك بالسلطة. ما هو دافعنا؟ لماذا نريد السلطة؟ هيا، تكلم"، أضاف حين التزم وينستون الصمت.

مع ذلك، فلم يتكلم وينستون لدقيقة أو دقيقتين. اجتاحه إحساس بالتعب. عادت التماعة الحماس الخافتة المجنونة إلى وجه أوبريان. كان يعرف مقدمًا ما سيقوله أوبريان. أن الحزب لا يسعى للسلطة من أجل السلطة، إنما لصالح الأغلبية فحسب. أنه سعى إلى السلطة لأن الناس في مجموعهم مخلوقات ضعيفة، جبانة، لا يمكنها احتمال الحرية أو مواجهة الحقيقة، ولابد أن تُحكم وتُخدع- بشكل ممنهج- من قبل آخرين أقوى منهم. أن اختيار الجنس البشري يكمن بين الحرية والسعادة، وأن السعادة، بالنسبة للكتلة الأكبر من البشرية، أفضل. أن الحزب هو الحارس الأبدي للضعفاء، طائفة مخلصة تبذل الشر حتى يأتي الخير، تضحي بسعادتها من أجل سعادة الآخرين. والشيء المرعب، كما خطر لوينستون، هو أن أوبريان عندما يقول ذلك فسيصدقه. كان بمقدوره أن يراه في وجهه. كان أوبريان يعرف كل شيء. يعرف- ألف مرة أفضل من وينستون- حقيقة العالم، والانحطاط الذي تحيا فيه جموع الكائنات البشرية، وبأية أكاذيب وهمجية يبقيهم الحزب على وضعهم. كان يفهم كل هذا، ويدركه، ولا فارق: فكل شيء تبرره الغاية النهائية. فماذا يمكنك أنت تفعل- خطر لوينستون- إزاء المجنون الأذكى منك، الذي يستمع إلى حججك بصبر، ثم يصر على خبله ؟

قال في وهن: "أنتم تحكموننا لصالحنا. وتعتقدون أن الكائنات البشرية ليست مؤهلة لحكم نفسها بنفسها، ولهذا..".

أجفل وكاد يصرخ. اندفعت لدغة ألم في جسده. أدار أوبريان مؤشر القرص حتى خمس وثلاثين.

قال: "كان هذا غباءً منك، يا وينستون. كان عليك أن تدرك ما هو أفضل من أن تقول شيئًا كهذا".

أعاد المؤشر إلى وضعه، واستأنف:

"سأخبرك الآن بإجابة سؤالي. الأمر هكذا. فالحزب يسعى للسلطة من أجل السلطة. لسنا مهتمين بمصلحة الآخرين؛ نحن مهتمون بالسلطة وحدها. لا الثروة، أو الرخاء، أو الحياة المديدة، أو السعادة: وحدها السلطة، السلطة الخالصة. وسوف تفهم ما تعنيه السلطة الخالصة حالًا. فنحن نختلف عن أوليجاركيات الماضي، من حيث أننا نعرف ماذا نفعل. وكل الآخرين، حتى مَن كانوا يشبهوننا، كانوا جبناء ومنافقين. لقد اقترب النازيون الألمان والشيوعيون الروس كثيرًا منّا في أساليبهم، لكن لم تكن عندهم الشجاعة يومًا للاعتراف لأنفسهم بدوافعهم. ادعوا، بل ربما صدقوا، أنهم أمسكوا بزمام السلطة على مضض، ولأمد محدود، وأن الفردوس يكمن فحسب عند المنعطف، حيث سيعيش فيه البشر في مساواة وحرية. نحن لسنا هكذا. فنحن نعرف أن لا يمسك بزمام السلطة بنية التخلي عنها. فالسلطة ليست وسيلة، إنما هي غاية. ولا يؤسس المرء ديكتاتورية من أجل حماية ثورة؛ لا

يخرج المرء في ثورة من أجل إقامة ديكتاتورية. فالغاية من القهر هي القهر. الغاية من التعذيب هي التعذيب. الغاية من السلطة هي السلطة. هل بدأت تفهمني الآن؟"

اندهش وينستون، كما لم يندهش من قبل، من تعب وجه أوبريان. كان وجهًا قويًّا ولحيمًا وقاسيًا، كان مفعمًا بالذكاء وبنوع من عاطفة مكبوحة، يشعر إزاءها بقلة الحيلة؛ لكنه مُتعب. كان ثمة انتفاخات تحت العينين، والجلد متهدل في الوجنتين. مال أوبريان عليه، مقتربًا منه بوجهه المتعب عن عمد.

قال: "أنت تفكر في أن وجهي عجوز ومتعب. تعتقد أنني أتكلم عن السلطة، لكنني مع ذلك غير قادر حتى على منع جسدي من الفناء. ألا يمكنك أن تفهم، يا وينستون، أن الفرد ليس أكثر من خلية؟ وتعب الخلية يعني عنفوان العضو. فهل تموت عندما تقلم أظافرك؟"

استدار مبتعدًا عن السرير وبدأ يتمشى جيئةً وذهابًا من جديد، ويده في جيبه.

قال: "نحن كهنة السلطة. الرب سلطة. لكن- في الوقت الحالي- فالسلطة بالنسبة لك ليست إلا كلمة. وقد حان الوقت لأن تأخذ فكرة عما تعنيه السلطة. أول شيء لابد أن تدركه هو أن السلطة جمعية. فلا يملك الفرد سلطة إلا بقدر ما يكف عن أن يكون فردًا. وأنت تعرف شعار الحزب "الحرية استعباد". هل خطر لك يومًا أن الشعار قابل لأن ينعكس؟

الاستعباد حرية. إن الإنسان وحده- وهو حر- يُهزم دائمًا. لابد أن يكون ذلك كذلك، لأن كل إنسان مصيره الموت، والموت أكبر إخفاقاتنا. لكن إذا أمكنه أن يقوم بالخضوع الكامل، المطلق، إذا ما تمكن من الهروب من هويته، إذا ما تمكن من دمج نفسه بالحزب حتى يكون هو الحزب، وقتها يصبح مطلق السلطة وخالدًا. والشيء الثاني الذي لابد أن تدركه هو أن السلطة هي السلطة على البشر. على الجسد، وقبل كل شيء على العقل. فالسلطة على المادة- الواقع الخارجي، كما لك أن تسميها، ليست مهمة. فسيطرتنا على المادة قد أصبحت مطلقة بالفعل".

للحظة تجاهل وينستون العداد. بذل جهدًا عنيفًا ليرفع نفسه ليتخذ وضع الجلوس، فلم ينجح إلا في اعتصار جسده بطريقة مؤلمة.

قال مندفعًا: "لكن كيف يمكنكم السيطرة على المادة؟ فأنتم لا تسيطرون على المناخ أو على قانون الجاذبية. وهناك المرض، والألم، والموت.."

أسكته أوبريان بحركة من يده. "نحن نسيطر على المادة لأننا نسيطر على العقل. الواقع يقع داخل الجمجمة. سوف تتعلم بالتدريج، يا وينستون. فما من شيء لا يمكننا فعله. أن نصبح مخفيين، أن نرتفع في الهواء- أي شيء. يمكنني أن أطير فوق هذه الأرض كفقاعة صابون إذا أردتُ. وأنا لا أريد هذا لأن الحزب لا يريده. لابد أن تتخلص من أفكار القرن التاسع عشر تلك، عن قوانين الطبيعة. فنحن نصنع قوانين الطبيعة".

"لكنكم لا تفعلون! بل أنتم لستم سادة هذا الكوكب. فماذا عن

أوراسيا وإيستاسيا؟ لم تقوموا بقهرهما بعد".

"لا يهم. سوف نغزو الدولتين عندما نرى هذا مناسبًا لنا. وإذا لم نفعل، فما الفارق؟ يمكننا تغييبهما عن الوجود. أوشينيا هي العالم".

"لكن العالم نفسه ليس أكثر من ذرة غبار. والإنسان ضئيل- لا حيلة له! منذ متى بدأ وجوده؟ لقد ظلت الأرض غير مأهولة لملايين السنين".

"هراء. عمر الأرض من عمرنا، ليست أقدم. كيف يمكن أن تكون أقدم؟ لا وجود لشيء إلا من خلال وعي البشر به".

"لكن الصخور عامرة بعظام حيوانات منقرضة- الماموث والمستودون والزواحف العملاقة التي كانت تعيش هنا قبل أن يسمع بها البشر بعهود طويلة".

"هل رأيت تلك العظام، يا وينستون؟ بالطبع لا. لقد اخترعها علماء الأحياء في القرن التاسع عشر. فقبل الإنسان لم يكن ثمة أي شيء. وبعد الإنسان، إن كانت له نهاية، لن يكون شيء. فلا شيء خارج الإنسان".

"لكن الكون بأسره خارجنا. انظر إلى النجوم! بعضها تبعد عنّا ملايين السنوات الضوئية. إنها خارج متناول أيدينا إلى الأبد".

قال أوبريان في عدم اكتراث: "ما هي النجوم؟ إنها كتل من النار على بُعد بضعة كيلومترات. ويمكننا الوصول إليها إذا أدرنا. أو يمكننا محوها. فالأرض هي مركز الكون، والشمس والنجوم تدور حولها".

قام وينستون بحركة صعبة أخرى. هذه المرة لم يقل شيئًا. مضى أوبريان كأنه يجيب على اعتراض لم ينطق به وينستون:

"لأغراض معينة بالطبع ليس ما أقوله حقيقيًا. وعندما نبحر في المحيط، أو عندما نتنبأ بكسوف شمسي، فإننا غالبًا ما نجد من المناسب افتراض أن الأرض تدور حول الشمس، وأن النجوم على مسافة ملايين الملايين من الكيلومترات. لكن ما أهمية ذلك؟ هل تعتقد أن ليس بوسعنا إنتاج نظام مزدوج لعلم الفلك؟ فيمكن أن تكون النجوم قريبة أو بعيدة، حسب حاجتنا. هل تفترض أن علماء الرياضيات في الحزب غير أكفاء لذلك؟ هل نسيت التفكير المزدوج؟"

عاد وينستون لينكمش في سريره. بغض النظر عما كان يقوله، فقد سحقته الإجابة السريعة كهراوة. لكنه كان يعرف، **يعرف**، أنه محق. فالإيمان بعدم وجود شيء خارج عقلك- بالتأكيد لا بد أن هناك وسيلة ما لإظهار أنه اعتقاد زائف؟ ألم ينكشف منذ زمن طويل أن ذلك خادع؟ بل كان لها مسمى أيضًا، وقد نسيه. ارتسمت ابتسامة خفيفة لوت زوايا فم أوبريان وهو ينظر إليه من علٍ.

قال: "قلت لك يا وينستون أن الميتافيزيقا ليست نقطة قوتك. الكلمة التي تحاول الوصول إليها هي نظرية "الإيمان بالذات". لكنك مخطئ. ليس ذلك إيمانًا بالذات. إنه إيمان بالذات الجمعية، إذا شئت أن تسميها. لكن هذا شيء مختلف: الحق أنه شيء عكسي". أضاف بنبرة مختلفة: "كل هذا استطراد بلا لزوم. فالسلطة الحقيقية، السلطة التي نكافح من أجلها ليل

نهار، ليست سلطة السيطرة على الأشياء، إنما على البشر". توقف، وللحظة عادت إليه سيماء المدرس الذي يسأل تلميذًا واعدًا: "كيف يمارس المرء سلطته على المرء، يا وينستون؟"

فكر وينستون. قال: "بأن يجعله يعاني".

"بالضبط. بأن يجعله يعاني. فالطاعة ليست كافية. وما لم يعانِ، فكيف تتأكد من أنه يطيع إرادتك لا إرادته هو؟ فالسلطة هي ممارسة الإيلام والإذلال. السلطة هي تمزيق عقول البشر إربًا وتجميعها- من جديد- في أشكال جديدة تختارها أنت. هل بدأت ترى إذن أي نمط من العالم نخلقه؟ إنه النقيض التام للعالم اليوتوبي المتلذذ الأحمق الذي تخيله المصلحون القدامى. إنه عالم من الخوف والخيانة والألم، عالم من الدهس المتبادل بالأقدام، عالم لا تقل قسوته، بل تزيد مع تشكله. والتقدم في عالمنا سيكون التقدم نحو المزيد من الألم. لقد زعمت الحضارات القديمة أنها مؤسسة على الحب أو العدل. أما حضارتنا فمؤسسة على الكراهية. في عالمنا لن توجد مشاعر سوى الخوف، والغضب، والظفر، وانحطاط الذات. وسوف ندمر أي شيء غير هذا- كل شيء. لقد حطمنا بالفعل عادات التفكير التي تعود إلى ما قبل الثورة. قطعنا الصلات بين الطفل وأبيه، بين الرجل والرجل، بين الرجل والمرأة. لم يعد أحد يجرؤ على الثقة بزوجة أو طفل أو صديق. لكن في المستقبل لن تكون هناك زوجات أو أصحاب. سيؤخذ الأطفال من أمهاتهم عند الولادة، مثلما يأخذ المرء البيض من الدجاجة. سوف نستأصل غريزة الجنس. وسيصبح التكاثر والإنجاب ظاهرة سنوية مثل تجديد بطاقة التموين.

سنقضي على الأورجازم. ويعمل علماء الأعصاب في الحزب على هذا الموضوع الآن. لن تكون هناك ولاءات، إلا الولاء للحزب. لن يكون هناك حب إلا للأخ الكبير. لكن يكون هناك ضحك، إلا ضحك الانتصار على عدو مهزوم. لن يكون هناك فن، أو أدب، أو علوم. وعندما نصبح ممتلكين القدرة الكلية فلن تبقى هناك حاجة للعلم. ولن يكون هناك فارق بين الجمال والقبح. لن يكون هناك فضول، أو استمتاع بعملية الحياة. كل متع التنافس ستُدمر. لكن دائمًا- لا تنس هذا، يا وينستون- دائمًا ما سيبقى نشوة السلطة، تزيد دائمًا ويزيد مكرها دائمًا. ودائمًا، في كل لحظة، ستكون هناك نشوة النصر، والإحساس بدَهس عدو بلا حيلة. وإذا ما أردت صورة للمستقبل، فتخيل جزمة عسكرية تدوس وجهًا بشريًّا.. إلى الأبد".

سكت كأنه يتوقع من وينستون الكلام. حاول وينستون الارتداد إلى سطح سريره مرةً ثانية. لم يكن بإمكانه قول أي شيء. بدا قلبه كأنه تجمد. أكمل أوبريان:

"وتذكر، أن ذلك أبدي. وسيبقى الوجه هناك ليُدهس إلى الأبد. فالمهرطق، عدو المجتمع، سيبقى هناك دائمًا، حتى يُهزم ويُهان مرةً تلو المرة دائمًا. وكل ما مررت به منذ وقعت بين أيدينا- سيستمر كل هذا، بل ما هو أسوأ. فالتجسس، والخيانات، والاعتقالات، وعمليات التعذيب، والإعدامات، والاختفاءات لن تتوقف أبدًا. سيصبح عالمًا من الرعب بقدر ما هو عالم من الانتصار. وكلما زادت قوة الحزب، قل تسامحه: كلما ضعفت المعارضة، اشتد الاستبداد. وسوف يعيش جولدشتاين وهرطقاته إلى الأبد. وكل يوم، في كل

لحظة، سيُهزمون، يفقدون مصداقيتهم، ويُبصق عليهم، لكنهم سيبقون دائمًا موجودين. وهذه المسرحية التي لعبتها عليك على مدار سبع سنوات سنلعبها- مرةً تلو المرة- على جيل بعد جيل، ودائمًا بأشكال أكثر مكرًا. وسنُبقي المهرطق هنا دائمًا تحت رحمتنا، يصرخ من الألم، محطمًا، محتقرًا- وفي النهاية تائبًا أبدًا، وقد أُنقذ من نفسه، زاحفًا عند أقدامنا من تلقاء ذاته. هذا هو العالم الذي نُعده، يا وينستون. عالم من النصر تلو النصر، من الظفر تلو الظفر تلو الظفر: ضغط، ضغط، ضغط بلا نهاية على عصب السلطة. وها أنت تبدأ- كما أرى- في إدراك ما سيؤول إليه العالم. لكنك- في النهاية- سوف تفعل ما هو أكثر من فهمه. سوف تقبله، ترحب به، وتصبح جزءًا منه".

استعاد وينستون نفسه بالقدر الكافي لأن يتكلم. قال في ضعف: "لا يمكنكم!"

"ماذا تعني بهذا التعليق، يا وينستون؟"

"لا يمكنكم خلق عالم كالذي وصفته لتوك. إنه حلم، إنه مستحيل".

"لماذا؟"

"مستحيل تأسيس حضارة على الخوف والكراهية والقسوة. فلن تدوم أبدًا".

"لم لا؟"

"لن تكون لها حيوية. سوف تتحلل. سوف تنتحر".

"هراء. أنت لديك انطباع بأن الكراهية أكثر إرهاقًا من الحب. لماذا؟ وإذا ما كانت كذلك، فما الفارق؟ فلنفترض أننا اخترنا استهلاك أنفسنا أسرع. لنفترض أننا أسرعنا من وتيرة الحياة البشرية إلى أن يصبح المرء مصابًا بالشيخوخة في سن الثلاثين. فما الفارق؟ ألا تستطيع فَهم أن موت الفرد ليس موتًا؟ فالحزب خالد".

كالعادة، سحق صوتُه وينستون حتى أصبح بلا حيلة. وفضلًا عن ذلك، فقد كان مرعوبًا من أنه إذا استمر في اعتراضه على أفكار أوبريان فقد يدير العداد مرةً ثانية. ومع ذلك، فلم يستطع التزام الصمت. في وهن، ودون حجج، ودون أي شيء يدعمه إلا الرعب الأبكم مما نطق به أوبريان، عاد إلى الهجوم.

"لا أعرف- ولا يهمني. بشكلٍ ما سوف تفشلون. هناك شيءٌ ما سيهزمكم. الحياة سوف تهزمكم".

"نحن نسيطر على الحياة، يا وينستون، على كافة مستوياتها. أنت تتخيل أن هناك شيئًا اسمه الطبيعة البشرية التي سوف تغضب مما نفعل، وأنها ستنقلب علينا. لكننا نخلق الطبيعة البشرية. فالناس قابلون أبدًا للتشكيل والتطويع. أو ربما عدت إلى فكرتك القديمة عن أن البروليتاريا أو العبيد سينتفضون ويطيحون بنا. أبعد هذا الكلام عن ذهنك. إنهم بلا حيلة، كالحيوانات. الإنسانية هي الحزب. والآخرون في الخارج- بلا اعتبار".

"لا يهمني. ففي النهاية سوف يهزمونكم. إن عاجلًا أو آجلًا، سوف

يرونكم على حقيقتكم، ووقتها سيمزقونكم إربًا".

"هل ترى أي دليل على حدوث هذا؟ أو أي سبب يمكن أن يؤدي إليه؟"

"لا. أنا أؤمن بهذا. أعرف أنكم ستفشلون. فهناك شيءٌ ما في الكون، لا أعرفه، روحٌ ما، مبدأٌ ما، لن تقهروه أبدًا".

"هل تؤمن بالله، يا وينستون؟"

"لا".

"إذن ما هو هذا المبدأ الذي سيهزمنا؟"

"لا أعرف. روح الإنسان".

"وهل تعتقد أنك إنسان؟"

"نعم".

"إذا ما كنت إنسانًا، يا وينستون، فأنت الإنسان الأخير. جنسك منقرض؛ ونحن ورثته. هل تفهم أنك وحيد؟ أنت خارج التاريخ، أنت بلا وجود". تغيرت طريقته، وقال بغلظة أكبر: "وتعتبر نفسك أعلى منا أخلاقيًا، بأكاذيبنا وقسوتنا؟"

"نعم. أعتبر نفسي أعلى".

لم يتكلم أوبريان. كان صوتان آخران يتكلمان. بعد لحظة، تعرف وينستون على أحدهما، صوته. كان سجلًا صوتيًا لمحادثة له مع أوبريان، ليلة

ألحق نفسه بالأخوية. سمع نفسه يتعهد بأن يكذب، ويسرق، ويزوِّر، ويقتل، ويشجع على تعاطي المخدرات والدعارة، ونشر الأمراض التناسلية المعدية، وأن يرمي ماء النار على وجه طفلة. قام أوبريان بإيماءة نفاد صبر، كأنه يقول إن الإثبات لا يستحق العناء. ثم ضغط زرًّا فتوقفت الأصوات.

قال: "انهض عن هذا الفراش".

تراخت القيود من تلقاء ذاتها. أنزل وينستون نفسه على الأرض، ووقف في عدم ثبات.

قال أوبريان: "أنت الإنسان الأخير. أنت حارس الروح الإنسانية. سوف ترى نفسك على حقيقتها. اخلع ثيابك".

فك وينستون الرباط الذي يشد الأوفرول على جسده. كان سحَّاب الأوفرول قد تعطل منذ زمن. لم يمكنه تذكر إن كان منذ وقت القبض عليه قد خلع ثيابه كاملة. تحت الأوفرول كان جسده ملفوفًا بخرق بالية صفراء قذرة، يمكن التعرف عليها باعتبارها بقايا ثياب داخلية. إذ أنزلها على الأرض، رأى أن هناك مرآة ثلاثية الجوانب عند طرف الحجرة البعيد. اقترب منها، ثم توقف. انبعثت منه صرخة لاإرادية.

قال أوبريان: "هيا اذهب. قف بين جناحي المرآة. فسترى الصورة الجانبية أيضًا".

توقف لأنه ارتعب. كان هيكل عظمي منحنٍ، رمادي اللون، يتقدم نحوه. كان شكله الفعلي مخيفًا، ليس فقط لأنه أدرك أن هذا الشيء هو نفسه.

اقترب أكثر من الزجاج. بدا وجه المخلوق ناتئًا، بسبب هيئته المحنية. وجه سجين، بائس، بجبين بارز يمتد إلى الوراء إلى رأس صلعاء، وأنف معقوف، ووجنتين باليتين، فوقهما كانت عيناه متوحشتين متوجستين. كانت وجنتاه متغضنتين، وفمه يلتوي إلى الداخل. بالتأكيد كانّ هذا وجهه، لكنه بدا له أنه قد تغير بأكثر مما تغير داخلُه. وكانت المشاعر التي سجلها (وجهه) مختلفة عن المشاعر التي كان يحسها. أصابه صلع جزئي. وللوهلة الأولى ظن أن شعره قد شاب أيضًا، لكن المنطقة الصلعاء فحسب هي التي اتخذت لونًا رماديًّا. وباستثناء يديه ودائرة من وجهه، كان جسده كله رماديًّا بقذارة قديمة عالقة به. وهنا وهناك، تحت القذارة، كانت هناك ندوب حمراء من جراح، وقرب الكاحل كانت الدوالي كتلة ملتهبة مع قشور من الجلد تتساقط عنها. لكن الشيء المخيف حقًّا كان هزال جسده. كان قفصه الصدري كالبرميل، ضيقًا كقفص صدري لهيكل عظمي: والساقان انكمشتا حتى أصبحت الركبة أعرض من الفخذين. رأى الآن ما كان يقصده أوبريان عندما قال انظر لصورتك الجانبية. كانت انحناءة العمود الفقري مدهشة. فالأكتاف النحيلة محنية إلى الأمام لتصنع تجويفًا من الصدر، والرقبة الضامرة كانت تبدو كأنها تنحني بصورة مضاعفة تحت عبء الجمجمة. ولو كان له أن يخمن، لقال إنه جسد رجل في الستين، يعاني من مرض خبيث ما.

قال أوبريان: "كان يخطر لك أحيانًا أن وجهي- وجه عضو في الحزب الداخلي- يبدو مسنًّا وباليًا. فما رأيك في وجهك؟"

أمسك بكتف وينستون، وأداره إليه حتى واجهه.

قال: "انظر إلى حالك! انظر إلى هذه الأوساخ النجسة على جسدك. انظر إلى القذارة بين أصابع قدميك. انظر إلى القيح المقزز الذي يجري على ساقك. هل تعرف أنه نتن كعنزة؟ ربما لم تعد تلاحظ ذلك. انظر إلى هزالك. هل ترى؟ يمكنني لف إبهامي وسبابتي حول ذراعك. يمكنني كسر عنقك مثل جزرة. هل تعرف أنك فقدت من وزنك خمسة وعشرين كيلوجرامًا منذ وقعت في قبضتنا؟ حتى شعرك يتساقط حفنة حفنة. انظر!" أمسك برأس وينستون وانتزع خصلة شعر. "افتح فمك. تسع، عشر، إحدي عشرة سِنَّة هي الباقية. كم كانت أسنانك عندما أتيت إلينا؟ والأسنان القليلة الباقية تتساقط من فمك. انظر!"

أمسك بإحدى أسنان وينستون الأمامية الباقية بين إبهامه وسبابته بقوة. سرت موجة ألم في فك وينستون. أخرج أوبريان السِّنَّة من جذورها. طوح بها في الزنزانة.

قال: "أنت تتعفن. أنت تتساقط قطعةً قطعة. ماذا تكون؟ كيس من القذارة. والآن استدر وانظر في المرآة من جديد. هل ترى الشيء الذي يواجهك؟ هذا هو الإنسان الأخير. فإذا كنت إنسانًا، فهذه هي الإنسانية. والآن ارتد ثيابك مرةً ثانية".

بدأ وينستون في ارتداء ثيابه بحركات بطيئة متيبسة. حتى الآن لم يكن يبدو عليه أنه لاحظ مدى نحافته وضعفه. لم تخطر له إلا فكرة واحدة: لابد أنه موجود في هذا المكان منذ مدة أطول مما تخيل. ثم فجأةً- وهو يضبط أسماله التعسة على جسده- غلبه الإحساس بالرثاء على جسده المتهدم. قبل

أن يعرف ما الذي يفعله، انهار على دكة صغيرة كانت إلى جوار السرير وانفجر في البكاء. كان مدركًا قبحه وبؤس منظره، كومة من العظام في ثياب داخلية قذرة تجلس باكية تحت نور أبيض فظ: لكنه لم يستطع إيقاف نفسه. وضع أوبريان يدًا على كتفه، في تعاطف تقريبًا.

قال: "لن يدوم هذا الحال إلى الأبد. يمكنك الفرار منه حين تختار. فكل شيء يعتمد عليك".

قال وينستون باكيًا: "لقد فعلتَها! لقد أحلتني إلى هذه الحالة".

"لا، يا وينستون. أنت الذي أحلت نفسك. هذا ما قبلته عندما وضعت نفسك في مواجهة الحزب. فكل شيء يتضمنه الفعل الأول. ولم يحدث شيء لم تتوقعه أنت".

توقف، ثم أردف:

"لقد ضربناك، يا وينستون. كسَّرناك. ورأيت أنت حال جسدك. وعقلك في الحالة نفسها. ولا أظن أنه قد تبقى داخلك الكثير من الكبرياء. لقد تعرضت للركل والجلد والسباب، صرخت من الألم، وزحفت على الأرض وسط دمك وقيئك. غمغمت طالبًا الرحمة، وخنت كل الناس وكل الأشياء. هل يمكنك أن تظن أن هناك طريقة واحدة للإهانة لم تمارس عليك؟"

كف وينستون عن الانتحاب، رغم أن الدموع ظلت تنبجس من عينيه. رفع عينيه إلى أوبريان.

قال: "لم أخن جوليا".

نظر إليه أوبريان من أعلى متفكرًا. قال: "لا، لا؛ ما تقوله صحيح تمامًا. فأنت لم تخن جوليا".

اجتاح قلب وينستون من جديد التبجيل العجيب لأوبريان، الذي يبدو أن لا شيء يقدر على تدميره. خطر له كم هو ذكي، كم هو ذكي! لم يفشل أوبريان يومًا في فهم ما يوجه إليه من كلام. فأي شخص آخر على وجه الأرض كان سيقول فورًا إنه خان جوليا. فماذا تبقى لديه لم ينتزعوه منه تحت وطأة التعذيب؟ لقد قال لهم كل شيء يعرفه عنها، عاداتها، شخصيتها، حياتها الماضية؛ اعترف بأتفه التفاصيل عن كل ما حدث في لقاءاتهما، وكل ما أخبرها به وما قالته له، وجباتهما من السوق السوداء، مضاجعاتهما، خططتهما المشوشة ضد الحزب- كل شيء. ومع ذلك، فبالمعنى الذي كان يقصده من الكلمة، فهو لم يخنها. لم يكف عن حبها؛ ظلت مشاعره نحوها كما هي. رأى أوبريان ما كان يقصده دون حاجة إلى تفسير.

"أخبرني. متى سيرمونني بالرصاص؟"

قال أوبريان: "قد تمر فترة طويلة. فأنت حالة صعبة. لكن لا تفقد الأمل. فالجميع يُشفون عاجلًا أو آجلًا. وفي النهاية، سوف نطلق عليك الرصاص".

---

# الفصـل الرَّابـع

كان أفضل حالًا. أصبح أكثر سمنة وقوة مع مرور كل يوم، إن كان ملائمًا الكلام عن أيام.

كان النور الأبيض وصوت الطنين على عهدهما، لكن الزنزانة كانت أكثر راحة عن الزنازين الأخرى التي وُضع بها. كانت هناك وسادة ومرتبة على سرير الخشب، ودكة للجلوس. حمموه، وسمحوا له بالاغتسال بشكل متكرر في حوض من الصفيح. بل إنهم حتى أعطوه ماءً دافئًا ليغتسل به. أعطوه ملابس داخلية جديدة وأوفرولًا نظيفًا. دهنوا منطقة الدوالي عنده بمرهم مخفف للألم. نزعوا بقايا أسنانه ومنحوه طاقم أسنان جديدًا.

لابد أن أسابيع أو شهور قد مرت. أصبح من الممكن الآن تقدير مرور الزمن، إذا ما أحس برغبة في ذلك، بما أنه أصبح يتناول الطعام على فترات تبدو منتظمة. قدر أنه يحصل على ثلاث وجبات في الأربع والعشرين ساعة،

وأحيانًا ما كان يتساءل إن كان يحصل على الطعام ليلًا أو نهارًا. كان الطعام جيدًا لدرجة مدهشة، ويحصل على لحم كل وجبة ثالثة. بل ذات مرة كانت هناك علبة سجائر. لم تكن معه أعواد ثقاب، لكن الحارس الذي لا يتكلم أبدًا، والذي يأتي له بالطعام، أعطاه ما يشعل. في أول مرة حاول التدخين أحس بالغثيان، لكنه صمم على التدخين، واحتفظ بالعلبة لمدة طويلة، فيما كان يدخن نصف سيجارة بعد كل وجبة.

أعطوه لوح اردواز أبيض مع عقب قلم رصاص مربوط إلى ركن اللوح. في البداية لم يستخدمه. حتى في وقت اليقظة كان يشعر بالتبلد التام. كان كثيرًا ما يرقد من وجبة إلى التالية دون أدنى حركة تقريبًا، نائمًا أحيانًا، مستيقظًا أحيانًا في أحلام يقظة مشوشة يعاني خلالها كثيرًا ليفتح عينيه. كان قد اعتاد طويلًا النوم في النور القوي المسلط على وجهه. بدا له أنه لا يسبب أي فارق لديه، إلا أن أحلام المرء تصبح أكثر اتساقًا. حلم كثيرًا طيلة تلك الفترة، وكانت دائمًا أحلامًا سعيدة. كان في البلد الذهبي، أو يجلس وسط أطلال هائلة مجيدة تحت نور الشمس، مع أمه، مع جوليا، مع أوبريان-لا يفعل أي شيء، يجلس فحسب تحت الشمس، يتحدث في أمور مسالمة. والأفكار التي كانت تراوده في صحوه كانت ترتبط في الأغلب بأحلامه. بدا كأنه فقد القدرة على بذل المجهود الذهني، بعد إزالة محفز الألم لديه. لم يكن ضجرًا، ولم تكن عنده رغبة في الحوار أو أن يشتته أحد. أن يبقى وحده فحسب، ألا يتعرض للضرب أو الاستجواب، أن يحظى بالطعام الكافي، وأن يكون نظيفًا بكامله، هذا ما كان يرضيه تمامًا.

بالتدريج، أصبح يقضي فترات أقل في النوم، لكنه كان ما يزال يشعر بالافتقار إلى حافز للخروج من السرير. كل ما كان يهمه هو الرقاد في هدوء والإحساس بالقوة تحتشد في جسده. قد يداعب بإصبعه هذا الجزء أو ذاك من جسده، محاولًا الاطمئنان إلى أن تنامي عضلاته وانبعاث الصحة في جلده ليسا وهمًا. وأخيرًا تبين له بما يتجاوز الشك أنه يزداد بدانة، وأن فخذيه قد أصبحتا أكثر سُمكًا من ركبتيه. بعد ذلك، وعلى استحياء في البداية، بدأ يتمرن بانتظام. وبعد فترة قصيرة أصبح بمقدوره أن يسير ثلاثة كيلومترات، يقيسها بمساحة الزنزانة، وأصبحت كتفاه المتهدلتان تزدادان اعتدالًا. حاول القيام بتمارين أقوى، وأحس بالدهشة والخجل عندما اكتشف الأشياء التي لا يمكنه القيام بها. لم يكن بمقدوره تغيير اتجاهه أثناء المشي، لم يكن بمقدوره رفع الدكة على امتداد ذراعيه، لم يكن بمقدوره الوقوف على قدم واحدة دون أن يسقط. جلس القرفصاء، ووجد – مع الإحساس بألم ممض في الساق وبطن الساق– أنه لا يمكنه النهوض إلى وضع الوقوف إلا بصعوبة. رقد أفقيًا على بطنه، وحاول رفع ثقله بيديه. لا أمل، لم يكن بمقدوره رفع نفسه بسنتيمتر واحد. لكنه- بعد أيام قليلة، بعد وجبات قليلة- تمكن من هذا أخيرًا. وجاء عليه وقت تمكن فيه من ذلك ست مرات متتالية. بدأ يشعر بالفخر بجسده، والامتنان لاعتقاده المتقطع بأن وجهه بدوره يعود إلى طبيعته. لكنه عندما تصادف أن وضع يده على رأسه الصلعاء، وقتها فقط تذكر الوجه المتغضن، المهدم، الذي أطل عليه من المرآة.

ازدادت فاعلية ذهنه. جلس على السرير الخشبي، وظهره إلى الحائط،

ولوح الكتابة على ركبتيه، وانطلق في العمل بهمة على إعادة تعليم نفسه.

كان قد استسلم، ثمة اتفاق على هذا. في الواقع، وكما يرى الآن، فقد كان مستعدًا للاستسلام قبل اتخاذه هذا القرار بمدة طويلة. ومنذ لحظة أن أصبح داخل وزارة الحب- أجل، حتى أثناء تلك الدقائق التي وقف خلالها هو وجوليا بلا حيلة، والصوت الحديدي الآتي من التيليسكرين يأمرهما بما يفعلانه- كان قد أدرك عبث وضحالة محاولته لأن يضع نفسه في مواجهة قوة الحزب. كان يعرف الآن أن شرطة الأفكار كانت تراقبه كالخنفساء منذ سبع سنوات، تحت النظارة المكبرة. وما من فعل مادي، أو كلمة منطوقة جهرًا، لم يلاحظوها، ما من سلسلة أفكار خطرت له لم يصلوا إليها. حتى ذرة الغبار البيضاء على غلاف دفتر مذكراته أعادوها إلى مكانها في كل مرة بحرص. أسمعوه تسجيلات صوتية له، وعرضوا عليه صورًا فوتوغرافية. بعضها صور لجوليا وهو معها. نعم، صورٌ حتى لـ- لم يكن بمقدوره النضال من بعد ضد الحزب. فضلًا عن ذلك، فقد كان الحزب على حق. لابد أنه محق؛ فكيف يمكن للعقل الجمعي، الخالد، أن يخطئ؟ بأية معيار خارجي يمكنك أن تحكم على تقديراته؟ فالسلامة العقلية رقمية. وكانت مسألة تعلم أن تفكر كما يفكرون. لكن..!

أحس بالقلم الرصاص ثقيلًا وأخرق بين أصابعه. بدأ يكتب الأفكار التي كانت تخطر على ذهنه. في البداية كتب بكلمات كبيرة خرقاء:

**الحرية استعباد**

ثم دون تَوقف تقريبًا كتب تحتها:

**اثنان زائد اثنين تساوي خمسة**

لكن آنئذٍ حل نوع من المراجعة. فعقله، كأنه يستحي من شيءٍ ما، بدا غير قادر على التركيز. كان يعرف أنه يعرف التالي، لكنه الآن لم يستطع تذكره. عندما تذكره، كان فقط بالتفكير المنطقي الواعي: لم يخطر له الأمر من تلقاء ذاته. كتب:

**الله قـــوة**

قبل بكل شيء. فالماضي قابل للتبديل. الماضي لم يتبدل قط. وأوشينيا في حرب مع إيستاسيا. لطالما كانت أوشينيا في حرب مع إيستاسيا. وجونز، وآرونسون، ورازرفورد كانوا مذنبين بالجرائم التي اتهموا بها. وهو لم ير يومًا الصورة التي تنفي عنهم التهمة. لم توجد يومًا، لقد اخترعها. تذكر أنه قد تذكر أشياء مناقضة، لكنها كانت ذكريات مزيفة، نتاج خداع الذات. كم كان الأمر كله سهلًا! فلتستسلم فقط، وبعده يأتي كل شيء آخر. مثل السباحة ضد تيار يجرفك إلى الوراء دائمًا مهما كافحت بقوة، ثم فجأة تقرر أن تدور للوراء وتسير مع التيار بدلًا من مواجهته. لا شيء تغير إلا توجهك: لقد حدث الشيء المقدور على كل حال. كان بالكاد يعرف لماذا تمرد من الأساس. كان كل شيء سهلًا، إلا ...!

يمكن أن يكون أي شيء صحيحًا. وقوانين الطبيعة- كما يسمونها- محض هراء. وقانون الجاذبية هراء. كان أوبريان قد قال: "لو أردتُ، يمكنني

أن أطير فوق هذه الأرض كفقاعة صابون". استنبط وينستون منها: "إذا ما فكَّر في أنه يطير فوق الأرض، وإذا ما **فكرتُ** في اللحظة نفسها أنني أراه يفعل هذا، إذن فهو يحدث". وفجأة، مثل قطعة حطام مغمورة تشق سطح الماء، انبثقت الفكرة في رأسه: "ذلك لا يحدث بالفعل. نحن نتخيله. إنه هلوسة". دفع بالفكرة إلى أسفل على الفور. كانت المغالطة واضحة. فهي تفترض سلفًا أن هناك- في مكان أو آخر، خارج الذات- عالمًا "حقيقيًّا" تحدث فيه الأشياء "الحقيقية". لكن كيف يمكن أن يكون مثل هذا العالم؟ ما المعرفة التي نمتلكها عن أي شيء، إلا من خلال عقولنا؟ فكل الأحداث تحدث في العقل. وأيًّا كان ما يحدث في عقولنا، فهو يحدث حقًّا.

لم يجد صعوبة في حسم المغالطة، ولم يكن مهددًا بخطر السقوط فيها. لكنه مع ذلك أدرك أنه ما كان يجب أن تخطر له تلك الفكرة من الأساس. فعلى العقل أن يخلق بقعة عمياء يخزن فيها الأفكار الخطيرة كلما طرأت. ويجب أن تكون العملية أوتوماتيكية، غريزية، **جريمةوقف**، كما يسمونها في لغة كلام-جديد.

انطلق في تدريب نفسه على جريمةوقف. عرض على نفسه كل الافتراضات: "يقول الحزب إن الأرض مسطحة"، "يقول الحزب إن الثلج أثقل من الماء"- ودرب نفسه على عدم رؤية أو فهم الحجج المناقضة لهذه المقولات. لم يكن ذلك سهلًا. كان يحتاج إلى قوى عظيمة في التفكير والارتجال. وظهرت المشكلات الحسابية، على سبيل المثال، في مقولات مثل "اثنان زائد اثنين تساوي خمسة"، وكانت أكبر من قدرته الذهنية. كانت

بحاجة أيضًا- في لحظة- إلى نوع من رياضة العقل، قدرة على أن الاستخدام الأقصى براعة للمنطق، و- في اللحظة التالية- اللاوعي بأبشع الأخطاء المنطقية. كان الغباء ضروريًا بضرورة الذكاء، ومن الصعب امتلاكه.

وطوال الوقت، كان يتساءل- في جزء من عقله- متى سيطلقون عليه الرصاص. كان أوبريان قد قال: "كل شيء يعتمد عليك"؛ لكنه كان يعرف أنه لا يمكنه تقريب ذلك بأي فعل إرادي يبذله. ربما بعد عشر دقائق من الآن، أو عشر سنوات. قد يحتفظون به لسنوات في الحبس الانفرادي، أو قد يرسلونه إلى معسكر الأشغال الشاقة، وقد يفرجون عنه لفترة، كما كانوا يفعلون أحيانًا. وكان من الممكن تمامًا- قبل رميه بالرصاص- أن تتكرر دراما القبض عليه واستجوابه من جديد. الشيء الوحيد المؤكد هو أن الموت لا يأتي في لحظة متوقعة. كانت العادة- العادة غير المعلنة: لكن يعرفها المرء بشكلٍ ما، وإن لم تسمعها منطوقة قط- هي أن إطلاق النار يكون من الخلف؛ دائمًا في خلفية الرأس، دون تحذير، وأنت تسير في ممر من زنزانة إلى زنزانة.

ذات يوم- لكن "ذات يوم" لم يكن التعبير الصحيح؛ فربما يحدث ذلك في منتصف الليل: ذات مرة- رأى حلم يقظة جميلًا، وغريبًا. كان يسير في الممر، ينتظر الرصاصة. كان يعرف أنها ستأتي بعد لحظة. كان كل شيء محسومًا، مستويًا، مقبولًا. لم تعد هناك شكوك، ولا المزيد من الحجج، ولا المزيد من الألم، ولا المزيد من الخوف. كان جسده عفيًّا وقويًّا. كان يسير بسهولة، بفرحة الحركة وبالإحساس بالسير في نور الشمس. لم يعد في ممرات

وزارة الحب البيضاء، كان في الممر الهائل الذي تضيئه الشمس، بعرض كيلومتر، يبدو كأنه يسير فيه بهذيان المخدرات. كان في **البلد الذهبي**، يسير في الدرب الذي يقطع المرج القديم الذي قضمته الأرانب. كان بمقدوره أن يشعر بالعشب الربيعي القصير تحت قدميه وضوء الشمس الرفيق على وجهه. عند طرف المرعى كانت هناك أشجار الدردار، تتحرك حركة خفيفة، وخلفها في مكانٍ ما كان الجدول حيث أسماك الشبوط تتمدد في البرك خضراء تحت أشجار الصفصاف.

فجأة أجفل بصدمة رعب. تصبب العرق على عموده الفقري. سمع نفسه يصرخ عاليًا:

"جوليا! جوليا! جوليا!، جوليا حبيبتي!"

للحظة تملكته هلوسة بوجودها. كان يبدو له أنها ليست معه، بل داخله. كأنها تواشجت في نسيج جلده. في تلك اللحظة أحبها أكثر من أي وقت كانا فيه معًا ينعمان معًا بالحرية. كما عرف أنها في مكانٍ كانت ما تزال حية وتحتاج إلى مساعدته.

رقد على السرير وحاول السيطرة على نفسه. ما الذي فعله؟ كم من السنوات أضاف إلى استعباده بهذه اللحظة من الضعف؟

بعد لحظة سيسمع وقع الجزم العسكرية بالخارج. لن يمكنهم أن يدعوا نوبة كهذه تمر بلا عقاب. فهم الآن يعرفون، إن لم يعرفوا من قبل، أنه يكسر الاتفاق الذي أبرمه معهم. لقد أطاع الحزب، لكنه كان ما يزال

يكره الحزب. في الأيام الغابرة كان يخبئ عقلًا مهرطقًا تحت مظهر الالتزام. ها هو الآن قد انتكس خطوة إضافية: لقد استسلم في عقله، لكنه كان يأمل في إبقاء قلبه الداخلي بلا انتهاك. كان يعرف أنه على خطأ، لكنه كان يفضل أن يبقى على خطأ. سوف يفهمون هذا- سوف يفهم أوبريان ذلك. لقد تم الاعتراف بكل شيء في تلك الصرخة الوحيدة الغبية.

سوف يضطر للبدء من جديد. قد يستغرقه الأمر أعوامًا. مرر يده على وجهه، محاولًا أن يألف مظهره الجديد. كانت هناك تجاعيد عميقة في الوجنتين، وأحس بعظام الوجنتين بارزتين، والأنف مسطحًا. كما أنه منذ رأى نفسه لآخر مرة في المرآة حصل على طاقم أسنان جديد. لم يكن من السهل الاحتفاظ بالقدرة على إخفاء المشاعر وأنت لا تعرف شكلك. على كل حال، فمجرد السيطرة على تعابير الوجه لم يكن كافيًا. للمرة الأولى تصور أنه إذا ما أراد الاحتفاظ بسرٍّ ما فعليه أن يخفيه عن نفسه أيضًا. عليه أن يعرف طوال الوقت أنه موجود، لكن إلى أن تطرأ الحاجة إليه فعليه ألا يتركه ينبثق أبدًا إلى وعيه بأي شكل يمكن أن يكون له مُسمًّى. من الآن فصاعدًا عليه ألا يكتفي بالتفكير السليم؛ بل عليه بالإحساس السليم، والحلم السليم. وعليه- طوال الوقت- حبس كراهيته داخله ككرة من المادة هي جزء من ذاته، وفي الوقت نفسه لا صلة لها ببقية ذاته/ كأنها حويصلة.

ذات يوم سوف يقررون رميه بالرصاص. لا يمكنك أن تعرف متى سيحدث هذا، لكن قبل ثوانٍ من حدوثه يمكن التخمين. دائمًا من الظهر، وأنت تسير في ممر. ستكون عشر ثوانٍ كافية. في تلك المدة يمكن أن

ينقلب العالم داخله. ثم فجأةً، ودون كلمة واحدة منطوقة، ودون تغيير لإيقاع خطوته، ودون تغيير تعبير وجهه- فجأةً سيسقط القناع ثم بُوم! ستنطلق مكامن كراهيته. ستملأه الكراهية كشعلة لهب هادرة. وفي اللحظة نفسها تقريبًا بُوم! ستنطلق الرصاصة، بعد فوات الأوان، أو قبل الأوان. سيفجرون عقله إلى شظايا قبل أن يتمكنوا من السيطرة عليه. ستمر الفكرة المهرطقة بلا عقاب، بلا توبة، خارج متناولهم إلى الأبد. هكذا يكونون قد أحدثوا فجوة في كمالهم. أن يموت كارهًا لهم، تلك هي الحرية.

أغمض عينيه. كان ذلك أصعب من قبول الانضباط العقلي. كانت مسألة أن يقوم بالحط من نفسه، بتشويه نفسه. كان عليه أن يغوص في أقذر القذارات. فماذا كان أفظع شيء، وأكثر الأشياء إثارة للتقزز؟ فكر في الأخ الكبير. الوجه الضخم (بسبب رؤيته له دائمًا في الملصقات فقد كان يظن دائمًا أن عرضه متر)، بشاربه الأسود الثقيل، وعينيه اللتين تتابعانك جيئة وذهابًا، كان يبدو كأنه يحلق داخل عقله من تلقاء ذاته. فما هي مشاعره الحقيقية تجاه الأخ الكبير؟

كان هناك وقع الأحذية العسكرية الثقيلة في الممر. انفتح الباب الحديدي على مصراعيه في قعقعة. دخل أوبريان إلى الزنزانة. وراءه كان الضابط شمعي الوجه والحراس في الزي الأسود.

"انهض"، قال أوبريان. "تعال هنا".

وقف وينستون قبالته. أخذ أوبريان كتفي وينستون بين يديه القويتين

ونظر إليه عن كثب.

قال: "خطرت لك أفكار عن خداعي. كان هذا غباءً. قِف في اعتدال. انظر إلى وجهي".

توقف، ثم أكمل بنبرة أرق:

"أنت تتحسن. ذهنيًّا لديك خطأ بالغ الصِّغر. في الجانب العاطفي فحسب فشلت في إحداث تقدم. أخبرني، يا وينستون- وتذكر: لا أكاذيب: فأنت تعرف أنني قادر دائمًا على اكتشاف الكذب- أخبرني، ما هي مشاعرك الحقيقية تجاه الأخ الكبير؟"

"أكرهه".

"تكرهه. جيد. إذن حان وقت اتخاذك الخطوة الأخيرة. لابد أن تحب الأخ الكبير. لا يكفي أن تطيعه: يجب أن تحبه".

أطلق وينستون بدفعة صغيرة تجاه الحراس.

قال: "الحجرة 101".

# الفصل الخامس

في كل مرحلة من مراحل سجنه كان يعرف، أو يبدو أنه يعرف، مكانه داخل المبنى عديم النوافذ. ربما كانت هناك اختلافات طفيفة في ضغط الهواء. كانت الزنازين التي ضربه فيها الحراس تحت سطح الأرض. والحجرة التي استجوبه فيها أوبريان كانت عالية قرب السطوح. هذا المكان تحت الأرض بأمتار عديدة، أعمق ما استطاعوا أن يكون.

كان أكبر من أغلب الزنازين التي كان فيها. لكنه كان لا يكاد يلاحظ ما حوله. كل ما لاحظه وجود منضدتين أمامه مباشرة، كل منهما مغطاة بمفرش جوخ أخضر. كانت واحدة على مسافة متر أو مترين منه، والأخرى أبعد، قرب الباب. كان مقيدًا في وضع معتدل في مقعد، بإحكام بالغ لدرجة أنه لم يتمكن من تحريك شيء، ولا حتى رأسه. كان هناك لوحٌ ما يمسك برأسه من الخلف، ليجبره على النظر أمامه مباشرة.

كان وحده للحظة، ثم انفتح الباب ودخل أوبريان.

قال أوبريان: "سألتني- ذات مرة- ماذا يوجد في الحجرة 101. قلت لك إنك تعرف الإجابة بالفعل. فالجميع يعرفون الإجابة. والشيء الموجود في الحجرة 101 هو أفظع شيء في العالم".

انفتح الباب مرة أخرى. دخل حارس، حاملًا شيئًا ما مصنوعًا من أسلاك، صندوق أو سلة ما. وضعها على المنضدة البعيدة. لم يتمكن وينستون من رؤية ماذا كان ذلك الشيء بسبب الوضع الذي كان أوبريان يقف به.

قال أوبريان: "وأفظع شيء في العالم يختلف من فرد إلى فرد. قد يكون الدفن حيًا، أو الموت حرقًا، أو الغرق، أو الخوزقة، أو خمسين ميتة أخرى. هناك حالات قد يكون أفظع شيء تافهًا تمامًا، وليس مميتًا حتى".

تحرك إلى أحد الأجناب قليلًا، فتمكن وينستون من رؤية أفضل للشيء الموجود على المنضدة. كان قفصًا مستطيلًا من السلك له مقبض من أعلى لحمله. وكان مثبتًا بمقدمته شيء مثل قناع لعبة المبارزة، وجانبه المقعر إلى الخارج. ورغم أنه كان على مسافة ثلاثة أو أربعة أمتار منه، فقد رأى أن القفص مقسم بالطول إلى قسمين، وأن كائنًا ما داخل كل قسم. إنها جرذان.

قال أوبريان: "في حالتك، فإن أفظع شيء في العالم هو الجرذان".

ما إن ألقى وينستون بأول نظرة على القفص، حتى سرت فيه ارتعادة أولية، خوف لم يكن متأكدًا من سببه. لكنه في الحال أدرك فجأةً الغرض

من الشيء الشبيه بالقناع الملصق بالقفص. بدت أحشاؤه كأنها تذوب إلى ماء.

صرخ بصوت مرتفع أجش: "لا يمكنك فعل هذا! لا يمكنك، لا يمكنك! هذا مستحيل".

قال أوبريان: "هل تتذكر لحظة الذعر التي كانت عادةً ما تطرأ عليك في أحلامك؟ كان هناك جدار من السواد أمامك، وصوت هادر في أذنيك. وكان هناك شيء مرعب إلى الجانب الآخر من الجدار. كنت تعرف أنك تعرف ما هو، لكنك لم تجرؤ على جرجرته إلى الخلاء. كان الموجود إلى الجانب الآخر من الجدار جرذان".

قال وينستون، محاولًا السيطرة على صوته: "أوبريان! تعرف أن هذا غير ضروري. ماذا تريدني أن أفعل؟"

لم يقدم أوبريان إجابة مباشرة. عندما تحدث كان كلامه بنبرة المدرس التي يستعين بها أحيانًا. نظر في إمعان إلى بعيد، كأنه كان يخاطب جمهورًا ما وراء ظهر وينستون.

قال: "الألم- في حد ذاته- لا يكفي دائمًا. فثمة حالات يصمد فيها الإنسان في مواجهة الألم، حتى إلى حد الموت أحيانًا. لكن بالنسبة للجميع، هناك شيءٌ ما لا يُحتمل- شيءٌ لا يمكن التفكير فيه. لا علاقة له بالشجاعة والجُبن. فإذا ما كنت تهوي من مكان مرتفع، فليس من الجُبن التعلق بحبل. وإذا ما كنت تصعد من ماء عميق فليس من الجُبن أن تملأ

رئتيك بالهواء. ليست إلا غريزة لا يمكن تدميرها. والأمر نفسه ينسحب على الجرذان. بالنسبة لك، لا يمكن تحملها. إنها شكل من الضغوط التي لا يمكنك مقاومتها، حتى لو أردت ذلك. ستفعل ما هو مطلوب منك".

"لكن ما هو؟ ما هو؟ كيف يمكنني أن أفعَله إن كنت لا أعرف ما هو؟"

أمسك أوبريان بالقفص وأتى به إلى المنضدة الأقرب. وضعه في حرص على المفرش الجوخ. كان بمقدور وينستون أن يسمع الدم يفور في أذنيه. أحس بأنه جالس في عزلة تامة. كان في وسط سهل خاوٍ شاسع، صحراء مسطحة تغرقها أشعة الشمس، كانت تأتيه فيها كل الأصوات من على مسافات هائلة. ومع ذلك، لم يكن قفص الجرذان على مسافة مترين منه. كانت الجرذان هائلة الحجم. كانت في العمر الذي يصبح فيه فكا الجرذ حادين وشرسين ويتحول فيه فراؤه إلى البني بدلًا من الرمادي.

قال أوبريان وهو ما زال يخاطب جمهوره الخفي: "الجرذان، وإن كانت من القوارض، فهي آكلةٌ للحوم. أنت تعرف هذا. لقد سمعتَ عن أشياء حدثت في الأحياء الفقيرة بالمدينة. ففي بعض الشوارع لا تجرؤ النساء على ترك الرضع وحدهم في البيوت، ولو لخمس دقائق. فسَتهاجمهم الجرذان، بالتأكيد. وفي مدة قصيرة تمامًا تجردهم من اللحم حتى العظام. كما تهاجم المرضى والمحتضرين. إنها تبدي ذكاءً مدهشًا في معرفة متى يكون الإنسان بلا حيلة".

تفجرت من القفص موجة من الصرخات الحادة. بدت كأنها تصل إلى

وينستون من بعيد. كانت الجرذان تتشاجر؛ كانت تحاول النيل من بعضها البعض من وراء السلك الفاصل. سمع أيضًا آهة يأس عميقة. بدت بدورها كأنها قادمة من خارجه هو نفسه.

رفع أوبريان القفص، وهو يمسكه ضغط على شيء فيه. صدر صوت حاد. حاول وينستون في اهتياج أن يحرر نفسه من المقعد. لا فائدة، فكل جزء فيه، بما في ذلك قلبه، مقيد الحركة. قرَّب أوبريان القفص أكثر. أصبح على مسافة أقل من متر من وجه وينستون.

قال أوبريان: "لقد فتحت "السقاطة" الأولى. وأنت تفهم تركيبة هذا القفص. فسوف يسقط القناع على وجهك، ولن يترك لك مخرجًا. وعندما أضغط على "السقاطة" التالية، سوف ينفتح باب القفص. سوف تنطلق منه هذه الكواسر الجائعة كالرصاص. هل رأيت يومًا جرذًا يقفز في الهواء؟ ستقفز على وجهك وتتعلق به مباشرةً. أحيانًا تهاجم العينين أولًا. وأحيانًا تغرس مخالبها في الوجنتين وتلتهم اللسان".

أصبح القفص أقرب، كان يقترب. سمع وينستون صرخات حادة كانت تبدو كأنها تنبعث في الهواء فوق رأسه. لكنه كان يكافح ذعره بشراسة. أن يفكر، أن يفكر، حتى ولو بقت له نصف ثانية- كان أمله الوحيد أن يفكر. فجأةً ضربت أنفه رائحة الحيوانات الكريهة العفنة. اعترته نوبة عنيفة من التقزز، وكاد يفقد الوعي. كل شيء أصبح أسود. للحظة أصبح مجنونًا، حيوانًا يصرخ. لكنه خرج من السواد متشبثًا بفكرة. كان هناك سبيل وحيد لإنقاذ نفسه. لابد أن يضع بينه وبين الجرذان شخصًا آخر، جسد شخص آخر.

كانت دائرة القناع كبيرة بما يكفي الآن لتحجب عنه رؤية أي شيء. كان باب القفص السلك على مسافة شبرين من وجهه. وكانت الجرذان تعرف بما يوشك أن يحدث. قفز أحدها لأعلى وأسفل، والآخر، وهو جرذ عجوز مغطى بالحراشف في عمر جد جرذان البالوعات، وقف منتصبًا، ويداه الورديتان على سلك القفص، وراح يتشمم الهواء في شراسة. كان بمقدور وينستون أن يرى شاربه وأسنانه الصفراء. ومرةً أخرى سيطر عليه الذعر الأسود. أصبح أعمى، بلا حيلة، بلا عقل.

قال أوبريان بنبرته التعليمية كعهده: "كان عقابًا شائعًا في الصين الإمبراطورية".

كان القناع قريبًا من وجهه. والسلك يحتك بوجنته. ثم- لا، لم يكن الخلاص، إنما بالأمل، شذرة نحيلة من الأمل. فات الأوان، ربما فات الأوان. لكنه فجأةً أدرك أن في العالم كله شخصًا واحدًا، شخصًا واحدًا لا غير يمكنه أن يحول إليه عقابه- جسدًا واحدًا يمكنه أن يزج به بينه وبين الجرذان. وكان يصيح في جنون، مرةً تلو المرة.

"افعلها لجوليا! افعلها لجوليا! ليس أنا! جوليا! لا يهمني ما تفعله بها. مزق وجهها، جردها من اللحم حتى العظام. ليس أنا! جوليا! ليس أنا!".

كان يتراجع إلى الخلف، إلى أعماق شاسعة، بعيدًا عن الجرذان. كان ما زال مقيدًا إلى المقعد، لكنه تهاوى إلى الأرض، خلال جدران المبنى، خلال طبقات الأرض، خلال المحيطات، خلال الغلاف الجوي، إلى فضاء خارجي،

إلى خلجان بين النجوم- بعيدًا بعيدًا بعيدًا بعيدًا عن الجرذان. كان على بُعد سنوات ضوئية، لكن أوبريان كان ما يزال واقفًا إلى جانبه. ما يزال ملمس السلك البارد على خده. لكن خلال الظلام الذي كان يلفه سمع صوتًا معدنيًا آخر، وعرف أن باب القفص قد أُغلق ولم يُفتح.

# الفصـل السَّــادس

كان مقهى شجرة الكستناء خاليًا من الناس تقريبًا. وكان شعاع الشمس يتسلل عبر نافذة ليسقط على أسطح الموائد المتربة. كانت الساعة الخامسة عشرة، ساعة الاستراحة الوحيدة. وكانت موسيقى خفيفة تقطر من شاشات التيليسكرين.

جلس وينستون في ركنه المعتاد، يحدق في زجاجة فارغة. بين الحين والحين، كان ينظر إلى وجه ضخم يرمقه من الجدار المقابل. **الأخ الكبير يراقبك**، هو تعليق الصورة. ودون أن يدعوه، اقترب نادل وملأ كأسه بجين النصر، مضيفًا إليه قطرات قليلة من زجاجة أخرى عبر ثقب في سدادتها. كان سكرًا صناعيًّا بنكهة القرنفل، الذي يشتهر به المقهى.

كان وينستون ينصت للتيليسكرين. في تلك اللحظة، كانت الموسيقى فحسب هي ما تصدر عن الشاشة، لكن كان ثمة احتمالية بأن تصدر- في

أية لحظة- نشرة خاصة من وزارة السلام. فالأخبار الواردة من الجبهة الأفريقية مقلقة لأقصى درجة. كان القلق يعتريه من ذلك بين الحين والآخر على مدار اليوم. فهناك جيش أوراسي (أوشينيا في حرب مع أوراسيا: لطالما كانت أوشينيا في حرب مع أوراسيا) كان يتقدم جنوبًا بسرعة مرعبة. لم تذكر نشرة منتصف النهار أية منطقة بعينها، لكن ربما كانت منطقة مصب نهر الكونغو هي ساحة المعركة. كانت برازافيل وليوبولدفيل في خطر. ولم يكن على المرء أن ينظر للخريطة ليتبين معنى هذا. فلم تكن المسألة ببساطة خسارة أفريقيا الوسطى: فللمرة الأولى في تاريخ الحرب، أصبحت أراضي أوشينيا نفسها مهددة.

اعتملت داخله عاطفة عنيفة، ليست الخوف بالتحديد، بل نوع من الاستثارة اللامبالية، ثم ذوت من جديد. كف عن التفكير في الحرب. في هذه الأيام لا يمكنه أبدًا أن يركز أفكاره على موضوع بعينه أكثر من بضع لحظات. التقط كأسه وتجرعها مرةً واحدة. وكالعادة، أصابه الچين برعشة وحتى برغبة طفيفة في التقيؤ. كان شيئًا بشعًا. القرنفل والسكر الصناعي، وهما في حد ذاتهما مقززان على نحو يبعث على القيء، لا يخفيان الرائحة الزيتي الواضحة؛ وما كان أسوأ هو أن رائحة الچين، التي تلازمه ليل نهار، كانت ممتزجة بلا فكاك في عقله برائحة هؤلاء الـ...

لم يُسمِّهم أبدًا، ولا حتى في أفكاره، وبقدر الإمكان لم يكن يتصورهم في عقله. كانوا شيئًا يعيه نصف وعي، يحوم قريبًا من وجهه، رائحة عالقة بأنفه. ومع صعود الجين داخله تجشأ خلال شفتين أرجوانيتين. كان قد ازداد

بدانة منذ أفرجوا عنه، واستعاد لونه القديم- بل بقدر أكبر من مجرد الاستعادة. أصبحت ملامحه سميكة، والجلد على الأنف والوجنتين كان أحمر غليظًا، حتى منطقة الصلع على رأسه أصبحت قرمزية داكنة. أتى نادل، ومرة أخرى بدون دعوة، برقعة شطرنج وعدد "التايمز" الجديد، مفتوحة على صفحة هواة الشطرنج. ثم، إذ رأى أن كأس وينستون فارغة، أتى بزجاجة الجين وملأها. لا حاجة لإعطاء أوامر. كانوا يعرفون عاداته. فرقعة الشطرنج كانت دائمًا في انتظاره، ودائمًا منضدته في الركن محجوزة؛ حتى عندما يمتلئ المكان كانت تبقى له، بما أن أحدًا لم يكن ليرغب في أن يُرَى جالسًا بقُربه. بل لم يكترث يومًا بعَد الكؤوس التي يشربها. وعلى فترات غير منتظمة كانوا يقدمون له قصاصة قذرة يقولون إنها الفاتورة، لكن كان لديه الانطباع بأنهم يخصمون دائمًا مما هو مستحق عليه. ولم يكن ذلك ليتسبب في أي فارق عما لو كانت الفاتورة أكبر مما هو مستحق عليه. فقد كان لديه- هذه الأيام- نقود كثيرة. وكانت لديه أيضًا وظيفة، بلا عمل، مرتبها أعلى بكثير من مرتب وظيفته القديمة.

توقفت الموسيقى المنبعثة من التيليسكرين، وحل محلها صوت. رفع وينستون رأسه ليسمع. لم تكن نشرة من الجبهة، على أية حال. كانت مجرد إعلان قصير من وزارة الوفرة. في ربع السنة السابق، على ما يبدو، تم تحقيق الإنتاج المطلوب من أربطة الأحذية في خطة السنوات الثلاث العاشرة، بل زاد الإنتاج بواقع 98 في المائة.

تفحص مشكلة الشطرنج، وقام برص القطع. كانت نهاية ماكرة للدور،

فيها حصانان. "الأبيض يلعب ويقتل في حركتين". رفع وينستون عينيه إلى صورة الأخ الكبير. الأبيض دائمًا ينتصر، خطرت له الفكرة في إبهام غائم. دائمًا، وبلا استثناء، هكذا يربح. لا توجد خطة شطرنج منذ فجر التاريخ ربح فيها الأسود ذات يوم. ألا يرمز هذا إلى النصر الأبدي بلا بديل للخير على الشر؟ عاد الوجه الضخم ليرمقه، مفعمًا بالقوة الهادئة. الأبيض يقتل دائمًا.

توقف الصوت القادم من التيليسكرين، ثم أضاف بنبرة مختلفة أكثر جدية: "ننبهكم لانتظار إعلان مهم في الساعة الخامسة عشرة والثلاثين دقيقة. الخامسة عشرة وثلاثون دقيقة! هي أخبار ذات أهمية قصوى. فانتبهوا حتى لا تفوتكم. الخامسة عشرة وثلاثون دقيقة!" وعادت الموسيقى التي تقطر ترن من جديد.

خفق قلب وينستون. كانت النشرة الواردة من الجبهة؛ أخبرته غريزته بأنها أخبار رديئة. فطوال اليوم، مع نوبات قصيرة من الإحساس بالإثارة، كانت فكرة الهزيمة المنكرة في أفريقيا تحوم في عقله. بدا مستعدًا لرؤية الجيش الأوراسي يجتاح الجبهة المنيعة، وينطلق إلى طرف أفريقيا كطابور من النمل. لماذا لم يتمكنوا من صدهم بأي شكل؟ انتصب في عقله بوضوح المحيط الخارجي لساحل غرب أفريقيا. التقط الحصان الأبيض الكبير وحركه على الرقعة. هذه هي البقعة الصحيحة. حتى وهو يرى الحشد الأسود يسارع نحو الجنوب، رأى قوة أخرى، تتجمع بشكل غامض، وتنزرع فجأةً في أعقابهم، تقطع اتصالاتهم بالبر والبحر. أحس بأنه بإرادته فحسب لذلك،

كان يُخرج هذه القوة الأخرى إلى الوجود. لكن كان من الضروري التصرف بسرعة. فإذا أمكنهم السيطرة على أفريقيا كاملة، إذا ما أتيحت لهم المطارات وقواعد الغواصات عند رأس الرجاء الصالح، فسوف يقسمون أوشينيا إلى نصفين. قد يعني هذا أي شيء: الهزيمة، الانهيار، إعادة تقسيم العالم، تدمير الحزب! سحب نفسًا عميقًا. أحس بمزيج عجيب من المشاعر-لم يكن مزيجًا بالتحديد، بل طبقات متراكمة من الإحساس، لا يعرف المرء ما هي طبقتها الأعمق- كان يتضارب داخله.

مرت تلك النوبة. أعاد الحصان الأبيض إلى مكانه، لكنه لم يتمكن للحظة من الانشغال بخطة جدية لدور الشطرنج. هامت أفكاره ثانيةً. وبشكل لاواعٍ تقريبًا رسم بإصبعه على غبار المنضدة:

5 = 2+2

كانت قد قالت: "لا يمكنهم الوصول إلى داخلك". لكنهم استطاعوا الوصول إلى داخلك. قال أوبريان: "ما يحدث لك هنا أبدي". كانت مقولته حقيقية. فهناك أشياء، أفعالك نفسها، لا يمكنك التعافي منها أبدًا. فثمة شيءٌ ما قُتل في صدرك: احترق، تم كيُّه.

كان قد رآها، بل تحدث إليها. لم يكن ثمة خطر في ذلك. كان يعرف بشكل يكاد يكون غريزيًّا أنهم لم يعودوا مهتمين بأفعاله. وكان بإمكانه أن يرتب للقائها مرةً ثانية، إذا أراد أحدهما. والحق أنهما تقابلا مصادفة. كان في المنتزه، في يوم تافه، متباطئ من مارس، حيث تشبه الأرض الحديد ويبدو

العشب كله ميتًا، وما من برعم واحد في أي مكان عدا بضع زهرات من الزعفران كانت تدفع بنفسها لتجتثها الريح. كان يسير مسرعًا ويداه متجمدتان، دامع العينين، عندما رآها على بعد أقل من عشرة أمتار. خطر بباله فورًا أنها قد تغيرت بشكل يصعب تحديده. مرا أحدهما بالآخر بلا إشارة، ثم التفت ولحقها، دون لهفة بالغة. كان يعرف أن لا خطر هنالك، فلم يعد يثير اهتمام أحد. لم تتكلم. سارت مبتعدة بصورة مائلة عبر العشب كأنها تحاول التخلص منه، ثم بدا أنها قررت أن تتركه يسير إلى جوارها. كانا الآن قد أصبحا وسط كتلة من الشجيرات الرثة بلا أوراق، لا تجدي في إخفائهما أو حمايتهما من الرياح. توقفا. كان البرد قارسًا. تصفر الرياح عبر الأغصان وتأتي على زهرات الزعفران القليلة المتربة. وضع يده على خصرها.

لم تكن هناك تيليسكرين، لكن لابد من وجود ميكروفونات مخبوءة: كما أنه كان من الممكن رؤيتهما. لم يكن هذا ليهم، لا شيء يهم. كان بإمكانهما الرقاد على الأرض وفعلها إذا أرادا. تجمد جسده من رعب التفكير في ذلك. لم تقم بأي رد فعل على حركة ذراعه؛ بل لم تحاول تخليص نفسها. كان يدرك الآن ما تغير فيها. كان وجهها أكثر نحولًا، وثمة ندبة طويلة يختبئ جزء منها تحت شعرها، على جبينها وصدغها؛ لكن لم يكن هذا هو التغيير. كان خصرها قد ازداد بدانة، وازداد جمودًا بشكل مدهش. تذكر كيف أنه ذات مرة- بعد انفجار قنبلة صاروخية- ساعد في سحب جثة خارج بعض الأنقاض، وأحس بالدهشة، لا من ثقل وزن الجثة الرهيب، لكن من جمودها وصعوبة تحريكها، كأنها من حجر وليست من لحم. شعر بجسدها

هكذا. خطر له أن ملمس جلدها سيكون مختلفًا تمامًا عما كان.

لم يحاول تقبيلها، ولم يتكلما. وإذ سارا عائدين إلى العشب، كانت تنظر إليه مباشرة للمرة الأولى. كانت نظرة خاطفة، مفعمة بالازدراء والنفور. تساءل عما إن كان نفورًا يأتي خالصًا من الماضي، أم أنه أيضًا بسبب وجهه المنتفخ والماء الذي ظلت الريح تسيله من عينيه. جلسا على مقعدين من الحديد، جنبًا إلى جنب، لكن بلا تلاصق معًا. رأى أنها على وشك أن تتكلم. حركت حذاءها بشكل أخرق عدة سنتيمترات، متعمدة تحطيم أحد الأغصان. لاحظ أن قدمها تبدو كأنما قد كبرت.

قالت في برود: "لقد خنتك".

قال: "لقد خنتك".

نظرت إليه نظرة نفور أخرى.

قالت: "أحيانًا يهددونك بشيء، شيء لا يمكنك تحمله، بل لا يمكنك حتى التفكير فيه. آنئذٍ تقول: "لا تفعلوا هذا معي، افعلوه لشخص آخر، افعلوه لفلان أو علان". وقد تتظاهر، فيما بعد، بأن هذا كان مجرد خدعة، وأنك قلته ولم تقصده حقًا. لكن ذلك ليس حقيقيًا. فوقت حدوثه فأنت تعنيه. تظن أن لا سبيل آخر لإنقاذ نفسك، وتصبح مستعدًا تمامًا لإنقاذ نفسك بهذه الطريقة. تريد أن يحدث هذا الشيء للشخص الآخر. ولا يهمك أبدًا كم سيعاني. كل ما يهمك هو نفسك".

ردد كالصدى: "كل ما يهمك هو نفسك".

"وبعدها، لا تعود إلى الإحساس بالمشاعر نفسها تجاه الشخص الآخر".

قال: "لا، لا تحس بالمشاعر نفسها".

لم يكن ليبدو أن هناك ما يُقال أكثر من ذلك. ألصقت الرياح ثيابهما الخفيفة، الأوفرول، على جسديهما. وسرعان ما أصبح الجلوس هكذا في صمت مسألة محرجة تقريبًا: كما أن الطقس بارد للغاية بما لا يمكن معه البقاء في سكون. قالت شيئًا عن اللحاق بقطار الأنفاق ونهضت لترحل.

قال: "يجب أن نتقابل ثانية".

قالت: "أجل، يجب أن نتقابل ثانية".

تتبعها في غير تصميم لمسافة قصيرة، وراءها بنصف خطوة. لم يتحدثا مرة أخرى. لم تحاول حقًّا أن تُبعده عنها، لكنها سارت بسرعة كافية لمنعه من مجاورتها. كان قد قرر مرافقتها لأبعد مسافة ممكنة إلى محطة القطار، لكن فجأةً بدت عملية الملاحقة في البرد هذه بلا فائدة ولا تحتمل. غلبته الرغبة لا في الابتعاد عن جوليا، بل أكثر في الذهاب إلى مقهى شجرة الكستناء، الذي لم يبد مغريًا له أبدًا مثلما في تلك اللحظة. رأى في ذهنه، كالحنين، منضدته بركن المقهى، والصحيفة، ورقعة الشطرنج، والجين المنساب دائمًا. وقبل كل شيء، فالجو هناك دافئ. في اللحظة التالية، وليس مصادفةً أبدًا، سمح لنفسه بأن ينفصل عنها بمجموعة صغيرة من الناس. قام بمحاولة غير مخلصة للحاق بها، ثم تباطأ، استدار، واتجه إلى الاتجاه العكسي. عندما قطع خمسين مترًا نظر خلفه. لم يكن الشارع مزدحمًا، لكنه لم يكن قادرًا على

تمييزها. فأي شخص من دستة أشخاص مسرعين قد يكون هي. وربما لم يعد جسدها الممتلئ المتصلب يسمح بالتعرف عليه من الخلف.

قالت: "وقت حدوثه أنت تعنيه". كان يعنيه. لم يقل ذلك فحسب، بل كان يتمناه. كان يتمنى أن يسلموها هي، وليس هو، إلى الـ

تغير شيءٌ ما في الموسيقى التي كانت تقطر من التيليسكرين. كانت تتداخلها آنئذٍ نغمة متكسرة ساخرة، صفراء. ثم- ربما لم يحدث هذا، ربما هي ذكرى فحسب أخذت طابع الصوت- كان صوت يغني:

*"تحت شجرة الكستناء الممتدة*

*بعتك وبعتني.."*

تجمعت الدموع في عينيه. لاحظ نادل عابر أمامه أن كأسه فارغة فعاد بزجاجة الجين.

رفع كأسه وتشممها. هذا الشيء لا تقل رداءته مع الشرب بل تزيد مع كل جرعة. لكنه أصبح المادة التي يسبح فيها. كان حياته، ومماته، وبعثه. هو الجين الذي يسقطه في سُبات عميق كل ليلة، و الجين الذي يفيقه في الصباح. عندما يصحو من النوم، ونادرًا ما يحدث هذا قبل الساعة ألف ومائة، بجفون ملتصقة وفم ملتهب وظهر كأنه مكسور، يصبح من المستحيل حتى أن ينهض من وضعه الأفقي إلا بالزجاجة والفنجان المجاورين لفراشه طوال الليل. وكان يجلس في ساعات منتصف النهار بوجه جامد، والزجاجة في متناول اليد، يستمع إلى التيليسكرين. ومن الخامسة عشرة حتى ساعة

الإغلاق، كان من معالم مقهى شجرة الكستناء الثابتة. لم يعد أحد يهتم لما يفعله، لا توقظه صفارة، ولا تحمسه تيليسكرين. ومن حين لآخر، ربما مرتين في الأسبوع، كان يذهب إلى مكتب مترب منسي في وزارة الحقيقة ويؤدي القليل من العمل، أو ما كان يُسمى عملًا. فقد تم تعيينه في لجنة فرعية منبثقة عن لجنة فرعية منبثقة عن إحدى اللجان الكثيرة التي تتعامل مع مشكلات صغيرة خاصة بإعداد الطبعة الحادية عشرة من قاموس الكلام-جديد. كانوا منهمكين في إعداد ما يُسمَّى تقريرًا مؤقتًا، لكن لم يكتشف أبدًا ما هو بالضبط ذلك الشيء الذي يتناوله التقرير. كان شيئًا ما على علاقة بمسألة ما إذا كان يجب وضع الفاصلة داخل علامتي التنصيص أم خارجهما. كان معه في اللجنة أربعة آخرون، هم جميعًا مشابهون له. كان ثمة أيام يتجمعون فيها ثم يتفرقون فجأةً من جديد، معترفين صراحةً لبعضهم البعض أنه لا يوجد حقًّا ما يعملونه. لكن كان ثمة أيام أخرى يجلسون فيها للعمل بما يشبه اللهفة، فيما يقومون باستعراض هائل لتسجيل تفاصيلهم الدقيقة وعمل مسودات لمذكرات طويلة لا تنتهي أبدًا- وحين كان الجدال الذي يفترض بهم الخوض فيه يزداد- بصورة نادرة- تعقدًا وإبهامًا، مع المماحكة البارعة بشأن التعريفات، والاستطرادات المملة، والشجارات- بل حتى التهديدات، أملًا في أن يروق هذا للسلطة الأعلى. ثم فجأةً تنفد منهم الحياة ويجلسون إلى المنضدة ينظرون بعضهم إلى بعض بعيون مطفأة، كأشباح تنزوي مع صيحة الديك.

كانت التيليسكرين صامتةً لدقيقة. رفع وينستون رأسه مرة أخرى.

النشرة! لكن لا، لم يحدث إلا التغيير في الموسيقى. كان يرى خريطة أفريقيا وراء جفنيه. كانت حركة الجيشين مرتسمة في عقله: سهم أسود ينطلق عموديًا إلى الجنوب، وسهم أبيض يتحرك رأسيًا إلى الشرق، عبر ذيل السهم الأول. كأنه يحاول طمأنة نفسه، رفع عينيه إلى الوجه رابط الجأش في الصورة. هل يمكن تصور أن السهم الثاني لا وجود له؟

تبدلت اهتماماته مرةً أخرى. تجرع المزيد من الجين، والتقط حصانًا أبيض وقام بحركة مترددة. كش. لكن من الواضح أنها لم تكن الحركة السديدة، لأن..

ودون استدعاء، طفت في عقله ذكرى. رأى حجرة مضاءةً بالشموع، فيها سرير أبيض رحيب، ورأى نفسه، صبيًا في التاسعة أو العاشرة، جالسًا على الأرض، يهز صندوق نرد صغير، ويضحك في جذل. كانت أمه تجلس قبالته وتضحك بدورها.

لابد أن هذا كان قبل اختفائها بشهر. كانت لحظة مصالحة، بعد أن نسي الجوع المزعج في بطنه وعاد إليه مؤقتًا حبه المبكر لها. كان يتذكر اليوم جيدًا، يوم مطير بلا انقطاع، حيث كانت المياه تنساب على زجاج النافذة والضوء داخل الحجرة أضعف أن يُقرأ على هديه. إحساس الطفلين بالملل في الحجرة المظلمة، الضيقة، أصبح لا يطاق. كان وينستون يبكي ويتذمر، مطالبًا بلا جدوى بالطعام، متهيجًا في الحجرة جاذبًا كل شيء من مكانه، راكلًا الغلاف الخشبي للجدار إلى أن دق الجيران على الجدار، فيما كانت الطفلة الأصغر تعول بشكل متقطع. في النهاية قالت أمه: "كن مؤدبًا، وسوف أشتري لك

لعبة. لعبة جميلة- سوف تحبها"؛ ثم خرجت في المطر، إلى دكان عام صغير قريب كان ما يزال مفتوحًا، وعادت ومعها علبة فيها لعبة السلم والثعبان. كان بمقدوره تذكر رائحة اللوحة المبللة. كانت لعبة بائسة. فلوحة اللعب مشققة والنرد الخشبي الصغير مصنوع برداءةٍ لدرجة أنه كان لا يكاد يستقر على جوانبه. نظر وينستون إلى ذلك الشيء في امتعاض ودون اهتمام. لكن أمه أوقدت آنئذٍ قطعة شمعة وجلسا على الأرض يلعبان. سرعان ما ملأته الحماسة وراح يصيح ضاحكًا مع تقافز الأقراص في أمل على السلالم، ثم نزولها على الثعابين من جديد، حتى نقطة البداية تقريبًا. لعبا ثمانية أدوار، وربح كل منهما أربعة. وشقيقته الصغيرة- التي كانت أصغر من أن تفهم اللعبة- جلست معتدلة على وسادة، تضحك لأنهما يضحكان. وطوال ذلك الأصيل كانوا سعداء معًا، كما في طفولته الأبكر.

أزاح الصورة عن ذهنه. كانت ذكرى زائفة. وكانت الذكريات الزائفة تزعجه بين الحين والحين. لم تكن مهمة طالما أن المرء يعرف ماهيتها. فبعض الأشياء قد حدثت، وأشياء أخرى لم تحدث. التفت مرةً أخرى إلى رقعة الشطرنج، وأمسك بالحصان الأبيض من جديد. تقريبًا في اللحظة نفسها سقط على الرقعة بقرقعة. أجفل كأن إبرة قد اخترقته.

اخترق الهواء دوي بوق حاد. كانت النشرة! النصر! هذا البوق الذي يسبق النشرة كان يعني النصر. سرى في المقهى ما يشبه الذبذبة الكهربائية. حتى السقاة أجفلوا، وأرهفوا آذانهم.

أطلق نداء البوق درجة هائلة من الصخب. كان صوت متحمس يهرف

الآن من التيليسكرين، لكنه لم يكد يبدأ حتى غرق تقريبًا في هدير من التهليل قادم من الخارج. سرت الأخبار في الشوارع كالسحر. كان بإمكانه سماع ما يكفي مما يصدر عن الشاشة ليدرك أن كل ما توقعه قد حدث كما توقعه؛ قامت قوة عسكرية محمولة بحرًا- وقد احتشدت سرًّا- بتسديد ضربة قاصمة إلى مؤخرة العدو، فالسهم الأبيض يمزق ذيل السهم الأسود. تصله شذرات من العبارات الظافرة من بين الصخب: "مناورة استراتيجية كبيرة- تنسيق نموذجي- قضاء مبرم- نصف مليون أسير- انحطاط معنوي كامل- سيطرة على أفريقيا بالكامل- اقتراب الحرب بمسافة معقولة من نهايتها- انتصار- أعظم انتصار في تاريخ البشرية- انتصار- انتصار- انتصار!"

تحت المنضدة قامت قدما وينستون بحركات متشنجة. لم يتحرك من مقعده، لكنه- في عقله- كان يركض، يركض سريعًا، كان مع الحشود بالخارج، يهلل لدرجة تصم الآذان. نظر لأعلى مرةً أخرى إلى صورة الأخ الكبير. العملاق الذي تخطى العالم! الصخرة التي تصطدم بها قطعان آسيا سدًى! فكر كيف أنه منذ عشر دقائق- نعم، عشر دقائق فحسب، كان ما يزال في قلبه التباس فيما كان يتساءل ما إن كانت الأخبار القادمة من الجبهة أخبار انتصار أم هزيمة. آه، لقد هلك ما هو أكثر من جيش أوراسي! لقد تغير الكثير داخله منذ ذلك اليوم الأول له في وزارة الحب، لكن الشفاء النهائي، الذي لا غنى عنه، لم يتحقق قط، حتى هذه اللحظة.

كان الصوت المنبعث من التيليسكرين ما يزال يسكب حكايته عن

الأسرى والغنائم والذبح، لكن الصياح بالخارج خفت قليلًا. عاد السقاة إلى عملهم. اقترب منه أحدهم وفي يده زجاجة چين. لم يُعر وينستون- الجالس في حلم سعيد- انتباهًا إذ امتلأت كأسه. لم يعد يركض أو يهلل. عاد إلى وزارة الحب، وقد غُفر كل شيء، وروحه بيضاء بياض الثلج. كان على منصة عامة يعترف بكل شيء، ويورط الجميع. كان يسير في الممر ذي البلاط الأبيض، بإحساس مَن يسير في ضوء الشمس، ووراءه حارس مسلح. والرصاصة التي طال رجاؤها كانت تخترق عقله.

حدق في الوجه الضخم. لقد استغرق أربعين عامًا ليفهم نوع الابتسامة المختبئة تحت الشارب الداكن. يا لسوء الفهم القاسي، العبثي! يا لَلمنفى المعاند، الذي اختاره لنفسه، بعيدًا عن هذا الصدر المُحب! تقطرت على جانبي أنفه دمعتان برائحة الچين. لكن لا بأس، فكل شيء على ما يُرام، والصراع انتهى. لقد كسب النصر على نفسه. لقد أحب الأخ الكبير.

## النهـــاية

# ملحــق

## مبادئ لغة "كلام-جديد"

"كلام-جديد" هي اللغة الرسمية لأوشينيا، وقد تم ابتكارها تلبيةً للاحتياجات الأيديولوجية للـ"اشت-انج"، أو الاشتراكية الإنجليزية. وفي عام 1984، لم يكن هناك بعد مَن يستخدم "كلام-جديد" بصفتها سبيله الوحيد للتواصل والاتصال، سواء في الكلام أو الكتابة. كانت المقالات الافتتاحية لصحيفة "التايمز" تُكتب بها، لكنها كانت عملية بالغة الصعوبة، ليست ممكنة إلا لخبير. وكان من المتوقع أن تسمو لغة "كلام-جديد"- في نهاية المطاف- على "الكلام-قديم" (أو الإنجليزية العادية، كما يجب أن نسميها) بحلول عام 2050 أو نحوه. وقد راحت تكتسب أرضية آخذة في الاتساع بثبات، ومال جميع أعضاء الحزب إلى استخدام كلمات "كلام-جديد" وتركيباتها النحوية بشكل متزايد، في حياتهم اليومية. والنسخة المستخدمة من هذه اللغة- في 1984، والواردة في الطبعتين التاسعة والعاشرة من قاموس "كلام-جديد"- كانت نسخة انتقالية، وكانت

تحتوي على كلمات كثيرة زائدة عن الحاجة، وتركيبات لغوية عتيقة، كان من المقدر تجاوزها لاحقًا. ونحن نُعنى هنا بالطبعة الحادية عشرة من القاموس، وهي طبعة نهائية وتامة الكمال.

ولم يقتصر الغرض من "كلام-جديد" على توفير قالب للتعبير عن رؤية للعالم وعادات ذهنية تناسب المخلصين للاشت-انج، بل كان الغرض جعل أي قالب آخر للفكر مستحيلًا. كان القصد هو نسيان "كلام-قديم"، بعد تبني "كلام-جديد" بشكل نهائي، للتخلص من تلك اللغة التي تُمكِّن من التفكير في أفكار مهرطقة- أي أية فكرة تنحرف عن مبادئ الاشت-انج، وجعل التفكير فيها مستحيلًا، على الأقل من حيث الكلمات. كانت القواعد اللغوية للكلام-جديد منحوتة، بما يمنح لكل معنى- يليق بعضو الحزب أن يفكر فيه- تعبيرًا دقيقًا بالغ الرهافة والرشاقة، مع استبعاد أية معان أخرى يمكن أن تصل من الكلمة للمرء بسبل غير مباشرة. وقد تحقق هذا- بشكل جزئي- من خلال ابتداع كلمات جديدة، وإن تحقق أكثر وبشكل رئيسي من خلال حذف الكلمات غير المرغوب فيها، وعن طريق تجريد الكلمات ذات المعاني التي تحيد عن التفكير القويم من أية معان ثانوية لها، قدر الإمكان. ولنضرب مثالًا: فكلمة "حر FREE" ما تزال موجودة في لغة "كلام-جديد"، لكن لا يمكن استخدامها إلا في عبارات مثل: "هذا الكلب حُر من القمل" أو "هذا الحقل حُر من العشب". ولا يمكن استخدام الكلمة بمعناها القديم، بمعنى "الحرية السياسية" أو "الحرية الفكرية"، بما أن الحريات السياسية والفكرية لم يعد لها وجود كمفاهيم؛ ومن ثم أصبحت بالضرورة بلا كلمات تعبر عنها. وبعيدًا عن قمع الكلمات الهرطقية، فقد تم اعتبار

تقليص عدد كلمات اللغة مسألة مهمة في حد ذاتها، ولم يُسمح لأية كلمة يمكن الاستغناء عنها بالبقاء. فلقد تم تصميم "كلام-جديد" بهدف تقليص وليس زيادة مجال الفكر، وكان مما ساعد في تحقيق هذه الغاية، بشكل غير مباشر، تقليل المترادفات إلى حدها الأدنى.

وقد تأسست لغة "كلام-جديد" على اللغة الإنجليزية كما نعرفها الآن، وإن كان الكثير من عبارات "كلام-جديد"– حتى إن كانت لا تحتوي على كلمات نُحتت حديثًا– غير مفهومة لمن يتحدث الإنجليزية في يومنا هذا. فقد تم تقسيم كلمات "كلام-جديد" إلى ثلاث فئات مميزة، معروفة بـ "قاموس أ" و"قاموس ب" (ويُدعى أيضًا "الكلمات المركبة") و"قاموس ج". ومن الأبسط مناقشة كل فئة من الفئات المذكورة على حدة، لكن السمات النحوية التي تميز اللغة يمكن استعراضها في قسم "قاموس أ"، بما أن المبادئ نفسها تنطبق على الفئات الثلاث جميعًا.

## قامـوس أ

تتألف فئة "قاموس أ" من الكلمات المطلوبة لتسيير الحياة اليومية، لأمور مثل تناول الطعام، والشراب، والعمل، وارتداء الثياب، ونزول الدرج وصعوده، وركوب السيارات، والبستنة، والطهي، وهلم جرًا. وقد تكونت هذه الفئة بشكل شبه كامل من كلمات قائمة بالفعل، مثل "ضرب"، "جري"، "كلب"، "شجرة"، "سكر"، "بيت"، "حقل"، لكنها- مقارنةً بقاموس إنجليزية يومنا هذا- فإن عددها جد قليل، في حين تم وضع تعريفات أكثر جمودًا

وصرامة بكثير لمعانيها. وقد تم التخلص من جميع أوجه وأسباب الالتباس، وما تحمل الكلمات من ظلال المعاني. وبقدر الإمكان، فليست كلمات "الكلام-جديد"- من هذه الفئة- إلا صوتًا صلبًا يعبر عن مفهوم واحد لا لبس على الإطلاق في فهمه. ومن المستحيل تمامًا استعمال فئة "قاموس أ" لأغراض أدبية أو مجازية، أو في مناقشات سياسية أو فلسفية. وقد كان الغرض من هذه الفئة التعبير عن أفكار بسيطة تؤدي إلى معان واضحة، وترتبط عادةً بأشياء ملموسة أو أفعال مادية.

وتشتمل القواعد اللغوية لـ "كلام-جديد" على وجهي غرابة بارزين. أولهما هو التبادلية التامة تقريبًا بين مختلف عناصر البيان. فأية كلمة في اللغة (من حيث المبدأ، ينطبق هذا حتى على الكلمات المجردة مثل "إذا" و"متى") يمكن استخدامها كفعل أو اسم أو صفة أو ظرف أو حال. ولا يوجد أي اختلاف بين قالب الفعل والاسم، إذا ما كان للفعل والاسم نفس الجذر، وانطوت هذه العملية على تدمير العديد من التركيبات اللغوية العتيقة. فكلمة "فِكر"- على سبيل المثال-ليس لها وجود في "كلام-جديد"، وحلت محلها كلمة "تفكير"، التي تؤدي وظيفة الإسم والفعل. ولا يوجد مبدأ اشتقاقي محدد متبع هنا، إذ إن- في بعض الحالات- يكون الإسم المشتقة عنه باقي اشتقاقات الكلمة هو ما يبقى وتُحذف القوالب الأخرى للكلمة؛ وفي حالات أخرى يكون هو الفعل لا الاسم. وحتى عندما لم تكن هناك صلة اشتقاقية بين اسم وفعل بمعنى مشابه، كان يتم التخلص من الاسم أو الفعل مع الإبقاء على الآخر. فلم يكن هناك وجود- على سبيل المثال- للفعل **قطع**، إذ تغطي هذا المعنى الكلمة الاسم-فعلية **سكين**. وتتكون الصفات من خلال

إضافات تُلحق بنهاية الكلمات. مثال: "سرعة-وي" التي تعني "سريع" (كصفة)، و"سرعة-هو" التي تعني "سريعًا" (كحال). وتم الاحتفاظ ببعض صفات يومنا هذا، مثل "جيد"، "قوي"، "كبير"، "أسود"، "ناعم"، لكن عدد الصفات في المجمل أصبح قليلًا للغاية. فلم تعد هناك حاجة للصفات، إذ يمكن التعبير عن أية صفة بإضافة "وي" إلى الاسم/الفعل. وتم التخلص من الكلمات التي تعبر الآن عن الحال، كلها، باستثناء قلة منها تنتهي بـ "هو": نهاية الكلمة المعبرة في كلام-جديد عن الحال هي دائمًا "هو". وكلمة "صالح"- على سبيل المثال- تم استبدالها بـ "جيد-هو".

كما أن أية كلمة- ونذكر أن هذا ينسحب على كل كلمات اللغة، وليس فئة "قاموس أ" فقط- يمكن أن يُضاف إليها "لا"، على سبيل التعبير عن ضدها، أو "+" كصيغة مبالغة، أو "++" كصيغة مبالغة أقوى. فعلى سبيل المثال، "لابارد" تعني "دافئ"، في حين أن "+بارد" و"++بارد" تعني "بارد للغاية" و"قارس البرودة". كما أمكن، مثلما الحال في لغتنا الإنجليزية الحالية، تعديل معنى أية كلمة بإضافة ملحقات بها، مثل "ضد" و"ما بعد" و"أعلى" و"أسفل"، إلخ. وبسبل كهذه، تسنى إضافة الكثير لقاموس اللغة. وعلى سبيل المثال، فبما أن كلمة "جيد" موجودة، فلا حاجة إذن لكلمة "سيء"، طالما أن كلمة "لاجيد" تعبر عن المعنى بشكل أفضل حتى من "سيء". كان كل المطلوب- أثناء بناء اللغة، فيما يتعلق بالكلمات الأضداد- هو اختيار كلمة من الكلمتين للتعبير عن الأخرى، والتخلص من تلك الأخرى. فـ"ظلام"- على سبيل المثال- يمكن استبدالها بـ"لانور"، أو استبدال "نور" بـ"لاظلام"،

حسب الاختيار.

والسمة المميزة الثانية لقواعد "كلام-جديد" اللغوية هي اضطرادها، مع وجود استثناءات قليلة نذكرها أدناه، حيث تتبع جميع أزمنة الكلمة الواحدة القواعد نفسها في كل الكلمات. وعلى سبيل المثال، فإن جميع الأفعال- في زمن الماضي- تنتهي بنفس النهاية، وهي ED. فتصبح كلمة "يسرق STEAL"- في الفعل الماضي- هي STEALED، وكلمة يفكر THINK- في صيغة الفعل الماضي- هي THINKED، وهلم جرًّا، مع القضاء على أية قوالب أخرى للتعبير عن الفعل الماضي؛ إذ تم التخلص من كل الصيغ من قبيل: SWAM, GAVE, BROUGHT, SPOKE, TAKEN، إلخ. وأصبحت هناك صيغة موحدة للجمع، بغض النظر عن الكلمة، وصيغة موحدة لصيغ المبالغة الخاصة بكل الكلمات*.

والحالات الوحيدة التي سُمح فيها لكلمات بالاحتفاظ بالشذوذ عن القواعد الموحدة، كانت في حالة الضمائر والأفعال المساعدة، مثلًا. فقد اتبعت تلك الحالات النهج القديم، مع التخلص من "الذي" بصفتها غير ضرورية، وتم إسقاط كلمة "سوف" واستبقاء "سـ". كما وجدت بعض الحالات الشاذة في تركيبات الكلمات بسبب الاحتياج إلى بيان سريع وبسيط. والكلمة التي يصعب نطقها، أو يُرجح أن يحدث خلط في سماعها، أصبحت

---

* لم تُترجم هذه الفقرة وتلك التالية عليها ترجمة دقيقة، وبها قدر من التصرف؛ نظراً لإغراق الكاتب هنا في تفاصيل ترتبط حصراً باللغة الإنجليزية، وكان القصد منها توضيح مدى انتظام وجمود لغة "كلام-جديد"، عن طريق مقارنة قواعد صرفها بقواعد صرف اللغة الإنجليزية، وهو الأمر الذي حال دون قدرة المترجم على نقله بدقة تمامًا إلى العربية.

في عداد الكلمات السيئة. ومن ثم، ففي بعض الحالات، تم الاحتفاظ بحروف زائدة كانت تُلحق بالكلمات في صورتها القديمة. لكن يمكن ضرب مثال على هذا في فئة "قاموس ب". وسوف نوضح- في موضع لاحق من هذا المقال- سبب تعليق أهمية كبيرة على سهولة نطق الكلمات.

**قاموس ب**

يتكون "قاموس ب" من الكلمات التي تم نحتها، تحديدًا لأغراض سياسية. وهي كلمات لها معنى سياسي في كل استخدام، وأيضًا من واقع رغبة متعمدة لإضفاء طابع ذهني معين على الشخص الذي يستخدمها. ودون فهم كامل لمبادئ "اشت-انج"، كان من الصعب استخدام تلك الكلمات بشكل صحيح. وفي بعض الحالات، كان يمكن ترجمتها إلى "كلام-قديم"، أو حتى إلى كلمات مأخوذة من "قاموس أ"، لكن ذلك كان يتطلب في العادة تركيبات معقدة، وينطوي دائمًا على خسارة جزء من الدلالة. فالكلمات "ب" كانت تحقق غرض الاختزال، وتحشد- في أغلب الحالات- جملة من الأفكار في تركيبات لغوية مقتضبة، وفي الوقت نفسه هي أدق وأقوى من اللغة العادية.

والكلمات "ب" هي جميعًا كلمات مركبة [الكلمات المركبة مثل "كلام-كتابة"، وهي أداة، تجدها بطبيعة الحال في قاموس أ، لكن مثل هذه الكلمة المذكورة ليست أكثر من مختصر مريح للسان، وليست ذات طابع أيديولوجي مميز] تتكون من كلمتين أو أكثر، أو أجزاء من كلمات، تم صهرها معًا في صيغة سهلة النطق. والنتيجة هي تركيبات اسم/فعل، وتتبع نفس القواعد العادية. وكمثال بسيط: فكلمة "تفكير-جيد" تعني تقريبًا "اتباع الأفكار

السليمة"، أو- إذا ما اختار المرء أن يراها كفعل لا اسم- فهي تعني "أن تراعي في تفكيرك الأفكار السليمة". وفي صيغة الفعل، فإن المضارع هو "تفكير-جيد-الآن"، والماضي هو "تفكير-جيد-كان"، وصيغة الصفة "تفكير-جيد-وي"، وصيغة الحال "تفكير-جيد-هو".

ولم يتم نحت كلمات "قاموس ب" بناءً على أية قاعدة محددة للاشتقاق. فالكلمات التي تكوِّن هذه الفئة مكونة من أي جزء من أجزاء البيان، ويمكن استبدالها وإحلالها ببعضها بأي ترتيب، من أجل تيسير نطقها. فكلمة "جريمة-تفكير"- على سبيل المثال- تأتي فيها كلمة "تفكير" في النصف الثاني من التركيب، بينما كلمة "تفكير-شر" (شرطة الأفكار) فتأتي فيها كلمة "تفكير" في البداية، بينما فقدت كلمة "شرطة" نصفها الثاني، وأصبحت "شر".

وبسبب الصعوبة الكبيرة في تحقيق الاتساق، فقد كانت التركيبات الشاذة شائعة في فئة "قاموس ب"، بشكل أكبر من شيوعها في "قاموس أ". فعلى سبيل المثال، فإن صيغة الصفة من "وزرحق"، "وزرسلم"، "وزرحب"، كانت على التوالي "وزرحق-وي"، "وزرسلم-وي"، "وزرمحبة".

ولبعض كلمات قاموس ب معان يصعب على أي أحد- لا يجيد اللغة كاملة- فهمها. وعلى سبيل المثال، فهذه الجملة من مقال افتتاحي بجريدة "التايمز": "تفكير-قديم-وي لا-بطن-يحس اشت-انج". والتفسير الأقصر الذي قد يعن للمرء بلغة "كلام-قديم" لهذه العبارة هو: "أولئك الذين تشكلت أفكارهم قبل الثورة لا يمكن أن تستوعب مشاعرهم بشكل كامل مبادئ الاشتراكية الإنجليزية". لكن ليست هذه بالترجمة السليمة. فبادئ ذي بدء،

من أجل فهم كامل لجملة الكلام-جديد أعلاه، فلابد أن يكون لدى المرء فكرة كاملة عن المقصود بـ اشت-انج. وفضلًا عن هذا، فإن الشخص المؤسس تأسيسًا مستفيضًا على مبادئ اشت-انج هو القادر على الإدراك الكامل لمعنى كلمة بطن-يحس، التي تشير إلى قبول أعمى وحماسي يصعب تصوره في يومنا هذا؛ أو كلمة تفكير-قديم، التي اختلطت بفكرة الشر والسقوط. لكن المهمة الخاصة لبعض كلمات كلام-جديد، وكلمة تفكير-قديم واحدة منها، لم تكن التعبير عن المعاني، بقدر ما كانت المهمة هي تدمير المعاني. إن تلك الكلمات، وهي قطعًا قليلة عددًا، قد امتدت معانيها حتى احتوت على حظائر كاملة من الكلمات، التي- بعد أن أصبحت تغطيها كلمة واحدة شاملة- أصبح من الممكن إسقاطها ونسيانها. وكانت أكبر صعوبة تواجه من وضعوا قاموس كلام-جديد ليست اختراع كلمات جديدة، إنما تحديد معناها بدقة، بعد أن اخترعوها، بمعنى: ما هي الكلمات التي تم محوها في مقابل ابتداع الكلمة الجديدة.

وكما رأينا في حالة كلمة "حر"، فالكلمات التي كانت محملة بمعانٍ مهرطقة فيما مضى تم الاحتفاظ بها- في بعض الحالات- لأنها مفيدة، لكن مع إسقاط المعاني غير المرغوبة منها. وهناك كلمات أخرى بلا حصر، مثل "شرف"، "عدل"، "أخلاق"، "ديمقراطية"، "علم"، "دين"، لم يعد لها أي وجود. وهناك كلمات قليلة عريضة المعاني تغطيها، ومع تغطيتها لهذه المعاني فقد قضت عليها. وكل الكلمات التي تجتمع حول مفاهيم الحرية والمساواة- على سبيل المثال- انضوت تحت لواء كلمة واحدة هي "جريمة-تفكير"، في حين أن كل الكلمات التي تلتقي حول مفاهيم الموضوعية والعقلانية قد انضوت تحت

لواء كلمة "تفكير-قديم". وكان توخي قدر أكبر من التحديد والدقة سيمثل خطورة. والمطلوب من عضو الحزب هو فهم للعالم مماثل لبني إسرائيل في العهد القديم، الذين كانوا يعرفون- دون معرفة الكثير بخلاف ذلك- أن جميع الأمم الأخرى تعبد "آلهة مزيفة". ولم يكن العبراني القديم بحاجة لمعرفة أن أسماء تلك الآلهة هي بعل وأوزوريس وعشتروت، وما إلى هذا. والأرجح أنه كلما قلت معرفته زاد إيمانه. فقد كان يعرف يهوه ووصايا يهوه، وكان يعرف- من ثم- أن جميع الآلهة ذات الأسماء أو الصفات الأخرى آلهة مزيفة. وبطريقة مشابهة لهذا المثال، كان عضو الحزب يعرف ما هو السلوك القويم، وبشكل شديد الإبهام والتعميم كان يعرف أنواع الانحراف الممكنة عن السلوك القويم. فحياته الجنسية- على سبيل المثال- تنظمها كلمتان من كلمات "كلام-جديد"، هما "جريمة-جنس" (الانحراف الجنسي) و"جنس-جيد" (العفة والتطهر). وتغطي كلمة "جريمة-جنس" كل الأعمال الجنسية المنحرفة على إطلاقها. فهي تغطي الزنا والمثلية الجنسية، وغير ذلك من أشكال الانحراف، فضلًا عن الجماع الطبيعي الذي يُمارس رغبةً فيه. ولم تكن هنالك حاجة لتعديد أشكال الانحراف الجنسي المختلفة، بما أنها جميعًا تُعاقَب- من حيث المبدأ- بعقوبة الإعدام. وفي فئة "قاموس ج"- التي تتكون من الكلمات العلمية والتقنية- ربما يكون من الضروري منح أسماء متخصصة لبعض الانحرافات الجنسية، لكن المواطن العادي لم تكن لديه حاجة إليها. فقد كان يعرف ما المقصود بـ "جنس-جيد"، أي الجماع الطبيعي بين الرجل وزوجه، وأن الغرض الوحيد له هو التناسل، دون أية متعة جسدية للمرأة، وكل ما عدا ذلك فهو "جريمة-جنس". وفي لغة

"كلام-جديد"، كان من الصعب للغاية اتباع فكرة مهرطقة لمسافة تزيد عن إدراك أنها فكرة مهرطقة. ومن بعد هذه النقطة، لا وجود للكلمات المطلوبة للتفكير في الفكرة ذاتها.

وليس من بين كلمات الفئة "قاموس ب" كلمات محايدة أيديولوجيًّا. وكلمات كثيرة منها لها أغراض ملطفة. فهناك كلمات مثل "مخيم-بهجة" (مخيم العمل بالسخرة)، أو "وزرحب" (وزارة السلم، أي وزارة الحرب)، تعني نقيض ما يبدو أن الكلمة تعنيه. وهناك كلمات- على الجانب الآخر- تستعرض فهمًا صريحًا وكارهًا للطبيعة الحقيقية للمجتمع الأوشيني. والمثال على ذلك، كلمة "غذاء-برولز"، أي مصنفات التسلية والأنباء التافهة التي يقدمها الحزب للجماهير العريضة. وهناك كلمات أخرى مزدوجة المعنى، لها معنى "جيد" لدى إطلاقها على الحزب، ومعنى "سيء" عندما تطلق على العدو. لكن بالإضافة إلى ذلك، فهناك كلمات كثيرة للغاية تبدو- للوهلة الأولى- مختصرات لا أكثر، وقد اشتقت لونها الأيديولوجي من مبناها، وليس من معناها.

وبقدر الإمكان، فإن كل شيء قد يكون له معنى سياسي- من أي نوع- قد تم حشده ضمن الفئة "قاموس ب". فاسم كل تنظيم، أو مجموعة من الأفراد، أو مبدأ، أو دولة، أو مؤسسة، أو مبنى عام، كل هذا تم تشذيبه ليصل إلى شكله المناسب، وهو كلمة واحدة يسهل نطقها بأقل عدد من الحروف، بما يحافظ على الاشتقاق الأصلي. ففي حالة وزارة الحقيقة- على سبيل المثال- فإن قسم السجلات، الذي كان يعمل به وينستون، كان يُدعى "قسم-سج"، وقسم الكتابة الإبداعية سُمي "قسم-بدع"، وقسم برامج التليفزيون هو

"قسم-تلف"، وهلم جرا. والهدف الوحيد من هذه العملية كان تفادي إهدار الوقت. وحتى في العقود الأولى من القرن العشرين، كانت الكلمات والعبارات المُهندسة من السمات الأساسية للغة السياسية، وقد لوحظ أن الميل لاستخدام المختصرات من هذا النوع تتسم به الدول الشمولية والمنظمات الشمولية. ومن الأمثلة على هذا كلمات "نازي"، "جستابو"، "كومينتيرن"، "إنبريكور"، "أجيتبروب". وفي البداية، تم تبني هذه الممارسة بشكل فطري، لكن- في لغة "كلام-جديد"- تم استخدامها عن وعي وقصد. وكان هناك تصور أن اختصار الاسم هكذا يعني تضييق وتبديل معناه بمهارة، من خلال استبعاد أغلب المعاني العالقة بالكلمة غير المختصرة. فكلمتا "الشيوعية الدولية"- على سبيل المثال- تستدعي إلى الذهن صورة مركبة عن أخوية إنسانية عالمية، ورايات حمراء، وتحصينات في الشوارع، وكارل ماركس، وكوميونة باريس. وكلمة "كومينتيرن"- على الجانب الآخر- لا توحي إلا بمنظمة دقيقة، ومجموعة مبادئ واضحة التعريف. إنها تشير إلى شيء يسهل التعرف عليه، وغرض مقتصر، كالكرسي أو المائدة. فـ"كومينتيرن" هي كلمة يمكن أن ينطق بها اللسان دون أن يصحب النطق أي تفكير، في حين أن "الشيوعية الدولية" عبارة يُضطر معها المرء لأن تجول أفكاره للحظات على الأقل في معانيها. وبالشكل نفسه، فإن كلمات مثل "وزرحق" أقل عددًا وأكبر قابلية للسيطرة عليها عن كلمات "وزارة الحقيقة". ولا يكمن هذا فحسب من واقع عادة الاختصار كلما أمكن، إنما سببه أيضًا الرغبة في جعل كل كلمة جديدة سهلة النطق قدر الإمكان.

وفي لغة "كلام-جديد"، كان انتظام الكلمات أهم من أي اعتبار آخر إلا

دقة المعنى. فدائمًا ما تمت التضحية بانتظام قواعد اللغة، وتم الخروج عليها، عندما كان يبدو هذا ضروريًّا. وقد كان هذا صحيحًا، إذ إن ما كان مطلوبًا- قبل أي شيء، ولأغراض سياسية- هو كلمات قصيرة مقتضبة ذات معانٍ لا خطأ فيها أو لبس، يمكن نطقها بسرعة، ولا تستنهض إلا أقل الأصداء في عقل المتكلم. وقد اكتسبت كلمات "قاموس ب" قوة وزخمًا من واقع أنها جميعًا تقريبًا متشابهة للغاية. كلها كلمات على شاكلة "تفكير-جيد"، "وزرسلم"، "غذاء-برولز"، "جريمة-جنس"، "مخيم-بهجة"، "اشت-انج"، "إحساس-بطن"، "تفكير-شر"، وكلمات أخرى كثيرة؛ كلمات تتألف كل منها من مقطعين أو ثلاثة مقاطع، والتشديد موزعٌ بالتساوي على المقطعين الأول والأخير في النطق. وقد شجع استخدام تلك الكلمات على أسلوب كلام سريع، متصلب وباعث على الضجر في الوقت نفسه. وكان هذا هو عين الهدف المنشود. فقد كان الهدف هو جعل الكلام، لا سيما الكلام عن أي موضوع غير محايد أيديولوجيًّا، مستقلًّا قدر الإمكان عن الوعي. ولأغراض الحياة اليومية، كان من الضروري دائمًا التفكير قبل الكلام، لكن عضو الحزب- المطلوبَ منه القيام بحكم سياسي أو أخلاقي- يجب أن يكون قادرًا على تقديم الآراء الصحيحة بشكل تلقائي وآلي، كأنه بندقية آلية تطلق الرصاص. وتدريبه يلائم هذا الأمر؛ فاللغة توفر له أداة حصينة، وملمس الكلمات، وصوتها الأجش القاسي، والقُبح المقصود فيها، كل هذا يتسق مع روح الـ "اشت-انج"، وهو ما ساعد أكثر.

وكذلك ساعدت فكرة وجود كلمات قليلة للغاية للاختيار من بينها. فبالنسبة إلى لغتنا، فإن معجم "كلام-جديد" كان ضئيلًا للغاية، وتم بشكل

متواصل ابتداع أساليب جديدة لتقليصه. فلغة "كلام-جديد" كانت تختلف عن أغلب اللغات الأخرى، من حيث إن معجمها راح يتضاءل مع مرور كل عام، لا يزيد. فكل اختزال هو مكسب، بما أن هذا يؤدي إلى تقليص مساحة الاختيار، ومعها تقل الحاجة إلى التفكير. وفي نهاية المطاف، كان المأمول أن يخرج الكلام من الحنجرة والحلق دون أن تشارك في نطقه مراكز التفكير بالمخ على الإطلاق. وقد تم الإقرار بهذا الهدف صراحةً بكلمة "كلام-بط"، وهي من كلمات "كلام-جديد"، وتعني هذه الكلمة "أن تبطبط مثل البطة". وشأن كلمات أخرى كثيرة في "قاموس ب"، فإن الكلمة لها معنى حميد، شريطة أن تكون الآراء التي تبطبطها متسقة مع الأفكار القويمة السليمة؛ وفي هذه الحالة، فهي لا تعني إلا الإطراء. وعندما تشير صحيفة "التايمز" إلى أحد خطباء الحزب بصفته "++جيد كلام-بط-هو"، فهي إذن تجامله مجاملة دافئة رقيقة.

## قامـوس ج

فئة "قاموس ج" هي فئة مكملة للفئتين الأخريين، وتتكون بشكل كامل من المصطلحات العلمية والتقنية. وهي تحاكي المصطلحات العلمية المستخدمة في يومنا هذا، وقد تم نحتها من نفس الاشتقاقات، لكن تم إيلاء عناية زائدة لتعريفها بصرامة، وتجريدها من أية معان غير مرغوبة. وهي تتبع نفس القواعد اللغوية التي تتبعها كلمات الفئتين الأخريين. وهناك كلمات قليلة للغاية- في "قاموس ج"- تُستخدم في الحياة اليومية، أو في

الخطاب السياسي. وأي عامل علمي أو تقني يمكن أن يعثر على الكلمات التي يحتاجها في قائمة مخصصة لاختصاصه وحده، لكن نادرًا ما يعرف أقل القليل عن الكلمات الموجودة في القوائم الأخرى. وهناك كلمات قليلة للغاية مشتركة بين مختلف القوائم، ولا توجد كلمات تعبر عن وظيفة العلم، كونه من عادات العقل، أو منهج للتفكير، بغض النظر عن فروعه المختلفة. ولم تكن هناك بالطبع كلمة تعبر عن "العلم"، إذ إن أي معنى يمكن لهذه الكلمة أن تحمله، فإن "اشت-انج" كانت تغطيه بالفعل.

ومن المذكور أعلاه، نرى- في لغة "كلام-جديد"- أن التعبير عن آراء غير قومية، فوق مستوى منخفض للغاية، كان أمرًا يناطح المستحيل. كان من الممكن بالطبع قول أشياء خارجة، من نوع فظ وبدائي للغاية، وهي كلمات ازدراء وسباب. وكان من الممكن- على سبيل المثال- قول "الأخ الكبير لاجيد". لكن هذه العبارة- التي لا تدرك الأذن الملتزمة منها إلا قولًا عجيبًا من المبتدأ- لا يمكن أن يدعمها منطق، لأن الكلمات اللازمة لدعم هذه المقولة لا وجود لها. فالأفكار البعيدة عن "اشت-انج" لا يمكن تأملها إلا بدون كلمات، ولا يمكن تسميتها إلا بشكل فضفاض للغاية، يجمع معًا طوائف كاملة من الهرطقات دون تعريفها. والحق أنه لم يكن بوسع المرء استخدام "كلام-جديد"- في أغراض خارجة- إلا بالترجمة غير المشروعة لبعض الكلمات إلى "كلام-قديم". فعلى سبيل المثال: **كل الرجال سواء** كانت جملة ممكنة في لغة "كلام-جديد"، لكن لا يزيد معناها عن قول عبارة مثل: **كل الرجال لهم شعر أحمر** في لغة "كلام-قديم". فهي لا تحتوي على خطأ نحوي، لكنها تعبر عن شطط بالغ ومحسوس، بمعنى أن معناها في كلام-

جديد هو أن كل الرجال سواء في الوزن والحجم والقوة. فمفهوم المساواة السياسية لم يعد له وجود، فالمعنى الثانوي قد انتفى عن كلمة "مساواة". وفي عام 1984، عندما كانت لغة "كلام-قديم" ما تزال وسيلة الاتصال المألوفة، كان الخطر يكمن نظريًا في أن المرء- مع استخدامه "كلام-جديد"- يمكن أن يتذكر معنى الكلمات الأصلي القديم. ومن حيث الممارسة، فلم يكن صعبًا على أي شخص يجيد "تفكيرمزدوج" أن يتفادى هذه المشكلة، لكن على مر جيلين، تلاشت إمكانية مثل هذا الخطأ. فالإنسان الذي ينشأ ويكبر على لغة "كلام-جديد"- باعتبارها لغته الوحيدة- لا يعود قادرًا على معرفة المعاني الثانوية لـ"مساواة" فيما مضى، أو أن كلمة "حُر" كانت تعني ذات يوم "حُر فكريًا"، مثله مثل شخص لم يسمع يومًا بالشطرنج، وكيف أنه لا يمكن أن يفهم المعاني الثانوية المرتبطة بـ"الوزير" أو "البيدق". فهناك جرائم وأخطاء كثيرة تتجاوز قدرته على ارتكابها، لمجرد أنه لم تعد هناك كلمات تصفها، ومن ثم فهي خارج نطاق الخيال. وكان مما تم التنبؤ به أنه- مع مرور الزمن- فإن السمات المميزة لكلام-جديد سوف تصبح أوضح وأوضح، وسوف تقل كلماتها وتقل، ويزيد جمود معانيها أكثر وأكثر، وتتضاءل إمكانية توظيف الكلمات في استخدامات غير قويمة.

ووقت أن يتم تجاوز "كلام-قديم"- بشكل نهائي لا رجعة فيه- تكون الصلة الأخيرة بالماضي قد راحت بلا عودة. فقد كان التاريخ قد أعيدت كتابته بالفعل، لكن بقيت بقايا من أدب الماضي، هنا وهناك، عليها رقابة غير تامة الكمال، وطالما احتفظ المرء بمعرفته بـ"كلام-قديم"، فقد كان من الممكن قراءة تلك الأنقاض. لكن، في المستقبل، فإن هذه الشظايا- حتى

إذا ما عنَّ لها البقاء- فسوف تكون غير مفهومة، وغير قابلة للترجمة. لقد كان من المستحيل ترجمة أي نص من كلام-قديم إلى كلام-جديد ما لم يكن النص متعلقًا بعملية تقنية ما، أو عمل يومي بسيط للغاية، أو إذا كان ذلك النص ينزع إلى ما هو قويم (تفكير-جيد-وي هو الوصف الصحيح في لغة كلام-جديد). ومن حيث الممارسة، فقد كان هذا يعني أنه لا يمكن ترجمة أي كتاب كُتب قبل عام 1960 بشكل كامل. ولا يمكن لأدب ما قبل الثورة أن يُترجم سوى ترجمة أيديولوجية، أي أن يتم تبديله من حيث المعنى، ومن حيث اللغة. فلنأخذ على سبيل المثال هذه الفقرة المعروفة من إعلان الاستقلال:

*إننا نؤمن بأن هذه الحقائق بديهية، وهي أن البشر خلقوا متساوين، وأن خالقهم حباهم بحقوق معينة لا يمكن نكرانها والتصرف بها، وأن من بينها الحق في الحياة والحرية والسعي في سبيل نشدان السعادة. وإنه لضمان هذه الحقوق، تنشأ الحكومات بين الناس مستمدة سلطاتها العادلة من موافقة المحكومين. وإنه عندما يصبح أي شكل من أشكال الحكم في أي وقت من الأوقات هادمًا ومدمرًا لهذه الغايات، يصبح من حق الشعب أن يغيّره أو يلغيه ويشكّل حكومة جديدة...**

سيكون من المستحيل تمام الاستحالة نقل هذا الكلام إلى لغة "كلام-

---

* هذه جزء من الفقرة الثانية من إعلان الاستقلال الأمريكي. لم نقم بترجمته، بل فضلنا نقله من مصدر رسمي، من موقع:

http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/texttrans/2009/03/20090326164658bsibhew0.3102075.html#axzz3AY7L9xLn

جديد"، مع الاحتفاظ بجوهر الأصل. وأقرب ما يمكن الوصول إليه هو ترجمة الفقرة كاملة إلى كلمة واحد هي "جريمة-تفكير". أما الترجمة الكاملة، فسوف تكون ترجمة أيديولوجية، بحيث تتغير كلمات جيفرسن إلى دفاع حماسي عن الحكم المطلق.

ولقد كان يجري تحويل الكثير من آداب الماضي على هذا النحو. كانت مقتضيات الوجاهة تدفع باتجاه الاحتفاظ بذكرى بعض الشخصيات التاريخية، وفي الوقت نفسه، كان من الضروري جعل إنجازات تلك الشخصيات متسقة مع فلسفة "اشت-انج". ومن ثم، كان الكثير من الكتاب، مثل شكسبير وميلتون وسويفت وبايرون وديكنز وغيرهم، يخضعون لعملية الترجمة. وعندما تكتمل المهمة، تكون كتاباتهم الأصلية، وكل ما تبقى من أدب الماضي، قد دُمرت تدميرًا. كانت عملية الترجمة بطيئة وشاقة، ولم يكن من المتوقع أن تنتهي العملية بالكامل قبل انتهاء العقد الأول أو الثاني من القرن الحادي والعشرين. كما كانت هناك كميات كبيرة من الأدب الشمولي، وكتيبات تقنية لا غنًى عنها، وما إلى ذلك، كان لا بديل عن معاملتها بالمثل. وكانت الغاية بالأساس السماح بفترة من العمل على ترجمات تمهيدية، إلى أن يتم اعتماد لغة "كلام-جديد" بصيغتها النهائية في موعد أقصاه سنة 2050.



المؤلف: **چورج أورويـل**

روائـي وكاتـب وناقـد بريطـاني (1903ـ 1950). يعتبر واحدًا من أهم الروائيين البريطانيين في القرن العشرين، بالذات بفضل روايتيه "**ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون**" (1949) و"**مزرعة الحيوانات**" (1945). روايتان تفضحان ـ بشكل غير مسبوق، إبداعيًّا ـ الحكم الشمولي، القمعي، وتعري آلياته ونظمه اللاإنسانية.

أما أعماله الأخرى، فهي: "**متشردًا ما بين لندن وباريس**"، (1933)، "أيام بورما" (1934)، "ابنة الكاهن" (1935)، "**الصعود إلى الهواء**" (1939)، "مزرعة الحيوانات" (1945)،

المترجم: **عَمـرو خيـري**

مُترجم أدب مصري، تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة (2004)، وعمل مترجمًا ومحررًا للترجمة في عدد من الهيئات التنموية الدولية.

صدر له: "**البينيلوبية– أو أسطورة بينيلوب وأوديسيوس**"، مارجريت آتوود، (2014)؛ "**هتأخر على الثورة– دفتر يوميات عالم أنثروبولوجي شهد الثورة**"، (2012)؛ "**الشلالات**"، جويس كارول أوتس (2008)؛ "**طحالب**"، ماري واطسون (2007)؛ "**التصحيحات**"، جوناثان فرانزن (2014).

## صدر من سلسلة "المائة كتاب"

1- ثيرفانتيس: **دُون كيخوتـه**، ترجمـة وتقـديم الدكتـور عبـد الـرحمن بدوي.

2- خُوان رولفُو: **بيـدرُو بارَامُو**، ترجمة شيرين عـصمت، تقـديم محمـد إبراهيم مبروك.

3- فرانتس كافكا: **المحاكمـة والمسـخ**، ترجمة محمد أبو رحمـة.

4- هنريك إبسن، **بيت الدُّمية**، ترجمة زينب مبارك، تقديم د. كمال الدين عيد.

5- إيتالو كالفينُو: **لو أنَّ مسافرًا في ليلة شتاء**، ترجمة حسام إبراهيم.

6- وليم بليـك: **أغنيات البراءة والتجربة**، ترجمة حاتم الجوهري، تقديم د. ماهر شفيق فريد.

7- البير كامي: **الغَريـب**، ترجمة وتقديم عاصم عبد ربــه.

8- أونُوريه دو بَلزَاك: **الأب جُوريُـو**، ترجمة محمد محمد السنباطي.

9- وليـام فوكنَر: **الصَّخَـب والعُنف**، ترجمة محمد يُونـس.

10- والت ويتمان: **أوراق العُشب**،ترجمة وتقديم سعدي يوسف.

11- تشينوَا أتشيبي: **أشياءُ تتداعَى**، ترجمة وتقديم عبدالسلام إبراهيم.

12- ليف تولستُوي: **وفاة إيڤان ڤاسيليڤتش**، ترجمة مها جمـال.

13- دُوني ديدرو: **جاك القَدَري**، ترجمة وتقديم حسن عبد الفضيل.

14- نيقوس كزانتزاكيس: **زوربا اليوناني**، ترجمة وتقديم د. محمد حمدي إبراهيـم.

15- فدريكو غارثيا لوركا: **الأغـاني الغجـريَّة**، ترجمـة وتقـديم عبـد الهـادي سعـدون.

16- صامويل بيكيت : **في انتظـار جُـودو**، ترجمة رانية خلاَّف، تقـديم: د. محمود نسـيم.

شركة الأمل للطباعة والنشر
( مورافيتلى سابقًا )
ت: 23904096 - 23952496

سلسلة
آفاق
عالمية

«1984» هي دُرة جورج أورويل، وإحدى علامات القرن العشرين الروائية: خيال فادح في تقصي أشكال القمع الإنساني في أقصى تجلياته الجهنمية، وآلياته الرهيبة بكل تفاصيلها التي لا تخطر ببال. صرخة إبداعية من المقام الرفيع، فاضحة لإهدار الإنسان، وللأنظمة المغلقة الشمولية، المضادة لكل تحقق وحرية إنسانية.

ترجمة مرهفة ، تراعي بمقدرة ما يفوت عموم المترجمين: الخصائص الأسلوبية واللغوية للنص الأصلي.




اللوحة للفنان الفرنسي رينيه ماجريت ■ تصميم الغلاف: أحمد اللباد




السعر: خمسة جنيهات

www.gocp.gov.eg